

# الفساد في الدولة الفاطمية

١١ "سیاسی - اداری - اجتماعی - اقتصادی"



الإسلام في المشرق

سحر عبد العزيز سالم



تفسير محمد شادي

مدرس مساعد الفريخ الاسلامي العقيدة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة دمشق



**مؤلف:** محمد بن عبد الله بن محمد

40 ش

تأليف: د. محمد عبد الحليم عبد الله





# الفساد في الدولة الفاطمية

«سياسياً – إدارياً – اجتماعياً – اقتصادياً»

الدكتورة

تيسير محمد محمد شادي

مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة دمنهور

تقديم

أ.د/ سحر السيد عبدالعزيز سالم

أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

٢٠١٥

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ شارع الدكتور مصطفى مشرفة

إسكندرية – تليفاكس : ٤٨٣٩٤٩٦

Email:Shahab\_Elgamsa2@yahoo.com



## إهداء

إلي كل من يحمل مشعلا يضئ به الظلام  
، ويحارب الفساد، كل من عاش لنصرة الحق ، أومات  
علي مبدأ ، إلي كل صاحب فكرة أو رأي غير أو أثر  
في حياتي.....

إلي روح والدي العزيز  
طيب الله ثراه وأسكنه فسيح جناته..  
إليهم جميعا حبي وامتناني وتقديري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ  
وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي  
النَّاسِ لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي  
عَمِلُوا ۖ فَلَهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

سورة الروم، الآية (41)





### تقديم

نجد الفاطميون في حكم مصر لفترة زمنية تزيد على القسرين (٣٥٨هـ - ٥٦٧م / ٩٦٩هـ - ١١٧١م) فكان حقهم بعد إقامة خلافهم في بلاد المغرب، نقل مقر هذه الخلافة التي تعرضت لانقضات شعبية في هذه المنطقة الثابتة والمتطرفة من العالم الاسلامي الي منطقة اكسر امنا واستقرارا ورخاءا ،ومن هذا جاءت محاولات الفاطميين لنقل مقر خلافتهم اما في الاندلس او الي مصر ونجحوا في نهاية الامر في التركز في مصر وجعل الفاطميون من مصر مركزا لدولة كبرى ،حيث بدورها مسمي خلافة شأنها في ذلك شأن الخلافة العباسية المسماة في بغداد.

ولم يختلف نظام الحكم في هذه الخلافة الفاطمية عما كان الوضع عليه في كل من الخلافة الاموية والعباسية ،النظام الحكم فيها جميعا كان مطلقا يستأثر فيه الخليفة بالسلطتين الدينية والزمنية معا ،الا ان الخلافة الفاطمية قد خصت نفسها بقدسية الامام -الخليفة- وخصته من الخطأ وقد تصور الامر الي حد تأليه أحت خلفاء الفاطميين ،وهو الحاكم بأمر الله ،وقد ترك هذا الامر أسوأ الأثر في نفوس المصريين لدرجة ان كثيرا من كبار المؤرخين قد اعتبروا ان لوهية الحاكم كانت بمثابة المسمار الاول الذي دق في نعش الخلافة الفاطمية ، وكان ذلك بل شك مظهرا قويا من مظاهر فساد الفكري ، ويرى الكثير انه ناتج من التأثر بالمعتقدات الفارسية القديمة مما دفع الي تعدد وتيسر الآراء في صحة نسب الفاطميين لآل رسول الله ،ونفع البعض الي نسبهم الي أصول فارسية مجوسية.

ولإيماننا المطلق بأن شئون الكبرى والإمبراطوريات في مختلف أنحاء للعالم ،وفي جميع الأزمنة ،لما تنهار لأسباب متعددة ومتراكمة وقد تبدأ هذه الأسباب منذ بداية هذه الدول ،وتتضائل جميعها معا لتسقط في النهاية ،هذا الكيان الكبير بعد فترة من الزمن ،ومن هذا المنطلق جاء اختيار الباحثة لهذا الموضوع ،وحاولت أن تتبّع الأسباب المتبينة التي تضاعفت عقدا وراء عقد لتؤدي في النهاية للإتيار لدولة الفاطمية ،وكان

في رأيها أن مظاهر القصاد المختلفة من قصاد سياسي وإداري وإقتصادي و اجتماعي قد تضارفت جميعها لتسقط هذه للدولة.

ولا يعني هذا أن الدولة القنطمية لم يكن لها إيجابيات أو مزايا فقد شهدت الدولة مظاهرا مختلفة من الرخاء والإزدهار ولا سيما في المجال الإقتصادي، حيث حرص الفاطميون علي بسط نفوذهم علي طريق الحرير فتوصلوا إلي مصادر التوابل الرئيسية في الهند والسند وجسر جنوب شرق آسيا والقارة الهندية، وأرسلوا دعوتهم 'الإسماعيلية السنية' عملوا بتجارة البهار للإتجار، ووليعضا لنشر مذهبهم الشعبي في هذه الأماكن في محاولة من الفاطميين لترويج اقتصادهم من جهة، وبسبب نفوذهم السياسي من خلال نشر مذهبهم الشعبي هناك من جهة ثانية، ولمناقسة الخلافة العباسية وضربها في إقتصادها من جهة ثالثة، وقد نجح الفاطميون في ذلك إلى حد كبير، بحيث تنوقت تجارة البحر الأحمر في عهدهم في مجال الكارم علي تجارة الخليج العربي، بحيث تجمع الكثير من الدراسات المتخصصة إلي بداية تراجع تجارة الخليج العربي أسم البحر الأحمر بدأ من القرن الرابع الهجري.

وقد انعكس هذا الإزدهار التجاري علي المجتمع المصري، وبدأت مصر تشهد رواجاً لا مثيل له قبلت المفرد قد إلي الفخور المصرية ولا سيما الإسكندرية خاصة معها منع الشرق والغرب، وارتبطت هذه المدينة للساحية المصرية مع الأقطار الأوربية مثل علفي والبنديفة وجنوة، وكان لهذه المدن الإيطالية فندق كثيرة في الإسكندرية، وشكل تجارها جالية من أكبر الجاليات الأجنبية في تلك الوقت كما تهافت تجار المشرق والمغرب لإسلامي علي مصر في ذلك الوقت.

أيضا ازدهرت مصر علميا وداع صوت الجامع الأزهر الذي تحول إلي جامعة علمية، وكان الخلفاء الفاطميون يحرصون لرواتب لعلماء الأزهر ولتلاميذه أيضا ويوفرون أماكن لمساكنهم، وونحلت لروقة الأزهر في مدارس علمية وحلقت بحث وحمل كل رواق اسم طائفة وقد بينائب وأرندنا إلي هذا الجامع العظيم فأصبح هناك رواق للروم ورواق لليهود ورواق للسودانيين ورواق للصعيدية.

وليامز الباحث بأنه لا يكتب كمشعوب ولم تسعى لإعادة كتابة تاريخها بصديق وبنية علمية إن نكتفي بإظهار الإيجابيات ومدح المعاصري بل أنه عليه أيضا أن نواجه أنفسنا بتقد الذات وتسايط القصور على المظاهر الإسلامية بسوء بالمظاهر الإيجابية حتى نتجنب هذه التسليمات في تاريخنا الحديث والمعاصر ، لأن التاريخ كما ذكر ابن خلدون : هو العظة والعبرة والدروس المستفادة من الماضي .

لذلك لمأت الباحث أن يتجنب الحديث في دراستها عن المظاهر الإيجابية في التاريخ والحضارة الفاطمية لأنها حانت بدراسات لا حصر لها ، ثم التزمت الباحث بالطريق الأصعب وهو جلد الذات للإفادة من دروس الماضي في المستقبل ، هناك أحدث تتبع أهم مظاهر الفساد المختلفة في الدولة الفاطمية والتي أدت في نهاية الأمر لسقوطها .

وهذه الدراسة المقدمة إلى القراء ، هي عمل علمي أكاديمي محكم وجاد وفقه وأصيل وهي تنبئ عن مولد باحثة متميزة واحدة ، لديها القدرة على النقد والتحسين والإستنتاج ، من خلال رجوعها إلى المصادر الأصلية ، وأثبتت الباحثة بعدد من الطائقي التاريخية التي لم يسبقها إليها أحد من الدارسين لتاريخ الدولة الفاطمية لهذا العمل بحق وشهد على مراد مؤرخ متعمق واحد .

ولهذا فإن هذه الدراسة ثمينة ، إما مقد بحث إضافة جديدة للمكتبة العربية والإسلامية في مجال يحسن فترة زمنية تاريخية مهمة سادت فيها الحالة الفاطمية ذات الصبغة الدينية بكنيتها التاريخية وموقعها المهم على مسرح الأحداث وإمكانياتها الاقتصادية والمكثية والعسكرية وما حققته من إنجازات حضارية متعددة إلا أن تاريخها إهترأ كثيرا من مظاهر الفساد المختلفة .

#### الاستفادة للدكتورة /

سهر السيد عبد العزيز معلم

مستند التاريخ الإسلامي

والحضارة الإسلامية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



## فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	العبريت .....
٥	مقدمة .....
٧٩	الفصل الأول
	لدرسة النقدية والتحليلية لأهم مصادر ومراجع الموضوع
	الفصل الثاني
٢٠٧	مظاهر الفساد في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية (٢٠ - ٢٥٨ هـ / ٦٤١ - ٩٦٩ م)
٦٩	أولاً تعريف ظاهرة الفساد وأبرز أنواعه .....
	ثانياً أبرز مظاهر الفساد في مصر الإسلامية قبل العصر الفاطمي .....
٧٧	الفصل الثالث
١٠٩	مظاهر الفساد السياسي والإداري في مصر الفاطمية
١١١	أولاً تمهيد .....
١١١	١- بداية التشيع .....
١١٢	٢- أصل الفاطميين ونسبهم .....
١١٣	٣- إقامة الدولة الفاطمية في مصر .....
١٢٠	ثانياً فساد الخلفاء الفاطميين .....
١٢٠	١- انشغال في أمور العقيدة الإسلامية وتغيير تعليمها لأغراض سياسية .....
١٣٥	٢- إسعاد معرفة الخيب والذكورية لأغراض سياسية .....
١٤٣	٣- لإملاء في القتل والتعذيب وإرهاب العامة .....
١٥٦	٤- تشغل النساء في أمور الدولة .....

الصفحة	الموضوع
١٦٨	٥ كثرة للسائن والمؤامرات والاعتيالات تدخل القصر الفاطمي .....
١٨٤	ثالثا فساد الوزراء والوسطاء وصراهم من أجل الوصول للوزارة ..
٢٠٤	رابعا الفساد الإداري في مصر تحت الحكم الفاطمي. ...
٢٠٨	١- فساد الإداري للوزراء .....
٢١٩	٢- الفساد القضائي .....
٢٣٠	٣- فساد أصحاب الشرطة والمحاسب .....
٢٣٧	الفصل الرابع
	مظاهر الفساد الاجتماعي في العصر الفاطمي
	أولاً التمايز الطبقي وأثره في فساد المجتمع المصري في العصر
١٣٩	الفاطمي .....
٢٣٩	١. المغالاة في مظاهر التبذخ والترف ..
٢٤٢	أ- التصور القهمة .....
٢٤٣	ب- ثروات الخناء .....
٢٤٥	ج- الأميرات والأمراء .....
٢٥٢	د- الوزراء وإحداثي الخلل الاجتماعي .....
٢٥٨	هـ- الخدم والجواري .....
	و- الأعياد والاحتفالات وما يصاحبها من مظاهر
٢٦٢	التبذخ والترف .....
	ثانياً مظاهر الفساد الاجتماعي بين طوائف الجنيد وأثره على
٢٦٩	المجتمع المصري .....
٢٧١	١- الصراع بين المغاربة والأتراك .....
٢٧٥	٢- الصراع بين الأتراك والمسيحيين .....

الصفحة	الموضوع
٢٧٧	٣- صراع الأكراد فيما بينهم.....
٢٨١	٤- ظهور الأرمن وأثرهم في بلاد المجتمع...
٢٨٣	٥- تجدد الصراع بين الحبيد والأكراد.....
٢٨٤	٦- ظهور الأكراد والتفرقة.....
٢٨٧	ثالثاً: انتشار الأمراض الاجتماعية بين طبقات المجتمع المختلفة ..
٢٨٧	١- انتشار شرب الخمر .....
٢٩٦	٢- ثراء الدولة وتفتت الفخضة والبقاء ..
٣٠٦	٣- انتشار المعرفة والتوصية.....
	ب- سياسة الدولة الدينية وأثرها في فعاد العلاقة الاجتماعية
٣١٢	بين المسلمين وأهل الذمة ....
٣١١	١- فعاد العلاقة بين الشيعة والسنة.....
٣١٩	٢- تمييز أهل الذمة وأثر ذلك في فعاد المجتمع...
	الفصل الخامس
٣٤١	الفساد الاقتصادي ومدى تأثره
	بالتنوع السياسي والإدارية والاجتماعية
٣٤٤	أولاً: أسباب الانهيار الاقتصادي .....
٣٤٤	١- الأسباب الإدارية والسياسية.....
٣٤٤	٢- الأسباب البيئية والاجتماعية.....
٣٤٥	ثانياً: مظاهر الانهيار الاقتصادي في مصر الفاطمية
٣٤٥	١- مرض الصراع غير الشرعية (المكوس) ..
٣٦٢	٢- المصادرات .....
٣٧٠	٣- الفقر والاستبداد.....
٣٧٠	٤- المذهب.....



الموضوع	الصفحة
٥ ارتفاع الأسعار واحتكار السلع.....	٣٧١
٦ انخفاض قيمة العملة.....	٣٩٦
ثالثا النتائج التي تترتت على الفساد والانهيار الاقتصادي .....	٤٠٩
١- خراب مدينة القسطنطينية وكنوزها.....	٤٠٩
٢- ضروع ممتلكات الدولة الفاطمية وأثر ذلك على الاقتصاد.....	٤٢٢
٣- الانهيار الاقتصادي التام ووزر الدولة الفاطمية.	٤٤١
الخاتمة .....	٤٤٥
المرفقات.....	٤٥٧
المصادر والمراجع.....	٤٦١

## المقدمة

إن الجدان المصري يعيش اليوم مرحلة جديدة بكل ما فيها من حير وشك، بكل إيجابياتها وسلبياتها، مرحلة تمتدعي تكرياتاً تاريخية عديدة مرت بها من قبل في العصر الإسلامي والعثماني والحديث أسهمت في تشكيل الشعور الجمعي للمصريين حيث باتوا يقولون ما لنبيه أنبله بالبرجة ، ولأننا نشرب بالانتساب لقسم التاريخ و نرند مع المرددين بأن الإتس حيوان له تاريخ، بمعنى أنه يدرس التاريخ لا حتا في التعمص والعكبات، بل بحثاً عن حنن لما يحيط بنا من قصايا ومشكلات فرغت في نعيش متاع البارحة بحثاً عن اجلاء لهموم الليلة.

والجميع يتفق على أن ثورة يناير تفجرت بسبب طغيان مظالم الفساد في المجتمع المصري وليس لمجرد وجود أزمة اقتصادية وحسب «جماعي». فإن الفساد طغى وانتشر في كل وجوه الحياة فما معنى الفساد الذي أصبح محورا رئيسا لحديث اليوم.

إن مصطلح الفساد يستفهم للتعبير عن المحاطر الحقيقية التي تهدد الدولة، ويوصف به أئد حالات الاثوبار والتفكك في السطم السياسية، إنه مجموعة من الأفعال الصارة بالمجتمع والتي تتم بغطاء قانوني، وانتهاك للقوانين السماوية والأرضية بهدف تحقيق مصالح خاصة على حساب المصالح العامة. وهو ظاهرة مركبة ترتبط بسوق «جماعي» في لرة تاريخية معينة تساعد على وجودها أسباب كثيرة متنوعة ومختلفة.

ولأن الإنسان كائن لا يعيش بمعزل عن مجتمعه وبحتاج إلى قيادة ولوائح تحكم تصرفه وسلوكه، ومن هنا ينقسم الفاسر في تصرفهم وسلوكهم إلى أئام متعده، فمنهم من يرغب الكمال والصالح وهو السوي من البشر، ومنهم المشرع المريض الذي يسعى لإئباع رغبات مكبوتة بمعنى إلى التسلط والتسلط.

وعلمة الناس موزعون بين الفريقين يتشرون بالأقوى منهم، في عهد الرسول (ﷺ) والخلفاء الراشدين حيث الأخلاق الحسنة وتمكنت انفصال من قلوب كثيرين. ثم جاء من بعد ذلك من أئد اللبنا وشهواها،

معنى وتجبر وأفسد وتسلط فأرغم الأخيار كما يقول الكواكبي على لغة  
الرياء والنفق، وأعلن الأشرار على شر الفساد بكل صوره فلا اعتراض  
من أحد ولا افتقاد ولا اقتصاح لشرور أحد.

وظاهرة الفساد ظاهرة علمية تنتشر في كل بقاع الأرض لا تحصر  
عصر دون عصر أو رجلاً دون امرأة أو جنساً دون جنس، إنه حرثومة  
تنتشر في جسد المجتمع فتعجز ثورة لا تنكهي حتى يتم التنظيم من بقية،  
ونقد عرست الشريعة الإسلامية الفساد على أنه المعصية لله  
ونرسوله (ﷺ)، ومن ثم فكل خروج على القوانين الإنسية حد حسداً من  
الناحية التشريعية. أما القوانين البشرية فعرفت الفساد على أنه كل فعل  
يتعارض مع السلوك الطبيعي للإنسان ويسبب خرقاً أو تهديداً لقيم المجتمع  
ومصالح أفراد.

ولأهمية الأمر، ولشعبه، ولما كل يحيط بنا في الأمر القريب و  
البعيد وأيام المشهود من تدمر للاتجاهات الدينية ولم عزفه المفسرون من  
قبل من سيمفونيات تخريب وترعب عن هذه الاتجاهات. فقد تناولت هذه  
الدراسة مظاهر الفساد في الدولة الفاطمية في مصر في الفترة من (٥٨٠  
- ٥٩٧/٩٩٩-١٠٧١م).

تبوأ الدولة الفاطمية مكانة متميزة في تاريخ مصر الإسلامية،  
واجتلت أهمية خاصة لدى المؤرخين قديماً وحديثاً، ويرجع ذلك إلى عدة  
أسباب، منها:

كون الدولة الفاطمية أول دولة مستقلة استقلالاً كاملاً وحقيقياً تحكم  
مصر، بلا تبعية للخلافة العباسية، وتبعاً من القاهرة مركزاً لدولة  
مترامية الأطراف شملت الشام والعمارة وشملت أفريقيا ومصر جرد  
البحر المتوسط، كذلك كانت الدولة الفاطمية أول دولة شيعية تحكم مصر  
لإسلامية، وأحر دولة حتى وقتنا الحاضر، وقد أثار مذهبهم الشيعي،  
وحقيقة انتمائهم إلى بيت النبي (ﷺ) جدلاً كثيراً من المؤرخين الذين  
حاولوا إثبات أو نفي حق الفاطميين في خلافة المسلمين، وهذا ما جعل  
الدولة تتعرض لهجوم عنيف من جانب المؤرخين الذين انتموا لمذهب  
أهل السنة، لاسيما أن الدولة الفاطمية كانت مسبوقة في حكمها لمصر بقوة  
سنية، وتلتها في حكم مصر أيضاً قوة سنية.

وقد نجح الفاطميون في حكم مصر ما يزيد على القرنين (٣٥٨هـ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩م - ١١٧١م)، فكان هبتهم بعد إقامة خلافتهم في بلاد المغرب، هو وريثة الخلافة العباسية وحكم العالم الإسلامي، لذلك انتقلوا إلى مصر فجعلوا منها مركزاً الدولة كبرى، شئت معهم منبذات الدولة العباسية، ولم يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل وصلوا إلى بغداد - عاصمة الخلافة العباسية - وعودي بنعم جلائهم على مدينتها. وقد حاول الفاطميون استغلال موقع مصر المتميز وثرواتها الوفيرة وكسب ود المصريين إلى جانبهم في تحقيق أهدافهم ومشاريعهم في الشرق الإسلامي.

وقد تحقق لهم الأمران الأولان نكنهم فضلوا في اجتذاب المصريين السنة إلى جانبهم لما كان لديهم من تعاليم خالفت التعاليم الإسلامية ولا سيما في الميراث، ولما أظهره الفاطميون من سياسة معادية للصليبية رضي الله عنهم، والمجاهرة بنبهم. هذا الأمر الذي أدى إلى وضع حدار بين أهل السنة والشيعة، فبدأ الشيعة إلى اجتذاب أهل السنة، وتزويدهم حتى انعزلوا بهم داخل عاصمتهم "قاهرة"، حيث ظل السنة في مدينة السطوط بعيداً عما تمتعت به العاصمة من ثراء وبذخ وترف، ظهر جلياً في رسومهم وأنظمتهم وحملاتهم التي هكت الوصف، ومن ثم أصبح المجتمع المصري ذا قطبين: أحدهما يطلع الثراء والآخر يبالغ الفقر، وبالرغم من هذا التمايز، إلا أن المجتمع المصري بقطبيه قد تأثر تأثر بالغاً بالسياسة الفاطمية سلماً وإيجاباً وذلك لكونهم يسرون نعمة الحكم والأمور بدخل مصر.

والشيء الذي لا يخلو هو التناقضات التي عمت الدولة الفاطمية، تلك التي أثارت دهشة الباحثين، فكون الدولة الفاطمية دولة دينية عالموية بها أن تعتمد على عقيدة ثابتة وقوية، إلا أنها قد تلاصقت بتلك العبودية مع مصانعها الشخصية، فجعلت البنت ثروت إذا فقرت جميع الإرث دون

العصبة أو بيت المال<sup>(١)</sup>، مخالفين بذلك التعاليم الإسلامية ومذهب أهل السنة والجماعة، وهذا في محاولة منهم لإثبات أفضلية طائفة الزمراء رضى الله عنها - في ميراث أبيها حتى يكون لهم الحق في حكم للعالم الإسلامي بدلاً من العلويين، كذلك جعلوا الإمامة في الأعيان، وبالرغم من ذلك فقد جالفوا تلك العقيدة لتحقيق أغراض سياسية تصل ببعضهم إلى كرسي الحكم، كما أنهم لجأوا أنفسهم بهالة من التقدير حتى يهيبهم الناس، غير أن هذا الأمر قد وصل بهم إلى حد التذلل، وهو ما لم يقبله المسلمون، سواء من جانب بعض الشيعة أنفسهم أو السنة أو أهل مصر على اختلاف أديانهم.

فكانت دولتهم دولة ذات حكم ومرجعية دينية لكنها متسلطة شعراء الغاية تفرغ الوسيلة وخطت كافة الأمور بعضها بعضاً لأجل تحقيق مصالحها الشخصية وأهدافها القومية فتم لرجاءها الفساد.

وقد أدى التذبح والتزب الذي اتجهه الفاطميون وإهمال بعض خلفائهم شلوى البلاد، وكثرة الصراعات والنزاعات بين كبار رجال الدولة وجنودها، من أجل الحصول على المزيد من المكاسب، كما أدى ضعف من للخلفاء الفاطميين وتدخل النعماء في شؤون الدولة أدت إلى دخول مصر عصرًا جديدًا سمي بعصر فؤراء، لم يكن لخطوة الفاطميين منه سوى الاسم فقط ثم فقدوا الاسم والمكان وزاقت دولتهم.

وقد تبينت وتداخلت الأحوال الاقتصادية للدولة الفاطمية لدرجة جعلت الدولة لها يمحز عن وضع حد فاصل بين فترة الازدهار فيها وسلوان الانهيار، فالدارس لسنوت انهيارها يشعر بأن البلاد لم تحل بشيء من الازدهار إطلاقاً، ولشيء نفسه عند دراسة مظاهر الازدهار،

(١) القاضي النعمان أبو حنيفة النعمان أبي عبد الله بن أحمد بن حنبل، دعيه الإسلام في ذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم لتصل السلام تحقيق - آصف بن علي بن أصغر عيسى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٧٩، ٢٨٠ المجلدات والمسيرات، تحقيق الحبيب النقي، إبراهيم شويخ، محمد البعلوي، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٩٧

في الدرس يشعر أن حد البلد تعيش عيشة متصلة من الترف والترخاء الذي لا يمانه رداء على الرغم من حبة الرعد والتفتت التي كان يعيشها الباطميون في أفرقية قبل مجيئهم مصر، لذلك كان هذا التدخل لتدبير من هذه المراحل هو السمة المميّزة لهذا العصر.

تناول الكتاب موضوع مظهر الفساد في مصر بين الحكم الفاطمي، وقد حاولت أن أوصد ظاهرة الفساد السياسي والإداري والاجتماعي للدولة الفاطمية أثناء حكمها بمصر محاولة أن أترجم الموضوعية ونمطه وروح العصر آنذاك، فحاول أن يكون حكمه على الفساد متوافقاً مع الزمان والمكان وبفترة الدراسة؛ لأن أسباب الفساد تكون واحدة في كل العصور ولكن قد تختلف مظاهره باختلاف الزمان.

**أما عن أهمية الموضوع:** فتكمن في إلقاء الضوء على مظاهر الفساد في مصر أثناء فترة الحكم الفاطمي والتأكيد عليها وعلى تأثيره في المجتمع المصري، لا سيما أن معظم المؤرخين كان اهتمامهم منصباً على النواحي السياسية والحضارية ولم تلق مظاهر الفساد القدر الكافي من الاهتمام.

وبذلك يظهر الوجه الآخر للدولة الفاطمية والذي لا يعرفه إلا القليل، حيث شغل المؤرخون بحروب الدولة الفاطمية وتوسعاتها ومدنها الدينية وصفات الفاطميين وطباخهم وعدائهم وتقاليدهم، وتشتيتهم لاجتماعية لضمحلل دولتهم، ولم يتطرق المؤرخون إلى الفساد الذي بدأ يلفس في كيان الدولة، وتغلغل في كل مناحي الحياة حتى غسى في النهاية على الدولة الفاطمية، وهذا ما دعيت إلى إلقاء الضوء على هذا الوجه متتارلاً لأسباب الفساد ومظاهره ونتائجه على المجتمع المصري.

وتجلى أهمية هذا الموضوع في كونه يتطرق إلى فكرة الدولة التنبئية التي قامت عليها الدولة الفاطمية، فالدين والمذهب هما المحركان الأساسيان لها في تحقيق أهدافها، لكن هنا السياسي طغى على فكرها الديني، ومع استخدام الدين لخدمة السياسة، وتوظيف السياسة لأغراض دينية. وفي هذا مظهر من مظاهر الفساد الديني والسياسي وخطط في الأوراق.

أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع، فهناك عدة أسباب منها ما يأتي

- لما كان الانتقال السريع بين الشيء وبوضعه سبباً رئيساً في ظهور الفساد، لذا فقد كان هو الدافع الأول للباحث في اختيار موضوع البحث، ولقدني يتحدث عن أبرز مظاهر الفساد التي ظهرت في مصر في هذا العصر (العصر الفاطمي)، ولم يتعرض له المؤرخون القدامى أو الجدد بصورة مباشرة، اللهم إلا بين ثمة مؤلفاتهم لاستكمال موضوع دراستهم، فقد اختلفت إمكانية العربية والإسلامية إلى دراسة معصلة عن هذا الجزء المهم من تاريخ مصر الفاطمية.

- كذلك الوقوف على الأسباب الحقيقية التي أدت إلى هساد الدولة، ولهبها بعد ازدهار بهر العالم كله، فصلاً عن الصعود الذي تمتع به أهل مصر السنة رغم ما تعرضوا له من سقوط على مذاهبهم النسي، وعدم تحولهم للمذهب الشيعي والذي كان سبباً هاماً من أسباب اختيار هذا الموضوع ليكون موضوع الدراسة.

- هذا، إلى جانب ما يمثلته فاطميين وتاريخهم السياسي والحصري من أهمية، فضلاً عن أسباب ومظاهر ونتائج الفساد وما حل بهم من قدر كبير وما يسببه من أهمية شغل ذهن أي باحث بالإضافة إلى ضرورة التعرف على جذور هذا الفساد وكيف ظهر وتغلغل داخل المجتمع المصري، وهل أسباب ومظاهر ونتائج الفساد واحدة مع تغير الأزمان والصورة والأمكن، وكيف يمكن التصدي لهذه الأشكال من الفساد.

أما عن اختيار الفترة الزمنية : فيرجع سبب اختيار هذه الفترة الزمنية التي تبدأ من عام ٣٥٨هـ / ٩٦٩م وتمتد حتى ٥٦٧هـ / ١١٧١م إلى أهمية هذه الفترة حيث شهد التاريخ الأول قيام هذه الدولة بمصر بعد عدة محاولات مستعينة ومقاومة عنيفة من الدولة الإخشيدية والخلافة العباسية، إلى أن قضي الأمر بسقوط مصر في قبضة الفاطميين عام ٣٥٨هـ ٩٦٩م، وجاء التاريخ الثاني ٥٦٧هـ / ١١٧١م يحمل معه ذلاً سقوط الدولة الفاطمية ونهاية الخلافة الفاطمية وزوالها عن مصر بعد رحلة

إنجازات تحالفاتها من أجل صلا ميسي وباري واجداعي واقتصادي  
أر هفت الدولة وسدحت على سقوطها.

وعد شكنت هذه الفترة الزمنية بداية قيام الدولة الفاطمية بمصر حتى نهاية  
هذه الدولة وزوالها عن مصر والقشام وحلت محلها الدولة الأيوبية نسبة  
وعاد المذهب الشيعي ليعود العالم الإسلامي من جديد.

وعد كان سبب اختيار الباحث لفترة حكم الدولة الفاطمية بمصر  
هو أن الدولة كانت داخل المجتمع الإسلامي بالشرق، وكانت ذات مذهب  
شيعي وصارت خلافة شيعية بجانب الخلافة العباسية الشيعية، وكان  
الفساد أثر كبير في تغيير مجريات الأمور وخريطة العالم الإسلامي.  
غير أن هذا لا يعني أن حكم الخلافة الفاطمية كان منبياً على الدوام،  
فهناك العديد من الجوانب الإيجابية التي ميزت الدولة الفاطمية أثناء فترة  
وجودها في مصر.

أما من الصعوبات التي واجهت الباحثة فهي حدية ولعل من أهمها،  
ضرورة توخي الحيلة والحذر في تناول هذا الموضوع، حيث إن مفهوم  
الفساد يختلف كلياً وجزئياً باختلاف الزمان والمكان، فما هو متعارف عليه  
في وقت ما بأنه فساد، ربما يكون في وقت آخر ليس بفساد، أو أنه مفهوم  
(نسبي / متغير)، لذلك كان لا بد من تحديد مفهوم الفساد بمعنى شامل  
وعام، ثم التفرغ إلى تحديده في الفترة موضوع الدراسة، وما ترتب على  
هذا الفسك من نتائج ملية، على منها الشعب المصري في القاهرة  
والفسطاط على السواء.

كذلك كان من أهم الصعوبات التي واجهت الباحث، ندرة  
المصدر والمراجع التي تتحدث بشكل مباشر عن هذه الظاهرة في ذلك  
الوقت، مما استدعى التفتيش في بطون مصادر عن تلك الفترة، وأدى إلى  
البحث عنها بين ثنايا الأحداث لتحليل الأحداث السياسية والاجتماعية  
والمظاهر الاقتصادية، خلال تلك الفترة موضوع الدراسة لإبراز جوانب  
الموضوع بصورة جلية واضحة.

وثمة صعوبة أخرى قد واجهت الباحث في بحثه، ألا وهي أن  
معظم المصادر والمراجع تصب جل اهتمامها في الحديث عن الدولة



الفاطمية، على عاصمتها القاهرة وما فيها من أحداث سياسية أو حضارية، مع رجال القضاة التي لم تلق حظها اللازم مع الفاضلين، وكذلك المؤلفين، بالرغم من أن القضاة كانت تحوي العدد الأكبر من المصريين على مذهب أهل السنة، اللهم إلا مع ذكر الأعداء والتأثرات التي تعود بين القادة، أو حالات التمرد التي - كانت تظهر بين الحين والآخر وكانت الإسكندرية والقضاة مسرحاً لها، وكذلك عن المجاعات وموت أهلها مرضاً وجوعاً.

أيضاً كان على الباحثة التعامل مع المصدر والمراجع بشيء من التدقيق والتدقيق تكون الدولة الفاطمية شيعية، فيجب التأكد من هوية المصدر والمراجع حتى نصل إلى الحقيقة العلمية بعيداً ومرسوعة.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يقسم إلى مقدمة يحقها خمسة فصول لي نهايتها، خاتمة تتضمن أهم ما توصل إليه الباحث من نتائج خلال البحث، ثم تأتي الملاحق والصور والخرائط وتبيل الرسالة بعامة المصادر والمراجع.

وقد تضمنت المقدمة العديد من الأمور أهمها سبب اختيار الموضوع والمنهج المتبع في الدراسة، وأهم الدراسات السابقة، وكذلك الإشكاليات التي واجهت البحث، مع عرض موجز لأهم عناصر البحث.

ثم يأتي الفصل الأول، ويشتمل على عرض وتبيل لأهم مصادر ومراجع الدراسة، تسلياً منها والشيعي.

ويأتي الفصل الثاني وقد تعرضت خلاله إلى:-

أولاً: التعريف اللغوي والديني والقانوني لمصطلح وضاهرة الفساد، وأهم الأسباب المؤدية لها، مع ذكر أبرز أنواعه (الفساد السياسي، الفساد الإداري، الفساد الاجتماعي، الفساد الاقتصادي). مع ذكر بدايته التي كانت مع بدء الخليقة، وما جاء في فساد بني آدم عليه السلام عندما قتل قابيل أخاه هابيل.

ثانياً: أهم مظاهر الفساد التي سبقت الدولة الفاطمية في مصر الإسلامية حيث عصر لولاة، وعصر الدولة الطولونية وكذلك الإخشيدية، إلى

لما جاء جوهر لقمصلي ودخل مصر، وجد أن الشعب ثرثيس لشعر  
شاطميين من دخول مصر بسهولة ويسر، هو تسمى الفساد الذي سم  
أسولة الإخشيديّة وجعل بعض أهل مصر يستجدون بالفاطميين  
إلى الفصل الثالث وعنوانه - أبرز مظاهر الفساد السياسي والإداري في مصر في العصر  
الفاطمي

وقد تحدثت فيه خلال نقاط بسيطة عن نشأة الحرب الشيعي  
النعوي، وأصل الفاطميين ونسبهم الذي أثار الجدل وانتاش حول ترفيقهم  
في خلافة المسلمين ومن ثم خلافة مصر وأحققتهم فيها، كذلك لجامتهم في  
مصر، ثم تناولت الباحثة أبرز مظاهر الفساد السياسي في الدولة الفاطمية  
في مصر تفصيلاً.

وقد ذكرت الباحثة أن من أهم تلك المظاهر ثلاثة بالعقيدة  
الفاطمية التي هي أساس دعوتهم من أجل أغراض سياسية للوصول عن  
طريقه إلى سدة الحكم في الدولة، مثلاً فعل المعز لدين الله والحاكم بأمر  
الله، وكذلك الأفضل بن بدر الجمالي، وابنه أبو علي كتيبتات. كذلك ومن  
أجل الوصول إلى حلة التقديس والإجلال، فلم يتهاون الفاطميون في  
ادعاء معرفة الغيب وادعاء الألوهية، هذا الأمر الذي أثار حفيظة  
المسلمين وبلت يقضي على الدولة بأكملها. ومن أجل ذلك العقيدة، كان  
لا بد لمن يتولى الإمامة أن يكون من الأعقاب، وهذا فقد كان عديد من  
الخلفاء الذين تولوا الحكم في زمن الفاطميين من الأصفى الذين تحكمت  
فيهم أطماع الزوراء والوسطاء، وتدخلت ساء القصر في الحكم حتى  
تولي من ترغب من أبنائها، ففسدت الدولة وكثرت تحروب بين أهلها.  
كذلك فقد ألفت الباحثة الضوء على تعدد الخلفاء الفاطميين في برهاب  
عامة الشعب، والفتن في وسائل تعذيبهم، دون أنظر إلى أدمومهم، فقد نجأ  
بعضهم إلى اتباع مسلخ، والحرق، والصلب، والتشهير، وكذلك قطع اليد  
والسرس، وغير ذلك الكثير من وسائل التعذيب التي مارسها بعض الخلفاء  
لمن ينصبون عليه من الرعية، أو من يعارضهم، وقد وصل حد التعذيب  
إلى انتقام الخليفة للحكم من شعب بأكمله، عندما أمر جنوده من السودا  
بحرق مئة الفسطاط، وذلك بعد تدميرها، واعتصاب نساها

كذلك كانت السمة الواضحة في العصر الفاطمي الثاني، هي صراع الوزراء فيما بينهم للوصول إلى منصب الوزارة، الذي كان بمثابة الخلافة، حيث أصبح الخليفة اسماً فقط وأصبح الوزراء أرباب السيوف متحكمين في أمور الدولة الدينية والدنيوية، فكثر الصراعات، وقد بدأ بعض هؤلاء الوزراء إلى الاستعانة بقوة خارجية، دون اعتبار لأي شيء حتى بلغ بهم الأمر للاستعانة بالصليبيين أعداء الدولة الإسلامية من أجل الوصول إلى الحكم، ففسدت أحوال البلاد والعباد، وأصبحت الدولة مصفاً للعدمعير، حتى سقطت نهائياً على يد صلاح الدين الأيوبي.

ونظراً للتأثير الذي كانت تتبعه الدولة بين أهل مصر، فقد حرصت أيضاً على اصطناع الرجال الذين يحققون لها سيستها العالية، ومثلما وجد الفلاح الطبقي، فاحتضت الطبقة الوسطى، ووجد الفلاح أيضاً في توزيع العمل، فأصبحت الدولة الفاطمية تولى ثقتها لغير من الناس، وربما للشخص بعينه، بتولي جميع شئون الدولة الإدارية، مثلما كان يعاقب بن كلس ومن مصر والعريش، والذي جمع بين الشرطة والحسبة، والخراج، والأعشار، وغير ذلك من أمور الدولة، وتحقق هؤلاء ثراء كبير، وتحتسروا في كل شيء حتى وصلوا إلى منصب الوزارة التي قضت على سلطة الخلافة نهائياً.

ولعل القضاء في أي دولة هو ميزان صلاحها، لذلك فإننا نجد في الدولة الفاطمية منصب القضاء يشوبه الفساد والرشوة، ويؤثره الأبناء على الآباء فكان هذا نذيراً بسقوط الدولة وزوالها.

أما الفصل الرابع من الدراسة جاء بعنوان أبرز مظاهر الفساد الاجتماعي في الدولة الفاطمية ومن أهمها، تلك السياسة التي اتبعها الدولة الفاطمية في التمييز الطبقي بين فئات المجتمع، والذي أعطى للطبقة وحاشيتها ومن يقوم بخدمته، كل الامتيازات التي تضمن له عيشة ثرية مترفة، بينما حُرِمَ من تلك الامتيازات المصريون أهل البلاد السنة، الذين عاقبوا لشد المعاناة بسبب فقرهم، ومن جراء هذه الطبقة الحاكمة وثرائها. ثم قام للبحث بإلقاء الضوء على ثراء الدولة الفاض، ومصادر هذا الثراء، وتوجه إتقانه على مظاهر مبالغ فيها من البذخ والترف.

كما تعرضت الباحثة لأبرز مظاهر الفساد الاجتماعي الذي ظهر بين طوائف الجند على اختلافهم، سواء بين للمغاربة والأتراك، أم بين الأتراك والبيد الذين أكثر منهم الحاكم بأمر الله، ذلك للصراع الذي نشأ بين الأتراك فيما بينهم، كما تم إلقاء اللصوة على طائفة الأرمن وظهرها الذي رمن ظهور بدر الجصتي، وظهور ما عرف باسم العصر الفاطمي الثاني، الذي ساد فيه شذراء، كما ساد فيه الأرمن وكثر فسادهم، حيث تولوا الجند من ماصب الدولة وحكموا في المصريين السنة، وعملوهم أسوأ معاملة، وقد بلغ من سطوتهم أن وصل بعضهم إلى منصب الوزارة، فزاد فسادهم وطغيانهم.

وقد أدى شذراء الدولة الفاحش، مع كثرة فسادها والصراعات بين جنداء ووزرائها، وكذلك فقر أهل البلاد، إلى تقشي الفاحشة والبذاء، فقد أدى الشذراء الفاحش وعدم المبالاة وكثرة الحدم في التصور الفاطمية، إلى تقشي البذاء، وظهور العديد من مظاهر الفساد التي عمت إلى غلاء الفحش والتفكير لفرقه المنقوع، فانتشر في الأوساط الخفية شرب الخمر، والشمري، وكذلك الشذوذ الجنسي، الذي عم النساء والرجال على السواء، من المسلمين وأهل الذمة، والخليفة والرعية، فكان منهم تميم ابن المعز لدين الله<sup>(١)</sup>، والظاهر لدين الله، كما شمل بعض التجار وغيرهم، ولم تسلم النساء من ذلك فقد وصل الأمر إلى حد اتهام الحاكم بأمر الله لأخته بنت الملك بارتكاب الفحشاء وإدخال الرجال عليها، وهددها بإحصار القبلات لاكتشاف أمرها. (١)

---

(١) المبرزي أبو علي منصور المبرزي [سيرة الأسقف جودر وبه توفيقاته، لأبنة الفاطميين، حققه وقدم له، محمد كامل حسين، ومحمد عبد الهادي شعير، القاهرة، ١٩٥٤، ص ١٢٠٤.

(٢) المبرزي إتي الدين أحمد بن علي، أتمناظ الحقا بأخبار الأئمة الخلفاء، ج ٧، تحقيق محمد حلمي محمد أحمد، المجلس الأعلى للثقوث الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١١٧.

كنتك قد لجأت بعض النساء الثغرات التي عثمت ثقت يومها إلى ارتكاب الفاحشة وبيع جسدها لكي تقوى على حياتها، ولجأ البعض الآخر إلى أعمال السرقة والصوصية.

وقد اتبع الفاطميون سياسة غير عادية، جعلتهم يميزون بين أهل السنة والمصريين السنة، وبين السنة والشيعية، مما كان له أثره في صناد العدالة فيما بينهم، واصطهاد من يصل إلى الحكم - من الشيعة وأهل السنة - لتسيير، كما أن تعرض الفاطميين للمذب والأعر الصحابة (رصى الله عنهم)، ومحاولة إجبار أهل السنة على اعتناق المذهب الشيعي كان له من الأثر الكبير في نفوس السنة، الذين تصنوا زوال الخلافة الفاطمية وعودة خلافة السنة.

أما الفصل الخامس وهو بعنوان : الفساد الاقتصادي ومدى تأثيره بالنواحي السياسية والإدارية والاجتماعية وقد تناولت في هذا الفصل عدة نقاط، وهي أسباب الانهيار الاقتصادي التي تمثلت في الفساد السياسي للقادة والفساد الاجتماعي الذي عم مصر وأهلها، وقد تجلت مظاهر هذا الانهيار فيما قد اتبعته الدولة من إجراءات بعرض الحصول على الأموال للانفاق على هذا الترف والبلذخ الذي عاثته في مصر وأوليت الحفاظ عليه.

وقد تمثلت تلك المظاهر في فرض الدولة الضرائب غير الشرعية على جميع رعاياها وعلى كل شيء يمكن فرض الضرائب عليه، أو لا يمكن، حتى أنها فرضت ضرائب على المولود، والموتى، فلم يبق شيء دون ضرائب إلا الهواء كما قال المغربي متأخراً من ذلك. كذلك لجأت الدولة إلى ما عرف بالمصادرة، التي انتهت في تأديب رعاياها وكسوع من أنواع ريادة دخلها، كذلك استغل التجار ضعف الدولة وكثرة الصراعات فيها، وحاجة الشعب إلى الخذاء، فقاموا برفع الأسعار واحتكار السلع، هذا الأمر الذي أدى إلى انخفاض قيمة العملة، وظهور صلاات رديئة طرقت العملات الجديدة من التعامل، كما أدى إلى دخول البلاد إلى أزمات اقتصادية، فألقت إلى مجاعات لم يكن للتول سبب في حدوثها، وقد أدت هذه المجاعات إلى وفاة العديد من أهل مصر.

وقد ترتب على هذه المظاهر الفاسدة التي عصت مصر بسبب واداريًا واجتماعيًا انهيار الاقتصاد المصري، كما أدى إهمال الحلفاء وسوء تدبيرهم إلى دخول البلاد في مجاعات أودت بها وأهلها، ولم تكن المجاعات وحدها هي التي قضت على مصر وأهلها، بل كانت القرارات العاسدة للحكام والوزراء سببًا آخر في ذلك حيث تعرضت القساطر للحرق والتدمير لأكثر من مرة زمن الفاطميين حتى أصبحت أنوارًا بعد عيون، ودفع أهلها ثمنًا ما كان يجب أن يدفعوه، ونقلت الدولة الفاطمية نتائج ما قد زرعت طيلة وجودها في مصر، حيث تكلست أملاكها وتآثر عليها ولائها، والتابعين لها، فانصهرت في مصر، ثم لم تتحمل مقاومة الفساد الذي تعمل في كافة جوانبها، فأخذ يفقدها هبتها وثراءها وعظمتها شيئًا بعد شيء حتى زلزل أمرها في نفس الهدوء والسكون الذي قد ظهرت فيه في مصر، تاركة للشعب المصري إلى مذهبه السني مرة أخرى، غير أن زوال الخلافة الفاطمية لم يعن زوال أنوارها، فقد تأثر الشعب المصري إلى حد كبير بالمظاهر الفاطمية المتعددة والتي تمارس حتى الآن.

ثم جاءت الخلافة في نهاية البحث متضمنة أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال الدراسة، وقد أعقب القائمة مجموعة من الملاحق التي تخدم الدراسة وتوضح أصل الفاطميين، وخلفائهم ومدة خلافتهم، وكذلك من عاصروهم من الخلفاء في بغداد والأندلس، مع مجموعة من الجداول التي تبين مقاييس النيل في سنوات حكم الفاطميين في مصر، وكذلك المجاهدات التي عصت مصر في تلك الفترة، مصروفات الدولة على أعيادها، وهائيتها مقارنة بالشعب المصري المغلوب على أمره كذلك العديد من الأشكال والصور التي أوضحت الشكل التقريبي للخلفاء الفاطميين طبقًا لما ظهر خلال نقوبهم، ومظاهر تربيتهم وبنيتهم، وبعض مظاهر اللهو حياتهم، كذلك بعض الأشكال لمدينتهم القاهرة، وجامعهم الأزهر، وأيضًا جامع عمرو بن لعاص بوصفه مركز المقاومة السنية.

#### المؤلف

تيمير محمد محمد شادي

مدرس مساعد التاريخ الإسلامي

والعضرة الإسلامية



# **الفصل الأول**

## **دراسة تحليلية وتقديرية لأهم مصادر ومراجع الكتاب**

**أولاً : الوثائق المنشورة.**

**ثانياً : الكتب العربية (المصادر العربية) :**

- ١- كتب التاريخ.
  - ٢- كتب الجغرافيا.
  - ٣- كتب الرحلات.
  - ٤- كتب الطبقات والتراجم.
  - ٥- كتب الأدب.
  - ٦- كتب العسبة.
- ثالثاً : المراجع العربية الحديثة.**
- رابعاً : المراجع الأجنبية.**





## عرض لأهم مصادر ومراجع الدراسة

تعددت وتعددت المصادر التاريخية، وكذلك الأدبية التي تتعلق بتاريخ الفاطميين في مصر، ولا سيما تلك التي كتبت عن طريق الفاطميين أنفسهم، وكذلك ما كتب عن طريق السنة المعارضين لحكمهم، كذلك تعددت المصادر التي تحدثت عن الدولة الفاطمية، والتي كانت قريبة منها سواءً كان ذلك في الفترة الأيوبية (٥٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١١٧٢ - ١٢٥٠ م) أو الفترة المملوكية (٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م) والتي كان لها من الأهمية في إبراز كل ما يتعلق بالدولة الفاطمية سواءً في مصر أو في المناطق التابعة لها، والتي أفادت الباحث في شتى مجالات بحثه، وقد تم تقسيم تلك المصادر إلى مجموعات روعي فيها - قدر الإمكان - الترتيب التاريخي لتلك المصادر ومن أهم هذه المصادر الآتية :

### أ) الوثائق النسخية :

#### [١] السجلات المستنصرية .<sup>١٧</sup>

وهي تشمل على وثائق (سجلات) صادرة إلى ملوك الصليبيين في اليمن، عن ديوان الإنشاء الفاطمي بالقاهرة<sup>١٨</sup>، أثناء الحكم التاريخي الطويل للخليفة المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م) وأوائل حكم ابنه المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠١ م)، وتعرف باسم "سجلات وثوقيات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله،

(١) السجلات المستنصرية، سجلات وثوقيات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين - صلاة الله عليه - إلى دعاء اليمن وهوسهم قسطنطين أروج جميع للمؤمنين، تحقيق وتقديم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

(٢) تم العثور على هذه السجلات في الهند عند أحمد الإسماعيليين، على هيئة مخطوطة تحمل رقم (٢٧١٥٥)، وهي مخطوطة وحيدة أهميتها إلى مكتبة الدراسات الشرقية بلندن، وربما يعود انتقالها إلى الهند إلى أي مركز الدعوة الفاطمية قد انتقل من اليمن إلى الهند بعد موت السيدة الحرة. راجع : عبد المنعم ماجد، السجلات المستنصرية، ص ١١، ١٧.

أمير للمؤمنين - صلوات الله عليه - إلى دعاة اليمن وغيرهم، قدس الله أرواح جميع المؤمنين. وهي عبارة عن ستة وستين سجلاً تصمّر معلومات مهمة عن الفاطميين في اليمن وأحداث الجزيرة العربية.

فصلاً عن تناولها للحياة السياسية الداخلية والخارجية في مصر في عهد المستنصر بالله (٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٩٤ م). وابنه المستعلي بالله (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠١ م) أثناء فترة أربعة وأربعين عامًا هجريًا من (٤٤٥ هـ / ١٠٣٥ م إلى ٤٨٩ هـ / ١٠٩٦ م). ففي الخارج تلك السجلات ضياع سيطرة الفاطميين على إفريقيا نتيجة لشرد ابن باديس، وما يتبع ذلك من إرسال القبائل العربية إلى هذه البلاد مما يوضح مدى ضعف الخلافة في تلك الفترة وعدم قدرتها على حماية مستكاتها في إفريقيا. (١)

لما في الداخل، فقد أظهرت هذه السجلات العديد من الثورات التي اندلعت في مصر، وما تم من نهب خزان الخليفة الفاطمي المستنصر بالله، الذي حُرِمَ من كل نفوذ منذ سنة ٤٦٧ هـ / ١٠٧٤ م (٢)، في المقابل ارتفع شأن وزرائها الذين سيطروا على الأمور الدينية، والدنيوية معًا، فأصبح بدر الجمالي أمير الجيوش، وكافل قضاء للمسلمين، وهادي دعاة للمؤمنين، وأمينًا باب الخليفة المستنصر بالله. (٣)

كذلك تبرز هذه السجلات أن الوزارة أصبحت كالمملكة التي يورثها وأصبح الوزراء متصرفين في أمور الدولة، وكذلك اختيار الخليفة، بينما فعل الأكفـل شاهنشاه بن الوزير بدر الجمالي في تولية الابن الأصغر للخليفة المستنصر بالله، وهو المستعلي بالله، وإقصاء الابن الأكبر تزار (٤)، ومدى حرص الفاطميين في ذلك الوقت على تأكيد دعاة اليمن على هذا الأمر.

(١) سجلات المستنصرية، سجل رقم (٥).

(٢) المصدر السابق، سجل رقم (٥٦).

(٣) المصدر السابق، سجل رقم (٦١).

(٤) المصدر السابق، سجل رقم (٤٣، ٣٥).

كذلك تشير السجلات إلى سلسلة الفاطميين المالية، وتذكر عصر الصرايب المذهبية التي لم تكن موجودة من قبل والتي أضاعتها الداعية صبر صراف عدة كهكت قوى الشعب المصري منها ضريبة النجوى، وصربية الفطرى، والتي لم تكن اختيارية، وإنما فرضت كواجب على المؤمنين، والمؤمنات حسب مذهب الفاطميين.<sup>(١)</sup> كذلك تبين تلك السجلات هرمس الداعية التشنيد على حصول الضرائب، وضرورة إرساله في حالة تأخرها<sup>(٢)</sup>، وتشير هذه السجلات إلى أن هذه الضرائب كانت توضع في بيت مال الخلافة<sup>(٣)</sup>، أي أنها لم تذكر بيت مال المسلمين مع يدعو للشك في طبيعة بيت المال في تلك الفترة، غير أن هذه السجلات لم توضح إذا ما كان يفرض في مصر من رسوم هو ما يفرض بالفعل في اليمن بصفتها تابعة للخلافة، أم أن هناك رسوما أخرى غير تلك الرسوم.

#### [٦] مجموعة الوثائق الفاطمية<sup>(٤)</sup> وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة:

جمعها، وحققها، وعنى عليها الدكتور جمال الدين الشيال، وهي عبارة عن ثلاث وعشرين وثيقة، عشر وثائق منها تتحدث عن نظام الخلافة، وولاية العهد، وثلاثة عشر منها تتحدث عن نظام الوزارة، والوزراء في مصر، وقد قسم المجلد إلى قسمين : القسم الأول، عبارة عن دراسة تحليلية مقارنة لكل وثيقة، مع شرح المصطلحات الفاصية، والقسم الثاني، عبارة عن لصوص تلك الوثائق، وقد حملت تلك الوثائق بين طياتها العديد من المعلومات القيمة التي تستند منها الباحث في بحثه. حيث أشارت تلك السجلات إلى معرفة فاسقة الحكم عند الفاطميين، والتي بنيت على أسس مذهبية، شيعية، إسماعيلية، وعرب أليه

(١) المصدر السابق، سجل رقم (٢، ١٢).

(٢) المصدر السابق، سجل رقم (٢١).

(٣) المصدر السابق، سجل رقم (٢٦).

(٤) جمال الدين الشيال : وثائق تاريخية لمصر الإسلامية، مجموعة الوثائق الفاطمية، ج ١، ط ٢، وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، دار المعارف بمصر، ١٩٦٥.

لقاطميين "بالإمام" الذي يعين بوصية ممن قبله، والذي لابد أن يكون في الأعقاب ؛ لذلك قد أوضحت تلك السجلات السبب في عدم استخدام القاطميين للعبارة "خليفة" وتفضيلهم للقب الإمام في سجلاتهم<sup>(١)</sup>، كذلك أظهرت هذه السجلات مخالفة لقاطميين تلك العقائد والمبادئ الشيعية، وظهور نفسه في هذه العقائد، ويتضح هذا جلياً في تلك السجلات التي أصدرها الحاكم بأمر الله الفاطمي (٣٨٦ - ٤١١ هـ / ٩٩٦ - ١٠٢٠ م)، لتعيين ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس للإمامة من بعده.<sup>(٢)</sup>

كذلك انتهت هذه السجلات على تبرير فساد الحاكم بأمر الله وقتله لوزيره يوجوان<sup>(٣)</sup>، والذي أصبح من بعد هذه الحادثة لا يعرف سوى القتل والتعذيب لمن حوله دون تفرقة بين العامة والخاصة. كذلك أبرزت تلك السجلات كيف تمكنت نساء القصر في أمور الدولة، وفي تعيين الخلفاء، مما كان له عظيم الأثر في انهيار الدولة الفاطمية بأسرها، ولتقسام عقيدتها، ويتضح هذا من وثيقة المعروفة باسم "الهدية الأمرية" في إبطال الدعوة النزارية<sup>(٤)</sup>، التي صدرت لإثبات أحقية الأمر بأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ م) للمزعومة في الحكم، وإبطال دعوة أخيه الأكبر نزار، ومحاولة إثبات ذلك عن طريق لم المستعلي التي سارعت بإرسال ذلك الأمر إلى ملكة اليمن للاعتراف به، وبالرغم من نجاح الأمر ومن خلفه من المفسدين في تولي الإمامة، إلا أن العقيدة الفاطمية قد انقسمت إلى ما عرف بالمستعلية، نسبة للمستعلي، وأخرى نزارية، نسبة لنزار.

(١) نفسه ص ١١ - ١٢.

(٢) نفسه : الوثيقة الرابعة [الرسالة - أو السجل - المعروف باسم الهدية الأمرية في إبطال الدعوة النزارية] والذي أشار إلى ما فعله الحاكم بأمر الله من مخالفة للعقائد الإسلامية بتعيينه ابن عمه عبد الرحيم بن إلياس ص ١٧ - ١٦.

(٣) نفسه : وثيقة الثانية عشرة [سجل تبرير قتل الخليفة الحاكم بأمر الله ووزيره يوجوان] ص ١٢١ - ١٢٥.

(٤) نفسه ص ٢٠٥ - ٢٣٠.

## ثاني الكتب العربية والمصادر والمراجع العربية

### ١- كتب التاريخ

[١] تعد كتب الكندي (ت ٣٥٠هـ / ٩٦٦م) من أهم المؤلفات التي اهتمت بتاريخ مصر الإسلامية بعد كتابه *ولاية مصر*<sup>(١)</sup> من لآدم المصادر المصرية المهمة وأشهرها في كتابة تاريخ مصر، حيث تدول فيه الكندي أخبار الولاية الذين تولوا مصر منذ الفتح الإسلامي، وحتى عام ٣٣٥هـ أي ولاية مؤسس الدولة الإخشيدية، ولاية محمد الإخشيد، وقد حرص الكندي على تحديد اليوم، والشهر، والسنة في مؤرخه، ورتب لولاية الذين تولوا حكم مصر ترتيباً دقيقاً، ذكر فيه أهم الأحداث التي وقعت في عهد كل واحد منهم، وتاريخ ولادته، وعمره، وكذلك من ولي الشرطة في عهده. مما كان له من الأهمية الكبرى في تحديد مظاهر الفساد التي كانت في تلك الفترة، والتي سبقت بداية الدولة الفاطمية.

كما تعرض الكاتب لمحاولات الفاطميين الأولى لمصر، والتي استمرت من عام ٣٠١ - ٣٢٤هـ / ٩١٣ - ٩٣٦م فكان بمثابة شاهد عيان على تلك الأحداث.

- كذلك كان كتابه *أخبار قضاء مصر*، والذي ضم كتاب الولاية، وكذلك القضاة، وقد ترجم فيه الكندي لمن ولي القضاء في مصر، ورتبه حسب تسلسلهم التاريخي في ولاية القضاء، إلا أنه قد انتهى به إلى عام ٢٤٦هـ / ٨٦٠م دون سبب ظاهر بالرغم من استكماله لكتاب الولاية إلى سنة ٣٣٥هـ / ٩٤٦م. غير أن هذا الكتاب قد ذكّر صكّهم أبو الحسن أحمد بن عبد الرحمن بن برد، وبلغ به إلى عام ٣٢٦هـ / ٩٢٦م وعلى ذليل ابن برد ذكّر أيضاً صكّهم مجهول من سنة ٣٤٧هـ حتى ٤٢٤هـ / ٩٥٨ - ١٠٣٢م، وقد استوعب ابن حجر معظم مواد كتاب القضاء في

---

(١) الكندي أبو عمر محمد بن يوسف الكندي المصري، ولاية مصر، تحقيق حسين نصار، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.

كتاب رفع الأصر<sup>(١)</sup>، الذي كان نبلا لكتف القضاء الذي أعده الكندي<sup>(٢)</sup> وقد صم الكتابين ولاية مصر، وقضاء مصر في كتف سفي الولاة وكتاب القضاء<sup>(٣)</sup>.

ولسك فإن القضاء اللين ذكروا في نهاية كتف الولاة وكتاب القضاء نقلوا عن ابن حجر في كتفيه رفع الأصر<sup>(٤)</sup>، ولتي استمرت حتى فترة قضاء عهد لحاكم بن سعيد الفارقي (٤١٩ - ٤٢٢هـ). وبعد هذا الكتاب في فترته الأولى التي ذكرها الكندي، أو ما قد ذبل به من غيره، له من الأهمية الكبرى في موضوع البحث، حيث استدل منه على بعض مظاهر الفساد التي حمت القضاء في مصر الفاطمية، وما وصل إليه القضاء من تشدد، وقسوة، وقبول رشوة ولكل مل التامس، هذا الأس الذي عكس ما كانت تعاقبه مصر في تلك الفترة من فساد في شتى ماضي الحياة حتى وصل إلى القضاء.

[ب] كتف النعمان بن حيون<sup>(٥)</sup> (ت ٣٦٣هـ / ٩٧٤م)، وهو من المعاصرين للدولة الفاطمية، والمزحجين لها، ولحد قضائها المتمسكين،

---

(١) ابن حجر المسلكي إلهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي، رفع الأصر عن قضاء مصر، جردان، تحقيق: حامد عبد المجيد وأخرون، قدم بفسر التراث القديم، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٩م.

(٢) حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله النسي بكاتب شفي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ١٦، دار الفكر للطباعة والنشر، بفسر تاريخ.

(٣) الكندي، الولاة وكتاب القضاء مهذبًا ومصحفًا بقم رفن كمت، طبع بمطبعة الأباء اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨م.

(٤) النعمان بن حيون: هو أبو خليفة النعمان بن أبي عبد الله بن محمد بن أحمد بن حيون بسب إلى قبيلة تميم ويوسيه الإسماعيلية سيفا القاضي النعمان التميمي به ودين أبي خليفة النعمان صاحب المذهب الحنفي تشيهر، عاصر الفاطميين في بلاد المغرب، ودخل خدمة عبيد الله القلطي حوالي عام ٣١٢هـ - ٩٢٠م، كنى النعمان مالكي المذهب كسافر أسرتة، ثم نخل المذهب الإسماعيلي، فخذاه المصور والمغراقا خولهما، ألف أكثر من أربعين كتابًا. للمريد راجع إلى حلكي [لصدي بن مصد]: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، بعت، ١٤٠٦.

والمدافعين عن المذهب الشيعي. لقد ألف النعسان العديد من أنواع العلوم، فكتب في الوعظ والتاريخ، والأخبار، والتفسير، والمعتقد، والتأويل، ومن أهم مؤلفاته الذي اعتمد عليها الباحث :

كتاب "افتتاح الدعوة"، وبالرغم من أن هذا المؤلف من كتب الدعوة، إلا أنه يحتوي على العديد من المسائل وثيقة الصلة بالدرجة الإدارية، فضلاً عن اهتمامه بالفلمية الدينية، وكذلك العقائدية لسولة العاطمية، وقد تميز هذا الكتاب بتقديمه صورة واضحة عن الأسس لأولى للسياسة المالية التي اتبعها العاطميون في بلاد المغرب، والتي تتبعها في مصر، وأضافوا إليها الكثير.

- كتاب "المجالس والمعارف"<sup>(١)</sup> الذي يوضح سياسة العاطمين الجائرة في جمع الضرائب، كما يقدم صورة تبريرية لتلك السياسة المالية الجائرة، مع حرص الخلافة الشديد على جمع تلك الضرائب، وضرورة تأديتها مقابل مجاهدة العدو، ويوضح أن المطالبة بها يرجع إلى حرص الدولة على العمل من أجل الرعاية، وإصلاح ما فسد من أمور الدولة من منشآت، ومرافق صناعية، كذلك لإقرار الأمن فيها، كما يوضح معاملة أهل أفريقيا من وطأة هذه الضرائب، وشكاواهم المتكررة منها، كذلك يشير إلى إخبار أهل البوادي على بيع محاصيلهم إلى للخليفة الممدي، ثم دفع ضرائب على ما يبيعونه، ويثبت الكاتب أن العاطميين قد حرصوا على تحصيل تلك الضرائب في أفريقية حتى بعد انتقالهم لمصر، هذا الأمر الذي انتقل للمصريين بعد ذلك.

- كذلك كتاب "دعوى الإسلام"<sup>(٢)</sup> ويذكر فيه أهل انحراف، والصانع، والتجارة خلال تصنيفه لطبقات الناس، ويبين أن الحياة الاجتماعية تقوم على هذه الفئات الثلاث، يشرح ابن حيون في كتابه هذه

(١) تحقيق الحبيب الطي، إبراهيم شيوخ، محمد قيسلاوي، بيروت، ١٩٩٦م

(٢) دعوى الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام على أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، ١ - ٢، تحقيق : مصطفى بن علي بن أحمد قيسلي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.



الصواب، التي يجب أن تكون بين الولي، وأهل الخراج، وما عليه من واجبات إسرائيلية من شأنها زيادة الخراج. كذلك يُبين كيفية حيازة العمال، وعدم المجادلة في ذلك حتى لا يدخل الجور، والظلم على الرعية. (١) ومن المبادئ التي دعا إليها الشيعة في كتب الدعوة الخاصة بهم، وما يطول بهما هو مخالف لها استقى الباحث العديد من مظاهر الفساد التي هي موضوع بحثه.

[ج] أما كتاب "أخبار مصر في سنتين" (١١٤ - ١١٥ هـ) للمسيحي (٢)، وهو الجزء الأربعون من كتاب أخبار مصر، ومصانفها، وعجائبها وطرائفها، وغرائبها، وعجائبها من البقايا، والأثار، وسير من حلها، وحل غيرها من ثلثة، والأمراء، والأئمة الخلفاء له أمير المؤمنين

- صلوات الله عليهم أجمعين -، والمعروف باسم "أخبار مصر" كما عرف بأسماء أخرى، كـ "تاريخ المسيحي"، أو "كتاب التاريخ" (٣)، وبعد هذا الجزء (٤٠) هو الجزء الوحيد المتبقي من هذا المؤلف الضخم، الذي

(١) نفسه، ص ٤٢٣ - ٤٢٤.

(٢) المسيحي، أحمد بن عبد الله المسيحي، أخبار مصر في سنتين ١١٤ - ١١٥ هـ (ج ٤٠)، تحقيق: وليم ج، مطبوع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠.

(٣) المسيحي: هو الأمير المفكر عر الملك أبو عبيد الله بن أحمد بن إسماعيل بن عبد العزيز أنكتب المسيحي، ولد في مصر سنة (٣٦٦ هـ / ٩٧٦ م)، كان أبوه له قد هاجروا من خراسان وسورية إلى مصر، تولى في بيت علم ودين، فتنقل بخدمة الخليفة الحاكم بأمر الله سنة ٣٩٨ هـ / ١٠٠٧ م، وهو في الثانية والثلاثين من عمره مرعاه ما نال المطوعة عند الحاكم بأمر الله الذي جعله صديقاً شخصياً له، وولاه إقليم ليبيا وأعمال الصعيد، ثم شغل فيها بعد ديوان الترتيب في الإدارة المركزية، مما أتاح له حضور مجلس الحاكم بأمر الله ولجتماعاته بصفة دائمة، كذلك قد تمتع بتلك المكافة عند الخليفة الظاهر لإعزاز الدين، توفي (٤٢٠ هـ / ١٠٢٦ م). راجع: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ص ٣٧٧.

(٤) المسيحي: أخبار مصر، ص ١٠، نقلًا عن ابن سعد.

عده المؤرخون من أعظم للكتب التاريخية المعاصرة للدولة العصرية،  
وانقها، وأوقعها.

ويقسم هذا العمل إلى قسمين متساويين تقريباً، أحدهما تاريخ  
والآخر أدب، يذكر فيه المؤلف أئمة الأدب لأصنافه ومعاييرهم وشيئا من  
شعرهم، وبعض الرسائل القنصرية المتبادلة بين معاصرين، وهي إما مدح، أو  
وصف، أو حماسة، وينتهي العمل بفصل خالص بالوفيات التي حدثت في  
عام ٤١٥هـ دون ٤١٤هـ، أما الجزء التاريخي منها، فيعرض بالمراسة  
إلى أحداث مصر في عامي ٤١٤هـ و ٤١٥هـ، أي تلك الأحداث التي  
تمت في عهد الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي، وقد اقتصر المسيحي على  
عامين فقط لذلك، ولتصر العدة المؤرخ لها فقد حرص المؤلف على  
وصف كل ما يتعلق بتلك الفترة بالتفصيل الدقيق.

كان المسيحي معاصراً للأحداث شاعراً لها، لذلك فقد عد من  
الوثائق الأصلية التي تناولت تاريخ الفاطميين في مصر، ولقي تعرضت  
لجميع المعلومات الخاصة بالحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والدينية،  
والشخصية للمصريين في تلك الوقت، وعلى الرغم من أن المسيحي كان  
قريباً من الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، فلي أخبره حاجت أشد قرباً من  
الرعية، ولا سيما أنه كان يسكن مدينة الفسطاط.

وبين سطور هذا المؤلف عثر قباحة على مادة عظيمة لا بأس  
بها، وتعرف على العديد من مظاهر الفساد التي تقدم بحثه، إلى جانب  
الأخبار السياسية للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، كان للكوضع  
الاقتصادية نصيب وبخاصة ما عم مصر من بلاء، وفساد، ومجاعة شديدة  
كادت تقضي على ما تبقى من أهلها، بالإضافة إلى ما قد أصاب التجار  
من جشع، وطمع فصحوا إلى احتكار السلع، ورفع أسعارها مستغلين حاجة  
الناس، كما أشار المسيحي إلى سلسلة النوبة في فرض الضرائب التي  
أثقلت كاهل الناس، ومن بينهم التجار، ومن بين الحياة اليومية للمصريين،  
سهرت بعض الأمراض الاجتماعية والفساد الاجتماعي الذي تمثل في  
بعض حالات السرقة، والغش، والقتل.

[د] كذلك يأتي كتاب الأنطكي أو (تاريخ الأنطكي)<sup>(١)</sup> المعروف بصفة تاريخ أوتياخا، للمؤلف يحيى بن سعيد الأنطكي، يعد الكتاب من أهم المصادر المعاصرة للدولة الفاطمية في مصر، وقد تناول هذا مؤلف تاريخ القبط، وكتبهم بإسهاب، وذلك في أيام الحلفاء الأوائل، وينم هذا الكتاب دراسة تفصيلية لفترة حكم الخليفة الحاكم بأمر الله، ولحاكمه، وكذلك سياسته الداخلية والخارجية، وأهم الأحداث التي تمت في عصره، مبدئاً القيود الاجتماعية التي فرضها الحاكم بأمر الله، والتي عانى منها شعب مصر، كذلك تعرض الكتاب للثورات التي قامت في ذلك الوقت، وقد «هتم الأنطكي أيضاً بنكر اضطهاد أهل الأئمة زمن الحاكم بأمر الله، وأوامره بشأن عدم الكنائس، حتى أن الأنطكي قد اتهم الحاكم بأمر الله بالجنون».

وقد ذكر الأنطكي أيضاً قصة تاليه الحاكم بأمر الله، مبدئاً عقيدة النور، وتطويعها في مصر، ومدى محاولة الحاكم بأمر الله لأصحابها، وما طرأ من اساءة العلاقة بين الحاكم، والرعية لما بدر فيه من تصرفات غريبة، ومتناقضة. غير أن أهم ما يميز هذا المؤلف أنه يورد معلومات قيمة عن علاقة الروم بالفاطميين، ويعني مع ذلك، تواريخ هجرية مقابل تواريخ مسيحية، مما كان عوناً للباحث في بحثه.

[هـ] أما كتاب تاريخ بطريركة الكنيسة المصرية<sup>(٢)</sup> المعروف باسم سير القيمة المقدسة، لسويرس، أسقف الأشمونيين، المعروف بابن

(١) الأنطكي يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطكي : تاريخ الأنطكي المعروف بصفة تاريخ أوتياخا، تحقيق : عبد السلام عمري، جروس برن، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠.

(٢) ساويرس بن السقع : (توفي أولف القرن الرابع الهجري / المائتين الميلادي)، تاريخ بطريركة الكنيسة المصرية المعروف باسم سير القيمة المقدسة، ج ١، ح ١، طبعة باريس، مطبوعات جمعية الأثار القبطية، قسم المصوحس والفونثاق، بدون تاريخ، ج ٢، ح ٢، ج ٣، ح ٣، نشر يس عبد المسيح وآخرون، القاهرة، ١٩٥٩م، ج ٣، ح ١، ج ٣، ح ٢، نشر فطون خاطر وآخرون، القاهرة، ١٩٦٨، ١٩٧٢م.

المقنع<sup>(١)</sup>، الذي عاش زمن الخليفة الفاطمي المعز لدين الله وكان كاتب في دولتين للدولة الفاطمية، ثم صار أسقفاً، وقد كتب ساويرس الكثير من المعلومات عن الكنيسة القبطية، وأحوالها، وقد استكمل هذا المؤلف بواسطة مؤلفين قبط آخرين<sup>(٢)</sup>، إلا أنه ظل يحمل هذا الاسم، وظل حسب ساويرس، وعلى الرغم من أن الكتاب يحمل في ظاهره الحياة الدينية الخاصة بسور بطريركة الكنيسة المصرية في هذا العصر، فإن الكتاب قد حمل في طياته الكثير من الأحداث السياسية المعاصرة للدولة الفاطمية،

(١) ساويرس بن المقنع : معروف باسم أبي الفوارس بن المقنع الكاتب، وهو غير عبد الله بن المقنع صاحب كتابه "دعوة" الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، والذي اتهم باختلاس مال الخراج لعوقب بالضرب على يديه حتى تفضل، وقد ذكر فهمس أن المقنع يعني "منكس الرأس لينة" غير أنها على الأرجح تعود إلى الكلمة المصرية "قفة" التي حُرِّفَت إلى "قعة" ولكنها عُرِّفَت حتى الآن تطلق في نطقها الأول "قفة"، التي تطلق على نوعاء الذي صنع من الفصوص، أو حبال الشحيل الذي يصنعه الفلاحون في القرية، وكذلك شرهين والمنسوجة، وكان وقد ساوري يمتن بهذه المهنة فاشتهر بالمقنع "أي صانع الققع" أما المسين المضافة إلى ساوري فهي من اللولوق المنحوبة. وقد أخذ ساويرس بترج في الوظائف أيام الدولة الإغريقية حتى أصبح كاتباً ماهراً، ثم نال قبة المعز بسدين الله من الفاطميين، وكذلك رتبته حلاقة طيبة بالبطرك إبرام "أفراهم" حتى هذه القورير اليهودي يحنوب بن كس. من أهم كتبه تاريخ بطريركة الكنيسة الذي أممه مجموعة من الكتاب والأساقفة حتى وصلوا به إلى حياة البطرك كيرلس الخامس البطرك رقم (١١٦) الذي توفي في حصر المندوبوي عباس حلمي الثاني. للمزيد راجع :

- إبريس حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية، مكتبة كنيسة مارجرس بالبحر الأحمر، الإسكندرية، لكتاب الرابع، ص ١١٤.

[http://www.coptichistory.org/new\\_page\\_941.htm](http://www.coptichistory.org/new_page_941.htm).

- <http://www.copts.mashahe.com/ub17/p10.htm>.

(٢) أمثال الأنبا ميخائيل الذي تناول تاريخهم في عهدي الحسك والظاهر، وحبس منصور بن مفرج الإسكندراني الذي تناول تاريخهم في عصر المستعمر بالله، كذلك الأنبا غريال بن ترعيك الذي عمل في ديوان المعاليات، ثم في بيت المال إلى أن أصبح بطريركا وألف تلخيفة الحافظ لدين الله، والآب يوحنا الذي عامر الحافظ والظاهر والظاهر.

قبل ثورة بن حمدان ضد الخليفة المستنصر بالله<sup>(١)</sup>، وثورة الأوحديين بدر الجمالي ضد والده بدر الجمالي بالإسكندرية سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م، وثورة بربري المستنصر ضد الأفضل بن بدر الجمالي بالإسكندرية سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، وغيرها من الأحداث المرتبطة بهذا الأمر.

كذلك تفرد هذا المؤلف بذكر خروج حمدان بن الحافظ بن الله على أبيه، وطعمه في الخلافة دون أبيه، وقد كَوَّنَ حمدان طائفة تابعة له سميت "بالرود" وهي حليط من الأجناد من جميع الطوائف، استطاعت هذه الطائفة أن تشر القصد في أرض مصر لرضا الأمير حسن، وكان الناس يصبحون كل يوم ويجدون منطقة بين القصرين بالقاهرة مليئة بالقتلى، أعوان الحافظ لدين الله، كذلك فقد احتوى هذا المؤلف على العديد من المعلومات التي تظهر علاقة الفاطميين بأهل السنة، ومعاملتهم، وكذلك اضطهادهم من قبل بعض الخلفاء الفاطميين، ولاسيما الحكم بأمر الله، مما كان له من الأهمية في موضوع الدراسة، وإبراز مظاهر الفساد.

ولم يهمل المؤلف "سيرة المؤيد داعي الدعاة" للشيرازي<sup>(٢)</sup>، من الكتب القيمة، والمعاصرة أيضاً للدولة الفاطمية، وعلى الرغم من أن الشيرازي قد تعرض لترجمة المؤلف نفسه، فإن الكتاب له من القيمة والأهمية التي لا تقل عما سبقها من الكتب المعاصرة، حيث عاش المؤلف في مصر زمن الخليفة الفاطمي "المستنصر بالله"، وتعرض هذا المؤلف لمرحلة مهمة من تاريخ الفاطميين، وقد زاد من أهمية هذا المؤلف أن الشيرازي نفسه قد تنقل بين العديد من الوظائف المهمة في الدولة إلى أن عمل بوظيفة داعي الدعاة، وقد كان للشيرازي نفسه على رأس حملة التي أرسلت للباسيري في العراق لإخماد ثورته ضد الدولة الفاطمية<sup>(٣)</sup>.

(١) ساربريس بن النخع : سير القضاة المقصية، ج ٣، ص ٢٠٣، ص ١٨٣.

(٢) المؤيد في الدين حبة الله بن موسى الشيرازي : سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة - ترجمة حياته بقلمه القديم وتحقيق : محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م.

(٣) نفسه، ص ١٧٨ - ١٨٠.

وقد نجح الشيرازي في هذا الأمر، واستطاع نشر الدعوة الشيعية هناك، ذلك الحظم الذي سعى إليه الفاطميون كثيرا، غير أن هذا الأمر قد تم في فترة كنت الدولة الفاطمية تعاني فيها من الضعف والفساد، كذلك نشر كتاب الشيرازي بنضمه العديد من الرسائل التي كان قد أرسلها لئور، والولاة والنفادة الفاطميين والتي تعد من الوثائق المهمة للبحث في تلك الفترة.

[ز] ومن المؤلفات المعاصرة المهمة، كتاب الاعتبار<sup>(١)</sup> وحيمة أسامة بن مكنة، الذي عاصر خلفاء الفاطميين الأواخر، فوصف المكايد التي كانت تتم في التصور الفاطمية، وأهمها الصراع بين الوزير ابن مصلح، ووالي الإسكندرية، واليخيرة علي بن السلاخ سنة ٥٢٤هـ / ١١٤٩م، وما ظهر من انقسامات داخل الدولة الفاطمية<sup>(٢)</sup>، كما شهد أسامة الفترة التي احتل فيها الصليبيون بلاد الشام، وقد غنة الأستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم من الكتب التاريخية التي تعد بمثابة المذكرات.<sup>(٣)</sup>

[ح] ومن المصادر المهمة أيضا : كتاب كنالاس وأديرة مصر، لأبي صالح الأرمني (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٩م)<sup>(٤)</sup>، الذي زلر مصر وقت سيطرة الأرمن على دولة الفاطميين، بتولية بدر الجمالي لوزارة المستنصر بالله، وهو أرمني، ويظهر هذا جليا من عنوان الكتاب. لقد عاصر أبو صالح نفوذ قوزراء، وتسلطهم في أواخر حكم الدولة الفاطمية، وذلك بعزل بهرام الأرمني من وزارة الحافظ لدين الله، وهو أبحث أرمسي، وقد ذكر أبو صالح الأرمني في كتابه، الكنالاس، والأديرة الموجودة بالقاهرة، والقصعيد، وغيرها من الأماكن المهمة مع ذكر

(١) أسامة بن مكنة الشيرازي : الاعتبار، تحقيق : فيليب حتى، مطبعة جامع بونسي، لولايت المتحدة، ١٩٣٠م.

(٢) نفسه، ص ٨١٧.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب، دار الكتاب العربي للطبعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٦٢، ص ١٢٢.

(٤) أبو المكارم جرجس مسعود : تاريخ أبي المكارم المعروف بكنالاس وأديرة مصر، طبعة لكهنورد، ١٨٩٥.

الأحداث التاريخية المرتبطة بها. كذلك نُشر إلى التقسيم الإداري لمصر في عصرها الثاني "عصر الوزراء" فكان له من الأهمية السياسية، وكذلك الإدارية للبحث موضوع الدراسة.

[ب] كذلك كتاب ابن حماد [أبو عبد الله محمد بن علي] أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم<sup>(١)</sup> والذي اهتم بعرض حياة الفاطميين منذ بداية دولتهم، وحتى سقوطها، وقد اعتمد المؤلف على أن نسب الفاطميين يعود إلى عبد الله المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢هـ / ٩٠٩ - ٩٣٤م) مؤسس دولتهم، وليس الفاطمة وعلي - رضي الله عنهما - ، ويبدو هذا جلياً من عنوان الكتاب.

[ج] كذلك كتاب أخبار الدول المنقطعة لابن ظاهر<sup>(٢)</sup> وأبي يعقوب من المصادر المهمة، والدقيقة في تاريخ الدولة الفاطمية، فطى الرغم من صغر حجم الكتاب، والاختصار في ذكر أحداثه فإنه يحتوي على العديد من المعلومات المهمة، كما يضم صفحات وفية تُعد تراجم للحلفاء الفاطميين من بداية حكمهم، وأهم الأحداث التي حدثت فيها، ويستمر المؤلف في ذكر هذه الأحداث حتى وفاة صاحب الترجمة، إضافة إلى ذلك ما تميز به هذا المؤلف في آخر سيرة كل خليفة، مما سهل على الباحث الفصل بين الأحداث السياسية، وكذلك الإدارية.

[د] وكتاب أبي شامة، (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) "الدولتين في أخبار الدولتين"<sup>(٣)</sup> يعود هذا المؤلف إلى الفترة الأيوبية، وعلى الرغم من

---

(١) ابن حماد [أبو عبد الله محمد بن علي] : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة : النعماني نوري، عبد الحليم عويس، دار المصروف، القاهرة، بدون تاريخ.  
(٢) جمال الدين علي بن ظاهر : أخبار الدول المنقطعة، دراسة تطبيقية لتقديم المحسن بالفاضلين مع مقدمة وتعليق أندريه كزيه، المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م.

(٣) أبو شامة إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل الملقب بـ : (الروماني) : أخبار الدولتين التورية والصلحية، الجزء الأول، من قسمين، تحقيق محمد علي محمد أحمد، مراجعة : مصطفى زيلحة ووزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية للعلم، القاهرة، ١٩٥٦ - ١٩٦٢م.

أن انكساب يتناول تاريخ الدولتين النورية، والصلاحية، فإنه يعرض كثيرا من أخبار الدولة الفاطمية، ولاسيما الفترة الأخيرة التي شهدت سقوط الدولة، والنزاع بين وزرائها، واستعانة كل منهم بقوى خارجية كذلك تولى صلاح الدين السني الوزارة، وسقوط الدولة الفاطمية على يديه، ويتميز هذا المؤلف بأنه ينقل عن مؤرخين كثيرين عاصروا الفاطميين، ولاسيما القاضي الفاضل الذي عمل في ديوان الإنشاء الفاطمي في عهد الوزير طلائع بن رزيق.

[ج] وكذلك كتاب المؤرخ المصري ابن ميسر، ت (١٢٧٧هـ / ١٢٧٨م) : تاريخ مصر<sup>(١)</sup> وهو من أهم المصادر التاريخية التي اُرخت للفاطميين، واعتمد عليها الباحث اعتمادا كبيرا، فعلى الرغم من أن ابن ميسر يعتبر من مؤرخي الفترة الأيوبية فإن كتابه قد بدأ بسرد الأحداث التي تمت في مصر منذ عام ٤٣٩هـ / ١٠٤٦م، وانتهى بأحداث سنة ٥٥٣هـ / ١١٥٨م، وقد تميز كتاب ابن ميسر بأنه كُتِبَ بطريقة الحوادث، مما كان له عظيم الأثر في تتبع الأحداث، واستنباط مظهر المساء من بين مسطورها.

[د] وكتاب ابن واصل<sup>(٢)</sup>، ت (٦٩٧هـ / ١٢١٧م) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، الذي يتناول تاريخ دولة الأيوبيين، لا أنه قد حوى أخبارا كثيرة عن الدولة الفاطمية في أخبارات أيامها، كذلك من المصادر المهمة في موضوع البحث :

(١) ابن ميسر إناج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جندب راجع: أخبار مصر - المتلى من، حققه وكتب مقدمته وحواشيه : أيمن نواد سيد، المعهد العلمي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة ١٩٨٧م.

(٢) جمال الدين محمد بن سالم الحموي : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ١ - تحقيق : جمال الدين الشبل، القاهرة، ١٩٥٢ - ١٩٦٠م، ٢ - تحقيق : حميد مصت ربيع، القاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٧.



لها كتاب "لذرة العصبية في أخبار الدولة الفاطمية" -  
الدواداري<sup>(١)</sup>، والذي تحدث عن الخلفاء الفاطميين في ترجمه وبعه من  
سبي ميلادهم، وحكمهم، ووفاتهم، وما تخلل ذلك من أحداث مهمة البحث  
موضوع الدراسة، ولا سيما معاملة الحاكم بأمر الله لأهل الذمة.

[س] أما المقرئ<sup>(٢)</sup> (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) الذي عاش في  
الفترة المملوكية من تاريخ مصر الإسلامية، قد كتب بالعديد من المؤلفات  
التي تحتس بالمحدث عن الدولة الفاطمية، والتي لها من الأهمية العظيمة  
في تلك الفترة، فعلى الرغم من أن المقرئ بعد زمنيًا بعض الشيء عن  
الفترة موضوع الدراسة، فإنه قد اعتمد في مؤلفاته على مؤلفين معاصرين  
لتلك الفترة، ولعل هذا من حسن الحظ؛ لأن المقرئ قد حفظ له ضمن  
مؤلفاته العديد من المعلومات التي فقدت بشكل، أو بآخر لبعض  
المؤرخين المعاصرين لتلك الفترة من أمثال ابن زولاق، والممبهي، وابن  
المامون، وغيرهم. بالإضافة إلى أنه يعد من المؤرخين القلائل الذين  
تعصبوا للدولة الفاطمية، لذلك فإنه وصفت بمؤرخ للدولة الفاطمية، وقد  
استاد الباحث من العديد من تلك المؤلفات لعل أهمها على الإطلاق في  
موضوع الدراسة هو :

---

(١) الدواداري [أبو بكر عبد الله بن أبيك] . (ت ٧٣٦هـ / ١٢٣٥م) : فترة العصبية  
في أخبار الدولة الفاطمية، الجزء السادس، من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر،  
تحقيق : صلاح الدين المنجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،  
١٣٨٠هـ / ١٩٦١م.

(٢) المقرئ : هو قتي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن  
إسماعيل بن عبد الصمد بن شبيب التقي بن علاء المسيحي الميمني البيهقي لاسيما،  
القاهري المولد أبو العباس، المعروف بالمقرئ نسبة إلى حارة في بعلبك  
تعرف بحارة المقارئة، انتقلت عائلته إلى القاهرة في حياة أبيه الذي كان يعمل  
بالموظفات المتعلقة بالخدمة، وقد في ٣٦١هـ رحل إلى مكة وكذلك الشام من  
أجل طلب العلم، ثم استقر في مصر وتفرغ للدراسة والتأليف، ثم انتفع في دوره  
للخدمة، فلقه في شبابه المذهب الحنفي تبعاً لأبيه، ثم تحول إلى الشافعية  
وهو في العشرين من عمره واستقر عليها. للمزيد راجع : السخوي إسماعيل  
الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد - التصوف اللامع لأهل القرن التاسع،  
ج ٢، مكتبة القس : القاهرة، ص ٢١ - ٢٤.

.. النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية. وبني هاشم :<sup>(١)</sup>

والذي أظهر فيه تعصبه الشديد لبني هاشم، ومدى أحسنهم في الخلافة، وما تعرضوا له من أذى من قِبل بني أمية، كما تعرض لبني أمية بالسب، والسخرية لما قترقوه في حق بني هاشم. ويبدأ المقريري مؤلفه بذكر الجذور الأولى لهذا العداء، وما كان قائماً من كراهية، وعداء بين هاشم بن عبد مناف بن قصي، وبين ابن أخيه أمية بن عبد شمس بن مناف، وقد تملأت العدوة حتى انتقلت إلى رسول الله (ﷺ)، وقد ظهر هذا في موقف أبي سفيان، ثم انتقل إلى الإمام علي (عليه السلام)، ومعاوية بن أبي سفيان، وبعده إلى الحسين بن علي، ويزيد بن معاوية، هكذا لح العداء ينتقل من بيت إلى بيت، ومن رجل إلى رجل حتى توثقت أسيافه على مر الأيام، وتجددت تلك الأحداث على مسرح التاريخ، وظهرت على هيئة ظلم، وعداء من البيت الأموي إلى البيت الهاشمي، ولم يقتصر المؤلف على موقف الأمويين من الهاشميين فحسب، بل تعرض لما نقوه من ظلم، واضطهاد على يد الهاشميين حتى نهاية دولتهم.

وقد استفاد الباحث من هذا المؤلف في معرفة الجذور الأولى للهاشميين، ومدى أحقيتهم في الخلافة، مما ساعده على التعرف على ذكر بقوة الأحداث في سمر، وسهولة.

.. الحفاظ على أفعال الأئمة العترة<sup>(٢)</sup>

يبدأ فيه المقريري بالحديث عن الأميرة العلوية، فبدأ بعرض لسل لإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ثم يتعرض لذكر ما قيل في صحة نسب الفاطميين من عدمه، كما يتحدث المقريري عن نشأة الدولة الفاطمية في بلاد المغرب وكذلك عن الخلفاء الفاطميين الأربعة الأوائل (المهدي،

---

(١) المقريري ياتي اثنين أحدهم بن علي : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم، إحداهما يتعلق بصالح الورداني، الهدف للإعلام والنشر، بدون تاريخ

(٢) المقريري : الحفاظ على أخبار الأئمة العترة : ١ - ٣، الأول تحقيق جمال الدين الشيال، والثاني والثالث تحقيق : محمد طهي محمد أحمد، المجلد : لا على للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٧٣م.

والتقائم، والمنصور، والمعز)، كما تحدث فيه عن الفتح الفاطمي لمصر، وكذلك تأسيس متولة القاهرة، ويعتمد الكتاب على طريقة الحواريات في سرد الأحداث التاريخية حتى سقوط دولة الفاطميين على يد صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م، لذلك يُعدُّ هذا المؤلف من الموسوعات الكاملة لتاريخ الفاطميين، وقد عرّض هذا المؤلف للعديد من الأحداث السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، بالإضافة إلى السياسة الخارجية للدولة، مما كان له عظيم الأثر في معرفة مظاهر القوة، ومظاهر الضعف، والفساد في تلك الفترة، ولأنهما في عهد المستنصر بالله، وما أطلق عليها بـ "الثقة العظمى"، والتي لستاء لها المقرئ نفسه، وأوجز أسبابها في كلمات شاملة كاملة جامعة.

١- إغالة الأمة بكشف الغمة<sup>(١)</sup> :

ويعد هذا المؤلف أيضاً من أهم أعمال المقرئ التي احتوت على العديد من المعلومات الاقتصادية المهمة التي أفادت الباحث كثيراً في بحثه، ولأنها الجانب الاقتصادي منه، فقد تعرض المقرئ في هذا المؤلف للذكر المجاعات التي حدثت في مصر منذ بداية سيناء يوسف - عليه السلام -، مروراً بالفترة الإسلامية وصولاً للمصر الفاطمي، وما بعده، ويُعد المقرئ المؤرخ المصري الوحيد الذي تعرض بالبحث لتلك الناحية الاقتصادية من تاريخ مصر، ولعل هذا يعود إلى أن المقرئ قد تولى أمر الحسبة في القاهرة (٨٠١ - ٨٠٢هـ / ١٣٩٨ - ١٣٩٩م)<sup>(٢)</sup> فاكتمب من الخبرة ما يمينه على معرفة خبايا الدولة الاقتصادية، ولم يقتصر المقرئ على سرد المجاعات فحسب، بل كان يحاول أن يقصي

(١) المقرئ : إغالة الأمة بكشف الغمة، تحقيق : محمد مصطفى زبادة وجسمال الدين قشبال، القاهرة، ١٩٥٢م.

(٢) نفسه، تصدير الكتاب، ص: دة، ابن الأخرى [محمد بن محمد بن أحمد القرشي] (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٩م) : معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق د/ محمد محمود شحار، وصديق أحمد عيسى المطوعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م، ص: ٤٠.

على أسبابها، ويقترح العلاج الصحيح، ولعل أهم الأسباب التي صرح بها المقريري في مؤلفه هو التلأل الذي عتده العامل المشترك لحدوث تلك المجاعات، كذلك فساد للحكام، وعظمتهم عن رعائهم، وسوء تدبيرهم، وطمعهم في المزيد من المال، كما فعل المستنصر بالله عندما غير في طبيعة التاجر<sup>(١)</sup> السلطاني الذي كان يُعين العباد وقت الأزمات. بحلول المنجر بدر المال الكثير للخليفة، كذلك ذكر المقريري ما ترتب على تلك المجاعات التي هي في الأصل ناتجة عن فساد الحكام، من احتكار للسلع، وارتفاع للأسعار، وانخفاض قيمة العملة، ولجوء الدولة للتسعير<sup>(٢)</sup>، وليس لتصفية، وما أصاب الناس من لوعة وأمراض وموت، ولا سيما في ظل عدم بخل النبل عليهم بماله.

وعلى الرغم من تمصّب المقريري للدولة الفاطمية الشعبية، فإنه كان موزعاً عادلاً محايداً في وصف أحداثه، فلم يعبأ بما ميلاقيه من عقاب المماليك، وكذلك لم يتهاون في ذكر مساوئ الخلفاء الدهميين، والسادهم على الرغم من حبه الشديد لهم، ولعل الحادث الأليم الذي تعرض له من فقدان وحيدته ٨٠٦ هـ نتيجة إصابتها بالطاعون الذي حل بمصر بين عامي ٧٩٦ - ٨٠٨ هـ<sup>(٣)</sup>، جعله شاهداً عياناً أيضاً على معاناة الناس، وجعل مؤلفه من أعظم المؤلفات الحية نيس فقط في عصره بل في كل العصور.

- المواقف، والاهتمام بذكر الخطأ، والآثار<sup>(٤)</sup> :

والمعروف بالخطأ المقريري، والذي اهتم بذكر تزيخ القاهرة عاصمة الفاطميين، وكل ما يتعلق بها بشكل تفصيلي ثم يسبق له مثيل، حيث يحرص حارث، ودروبي، وأزقة القاهرة تفصيلاً، مع رد الأحداث

(١) مقريري : إغالة الأمة، ص ٢٥ - ٣٦.

(٢) يتم التحدث عنه في الفصل الاقتصادي من هذا الدراسة تفصيلاً.

(٣) المقريري : إغالة الأمة، مقدمة للكتاب، (د).

(٤) المقريري : المواقف والاعتبار في ذكر الخطأ والافتراء ١ - ٢ برلاق، ٢٧٠م.

التاريخية للخاصة بكل موضوع، مما ألك الباحث في معرفة الموضوع المهمة التي وردت في كثير من الأحداث السياسية، وكذلك الاجتماعية، والإدارية، وما طرأ على القاهرة من تغير طوبوغرافي نتيجة للفساد الذي عم به حال الشدة المستتصرية، كذلك ذكر المقرري في خططه أرض مصر، وترعها، وجسورها، ونظام الإقطاع، والضمان، كما ترك للباحثين قائمة بالمكوس التي قررها الفاطميون على المصريين، والتي كانت من الثقل حتى ذكر عنها أنه لم يبق إلا الهواء حرًا طليقًا لم يفرص عليه صرايب<sup>(١)</sup>.

• **شؤون العقود في ذكر النقود<sup>(٢)</sup> :**

كفى هذا الكتاب فصلا من فصول كتاب "إغاثة الأمة بكشف الغمة"، ثم أفرده المقرري بعد ذلك في كتاب مستقل بذاته، وقد أشار فيه المقرري إشارة واضحة إلى خطة الفاطميين التي اتبعوها في سبيل تحقيق سحب الدينار الراسمي، وإحلال الدينار المعري، كما يشير إلى مشكلة تزويد النرام خلال عصر الحاكم بأمر الله، والاختلاف في مقدار النرام من بعده، غير أن أخباره عن الفترة موضوع الدراسة، ربما يعود ذلك لأسباب سياسية وجدت في عصر المقرري نفسه<sup>(٣)</sup>.

• **المقي الكبير<sup>(٤)</sup> :**

أو التاريخ الكبير والذي وصف فيه معيشة الأمراء، والمشاهير للذين أقاموا بمصر، وقد رتبه المقرري على الحروف الأبجدية، وقد استغرق هذا المؤلف ثمانين مجلداً، لم يبق منهم سوى (١٦) مجلداً، منها

(١) المقرري : الخطوط ج ٤، ص ١٩٦.

(٢) المقرري : دراسة وتحقيق : محمد عبد الستار عسلاوي، القاهرة، ١٩٩٠م.

(٣) حث ألف المقرري هذا المؤلف، بأمر من السلطان المملوكي المؤيد شبع المعمردي، لإقناع الناس بالنرام المونية، لذلك فقد ذكر ما فطته للدولة الفاطمية، ليكون دليلاً للدولة المملوكية.

(٤) المقرري : المقي الكبير (١ - ٨)، تحقيق محمد السيلاني، ذكر للعرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.

ثلاثة مجلدات في لندن. ومجلد في باريس كتبها بخط المؤلف<sup>(١)</sup>. تحتوي هذه المؤلفات على العديد من المعلومات القيمة التي تُقَدِّمُ تِلْكَ البَحْثُ في موضوع الدراسة.

[ع] أما كتاب «نجوم القاهرة في اختيار مصر والقاهرة»<sup>(٢)</sup> لابن تحري بردي<sup>(٣)</sup>، وهو أحد مؤرخي العصر المملوكي أيضاً، وأحد تلامذة المقرئ، فهو من المصادر المهمة التي استعان بها فيلحاح، والتي اهتمت بموضوع الدراسة، وما سبقه من دراسة تمهيدية عن الدولة الصلونية (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥ م)، والدولة الإخشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ / ٢٩٤ - ٩٦٨ م)، وقد تميز هذا المؤلف بسرد الأحداث بطريقة حولي أيضاً، يتضمن ترجمة لكل خليفة، وأهم الأحداث في عهده سواء في مصر، أو الشام، كذلك فقد ألفرد ابن تحري بردي بتسجيل أحوال النيل من ريادة، أو نقصان في نهاية كل عام؛ مما ساعد الباحث على معرفة أسباب حدوث المجاعات في مصر، وهل كان سببها الحقيقي

- 
- (١) للمقرئ: الفزاج والفاطمين فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٤٤.  
(٢) [جمال الدين أبو المصطفى يوسف] (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م). «نجوم القاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة» ١ - ١٦، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب مع استنساخات ولها من جامعة القاهرة، ورواية الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ، تم الاستعانة بالأجزاء ٣، ٤، ٥.  
(٣) ابن تحري بردي. هو أبو المصطفى جمال الدين يوسف بن الأمير سيف الدين تحري بردي الأتابكي فينجماوي القاهري، ولد بالقاهرة سنة ٨١٤ هـ / ١٤١٠ م، [ابن تحري بردي] معرفة من تحري بردي، وبنو تحري بالفكرية تعني عطاه الله، وهو مؤرخ مصري كان أبوه من كبار أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق وابنه المنصور فوج بن برقوق، تعلم على يد أكابر مشايخ عصره، أمثال زوج أخته القاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وابن حجر العسقلاني، وبنو الدين الفيني، وابن شيرة وابن عريش، ثم لازم مجلس شيخ المؤرخين في الدين المغربي، تعلم منه حب التاريخ والتأريخ، وكان يستقر في المنزلة العربية والفكرية توفي في (٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م). تأليف راجع للمقرئ: الملوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦ م، مقدمة الكتاب، ص ٣٤٤.

نقص منسوب قليل أو زيلته، أم فسك القاتمين على الأمر، وإهمالهم شئون البلاد؟ ويتعرض المؤلف للعديد من الأحداث التي تمت في عهد كل خليفة، معتمداً في ذلك على غيره من مؤرخين آخرين.

## ٢- كتب الجغرافيا:

[أ] من أهم الكتب الجغرافية التي اعتمد عليها الباحث في بحثه هو كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للعالم الشريف الإدريسي<sup>(١)</sup>، ت (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م)، الذي يصف القسطنطين وكذلك الإسكندرية وصف دقيقاً، ويشتمل كتابه على الكثير من المعلومات المهمة التي تعطي وصفاً لبعض الخصائص الاجتماعية التي تميز أهل مصر بصفة خاصة

[ب] وكذلك "معجم البلدان" لياقوت الحموي<sup>(٢)</sup> ت (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)، وهو من المعاجم الجغرافية، والتاريخية المهمة لكل باحث، وقد اعتمد عليه الباحث في سيطر وتشكيل أسماء بعض المدن المهمة لموضوع الدراسة. وقد استأثر هذا المعجم بتضمنه بعض المعلومات التاريخية المهمة عن تلك المدن، وتحديد أماكنها.

## ٣- الرحلات:

[أ] احتوت كتب الرحلات على العديد من المعلومات القيمة التي دونوها في رحلاتهم ومشاهداتهم، فكان لها من الأهمية التي تعهد للباحثين في شتى مجالاتهم، ومن أهم كتب الرحلات التي أفادت الباحث بشكل خاص والتي ارتبطت بفترات معينة من حكم الفاطميين كتاب "سلاسل" للرحالة ناصر خسرو علوي<sup>(٣)</sup>، ت (٤٨١هـ / ١٠٨٨م) والذي كتب باللغة الفارسية، ونقله إلى العربية يحيى الخشاب، وقد رار ناصر خسرو

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، المجلد الأول، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ.

(٢) شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي البغدادي: حصة أجراء، تحقيق: محمد عبد الحميد الجليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

(٣) أبو معين الدين ناصر خسرو علوي: سفرنامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م.

مصر من الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وقد استغرقت زيارته هذه ثلاث سلوف مجزئة من (٤٣٩هـ - ٤٤٢هـ / ١٠٥٠ - ١٠٥٢م). وقد وصف في مؤلفه مصر، وغيرها من الدول، غير أن حديثه عن مصر قد استغرق نحو ثلث كتابه.

بعد هذا المؤلف من المؤلفات المهمة التي وصفت الحياة الاجتماعية، والاقتصادية الزاهرة في مصر في عهد الفاطميين، حيث تحدث عما قام به الفاطميون من حفر للترع، والجسور، والذي ترتبط بوجود نرى جديدة، كما تحدث عن بعض الصناعات، ودور الطرار، وأسماها (مصانع السلطان)، كذلك تحدث عن مظاهر الفن، والبغ، والثرف الذي تمتع به الفاطميون، والذي ظهر على مولدهم، وقد وصف لنا بأسر خسر وكيف تشاقت نفسه لرؤية سعاد الخليفة، وكيف ذهب عقله عندما رأى ما يضمه هذا السلطان.<sup>(١)</sup>

[ب] وكذلك ابن جبير<sup>(٢)</sup>، وهو من الرحالة الذين زاروا مصر وهم في طريقهم لأداء فريضة الحج، وقد وصف ابن جبير في كتابه 'رحلة ابن جبير' حالة الميناء التجاري الأول لمصر على البحر المتوسط (الإسكندرية)، وذكر الضرائب وطريقة جمعها، ومدى التقشف في جبايتها، وما يحدث من إجراءات التقشف، فضلا عن الرسوم الصناعية الذي كان يدفعها التجار الأوروبيون، مثل السمرة، ومقابل الترجمة، مما كان لهذه المعلومات من أهمية في إبراز تفاد الاقتصادي المتمثل في إرماع كاهل الشعب المصري بالضرائب.

(١) باسرخسرو: سفرشاه، ص ١٢٢ - ١٢٣.

(٢) أبو قحيس محمد بن أحمد الكوفي الأنطلي البلسي: (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م).

رحلة ابن جبير، بغداد، ١٣٥٦هـ / ١٩٣٧م.



### في الطبقات والتواريخ:

يعد كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة، لطي بن منجب المعروف بلقب الصيرفي<sup>(١)</sup> من المصادر المهمة والمعاصرة لمبحث موضوع الدراسة وقد اعتمد الباحث عليه في الترجمة لكثير من وزراء العصر الفاطمي، ومن ثم الحصول على العديد من المعلومات التي تدرج بها المصادر التي عثرت في تلك الفترة، وكذلك تبين فترة حكم هؤلاء الوزراء، أو طريقة عزلهم أو التخلص منهم، وكذلك فترة توليتهم لغيرت أخرى. كما تموز بذكر كل وزير كل خليفة على حدة، وقد رجح هذا المؤلف بألقاب لوزراء الذين حصلوا عليها، ولا سيما في العصر الفاطمي الثاني (مصر لوزراء)، والذي يتضح خلالها مدى ما وصل إليه هؤلاء الوزراء من سيطرة، ونفوذ، وقوة فاقت قوة الخليفة نفسه، وسلطته، سلطاته، وقد وصف ابن الصيرفي عند وزراء الأمر بأحكام الله، ومن المؤسف أن هذا المؤلف لم يستكمل من قبل أحد آخر لاستكمال للفترة القصيرة الباقية.

### في الأدب:

(٢) يعد ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي<sup>(٣)</sup> وثيقة شعرية معاصرة أضلقت لونا جديدا من ألوان الحياة في مصر في العصر الفاطمي، فقد ولد تميم في المهدية سنة ٣٣٧هـ بتونس، ثم انتقل مع والده المعز لدين الله إلى القاهرة، وهو في الخامسة والعشرين من عمره،<sup>(٤)</sup> سكن القصر الكبير في القاهرة، جعله المعز لدين الله بعيدا عن انشغال المهمة في الدولة، وعهد بها إلى أخيه الأوسط (عبد الله) ، وذلك بما رآه من لسان وموهة أخلاق في ابنه تميم منذ أن كان في بلاد المغرب.<sup>(٥)</sup>

---

(١) ابن الصيرفي إناج لرئاسة أمين الدين أبو القاسم طي بن منجب، (ت ٥١٦هـ / ١١٢٢م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط ١، الدار المصرية للطباعة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

(٢) تميم بن المعز لدين الله الفاطمي: ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، (١٣٧٧هـ - ١٩٥٧م).

(٣) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٠٠.

(٤) الجوزري: حياة الأستاذ جوزر، ص ٩٧، ١٢٠.

وجد تميم في القاهرة من المنزهات، والديار ما يوفق مرجه،  
وهو، ولا سيما في الأعياد الكثيرة التي شيدتها الدولة الفاطمية، وما  
تميزت به من فتح، وعبث، واتخذ له مجموعة من الأصناف شاركوه  
لهو، وعبث، ومجولة، وخمر. حتى توفي سنة ٣٧٥هـ، وهو في  
الثامنة والثلاثين من عمره ودفن في تربة القزحران (خان الخليلي الآن)  
مع آبائه وأجداده.<sup>(١)</sup>

ومن ديوان تميم بن المعز ظهرت صورة مختلفة بين مصاهر  
الفن التي جلبها القراء القديس، والحياة الرخدة، التي عاشها الحناء،  
ودوهم في مصر، فقلت لنا مدى فساد تميم، وأصدقائه الذين عاشوا في  
الحياة، وعشقوا النساء، وأنسوا شرب الخمر، كذلك فقد كان لهذا الديوان  
للغسل في معرفة أماكن المنزهات، وكذلك طريقة الاحتفالات التي كانت  
تقام في ذلك الوقت، وما كان يتم فيها من مظاهر اللهو، والعبث، والفساد.  
مما كان له أثره في البحث موضوع الدراسة، ولا سيما الفساد الاجتماعي  
منه.

[ب] كذلك يُنشد كتاب عمارة النعماني (ت ٥٦٩هـ / ١١٧٤م)  
"الملك المصرية في أواخر الوزارة المصرية"<sup>(٢)</sup>، الذي ألفه عن وزراء  
مصر من المصادر المهمة، والمعاصرة للعديد من الأحداث التي دارت  
في مصر الفاطمية، حيث رسمت لمساته صورة حياة من حياتهم،  
وللوهم، وسيطرهم على الخلافة، كما تعرض في كتابه إلى العديد من  
الثورات التي دارت في أواخر العصر الفاطمي، وقد رار عمارة مصر  
في أواخر حكم الفاطميين في سنة (٥٥٠هـ / ١١٥٥م) وتشيع نهم حتى  
أُتِل في سبيلهم على يد صلاح الدين الأيوبي (٥٦٩هـ / ١١٧٤م)، وذلك  
لاتهمه بالاشتراك في المؤامرة التي قام بها بعض رجال الدولة الفاطمية  
بعودة الخلافة إلى مصر مرة أخرى، وقد حُدّ كتابه من المنكرات.<sup>(٣)</sup>

(١) ابن المعز : ديوان تميم بن المعز، تصدير للكتاب، (ف).

(٢) نجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن علي الحنسي : تحقيق - مروج  
درنرخ، سالون، ١٨٩٧.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : قناريخ والمؤرخون العرب، ص ١٢٦.

[ج] كذلك كتاب تهية الإرب في قنن الأكب<sup>(١)</sup>، والذي يعد من الموسوعات الأدبية، والتي كانت الباحث كثيراً في بحثه، ولأسمه الجزء (٢٨)، والخاص بتاريخ الخلفة العظمى منذ قيامها، وحتى سقوطها في مصر، وقد أورد للتويري في مؤلفه العديد من الأحداث السياسية، والاقتصادية، كما تعرض للإقطاع، وعملية تحويل السنة الشمسية إلى سنة هلالية عام (٥٠١هـ / ١١٠٧م)، وهي فترة وزارة الأكميل بن بنر الجمالي، كذلك تعرض لذكر الأجناس، والصناعات، والتوليد، فكان عون للباحث في إبراز القصد الاقتصادي الذي عم تلك الفترة.

[د] أما كتاب أصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، والذي ألفه الفلقندي<sup>(٢)</sup>، والذي عدّه الدكتور / السيد عبد العزيز سالم من أهم الموسوعات، وأعظمها، والتي كتبت في عصر المماليك<sup>(٣)</sup>، فقد حوى معلومات مهمة لم ترتبط بكافة نواحي السياسة، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية التي كانت البحث في الحصول على العديد من المعلومات القيمة في مجال بحثه، ولأسمه أن الفلقندي قد عمل في ديوان لإنشاء بمصر في العصر المملوكي، مما أدى إلى تسهيل استقاء المعلومات التي ساعدته على تأليف موسوعته، وبراعة إصداره، وقد اهتم المؤلف بتقسيم مصر، وأنواع الأراضي فيها، وطبيعة الإقطاع التي تعود لمصر الفاطمية، وكذلك الأجناس والجوالي والمولود، فضلاً عن المراتب المختلفة وطريقة جمعها.

(١) التويري إتهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م) ج ٢٨،

تحقيق: محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م

(٢) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الله بن جمال (ت ٨٢٩هـ /

٨٤١هـ)، أصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ١ - ١٤، طبعة دار الكتب،

قاهرة، ١٩١٢ - ١٩٣٠م.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب، ١٩٩٧م، ص ١٩٧.

## ٦- الحسبة<sup>(١)</sup>

تعد كتب الحسبة من الكتب المهمة التي استعمل بها في بحثه حيث صممت بين صفحاتها العديد من المعلومات الاقتصادية، وكذلك الاجتماعية، فكان «النظر في الأسواق» أحد أهم المنوط بها عمل المحتسب، كذلك كانت الحسبة في أصلها تقوم على أساس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ذلك فقد شملت مهام المحتسب الموجهي لإدارية أيضا قال تعالى: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَكَانَ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ<sup>(٢)</sup>» وقد كرر الرسول (ﷺ) يقوم بدور المحتسب في عصر الإسلام: «ويعطى لأهمية الحسبة، والمحتسب في الدولة الفاطمية. فقد كان يحضر اجتماعات كبار المسؤولين مهم المحتسب بأنصبتهم، وعلى رأسهم الحاكم بأمر الله<sup>(٣)</sup>، لهذا استعان الباحث ببعض هذه المؤلفات نظرا لأهميتها في موضوع الدراسة، ومنها:

- 
- (١) الحسبة: الحسبة بكسر الحاء يكون سنا من الاحتساب بمعنى لاداء الأجر، أو الاحتساب بمعنى حسن التدبير والنظر فيه ومن ذلك قولهم فلان حسب الحسبة في الأمر أي حسن التدبير، والحسبة مصطلح من مصطلحات القانون الإداري، معناه الحساب أو وظيفة المحتسب، ثم اكتسبت الكلمة معنى خاصا وهو الشرطة، ثم أصبحت تدل على الشرطة بملوكة بـ «تكون» والاحتساب بمعنى الحسبة نظام إسلامي شأه الإشراف على التزامات العامة، وتنظيم عقلية المسلمين وهو اليوم من اختصاصات الهيئة العامة والشرطة، كما أنها وظيفة دينية منه قضائية تقوم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كانت الحسبة بعد بدر التمهيد التي سجل فيها الوقائع والموافقات وتداول فيها تركيزات النساء وأموالهم، كذلك فقد تضمنت نطق الحسبة للدلالة على الموافقين والمكفيلين
- نعميد راجع: ابن الأثير - معالم القرية في أحكام الحسبة، ص ٢٢ - ٢٤
- (٢) سورة الحج، آية رقم (٤١).
- (٣) مهم مصطفى أبو زيد - الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى بداية العصر المملوكي، تهذيب المصرية لعلمه للكتاب، ١٩٨٦ - ص ٧٥

[أ] كتاب تهفة القرية في طلب الصبة للشيرازي<sup>(١)</sup>، وقد عُدَّ هذا الكتاب أساساً لما قد ألف من بعده خلال ما عرضه منصوص خاصة بمهام المحتسب الاقتصادية، الذي كان - ولا بد - للمحتسب أن يكون ملماً بها، كما أنه كان ملماً بجميع أوجه النشاط الاقتصادي الخاصة بأرباب الحرف، والمهنة، وكذلك العملة، والأسعار، والموازن، والمكايين، وغيره، وقد عاصر الشيرازي آخر عصر الفاطميين؛ لذلك لُفِدَ البحث بالكثير من المعلومات الاقتصادية والاجتماعية التي تقيد البحث. كما أوضح بياناً مفصلاً عن أصحاب الحرف في القاهرة، والفسطاط، وما على المحتسب من تمجيز السلع، ومنع الغش في العملة، وبمقاربة ما ذكره الشيرازي بما يجب أن يكون، وبما كان كذلك من بعض مظاهر الفساد التي حالت عن المحتسب نفسه، وكذلك الشريعة الإسلامية

[ب] وكذلك كتاب 'معالم القرية في أحكام الصبة' لابن الأخرى، الذي لم يترك صلاً إلا حدد ولجئته ونظامه، وما يترتب على المحتسب من مسطرة، وتحقيق فيه؛ لذلك فقد كان لهذا المؤلف فائدة شتى في الحياة الاجتماعية في الإسلام، وتقليدها. فكان أوضح دليل على ما كانت عليه العادات، والتقليد في ذلك العهد. ومن الجدير بالذكر أن المحتسب ظل يؤدي وظائفه في مصر الإسلامية حتى عام ١٨٠٥ م.<sup>(٢)</sup>

### كتاب الخراج العربي الحديث.

لقد اعتمد الباحث على العديد من المراجع العربية الحديثة التي لاخرت بالعديد من المعلومات والاستنتاجات، وقد تعددت هذه المراجع من حيث اهتماماتها في التركيز على جانب بغيره من الجوانب المختلفة للحياة في مصر الفاطمية، ومن هذه المراجع :

(١) الشيرازي [عبد الرحمن بن نصر] : تهفة القرية في طلب الصبة، نشر السيد الباز العربي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥ م - ١٩٤٦ م.

(٢) ابن الأخرى : معالم القرية في أحكام الصبة، ص ٤١.

كتاب د/ عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين<sup>(١)</sup>، فهو من الكتب المفيدة التي ساعدت في البحث خلال تلك الفترة التاريخية، وقد تم الاستفادة منه في دراسة الجوانب الإدارية، والقضائية في العصر الفاطمي، مما ساعد على توضيح العديد من الأمور لخدمة هذا البحث.

وكذلك مؤلفات د/حسن إبراهيم حسن "الفاطميون في مصر، وأعمالهم السياسية، والدينية"<sup>(٢)</sup>، وكذلك كتاب تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب، ومصر<sup>(٣)</sup>، فكان لهما من الأهمية في البحث، حيث تتبع تاريخ الفاطميين في المغرب، ومصر، وكذلك نظمهم السياسية، والدينية.

ومن أهم المراجع التي اعتمد عليها الباحث أيضاً مؤلفات د/ عبد المنعم مازد، والتي تناولت العديد من مظاهر الحياة على اختلافها في الدولة الفاطمية، فكان كتاب "نظم الفاطميين ورسومهم في مصر"<sup>(٤)</sup> بهزئيه، حيث تحدث في الجزء الأول عن كل ما يتعلق بالنظم الفاطمية من الإمامة، والوزارة، والإدارة، وكذلك النظم الدينية، والحربية، أما الجزء الثاني فقد تحدث فيه عن نظام القصر، والبلد، والرسوم، ولأعياد على اختلافها، فكان مادة علمية زاهرة أفادت الباحث كثيراً. وكذلك كتابه "الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه"<sup>(٥)</sup>، والذي قام فيه بشرح المدافع عن الحاكم بأمر الله، وتصرفاته، فضل الجبهة المعارضة لعدد من المؤرخين الناقمين على الحاكم بأمر الله وتصرفاته، وكتابته للجمهور.

(١) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، ط١، دار الفكر العربي، ١٣٦٧هـ / ١٩٤٨م.

(٢) حسن إبراهيم حسن - الفاطميون وأصقلم السياسية والدينية، الطبعة الإمبرية، القاهرة، ١٩٣٦م.

(٣) عبد المنعم مازد - تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٨م.

(٤) عبد المنعم مازد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، جزء من ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م، ١٩٨٥م.

(٥) عبد المنعم مازد : الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه، القاهرة، ١٩٥٩م.

الخلافة الفاطمية، ومخطوطها في مصر (التاريخ السياسي)<sup>(١)</sup>، والذي أُنشأ بشكل كبير في استقاء الحيد من المطومات المهمة للبحث.

كذلك مؤلفات الدكتور / محمد جمال الدين سرور، "الدولة الفاطمية في مصر"<sup>(٢)</sup> والذي تناول أهم الأحداث التاريخية للفاطميين في تلك الفترة، وكذلك كتابه "سياسة الفاطميين للخارجية"<sup>(٣)</sup>، والذي يحدث فيه عن علاقة الفاطميين بغيرهم من الدول الخارجية، وما طرأ عليه من تغيرات نتيجة ضعف الدولة الفاطمية. وأيضاً كتابه "تنقوذاً للفاطمي في بلاد الشام، والعراق"<sup>(٤)</sup> في القرنين الرابع، والخامس بعد الهجرة.

كذلك كتاب "الدولة الفاطمية في مصر" للدكتور / أيمن فوزي سيد<sup>(٥)</sup>، والذي تناول فيه تاريخ الدولة الفاطمية بشكل جديد، حيث تناول نقاطاً عديدة، وقد تحدث فيه أيضاً عن نظم الفاطميين، وحضارتهم، وكان من قمرراجع المهمة للدراسة.

كما اعتمدت أدراسة على تحديد من الكتب التي اهتمت بأهل الذمة في مصر، سواء كان ذلك في العصر الإسلامي بصفة عامة، أو في العصر الفاطمي بصفة خاصة، وقد تم الاستفاد من هذه الكتب في معرفة القيود والاجتماعية التي فرضت على أهل الذمة، أو التسامح الذي منحوا إياه في فترة محل الدراسة، كذلك الأعيان، والاحتفالات الخاصة بهم، ومن هذه الكتب : كتاب الدكتور/ فاطمة محمد عامر "تاريخ أهل الذمة

---

(١) عبد المنعم منجد : ظهور الخلافة ومخطوطها في مصر (التاريخ السياسي)، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

(٢) محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٤م.

(٣) محمد جمال الدين سرور : مرجع السابق، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

(٤) محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين الخارجية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.

(٥) أيمن فوزي سيد : الدولة الفاطمية في مصر تصور جديد الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.

في مصر الإسلامية<sup>(١)</sup>، وكتاب الدكتور / سلام شافعي : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول<sup>(٢)</sup>، وأهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي<sup>(٣)</sup> (٤٦٧ - ٦٤٨ هـ / ١٠٧٤ - ١٢٥٠ م)<sup>(٤)</sup>، وكتاب الدكتور / قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى<sup>(٥)</sup>، وكتاب اليهود في مصر<sup>(٦)</sup>، وكذلك كتاب الدكتورة / سيدة إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة<sup>(٧)</sup>.

كذلك هناك الكثير من المراجع المهمة للبحث في الحياة الاقتصادية في عهد الفاطميين، والتي اعتمد عليها الباحث في معرفة الحياة الاقتصادية، من زراعة، وصناعة، وتجارة، وكذلك ما يتعلق بالأملاك الاقتصادية، والمجاعات مع ذكر أسبابها، وبذلتها، وكذلك السياسة النقدية التي اتبعها الفاطميون مع المصريين، ونظام القبالة، والصمدن، مما كل له أثره الواضح على البحث. ومن هذه الكتب : كتاب د/ أحمد السيد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية : أسباب، ونتائج<sup>(٨)</sup>، وكتاب الدكتورة / أمينة الشوربجي : رؤية الرحالة المسلمين للأحوال

(١) فاطمة محمد عامر : تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)، ١ - ٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠ م.

(٢) سلام شافعي : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، عدد (٧٥)، ١٩٩٥ م.

(٣) سلام شافعي : أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الثاني والأيوبي : دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢ م.

(٤) قاسم عبده قاسم : أهل الذمة في مصر في العصور الوسطى (دراسة وثائقية)، ط٢، دار المعارف، ١٩٧٩ م.

(٥) قاسم عبده قاسم : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الفتح الفرنسي، ط١، دار الفكر للترجمات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢ م.

(٦) سيدة إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الذمة، سلسلة تاريخ المصريين، عدد (٧٥)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ م.

(٧) أحمد السيد الصاوي : مجاعات مصر الفاطمية : أسباب ونتائج، ط١، دار المصنفين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨ م.



المالية، والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي" (٢٥٨ - ٢٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)<sup>(١)</sup>، وكتاب الدكتور / راشد البراوي "حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين"<sup>(٢)</sup>.

كما اعتمدت الدراسة على العديد من المراجع التي تناولت الجانب الاجتماعي في هذه الفترة، والتي تحققت عن طبعات المجتمع، وأعيدده، وتناولت المرأة بشكل خاص، ومن هذه المراجع: كتاب الدكتور / عبد المنعم سلطان "المجتمع المصري في العصر الفاطمي"<sup>(٣)</sup>، وكتاب الدكتورة / نازيمان عبد الكريم أحمد - المرأة في مصر في العصر الفاطمي"<sup>(٤)</sup>، وكتاب الدكتورة / هويدا عبد العظيم رمضان "المجتمع في مصر الإسلامية"<sup>(٥)</sup>.

كذلك استند الباحث في بحثه بمجموعة من كتب القانون الحديثة، والتي أُنشئت في تعريف بظاهرة الفساد، ومفهومها، وكذلك أنواع الفساد، والأسباب، والعوامل المساعدة له، وكذلك الآثار على الفرد والمجتمع. ومن هذه الكتب: كتاب القوام / محمد الأمين البشري "الفساد، والجريمة المنظمة"<sup>(٦)</sup>، وكتاب الدكتور / السيد عوض "الجريمة في مجتمع

- (١) أمية الثوريجي -: الرحالة المسلمين والأحرار الاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة، سلسلة تاريخ المصريين، عدد (٧٢)، ١٩٩٤ م.
- (٢) راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، ط١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٨ م.
- (٣) عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي (دراسة تاريخية وثائقية)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- (٤) نازيمان عبد الكريم أحمد : المرأة في مصر في العصر الفاطمي، سلسلة تسريع المصريين، عدد (٦٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢ م.
- (٥) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٦ م.
- (٦) محمد الأمين البشري : الفساد والجريمة المنظمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٧ م.

متغير<sup>(١)</sup>، وكتاب الدكتور / مصطفى عبد المجيد كاره / مقدمة في الانحراف الاجتماعي<sup>(٢)</sup>، وكتاب الدكتور / محمد عاطف عيث / المشاكل الاجتماعية، والسلوك الانحرافي<sup>(٣)</sup>، كذلك كتاب الدكتور / فرانسيس هينسون المرأة والجريمة<sup>(٤)</sup>، وكتاب الدكتور / لاكوم / تفاسد<sup>(٥)</sup>، وغيرهم.

كما استفاد الباحث من بعض الرسائل العلمية في بحثه هذا، ومنها رسالة الدكتور / حسن إبراهيم رويل / الفساد الإداري وعلاقته بالتغير الاجتماعي<sup>(٦)</sup>، حيث سلط الضوء على أوجه الخلل الإداري في الدولة، وفساد الإداريين، وأنواعه، وكذلك طرقه، وعلاقة هذا الفساد بالتغيرات الاجتماعية، وعلى الرغم من أن هذه الدراسة تتعلق بالعصر الحديث، فإنها تلمتعت وموضوع الدراسة. وكذلك رسالة الدكتور / عصام أنور جمعة / الآثار الاجتماعية لجريمة البغاء ودور الرعاية اللاحقة في مواجهتها من منظور الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية<sup>(٧)</sup>، وكذلك

(١) السيد عوض : الجريمة في مجتمع متغير، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠١م.

(٢) عبد المجيد كاره : مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإمام العيني، بشتون تاريخ.

(٣) محمد عاطف عيث : المشاكل الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفية للفارسية، الإسكندرية، ١٩٨٢م.

(٤) فرانسيس هينسون : المرأة والجريمة، ترجمة ريمون حنين إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٩م.

(٥) لاكوم : تفاسد، ترجمة سوزان خليل، ط١، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

(٦) إبراهيم رويل : فساد الإداري وعلاقته بالتغير الاجتماعي، دراسة سوسيولوجية سوسيولوجية في المجتمع المصري فترة ما بعد ١٩٧٠م، تيسر لإشراف د/ سامية محمد جابر، د/ عبد الله محمد جابر، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

(٧) عصام أنور جمعة : الآثار الاجتماعية لجريمة البغاء ودور الرعاية اللاحقة، تحت إشراف : د/ سهير محمد خيري، ود/ إيهام محمد راشد، جامعة حلوان، غير منشورة، ٢٠٠٥م.

رسالة الماجستير للباحث / هشام عبد القادر عطية "إقليم الحوف العربي  
البحيرة حاليًا" في العصر الفاطمي دراسة سياسية وحضارية من الفترة  
(٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)<sup>(١)</sup>، والتي تعرضت للعديد من  
الأحداث السياسية محل الدراسة والتي أفلتت للبحث.  
رابعاً المراجع الأجنبية:

- Lane-Pool, Stanley.  
A History of Egypt in the Middle Ages.
- Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem.
- O'Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate,  
London.
- Mann (J) : The Jews in Egypt and Palestine Under  
the Fatimid Chaliphs, Oxford.

لقد استلذ الباحث كثيراً من هذه المراجع الأجنبية، والتي حملت  
وجهة نظر أخرى بجانب المراجع والمصادر العربية المغربية منها  
والشرقية حتى تتاح للباحث القدرة على الحكم الجيد، وقد أسهبت هذه  
المراجع في ذكر الأوضاع الاجتماعية التي عاشها الفاطميون وحالات  
البدخ، والفرف التي صحت أرجاء قصورهم، كما أوردت وصفاً لعمد من  
مناحي الحياة السياسية، والإدارية، والاقتصادية، واللافت للنظر أنها  
جاءت في معظمها مطابقة لما أوردته المصادر، والمراجع العربية، وقد  
تناول O'Leary وصف مظاهر البدخ، والفرف التي رآها عند زيارته  
لبيت المقدس، وكذلك ذكر Mann حياة الجوارح، وبعض المظاهر  
الاجتماعية، واتفق المؤلفان مع ما أوردته المقريزي في كتابه "الاعان  
الحلدا"، وكذلك الغنط كما هو مبين داخل متن الرسالة.

---

(١) هشام عبد القادر عطية : إقليم الحوف العربي "البحيرة حاليًا" في العصر الفاطمي،  
دراسة سياسية وحضارية في الفترة (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ / ٩٦٩ - ١١٧١ م)،  
بحث إشراف : أد / عصام الدين عبد الرؤوف فتحي، وأد / علي أحمد السيد،  
ود / أحمد محمد إسماعيل الجمال، جامعة الإسكندرية، فرع دمهور، ١٤٢٩ هـ  
/ ٢٠٠٨ م.

وهضلاً عن هذه المجموعة من المصادر، والمرجع المشار إليها داخل هذه الدراسة النقدية، فهناك العديد منها مثبت في قائمة المصادر والمرجع في نهاية الرسالة تم الرجوع إليها بشكل متفاوت، وعلى حسب احتياج الدراسة وفقاً لأهمية كل منها، حيث تمت الإشارة إليها في موضعها داخل الرسالة.



**الفصل الثاني**  
**مظاهر الفساد في مصر الإسلامية**  
**من الفتح العربي حتى قيام**  
**الدولة الفاطمية**  
**(٢٠ - ٣٥٨ هـ / ٦٤١ - ٩٦٩ م)**

أولاً : تعريف ظاهرة الفساد وبعض من أنواعه.

ثانياً : بعض مظاهر الفساد في مصر الإسلامية قبل العصر  
الفاطمي.



## أولا تعريف ظاهرة الله الصاعدة

مما لا شك فيه أن الإيمان لاجتماعي بطبيعته، لا يستطيع العيش إلا  
حالات مجتمعات بشرية يتفاعل معها، ويتأثر بها، ويعتمد على بني جنسه؛  
لكي يتمكن من الاستمرار في حياته، وتحقيق رسالة الله على أرضه، لا  
وهي إعمالها، خير أن هذا الإصرار لم يكن ليتم إلا بوزع يدفع بعض  
الناس عن بعض، وذلك لما في غرائزهم الطبيعية من ظلم وعبدان<sup>(١)</sup>،  
وقد يختلف هذا الوزع باختلاف الزمان والمكان، غير أنه قد يتمثل في  
تشريع إلهي، أو نص قانوني، أو سلطة بعينها، وفي كثير من الأحيان  
يتمثل هذا الوزع في تلك القوة الخفية الخارجة من الإيمان نفسه والتمثلة  
في "السلوك"<sup>(٢)</sup>.

وقد قام علماء الاجتماع بتقسيم السلوك البشري إلى نوعين،  
أحدهما سويّ : وهو ذلك السلوك الذي يتوافق مع معايير، وقيم المجتمع  
المتعارف عليها، والآخر منحرف وهو الذي لا يتوافق مع تلك المعايير  
والقيم، غير أن ثمة احتلافاً بينهم يتحصر في التقدير والدرجة، بالسلوك  
الذي يعد سويّاً في مجتمع ما يشكل سلوكاً منحرفاً في مجتمع آخر،  
والسلوك الذي كان معرفاً في الوقت الماضي قد يكون سويّاً في الوقت  
الحاضر، إذاً فإن تحديد السلوك السوي من بقية بعد قضية تختلف نسبياً  
من مكان إلى آخر ومن زمان إلى آخر طبقاً للمعايير المعمول بها في هذا  
المكان وذلك للزمان، ولكن هذا لا يعني أن لثقافة العالمية العظمى من  
الناس في رذيلة معينة يجعل من هذه الرذيلة فضيلة مهما اختلف الزمان  
والمكان.<sup>(٣)</sup>

---

(١) ابن خلدون أولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المصري الأندلسي :  
المقدمة، ج ١، تحقيق : علي عبد الواحد وافي، دار النهضة المصرية، القاهرة،  
١٩٧٩م.

(٢) محمد عاطف عيت : المشكلات الاجتماعية والسلوك الانحرافي، دار المعرفة  
الجمعية الإسكندرية، ١٩٨٢م، ص ٧.

(٣) السيد عوض : الجريمة في مجتمع متغير، المكتبة المصرية الإسكندرية،  
٢٠٠١، ص ١٠٢٩.



وتعد ظاهرة الانحراف السلوكي ظاهرة من الظواهر التي ترتبط بكافة المجتمعات والأمم، توجد في كل المجتمعات كما أنها لم تقتصر على طبقة اجتماعية معينة دون الأخرى لدخل المجتمع الواحد، فلم يكن الفقر في ذاته مصدراً من مصادر الانحراف السلوكي، في حين لم يكن الثراء مصدراً للفضيلة، بل في كثير من الأحيان يكون الثراء أسوأ أثراً من الفقر وهذا ما أشار إليه في نظريته "النظرية الاقتصادية" التي تشير إلى أن الإجرام لا يعود إلى الفقر أو الثراء، غير أنه يؤكد على أن الهبوط المفاجئ نحو الفقر، أو الصعود المفاجئ نحو الثراء هما الدافعان الحقيقيان وراء ظهور ظاهرة الانحراف.<sup>(١)</sup>

كذلك ظاهرة الانحراف السلوكي لم تقتصر على نوع دون آخر، حيث لم يستطع الرجل بقوته أن يفرد تلك الظاهرة متجاهلاً دور المرأة، فقد اختلفت الصورة التقليدية للتدعيم التي أخذت عن المرأة والتي أحاطت بها بسياج حصين يتمثل في طبيعتها البيولوجية التي تعرض عليها نوعاً معيناً من الجرائم دون غيره، وكذلك المعادلات، والتقاليد التي كانت تكف حائلاً بينها وبين الانحراف، (غير أن هذه النظرة قد تغيرت بشكل يجعل المرأة تكف حائلاً بينها وبين الانحراف)، غير أن هذه النظرة قد تغيرت بشكل يجعل المرأة تخرج من حصانتها إلى المجتمع العادي الذي تعيش فيه، وتتساوى بالرجل حيث أصبحت المرأة قادرة على ارتكاب جميع الجرائم دون استثناء، وببراعة.<sup>(٢)</sup>

وهناك شبه اتفاق على أن الفعل المنحرف قديم قدم الإنسان نفسه، حيث عكس ظاهرة اجتماعية تلتزم مع وجود الإنسان على الأرض، وتمثلت هذه الظاهرة أول ما تمثلت في قتل هابيل لأخيه هابيل ففسر أول

(١) رمسيس بهام : الجريمة والمجرم في الواقع الكسوبي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ١٣٩ السيد عومن - مرجع سابق، ص ٩

(٢) هانس هينسون : المرأة والجريمة، ترجمة : بهام حسين إبراهيم، المجلس الأعلى للقانون، ١٩٩٩، ص ٨، ٩، مهدي لطفي : فتوة الجرائم الاقتصادية المستمدة من ٢٠ - ٢١ أبريل، ١٩٩٣، ج ١، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٢

سوك إجرامي عرفته البشرية، ثم أخذت تلك الظاهرة في النمو والتطور فتوَّعت أشكالها وكذلك لغات مسمياتها. (١)

وبعد الفساد شكلاً من أشكال هذا الانحراف الذي تعددت تعريفاته بعدد أنواعه ومجالاته (٢)، وقد زخر مصطلح الفساد في اللغة العربية بالثراف والتعدد في تعريفاته، فالكلمة مصترع، قلعلها فسد ويقال - فسد الشيء فسد فسناً، وفسناً (بضم فسین) فهو فسين، (٣) والفساد نقصان الصلاح، والفسدة هي الضرر ويقال : استفسد الشيء أي عمل على أن يكون فساداً وتفايد القوم أي تباعدوا وقطعوا أرحامهم (٤)، أما فيعرف الفساد على أنه القصور الأخلاقي عند الأثرک الذي يجعلهم غير قادرين على تقديم الإنترامات الذاتية المجردة التي تخدم المصلحة العامة، وهو كذلك يعد انتهاكاً لمبدأ النزاهة. (٥)

كما أن هناك العديد من أنواع الفساد المتعارف عليها بين الباحثين والمفكرين وهي جميعاً تشترك في كثير من الصور، والأشكال المعروفة في الشريعة الإسلامية، والورود ذكرها. في القرآن الكريم (٦)، فقد عرفت

(١) مصطفى عبد المجيد كاره : مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد لإتمام العربي، ص٤٤٩.

(٢) لاکوم : الفساد، ترجمة : موازين خليل، ط١، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٥٢٧.

(٣) الربري . إسعد بن أبي مکر حید ثقاتر، مختار الصحاح، ترتيب محمود خطره دار الكتب المصرية، القاهرة، باب (ف.ح.د).

(٤) ابن منظور . جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط١، المجلد ثلثاثلث، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار صادر، بيروت، ١٩٩٠، باب (ف.س.ن.د)، إر لاجم فیس وآخرون، المعجم الوسيط، ج٢، ط٢، باب الفاء

(5) Merriam Webster Dictionary - Definition Corruption.

(٦) لفظ الأيات : البقرة (١١، ٢٧، ٣٠، ٢٠٥، ٢٥١)، آل عمران (٦٣) المائدة (٣٣، ٦٤)، الإسراء (٤)، قمل (٨، ١٤)، الأصراف (٥٦، ٥٨، ٨٦، ١٠٣، ١٤٢)، غافر (٢٦)، شعراء (١٥٢، ١٨٢)، النعکوت (٣٠، ٢٦)، صر (٢٨)، الروم (٤١)، یونس (٤٠، ٨١، ٩١)، الأنفال (٧٣)، القصص (٤، ١١، ٨٣)، الأنبياء (٢٢)، هود (٨٥، ١١٦)، المؤمنون (٧١)، النحل (٨٨).

الشريعة الإسلامية للفساد على أنه "المعصية" أو العمل بها وحدث كل من عصي الله على أمره أو أمر بمعصيته فقد أفسد فيها والفساد هنا يحسب العمل بما نهى الله عنه، إذا فإن كل خروج عن الألقون الإلهي يعد فسداً من الناحية الشرعية، وتتجسد صور هذا الفساد لتظهر في قتل النفس، ولكل مال اليتيم، وكل للرباء، وقنف المحصنات، وشهادة الزور، ومزب الخمر، والرشوة، والمزقة، وغير ذلك الكثير مما حرم الله تعالى، ونتيجة لكل ما سبق يظهر للتخص ويقل الضعام وتذهب البركة، وينتشر العلم في كل مكان، ومثلما حددت لنا الشريعة الإسلامية بعضاً من مظاهر الفساد على الأرض، حددت لنا أيضاً طريقة للتخلص منه والتي أجملتها في "الطاعة"، والبعد عن المعصية، كما حددت لنا أيضاً العقاب والذي تمثل في الحد، أو القصاص، أو الذية، أو التفرير حسب نوع، وعجم المعصية. (١)

أما اللقون فبالرغم من أنه لم يصرح لنا "لفظاً" بكلمة الفساد في تشريعنا، إلا أنه عد كل فعل يتعارض مع السلوك الطبيعي للإنسان، ويسبب خرقاً، أو تهديداً لقيم المجتمع ومصالح أفراد جريمة يعاقب عليها المشرع من واقع القوانين المعمول بها. حيث أكد على أنه لا جريمة بدون نص قانوني، فالجريمة إذا من الناحية القانونية تعد صورة أخرى من صور الفساد على الأرض طالما يشكل صورة من صور عدم الانضباط، والعنوانية، والفجور (٢)، غير أننا إذا نظرنا للفساد نجده لفسل، وأعم من

---

(١) الحبري : (إلى جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غلب الأمل)، جامع البيل في تفسير القرآن، ج ١، ط ١، تحقيق: أحمد محمد شكل، مؤسسة الرسالة، اسكندرية المصرية، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص ٥٠ - ٥١، ص ٥٨ - ٦١، إبراهيم عبد الله رفيدة وآخرون : معاني القرآن الكريم، تفسير لسوي مسو، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط ١، ليبيا، طرابلس، ص ١٠٠ (٢) سليمان عبد المععم سليمان : أصول علم الإجرام اللقوني في إشكالات بأصبي علم الإجرام، التظيل الوصفي لظاهرة الجريمة، التظيل التفسيري لظاهرة الإجرام، دار الجامعة الجديدة، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٥٩، ٦٠.

الجريمة، فهذه الكثير من السلوك المنحرف الذي يشكل انتهاكاً للمبادئ الأخلاقية لا يعدو المشرع جريمة، كما أنه ليس من الضروري أن تكون جميع الجرائم متناقضة مع المبادئ الأخلاقية.<sup>(١)</sup>

وعلى الرغم من ذلك فلم يتعرض المشرع لتعريف الجريمة تعريفاً دقيقاً واضحاً، واكتفى بذكر أنواعها؛ حيث قسمها من حيث الخطورة، وكذا العقوبة إلى جرائم جنائية، وجرائم مدنية، وأخرى تأديبية<sup>(٢)</sup>، وقد ظل الكثير من السلوك المنافي للأخلاق خارجاً عن نطاق العقوبة القانونية إلى أن جاءت المادة الثامنة من المذقية الأسس المتحدة لمكافحة الجريمة المنظمة، والتي تم اعتمادها ٢٠٠٢م بتجريم كل أنواع الفساد، ووضعته تحت طائلة القانون، ومن ثم عد كل فعل منافي للأخلاق السوية جريمة يعاقب عليها<sup>(٣)</sup>، ولمزيد من الإيضاح سيتم التفرع بالبحر على أبرز أنواع ذلك الفساد.

#### ٢.١ الفساد السياسي:

يرجع بعض الباحثين قضية الاتحرف بشكل عام إلى العامل السياسي؛ حيث إن تعريف الاتحرف ذاته يرتبط بأهداف إستراتيجية هي في أساسها سياسية<sup>(٤)</sup>، وقد عرف الفساد السياسي على أنه جميع الممارسات غير المشروعة الناتجة عن صانعي قرار سياسي - منفردة - الذين يستندون على الأسس للشرعية والقانونية للسلطة التي يرتكزون عليها؛ وذلك لتحقيق أهداف شخصية أكثر من تلك التي أنشئت لهم، لمصلحة

(١) محمد خلف - مبادئ علم الإجرام، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، طبع بحرية الحرية الثانية، ١٩٨٦، ص ٢١، ٢٢.

(٢) المادة الخامسة من قانون العقوبات المصرية رقم (٥٨) لسنة ١٩٣٧م، النواحي المصرية، العدد رقم (٧١) الصادر في ١٩٧٣/٨/٥م.

(٣) محمد الأمين بشري: الفساد والجريمة المنظمة، جامعة نايف للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٧، ص ٥١.

(٤) سامية محمد جابر: الاتحرف الاجتماعي بين نظرية علم الاجتماع، دار الاجتماع، دار المعرفة العلمية، الإسكندرية، ٢٠٠٠، ص ٥.

تم تقديم المصالح الخاصة لصناعي القرار من المصلحة العامة لبقاى أفراد المجتمع كلى هذا دليلا على وجود الفساد السياسى الذى اتخذ لقب "فساد القمة" أو "فساد القوة" (١).

ومن هذه القوة تبتق قوة أخرى، تعتمد على تلك الصفة السياسية وتسمى بالسلطة المشتقة، وهي على صلة وثيقة بالقوة سابقة الذكر، هذا الأمر الذى يتيح لها القيام بالعديد من الأفعال المنحرفة، كذلك يتسبب بها فترة التستر عليه رغم مخالفته للقانون، وقد تمثل هذه الفئة في الرئيس، والنظار، والحجاب، وغيرهم من المقربين للسلطة العظمى، ويتكون فساد "القوة" ونظيرتها المشتقة - فساد السياسى - في عدة صور، منها: «تخصاب سلطة سياسية بكل طرقها المشروعة، وغير المشروعة، والوساطة، والمحسوبية، وسرقة الأموال العامة، والاستبداد بالقرابة، والابتزاز، ومحاباة الأقارب، والظلم، والاضطهاد لغة بعينها» (٢).

#### ٢٦. الفساد الإدارى.

لا يختلف الفساد الإدارى كثيرا عن الفساد السياسى، اللهم إلا في مركبيه، وموقعهم الوظيفى، فهما تقوم السلطة العليا، والسلطة المشتقة منها بأعمال منافية للقانون، والأخلاق في مجال سلطتها ويسمى هذا استادا سياسيا، يقوم أيضا موظفو الحكومة بالدور نفسه، لكنه على نطاق أقل في التأثير والثأر، حيث يقوم الموظف في وظيفته العامة، أو الخاصة باستغلال سلطته الإدارية، وما لديه من سلطات تعود عليه، وتكفر هذه الطرق من موظف إلى آخر فتذكر منها، طلب الرشوة، والاختلاس،

(١) دهام محمد أبو مور . التحولات الاجتماعية وظاهرة الفساد في المجتمع المصري دراسة اجتماعية على أبعاد الظاهرة وتناولها الإعلامى، رسالة دكتوراه، تحت إشراف : عبد القادر محمد وفي. وحيد سيد أحمد خليف، جامعة طنطا، ٢٠٠٣، غير منشورة، ص ٤٤ Ronzld, Khitguard, Lesparess, CH, ٢٠٠٣, p. 2.

(٢) مبرور لطفي : ندوة الجرائم الاقتصادية ص ٢٩؛ عبود السراج : قانون العقوبات، القسم العلم، جلسة دمشق، ص ١٧٣.

والاحتيال، وقبول الهدايا، والتلاعب الوظيفي، وما إلى ذلك من الأعمال المخلة بالشرف، والأخلاق، والفتن. (١) وربما يجانبنا تصواب إذا قلنا : إن الفساد السياسي هو فسد الصفوة، أو السلطة، والفساد الإداري هو فساد صغار الموظفين في وحدات الدولة المختلفة، وأن انفصال الودعيات الإدارية العليا عن الأعمال غير المشروعة مع عدم تعرضها للعقوبات العائدية الواجب في مثل هذه الحالات، يؤدي بالضرورة إلى ازدياد تلك الأعمال في المستويات الإدارية الدنيا.

## [٢] تعريف اقتصادي

يقصد بالفساد الاقتصادي كل ما يمس الاقتصاد بصفة عامة، ويلحق به ضرراً مباشراً، أو غير مباشر، أو يتسبب في تهديد النظام الاقتصادي، ويرى البعض أن العوامل الاقتصادية السيئة هي أساس انتشار ظاهرة الفساد، وعلى الرغم من أن المال هو عصب الحياة على الفقر والحاجة إلى المال، والظروف الاقتصادية السيئة عجزت أن تكون الدافع الوحيد لارتكاب الجريمة الاقتصادية، ويؤكد رمسيس بهنام أن الجريمة الاقتصادية ليست رهبة تصبغ الظروف الاقتصادية السيئة بقدر ما يكون الاستمرار في تلك الظروف هو السبب القوي لذلك، ولم تقتصر الجرائم الاقتصادية على حد العدول على المال فقط (السرقة والنصب)، بل إنها شملت أيضاً القتل، الضرب، والتمس التجاري، وفرض المدرم البهفلة، وتزوير العملة، واحتكار السلع الغذائية وقت الحاجة، وإهمال شؤون البلاد الاقتصادية، وغير ذلك من الجرائم التي تسير بالمجتمع إلى عالم المجاعة، والثورات. (٢)

(١) حسين إبراهيم زويل : الفساد الإداري وعلاقته بالتغيير الاجتماعي دراسة موسيولوجية في المجتمع المصري فترة ما بعد ١٩٧٠، رسالة دكتوراه، قدمت بإشراف - سنية محمد جابر، عبد الله محمد جابر عبد الرحمن، الإسكندرية، ٢٠٠٦، غير منشورة، ص ٨٦.

(٢) علي عبد القادر تقيوجي وآخرون : علم الإجرام وعلم العقاب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٢٨، رمسيس بهنام : مرجع سابق، ص ٣٤٢.

#### [٤] الفساد الاجتماعي :

أما الفساد الاجتماعي، فهو المحصلة النهائية لمجموعة الجرائم السياسية، والإدارية، والاقتصادية التي تتفاعل مع بعضها البعض لتخرج لنا فساداً من نوع آخر ينتشر بشكل مريع إلى بقية أفراد المجتمع، والفساد الاجتماعي صورة من صور الفساد الأخلاقي الذي يبدأ بصورة صغيرة من الأفراد، وما يليث أن ينتشر ليعم للمجتمع كله ناشراً أعراضه الجانبية التي تتمثل في سوء الأخلاق، الرذيلة، والتوَلُّعش، وجرائم الاعتصساب، والإتجار في البشر، وانتشار بؤس البقاء، والصراع الطبقي، وكذلك العرقي.<sup>(١)</sup>

لم يتوقف الفساد عند هذا الحد من أنواعه، فهناك العديد من أنواع الفساد الأخرى<sup>(٢)</sup> التي لم يتعرض لها تُلُبعث في تلك لندراسة، وبكسه لكتفي ببلقاء الضوء على بعض أنواعها كـ: السياسي، والإداري، والاقتصادي، والاجتماعي، لظراً لأهمية هذه الأنواع في أي مجتمع ولكي يتضح هذا الأمر بصورة أفضل لابد من دراسته خلال فترة رسمية محددة، لذلك فإننا في الصفحات القادمة سنناول ظاهرة الفساد في مصر الإسلامية زمن الخلافة الفاطمية (٣٥٨ - ٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م)، ولما كُئن الفساد من الظواهر الاجتماعية صبة الجذور التي تلتأ بين لينة وضماها، فإنه سيتم التمرس بإيجاز لأهم تلك الظواهر في مصر لبل فترة الدراسة المحددة، وهي فترة الفتح العربي لمصر وحتى نهاية الدولة الإخشيدية (٢١١ - ٣٥٨هـ).

- 
- (١) محمد الأمين البشري : فساد والجريمة المنظمة، ص٥٥٠، عاصم أنور جمعة .  
الأنار الاجتماعية لجريمة البقاء ودور الرعية اللاحقة في موانعتها من منظور  
للممارسة العامة للخدمة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، تحت إشراف سهر  
خير، فبفلم محمد رائد، جامعة طوان، غير منشورة، ٢٠٠٥، ص١٨٠  
(٢) أنواع فساد الأخرى : مثل الفساد الأخلاقي، الفساد الفصلي، للمريد، راجع  
محمد الأمين البشري، المرجع السابق، ص٤٧.

خرجت الدولة الإسلامية من نطاقها الضيق البسيط المتمثل في شبه الجزيرة العربية بفضل الفتوحات الإسلامية لتشمل العديد من الدول، و الأقطار، مثل العراق، والشام، ومصر، وأفريقية فتحوّلت من دولة المدينة البسيطة إلى دولة كبيرة ممتدة الأطراف تضم العديد من العواصم الاجتماعية المختلفة، هذا الأمر الذي أدى إلى حتمية تطوير نظم الحكم، وربما تغييره، ولما كان الاختلاف سمة من سمات التطوير، والتغيير فقد ظهرت العديد من مظاهر الفساد المختلفة التي اتخذت أشكالاً عدة تنوعت، واختلفت من ولاية لأخرى داخل الولايات الإسلامية التابعة لدولة الخلافة، وعلى رأسها مصر. (١)

وقد انقسم تاريخ مصر الإسلامية منذ أن فتحها العرب المسلمون (٢٠ هـ / ٦٤١ م) حتى بداية الخلافة الفاطمية (٣٥٨ هـ / ٩٦٨ م) إلى مرحلتين متساويتين، تبدأ الأولى من الفتح العربي، وتستمر حتى قيام الدولة الطولونية، وفيها كانت مصر مجرد ولاية تابعة للخلافة الأموية ثم العباسية، يحكمها وال من قبل الخليفة، لذلك عرفت تلك الفترة بعصر الولاية (٢٠ هـ - ٢٥٤ هـ)، أما الفترة الثانية فقد امتدت فيها مصر لأول مرة بشخصية مستقلة لا يربطها بدولة خلافة سوى العلاقة الروحية للنظام، وفي تلك الفترة قامت للدولة الطولونية (٢٥٤ هـ - ٢٩٢ هـ)، ثم الإخشيدية (٣٢١ - ٣٥٨ هـ). (٢)

(١) إبراهيم أحمد العدوي : تاريخ العالم الإسلامي، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٦٦ م، ص ٣٣.

(٢) ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله) فتوح مصر وأخبارها، تحقيق : محمد صبيح، دار التعارف للطبع والنشر، القاهرة، ١٩٧٤ م، ص ١١٧ على حثي القريوطي : مصر العربية والإسلامية العجيلة والحديثة، في مصر في العصر الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح الفرنسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٤٨.



لم تكن مصر في عصرها الأول - عصر الولاة - بمعزل عن الأحداث التي تنور في حضرة الخلافة، فقد كان لموقعها الجغرافي المتميز، وثروتها المتعددة دوراً في تلك الأحداث، وقد بدأت أولى هذه المشاركات أثناء خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) حيث تمت في عهده الأولى لحركة التطوير، والتجديد، وذلك عندما قام عزل الولاة الأقاليم الذين قد ولاهم الحليفة السابق عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، واتخذ من أقربيه من بني أمية بدلاً منهم، فابتعد بذلك عن مبدأ انشوري الذي اعتادت عليه دولة المدينة من قبل، ولما كان بنو أمية يتطلعون منذ زمن بعيد إلى السلطة، ولحكم فقد سارعوا إلى السيطرة على مقاليد الأمور في ثلثي الولايات الإسلامية، وأخذوا في جمع المال بشتى الطرق المشروعة، وغير المشروعة حتى نالوا الثراء الفاحش، ولما تكاثروا الصياح، وشيدوا القصور، وابتعدوا عن بساطة الإسلام الأولى فانغمسوا في حياة اللهو، والزنا، والمجون، وأخذوا في الأرض مما أثار سخط العامة عيبتهم في كل مكان. (١)

ففي مصر تشدد وأنها عبد الله بن أبي المرح - أبو عثمان في الرضا - في جمع الأموال من الأهالي، وعاملهم بقسوة ليعضوا عليه، ولا سيما في ظل رفضهم لعزل عمرو بن العاص وطيهم السابق، ومن ثم عم الفساد في أرض مصر، وانتشرت الفوضى، والاضطرابات التي أدت في النهاية إلى إشعال نار الثورة التي انتهت بمقتل الحليفة نفسه (٢).

(١) المغربي : إتي اثنين لحد بن علي : الفراع والتفاسم فيما بين بني أمية وبني هاشم، تعليق : صبح الورداني، الهدف للإسلام والنشر، ص ٣١، السيد عبد العزيز سالم : دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٣٣.

(٢) المسعودي . إتي الحصن علي بن الحسين بن علي : مروج الذهب ومسلر الجوهري، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، ج ١، المكتبة العصرية، بيروت، ص ٣٥، ١٣٦ السيوطي : إجلال لتين عبد الرحمن : حصن المحاصرة في تاريخ مصر والقاهرة، ج ١، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ص ٥٨٠.

وعسما تولى علي بن أبي طالب (عليه) الخلافة فلم يعزل هؤلاء الأمويين صراحةً منه أن هذا الأمر مصلح ما قد أقصده هؤلاء القوم، ويهدأ من روع الناس، غير أن هؤلاء القوم بنو أمية - كَوَّنُوا حزباً معارصاً لنحسب نزعهم معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام الذي رفض تكفيد ثقل شعرب، وقد انضم إليه مجموعة من أصحاب الثراء، والمصالح الشخصية للنسب، ظهوراً من عمال، وبدأت حرباً ضروس بين الطرفين كثرت مصر مسرحاً لبعض أحداثها. (١)

عمل معاوية بن أبي سفيان على إثارة شعبة عمال بن عداس في مصر، للمطالبة بنمه مما أدى إلى اضطراب الأمور في مصر، وعمت الفوضى التي أدت إلى ظهور سلسلة من الاغتيالات بدأت بوالى مصر من قبل علي، وهو محمد بن أبي حنيفة، كما عمل معاوية على استخدام المكر، والخديعة لإبعاد والى مصر الجنيد سعد بن عبادة الأنصاري عنها بعد أن فشل في السيطرة عليه فاشاع أن قيس بن سعد قد أعلن الحيفه علي، وتعاون معه ضد علي، وقد لطم معاوية عندما ألت هذه الشائعة بشعره، وقام علي بعزل قيس بن عبادة بعد أن تسرب إليه الشك في إخلاصه، كما لم يتردد معاوية، وحربه في بذل الأموال لمن يضع النسم في السبل لأكثر بن مالك الذي احتلوه على ليكون والياً على مصر، فمات قبل أن يصل إليها، وعندما ساءت الأحوال في مصر، واضطربت أمورها وكثر غسدها، فاستغل معاوية هذا الأمر وبعث عمرو بن العاص على رأس جيش كبير استطاع أن يهزم واليها محمد بن أبي بكر، وبمثل به، ويقتصب مصر من حوزة الخلافة. (٢)

(١) ابن نوري برقي : إجمال الدين أبو المظفر الأتابكي : فتوح القاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة من طبعة دار الكتب مع استكرات وبيانات جامعة القاهرة، ج ١، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، بدون تاريخ، ص ٣٢، سيرة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام دولة فلولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١١٦.

(٢) ابن نوري برقي : فتوح، ج ١، ص ١١٠ - ١١٣، مصر عبد العزيز سالم

كذلك كان لمصر نصيباً من النزاع الذي دار بين الأميين (١٩٣ - ١٩٨هـ)، والمأمون (١٩٨ - ٢١٨هـ) على ولاية العهد ففي ولاية أميين عمت القوضى، والاضطرابات جميع الولايات الإسلامية، ومن بينها مصر التي انقسم الناس فيها إلى فريقين : أحدهما يؤيد الأميين، والآخر يؤيد المأمون؛ كذلك انقسم الولاة أنفسهم بين مؤيد، ومعارض لكل منهم فكثرت فيها الفساد، والاسوأ في ظل تغير الولاة المستمر، ولم يهدأ الأمور في مصر بنهاية هذا الصراع الذي انتهى بمقتل الأميين (٩٨هـ / ٨١٣م)، بل تشتت وطلته عندما انتقلت عنوا إلى الطامعين في مصر الذين سولت لهم أنفسهم بالاستقلال بها بعيداً عن الخلافة، وقد سحر في ذلك إلى حذر بعد.<sup>(١)</sup>

لقد نجح المصري بن الحكم بن يوسف<sup>(٢)</sup> الذي ولي مصر بمساعدة الجند (٢٠٠هـ / ٨١٥م) أن يستقل بالوجه القبلي من مصر، كما استطاع

---

الفاطمات وأثرهما في المجتمع والدولة في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية عصر الدولة الفاطمية (٢١ - ٤٦٢هـ / ٦٤١ - ١٠٧١م)، بحث منشور في ندوة الدكتور / سعد زطوت عبد الحيد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠١١م، ص ١٩، د. محمد عبد القوي أحمد : دراسات في تاريخ مصر الإسلامية، سلسلة تاريخ المصريين، العدد رقم (٢٦٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م ص ٤٨.

(١) ابن تاري بردي : مختصر السليق، ج ٢، ص ١٥٧؛ الجيوشوري (أبو عبد الله محمد بن عبدون) : الوزراء والكتاب، ط ١، تحقيق : مصطفى السيد، مريد، القاهرة، ص ٢٩٠.

(٢) للمري بن الحكم بن يوسف : أصله من بلخ، تولى أمر مصر عام (٢٠٠هـ) أثناء أمر الجيش والزعيم قبيص عليه الجند بأمر من الخليفة وجمعه، عبر أنه استطاع بمساعدة الجند أن يخرج من السجن ويقتح المصريين أنه قد سولى أمر مصر بأمر من الخليفة، ولكن سر على ما عاد النزاع بين المري والجندوي على الاستقلال بمصر. للمري، ولجع : ابن تاري بردي : مختصر سابق، ج ٢، ص ١٦٧، سيدة إسماعيل كاتيب : مصر في فجر الإسلام، ص ١٦٦.

عبد العزيز الجروي<sup>(١)</sup> أن يستقل بشرفي اللذئاء بينما جاءت مجموعة من الأندلسيين<sup>(٢)</sup> وسيطرت على الإسكندرية وكونت فيها شبه جمهورية مستقلة، وقد ظلت هذه القوى الثلاث تتصارع فيما بينها ما يقرب من العشر سنوات توارث فيها لبقاؤهم هذا النزاع، ونفع شعب مصر نفسه، حتى انته المسلمون أخيراً فسارع بإرسال جيش كبير بقيادة طاهر بن الحسن لاستئاع لم يعيدها مرة أخرى إلى حوزة الخلفاء، وبفضي عسي الطامعين فيها، غير أن ثورة الأهالي في مصر لم تهدأ بعد؛ مما اضطر الخليفة المأمون للمجيء بنفسه لتهنئة الأمور سنة (٢١٧هـ/٨٣٢م)<sup>(٣)</sup> ظلت مصر تتأثر سلباً، وإيجاباً بالأحداث الإيجابية التي تدور في حاضرة الخلافة حتى شغل عنها الخلفاء العباسيون بالفتن، والثورات التي أثارها الأكراد، صدهم، وبدأت تماء القصر يتكفل بشكل مباشر في

(١) عبد العزيز الجروي : هو أحد قادة الذين طمحو في مصر مستغلاً انشغال الخليفة بعزبه مع أخيه، إسماعيل بالمري في الحكم في القضاء على أعداءه، مقابل مساعدته في الخروج من السجن، ولكن سرعان ما تغير الأمر وشرع لاثسين على الاستئثار بمصر، حتى جاء طاهر بن الحسن الخليفة من قبل المأمون وخلص مصر من طمع الطامعين فيها، للمزيد، راجع : مدينة إسماعيل كشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٦٢ - ١٦٩.

(٢) الأندلسيين : هم مجموعة من الأندلسيين يبلغ عددهم ١٥.٠٠٠ باستثناء الأطفال والنساء، خرجوا من الأندلس مطرودين زمن الخليفة الحكم بن هشام الرضسي إثر ثورة قاموا بها عرفت بثورة الرضسين بقرطبة عام ١٩٨هـ، غرر فريق منهم إلى بلاد المغرب - مدينة تونس - وفريق الآخر لاحت الإسكندرية إلى أن أخرجهم طاهر بن الحسين، للمزيد، راجع : السيد عبد العزيز سالم في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، مؤسسة شولب الجامعة الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٣٥١ - ٣٥٨؛ مدينة إسماعيل كشف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٣) ابن ميناظيا [محمد بن علي] : القحري في الألب السلطانية وفتح الإسلام، تحقيق : عبد القادر مايو، دار فقه العربي، ١٩٩٧م، ص ٦١؛ القحري [عفي الدين أحمد بن عفي] : الخطط القحيرية المعروفة بالمواضع والاعتبار، يذكر الخطط والآثار، ج ٢، بولاق، ١٢٧٠هـ - ١٢٩٩هـ، لين تحري بردي الدجور، ج ٢، ص ١١٩٢؛ مدينة إسماعيل كشف : المرجع السابق، ص ١٦٩.

تولية، وعزل الخلفاء، وكذلك الولاة مقابل مزينة المال، أو بعض من الهدايا، فأصبحت الولايات الإسلامية تمنح كقطاعات للمقربين إليهم الذين أثروا ثبها بجلب الخليفة حتى يأمنوا المكر، والتمسك الذي تقوم صدهم، وفي ظل هذه الاضطرابات، ولقن استطاع أحمد بن طولون الذي أرسله بالكنك التركي نيابة عنه في ولاية مصر أن يستقل بها بعيداً عن الخلافة، ويؤسس دولة جديدة يحكمها هو، وأنهاؤه من بعده، عزمت بالدولة الطونونية، وقد استمرت هذه الدولة ثمانية وثلاثين عاماً. (١)

وعلى الرغم من تمتع مصر بالازدهار، والتقدم في تلك الفترة القصيرة من عمرها، فإنها لم تنج من لعنة السلطة، وعبث الثراء، حيث خرج العباس بن أحمد بن طولون على أبيه سنة ٢٦٥هـ؛ طمغاً في السلطة، وسقولى على جميع الأموال، والسلاح متوجهاً إلى إفريقيا - تونس الحالية - هو ومجموعة من أصحابه الذين رهبوا له الأمر، وأعلن نفسه ملكاً عليها بعد أن ادعى أن الخليفة قد فوضه في أمرها.

وفي إفريقيا فعل العباس وصعبه بأهلها للحدود من مظاهر التسق، والفساد، فأرسل إليه أحمد بن طولون جيشاً استطاع أن يهزمه، ويعرد به إلى مصر، حيث زج به في السجن بعد أن ضربه بالسياط هو ومن كان معه. (٢)

ثم جاء خماروية بن أحمد بن طولون مفتتحاً عهداً بقتل أخيه العباس وهو في سجنه بعد أن رفض مبايعته، ومن ثم ضمن بذلك عدم منازعته له في الحكم، ثم استدبر على الثروة التي تركها والده؛ لينق مسد دون حساب لشعب مصر، وقد تجلى هذا الإنفاق فيما قد أعد من جهاز

(١) البلى (أبي عبد الله محمد بن أحمد) : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ٢٠٠٢، ص ٤٥، سيدة إسماعيل كانت : أحمد بن طولون، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، بدون تاريخ، ص ١١.

(٢) البلى : سيرة أحمد بن طولون، ص ٢٦، ٢٦٨، سيدة إسماعيل كانت : أحمد بن طولون، ص ١٨.

لابنه قطر الذي تزوجها من الحليفة العباسي المعتضد. هذا الأمر الذي طامع وصغته المصالح العربية بما لا يصدق عقل، والذي أدى بالحرسة المصرية إلى ما لا يصدق عقل أيضاً، حتى قيل : إلى تحليفة العباس أراد بذلك الرغبة بإفكار الخزانة المصرية، وبالفعل لم تستطع الدولة الطولونية البقاء أكثر من عشر سنوات بعد مقتل حملاوية؛ حيث ساعدت الأحوال الاقتصادية، وعمت الفوضى، والاضطرابات، وتنافس المتنافسون على السلطة، وأصبح الجند يتدخلون في تولية، وعزل الخلفاء، فكثر الفساد في الأسرة الطولونية، وبدأت سلسلة أخرى من الاغتيالات السياسية.<sup>(١)</sup>

تولى أبو المصلاي جيش بن حملاوية السلطة، وكان طفلاً صغيراً، أهمل الجيش، والعروة، وانغمس في اللهو، والثراب، ولم يحسن إدارة البلاد، قتل عمه مصر بن أحمد بن طوتون قاتل عليه الجند، وقتلوه، ولهبوا داره، ثم تولى هارون بن خساروية، فقتله عماء شيبان، وعدي، فظل الفساد ينفخ في الجسد الطولوني فطمعت الخلافة العباسية في استعادة مصر إلى حوزتها مرة أخرى، وقد نجح محمد بن سليمان الكاتب في ذلك ودخل مصر على رأس جيش كبير استطاع أن يقضي على ما تبقى من أبطال الدولة الطولونية، ويسمى في مصر فساداً دون رحمة، أو حجل، حيث قام وجنده بنهب الدور المصرية، واستباحة هرماتها، والاعتداء على نساءها، كما أسروا العديد من الرجال، والنساء بعد أن جردوهم من أموالهم، كما أجبروا الناس على الخروج من ديارهم كرهاً، وغير ذلك الكثير من المظالم التي وصفها لنا المقريزي في ملأء مروعة عاشها أهل مصر.<sup>(٢)</sup>

ذلك الوضع في مصر يسير من سيئ إلى أسوأ تحسب ظلم، واستبداد وفساد الولاة العباسيين حتى استقل بها محمد بن طنج الإخشيد،

(١) التكندي - ولاة مصر، ص ٢٤٧، ٢٤٨؛ المقريزي : الخطط ج ٢، ص ٣٢١،

٣٢٢؛ سحر السيد عبد العزيز سالم، فتاخرت، ص ١٣

(٢) المقريزي - الخطط ج ٢، ص ٣٢٢؛ ابن قاري يردى : التلويح، ج ٧، ص ٨٠

وأسس الدولة الإخشيدية التي لم تكن أحسن حفظاً من الدولة الطولونية بمجرد وفاة مؤسسها محمد بن طنج الإخشيد، الذي وقع لفتاء لجنود محمود - ، وعلى فريسة لأطماع كافور الإخشيد معهم وصاحب للوصية عليهم، والذي لم تترأ يداه من تهمة قتلهم تبعاً بالسم لبسراً بالسلطة ذوبهم، وذلك بعد أن سيطر على مقاليد الأمور في مصر، وأصبح الحاكم الفعلي لها، وقد كان كافور هذا محباً للعمل بقليل الرشوة، فهي بهية عهده أحدث النكبات، والكوارث تتوالى على مصر، وكان الطبيعة أرايت أن تغير عن غضبها من ظلم، وفساد الحكام، وبمجرد وفاة كافور انفرط عند الدولة الإخشيدية، وتصارع الطامعون في السلطة، والحكم؛ مما أدى إلى زوال الدولة الإخشيدية كسلطتها، وقيام أخرى على أنقاضها.<sup>١</sup>

## ٢٦ الفساد الاقتصادي

كان الاقتصاد في مصر يعتمد في المقام الأول على الزراعة التي كانت، وما زالت الحرفة الرئيسية لأهلها، وقد اعتمدت الزراعة في مصر على نهر النيل؛ لذلك كان من الطبيعي أن يهتم العرب منذ فتحهم لمصر بمقاييس النيل لمعرفة مقدار الريادة، والنقصان فيه، وعلى هذا الأساس تم الزراعة، وكذلك تقرر نسبة الخراج، وكان وجوب الخراج في مصر يستلزم وصول مقياس النيل إلى ستة عشر ذراعاً، وهو المقدار المناسب الذي يلزم لري الأراضي المصرية حتى تصل إلى حد الاستكفاء، فإن راد عن ثمانية عشر ذراعاً أدى ذلك إلى حدوث فيضان، وبالتالي غرق الأرض الزراعية، وإن قل عن أربعة عشر ذراعاً أدى ذلك إلى جفاف الأرض، وحدث مجاعة بين البشر<sup>(٢)</sup>، لذلك اهتم العرب بتوفير كل ما

(١) الكندي : ولاية مصر، ص ٣١٢، ٣١٤، المفري : الخطط، ج ٢، ص ٣٢٩،

سيدة إسماعيل كاتح : مصر في عهد الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد، القاهرة،

١٩٥٠م، ص ٩٦، ٩٧، بحر السيد عبد العزيز مسلم : فتاومات، ص ١٠٠

(٢) ابن بطيعة : الفصول القاهرة في ملحق مصر والقاهرة، تحقيق - مصطفى

السقا وآخرون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩، ص ١٦٠، المفري

المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٦، ابن تقي بردي : التجوم، ج ١، ص ١٥٠

بحر السيد عبد العزيز مسلم : مرجع السابق، ص ٧.

يستلزم الزراعة، والري، فقاموا بحفر الترعة، وإقامة الجسور، وبناء القناطر، لضمان وصول الماء لكل رقة في الأرض سواء في حالة ارتفاع منسوب النيل أو انخفاضه. (١)

و نظراً لثروات مصر العديدة فقد عدت الجزيرة مصدراً مهماً من مصادر الدخل التي ترسل إلى الخلافة؛ وكذلك الخراج الذي كان يرسل جزء منه إلى بيت مال الخلافة، والآخر يتأثر به الولاة؛ لذلك، كثيراً ما كان يتم احتكار الوالي بناءً على قدرته على توليد أكبر قدر من الخرج؛ لذا حرص الولاة على إرضاء الخليفة في حاضرتهم، ومن ثم عملوا على استئراف مولود مصر دون النظر إلى أهلها، وربما كان هذا سبباً مباشراً لعزل عمرو بن العاص من ولاية مصر - لرفضه زيادة الخراج عن الحد المألوف - وبولاية عبد الله بن أبي السرح بدلاً منه، فزاد عبد الله في جمع الضرائب، غير أنه قد أُرهِق المصريين فثاروا عليه، وكرهوا ولايته. (٢)

وقد تعرضت مصر في عصورها الإسلامية المختلفة للكثير من الأزمات (٣) الاقتصادية التي أدت بدورها إلى ظهور الفساد الاقتصادي بشكل كبير، حيث ارتفعت أسعار السلع الغذائية بشكل واضح نتيجة

---

(١) هويدا عبد العظيم رمضان : المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، تحقيق : عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٤٩.

(٢) ابن تقي بري : المعجم، ج ١، ص ١٦٦، فريد ج. جتار : فتح العرب مصر، شعرب : محمد هريد أبو حميد بك، مكتبة مديونية، القاهرة، ١٩٩٠، ص ٤١١.

(٣) الأزمات : هي جميع لكافة أزمة والأزمة تعني الشدة أو القسوة تنوع الأزمة بين مالية، سياسية، اقتصادية، وعادة تسبب الأزمة نتيجة لحوادث طبيعية وربما تقتصر في فئة معينة وهي فئة محدودة من المجتمع، للمزيد، راجع ابن منظور : لسان العرب، تحقيق : عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعرف، القاهرة، ص ٧٤، ٧٥ عثمان علي محمد علي : الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي ٦٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧ م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص ١٥.



لاحتكار بعض التجار لها، هذا الأمر الذي أدى إلى حدوث مجاعة<sup>(١)</sup> بين المصريين، وكانت هذه الأزمات تحدث في الغالب نتيجة لاحتلاف منسوب النيل سواء بالتزينة أو التقصان عن الحد المطلوب، وكثيراً ما كان يحدث بسبب إهمال الولاة لشؤون الأراضي الزراعية، ومن ثم يعجز الوالي عن حل تلك الأزمة فيلجأ إلى زيادة تصاريح على المصريين: مما يضطرهم لتفادي بثورة ضد ظلم الوالي غير أن تلك الثورات هي كثير من الأحيان لم تلت بشمارها. (٢)

لقد كانت أولى الأزمات الاقتصادية التي تعرضت لها مصر في العصر الإسلامي هي ولاية عبد الله بن عبد الملك بن مروان (٨٦١م - ٧٠٥م)، وفيها وصل منسوب النيل إلى ثلاثة عشر دراعاً، مما شرب في عدم وصول الماء إلى الأرض الزراعية، فجفت الأرض، وانعد الررع، وارتفعت الأسعار، وعاش الذين في شدة لم يعنوها من قبل، ووقف باقي مصر مكتوف الأيدي دون أن يتخذ أي إجراء لحل تلك الأزمة. رسالة إلى أنه قد عرف بين المصريين بقول الرشوة فكهوه وثبءمو منه وأطلقوا عليه مكيت وقال فيه أحد شعراء ذلك العصر :

إذا سار عبد الله من مصر خارجاً فلا رجعت ذلك النفل الخورج

أتى مصر والمكيال والقر مغرين فما سار حتى لئذ قلج. (٣)

وفي عهد خماروية بن أحمد بن طولون حدثت أزمة اقتصادية أخرى (٢٧٨هـ / ٨٩١م) حيث بلغ منسوب النيل حد الوفاء، ثم انخفض فجأة، فلم تستوف الأرض حاجتها من الماء، فتنزمت الأمور، وهبت

(١) المجاعة هي ندرة المواد الطبيعية ورمها، وهي ما عود من لأصل حرع أي خفت مدته من الطعام وتحدث المجاعة بسبب عوامل طبيعية أو بشرية وتتم كل المجتمع يعكس الأزمة. راجع : عثمان علي محمد عطا. المرجع السابق، ص ١٥.

(٢) هويدا عبد العظيم : المجتمع في مصر الإسلامية، ص ٢٠٣.

(٣) المقرئري إتيي الدين أحمد بن علي . إخوة الأمة بكشف ثغمة بحرين جمال الدين لثيال، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ٢٠٠٠، ص ٢١.

الأحوال، وارتفعت الأسعار، ولم يجد للناس ماء يشربونه فاجلوا إلى  
الحفائر يشربون منها، غير أن خمازية قد تغلب على تلك الأزمة،  
وفرص عقوبات شديدة على للتجار الذين استولوا هذه الظروف، وتدعو  
بالأسعار، واحتكروا السلع، وقد تكررت هذه الأزمة عام ٢٩٠هـ /  
٩٠٢م حيث قل مسووب للنيل إلى ثلاثة عشر ذراعاً، وأربع لصابع، وقد  
استمرت هذه الأزمة ثلاث سنوات عانت مصر فيها أشد العناء، ولم تجد  
الدولة الطولونية من يتصدى لها، ولاسيما بعد مقتل خمازية، واضطرب  
الأحوال، وكثرة الفتن والفساد، مما عجل بزوال الدولة الطولونية.<sup>(١)</sup>

وقد أدى اضطراب الأحوال الإدارية، والتصارع على السلطة في  
الدولة الإخشيدية إلى اقتراف خطر الأزمات الاقتصادية، حيث حدث هبوط  
في مسووب النيل استمر تسع سنوات متتالية بدأت من ٣٥٢هـ /  
عاصرت عهد أبو القاسم أنجور، واستمرت حتى بعد وفاة كافور الإخشيد  
مما أدى إلى حدوث مجاعة أدت إلى صراخ الناس من غلو الأسعار،  
واسداهم انقمح، صارعوا إلى القضاة، وانضموا لتجمع العبيق، وكان ذلك  
يوم الجمعة فمات رجل وامرأة من كثرة الزحام، ولم تصل للجسعة يومها،  
واردأت الأمور سوءاً، وعمّ قحط شديد، أعقبه وباء شديد أصيب فيه  
الناموس بالطاعون<sup>(٢)</sup> فمات منهم لكثير حتى عجز الناس عن دفن موتاهم،

(١) نفسه، ص ٢٢٢، أحمد السيد الصاوي: مجامع مصر القاطمية، ص ١٥١،

١١، دار النصارى للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨، ص ٢٥.

(٢) الطاعون Black death: وباء خضر سمي بالموت الأسود، يظهر على شكل  
ورم شديد يصاحبه قهقري شديد الألم. يبدأ باللون الأحمر ثم الأخضر ويصل إلى  
الأسود وهذا أسوأ درجاته، يظهر تحت الإبط وخلف الأذن، ينتقل عن طريق  
للتنفس أو السعال ويكتفك عن طريق الدم، ينتشر في الأمكنة القفرة والموت، لم  
يكن له علاج معروف من قبل حتى تم التوصل إلى علاجه الممنوع في مراكش  
السلف والفتراميكين والاسيتيلامين. للمزيد، راجع: بول ديكرويك نفسه  
المكروب، ترجمة: أحمد زكي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٩م،  
ص ٣٦٦

(٣) بكر الصاوي أن هذه الأزمة قد سبقتها أزمة معاملة استمرت نفس المدة (تسع

عالمقو، بالبحث في القيل، فازداد الأمر سوءاً وعمّ السلب والنهب في قرى مصر بحثاً عن الطعام.<sup>(١)</sup>

ولم يتوقف الفساد الاقتصادي عند هذا الحد من إهمال الدولة لشؤون مصر، واقتغاليهم عن أزماتهم، وعدم مباليتهم بصراخ أهلها، بل تعدى ذلك بكثير عندما وقف والي عاجزا أمام حل تلك الأزمة التي حلت بأهل مصر، وراح يبحث عن البديل الذي يوفر له، والحنيفة المال بعيداً عما يعانيه أهلها، وقد تمثل هذا البديل في المعامير التي فرضها على المصريين، والذي كلل جمعها في تلك الظروف الاقتصادية السيئة بـ"معارم المزيد من القوة، والعنف، والقسوة، ولم يكتفِ الدولة بجمع للمعارم الشرعية فحسب، بل سارعوا إلى فرض معارم غير شرعية أرهقت كاهل المصريين؛ حيث لجأ أحمد بن المنبر الذي تولى حراج مصر (٢٤٧هـ - ٢٥٥هـ) إلى فرض ضريبة على المنطرون بعد أن كان مباحاً للجميع، كما حجر على الملح، وأقر ضريبة على التكل التي كانت ترفعها البهائم أسداً ضريبة المراعي، كما قرر ضريبة أخرى على صيد البحر سميت بضريبة المصائد، وقد ظلت هذه الضرائب تجمع لفترة طويلة بعد عزل ابن المنبر، ولم يجد المصريون أمامهم سوى المقاومة السلبية التي تمثلت في هروبهم من الأرض الزراعية.<sup>(٢)</sup>

ولم ينف والي عاجزا عن البحث عن طرق أخرى للحصول منها على الأموال فلجأ بعضهم إلى جش العملة<sup>(٣)</sup> المستخدمة في عملية

=

سنوات) بدأت من (٣٤١هـ) واستمرت حتى (٣٤٩هـ) كثرت فيها الشرر  
وقضت على المصالح ثم عقيها لتكفل منسوب القيل للمريد، راجع أحمد  
الميد الصلوي: المرجع السابق، ص ٢٠، ٢١.

(١) المقرري: إغالة الأمة، ص ٢٤٤ - ٢٤٦.

(٢) المقرري: تخطيط ج ١، ص ١١٨ سيدة إسماعيل كاشم: مصر في عهد  
الإخشيديين، ص ٦٤.

(٣) المسلة: بغير عبد الملك بن موان أول من ضرب النقود في الإسلام، أي جعلها  
نقداً واحداً في كل البلاد وكان نقداً حريياً خالصاً نقش بتمشق وعرف بالسنابر

=

البيع، والتمرد، والمتدولة بين الناس؛ حيث استطاع الولاة الجلسيون غش العمة، وذلك بالعمل على إقصاء وزنها الشرعي، والاستفادة بهارق الورث لصالحهم الحاضر، وكان هذا قبل مجيء الدولة الطولونية<sup>(١)</sup>، ويؤكد لـ د/ العبادي أن فساد الحكام، وتصاروهم على الحكم كان سبباً مباشراً، قدسهم المسؤوليه مع الأزمات الطبيعية في حدوث المجاعات الاقتصادية، وتبعاتها التي عانى منها شعب مصر لفترة طويلة، وإن كان السيوطي قد أكد منذ زمن بعيد أن خراب مصر قد انحصر في جفاف نيلها، فقد أضافت الأحداث فساد أهلها إلى جانب جفاف نيلها.<sup>(٢)</sup>

## [٢] الفساد الإداري]

كانت مصر قبل دخول العرب مباشرة تنقسم إدارياً إلى قسمين رئيسيين، هما: مصر العليا، ومصر السفلى، وقد انقسم هذان القسمان بدورهم إلى عدة أقسام، أطلق على الواحد منها اسم "كورة"، وكانت مصر تضم ثمانين "كورة"، كل كورة تحتوي على عدة قرى، وبكل من هذه الأقسام مسؤول إداري، وقد حرص العرب منذ دخولهم مصر على بناء هذا النظام الإداري المحكم كما هو دون تغيير، أو تبديل، فصل أهل مصر هم الذين يقومون بإدارتها<sup>(٣)</sup>، أما العرب فقد اكتفوا لأنفسهم بشرف

الخشة. للمزيد، راجع: عبد المتعال محمد الجبري: أصالة الدوليين والنسود العربية، ط١، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٨٩، ص١٨٣. فوري عطوي: سي الاقتصاد السلي والنقود وتنظيم النقبة، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٩، ص٧٣.

(١) صيف الله محمد يحيى الزهراني: ريف النقود الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، ط١، مكتبة المكرمة، ١٩٩٣، ص٢٦.

(٢) حمد مختار العبادي: في تاريخ السلي والقلم، مؤسسة شهاب التجارية، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص٢١.

(٣) ابن دقاق إبراهيم بن محمد بن إسماعيل: الاقتصاد الوسيط عند الأمصار في تاريخ مصر وجغرافيتها، القسم الأول، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآثار الجديدة، بيروت، ص٣.

بعض المناصب الرئيسية التي توليهم بالإشراف على الإدارة بوجه عام، على أن هذه المناصب لم تكن طيلة الوقت في يد العرب، بل تحسب متولوها طبقاً لمياسة الدولة، فشغلها الفرس حيناً، والترك حيناً آخر، على أن هذا التعبير لم يكن بمؤثر ملحوظ على مصر. <sup>(١)</sup> ولئن كان هذا النظام على ما يبدو من الوهلة الأولى محكماً في شكله إلا أنه لم يكن طيلة الوقت محكماً في عمله فقد فتشرت بعض مظاهر الفساد بين أهم أعضائه كالآتي:

#### (١) الوالي:

كان والي هو رأس النظام الإداري، وكبير موظفي الولاية، حيث كان بمثابة نائب الخليفة في ولايته؛ لذلك فقد كان يختار من قبل الخليفة نفسه، وكانت وظيفة الوالي في المقام الأول وظيفة اقتصادية الغرض منها جمع الخراج، وإرساله إلى قصر الخلافة؛ لذلك فقد كان اختيار الوالي في كثير من الأحيان يتم بناءً على قدرته على جمع الخراج، وقد أطلق على الوالي في بعض الأحيان لقب 'أمير'، وبدل الذي لذي يكون في يد دار الإمارة، وقد حكم مصر منذ أن فتحها العرب حتى قيام الدولة الفاطمية مائة وأثنى عشر أميراً، لم يكن واحد منهم من أهلها، وقد حرص هؤلاء الولاة على أن يكون الحكم في مصر حكماً مركزياً، وذلك لعدم إعطاء الفرصة لعمال الأقاليم المختلفة بالاستقلال مطيحاً بعيداً عنهم، ومن ثم أصبحت كل الأمور كبيرة كانت، أم صغيرة تعود إلى الوالي. <sup>(٢)</sup>

كما كان الوالي يقوم بإقامة المسلمين في الصلاة، وكذلك قيادة الجيوش؛ بذلك فقد جمع بين المنطقتين المؤسسية، والدينية، وكسب بعض الولاة يستغلون مناصبهم في جمع المال، ولا سيما في ظل قصر مدة

(١) سيدة إسماعيل كشتف : مصر في فجر الإسلام، ص ٢٠؛ هويدا عبد العظيم المجتمع في مصر الإسلامية، ص ٢٢٦.

(٢) ابن تغري بردي : المعجم، ج ١، ص ٢١٩؛ هويدا عبد العظيم : نفس المرجع، ص ٢٣٩.

ولابنتهم، وإن كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقوم بتسجيل أموال الولاية قبل توليهم للولاية، ثم يحاسبهم بعد ذلك فيما يزيد عليها - بيان منه مالية في عصره الحالي - إلا أن هذا الأمر لم يستمر طويلاً في ظل إشغال الحنده بولابنتهم، فتضخمت ثروة الولاية بدون وجه حق، ولم يجد الحبيبة نذراً من تجريد هؤلاء الولاية من أموالهم، وذلك عن طريق المصادر؛ حتى لا تكون هذه الأموال قوة مضادة يستحجمها الولي ضد الطبيعة المستقلة بالولاية بعيداً عنه، وفي كثير من الأحيان كان يصاب هذه المصادر عزل الولي، مثلما حدث مع عبد الله بن عبد الملك بن مروان الذي رلى مصر (٨٥ - ٩٠ هـ / ٧٠٤ - ٧٠٨ م) والذي أتيب عنه أنه محب لئمال، ومرئش؛ يأخذ من مال الحراج، فعزله الوليد بن عبد الملك بعد مصابرة أمواله. (١)

وفي كثير من الأحيان كان الخليفة يعزل إدارياً في المصرة حتى الولي، مما كان سبباً في استقلال هؤلاء الولاية بمصر بعيداً عن الخلافة، وهذا ما حدث في ولاية السري بن عبد الحكم وأبنائه، وعبد العزيز الجروي وابنه، الذين استقلوا بمصر ما يقرب من عشر سنوات بعيداً عن النزاع الذي كان دائرة بين الأمين والمأمون، فكانوا بمثابة البنية لأولى مظهر الدول المستقلة في مصر فكانت فتوة الطولونية ولحقت بها الدولة الإخشيدية (٢)، كذلك كان بعض الولاية يهملون في شؤون الولاية ويقفون مكتوفي الأيدي أمام الأزمات التي تتعرض لها مصر؛ مما أدى إلى قيام العديد من الثورات ضد ظلم وفساد الولاية، هذا الأمر الذي أدى إلى عدم الاستقرار في نشر الفساد في باقي أعصاء الجهاز الإداري (٣)

(١) لكدي ٠ ولاية مصر، ص ١٨٠ ابن كثير يردى : الهجوم، ج ١، ص ٢١١

(٢) مدينة إسماعيل كلف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٣) المقرئى : الخطاء، ج ٢، ص ٩٩.

## (٦) متولي الخراج :

يرى بعض المؤرخين<sup>(١)</sup> أن متولي الخراج هو الرجل الثاني في الولاية من حيث الأهمية، والمكانة بعد الوالي، وإن كان من الواضح أن متولي الخراج لا يقل أهمية، ولا مكانة عن الوالي، بل إنه في كثير من الأحيان يعوق الوالي في الأهمية، والمكانة؛ لذلك حرص الكثير من الولاة على ضم الخراج إليهم؛ وذلك لدعم قوتهم، في المقابل حرص الخليفة على فصل متولي الخراج عن الوالي، وذلك كما رأينا لإصعاب مهمة اتواليا، هذا الأمر الذي أدى إلى عدم قبول بعض الولاة الولاية مباشرة بدون السيطرة على الخراج، وهذا ما فعله عمرو بن العاص عندما أرسل الخليفة عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن يولييه العرب، ويولي عبد الله بن أبي السراج الخراج فرفض عمرو، وقال مقولته المشهورة: «لنا يدا كمدك البقرة بقرتيها، وآخر يحلبها»، وترك الولاية.<sup>(٢)</sup>

وكان متولي الخراج - إن لم يكن الوالي نفسه - يتشدد في كثير من الأحيان في جمع الأموال من المصريين، هذا الأمر الذي تطلب منه اتباع كافة الأساليب المشروعة، وغير المشروعة في ذلك، ولم يكن متولي الخراج في هذه الحالة هو الوحيد المسؤول عن اتباع هذه الطرق، بل كان ما يتدرج تحته من الإداريين، والموظفين يتبعون هذا الأسلوب، بما لمصالحهم الشخصية، أو إرضاء للوالي، بل إننا نرى أن متولي الخراج نفسه كثيراً ما يفعل ذلك؛ إرضاء لما هو أظنى منه، وهو الخليفة، بل لم يكن يأمر من الخليفة نفسه، ولا عجب!! فمن يرى الخليفة سليمان بن عبد الملك يكتب إلى والي مصر أسامة بن زيد التتوخي (٩٦ - ٩٩ هـ / ٧١٤ - ٧١٧ م)، (١٠١ - ١٠٥ هـ / ٧١٩ - ٧٢٢ م) بأمره بزيادة الضرائب، وجمع أكبر قدر من المال دون النظر لأهل مصر، فكأن أسامة

(١) هويدا عبد العظيم : المجتمع في مصر الإسلامية ص ٢٤٢.

(٢) ابن عبد الحكم . فتوح مصر ، ص ٣٢٢؛ ابن كثير يروي : الفروج ، ج ١، ص ٦١.

يتشدد مع الناس حتى ضاقوا به<sup>(١)</sup>، كذلك كان يفعل عبد الله بن الحجاب (٩٠٥ - ١١٦هـ / ٧٢٣ - ٧٣٥م) الذي ولى خراج مصر منذ زمن الحنفية مشام بن عبد الملك، وقد ضاق به القوم حتى قاموا لأول مرة بثورة عبروا بها عن مدى ظلم، وتعسف متولي الخراج معهم، ثم ثقلت الثورات بعد ذلك حتى وصلت لذروتها في عهد أحمد بن المنبر (٢٤٧ - ٢٥٥هـ / ٨٦١ - ٨٦٨م) الذي ابتدع ضرائب لم تكن موجودة من قبل، مما اضطر الناس للهروب من أراضيهم في محاولة منهم لرفع الظلم عنهم.<sup>(٢)</sup>

#### (٢) صاحب البريد

تعد وظيفة صاحب البريد من الوظائف الرئيسية في الدولة الإسلامية، ثم تكن هذه الوظيفة قائمة في عهد الخلفاء الراشدين، وإلى بدأت في عصر الدولة الأموية، ثم تطورت في عهد الدولة العباسية نظراً لانتساع رقعة الدولة وكثرة مهامها، وكان صاحب البريد يلعب دوراً مهماً في نقل الأخبار من الولايات الإسلامية إلى الخليفة، والعكس، أي أنه كان عيناً للخليفة في ولاياته المختلفة، لذلك حرص الخلفاء على الاهتمام بممارسة الطرق المؤدية إلى بغداد، وتوفير كل وسائل الراحة لصاحب البريد حتى تتم عملية نقل وتلقي الأخبار بسرعة حتى أصبحت كل الطرق تؤدي إلى بغداد مثلما كانت كل الطرق تؤدي إلى روما.<sup>(٣)</sup>

لم تستطع هذه الوظيفة أن تحافظ على صفاتها طوال الوقت، بل أصابها ما أصاب غيرها من مظاهر الفساد، فأصبحت مهمة صاحب البريد الأولى هي التمسك على ولاية الأقاليم، وعملها لصالح الخليفة، ثم تطور الأمر ليصل إلى التمسك على الخليفة نفسه، وذلك في فترة ضعف

(١) ابن خلدون: المقدمة، ج٢، ص ٢٥٩، سيرة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ٢١٠.

(٢) المقرئ: الخط، ج٢، ص ١٩٩، قلعة مصطفى عامر : تاريخ أهل الدمام في مصر الإسلامية، ج٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص ٥٩.

(٣) سيرة إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص ٢٦ - ٢٧.



الخليفة، ولم يقصر الأمر على هذا فصلاً بل أصبح صاحب البريد بما لديه من معلومات يستطيع التحكم في سير الأمور في الولاية، وقد ظهر هذا واضحاً في فترة ولاية أحمد بن طولون عندما تلقى شقيقه صاحب البريد - صاحب البريد - مع أحمد بن المدير - صاحب الخراج - للتظلم من أحمد بن طولون تفصيلاً لمصالحهم الشخصية، فأرسل شقيقه برسالة للحليفة يبلغه فيها بأن أحمد بن طولون قد باهر برفع راية العصيان في محاولة منه بالاستقلال عن الخلافة، فتوجس الحليفة منه خيفة، وأرسل إلى أحمد بن طولون يستدعيه على الفور، غير أن أحمد بن طولون اكتشف هذه الحيلة، وتغلب عليها بإرسال الهدايا، والمال (الرشوة) بحيلة فطامنت نفسه. (١)

أما أحمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية فقد أيقن من البداية أهمية صاحب البريد، لذلك فقد اعتمد عليهم اعتماداً كبيراً لإدارة شؤون دولته، وكان يختار لذلك المقربين له، كذلك عمل على وجود عامل للبريد ينقل له الأخبار من حاصر الخلافة نفسها، ولاسيما في ظل الخليفة مع أبي أحمد المولى أبي الحليفة المعتمد، كذلك كان يوافيه بالمؤتمرات التي تنور هناك، ولم يكتب أحمد بن طولون بذلك بل إنه على ما يبدو عثق للنسب، ومال إلى خذعه، فاحتفظ بنظام البريد، واحتل الدبر المصرية، إضافة إلى الجواسيس المحترفين، وتولى سيدة كاشف أنه ربما كان يوكل الأمور الأقل خطورة إلى صاحب البريد، أما الأمور الأكثر خطورة فكان يتركها لجواسيس المحترفين. (٢)

وعلى ما يبدو أن عمل صاحب البريد في ذلك الوقت جعل الشبهات تعوم حوله حتى كرهه الشعب، وتوجسوا منه خيفة على الرغم

(١) ابن خلدون، ج ٢، ص ٤، محمد ناصر حسانة : الوثائق السياسية والإدارية لعائلة السعديين السياسية المتكاملة (٢٤٧ - ٦٥٦هـ) - ٨١١ -

٢٥٨ م)، دراسة ونصوص، ط ٢، مؤسسة قرسقا، ١٩٨٥، ص ٢٢٢

(٢) البكري : سيرة أحمد بن طولون، ص ٤٢، ٥٦، ١٥٧ سيرة إسماعيل كاشف : أحمد بن طولون، ص ١٧٢.

من أن هذه الوظيفة كانت فاصلة على الخليفة، وعنده أي أن الشعب لم يكن له علاقة بها، غير أن هذه الصورة تتضح من تلك الواقعة التي رواها البلوي، حيث إنه كانت هناك امرأة أعرابية لها حظوة عند برب طوبوس، فصعدته في إيجاد عمل لابنها، فأمر ابن طولون الحضر برب مهاجر صاحب البريد بذلك، فحينه الحصن في البريد فعانت المرأة شاكية إلى ابن طولون ترجوه بإبعاد ابنتها عن هذا العمل الذي سيوجب عليه العار، وذكرت له أنها تحصل الجوع الشريف، عن الكسب المشهود، فعلمه أحمد عن هذه الوظيفة، كذلك كان أحمد بن الإخشيد صاحب برب بفسيم في بغداد يأنيه بأخبار الوظيفة نفسه. (1)

يعتبر نظام "العصص" الذي يتولى صاحبه حراسة الشوارع ليلاً، وحمايتهم هو الأسس الأول لوجود نظام الشرطة في الدولة الإسلامية، وقد وجد هذا النظام في عهد الرسول (ﷺ)، ثم أبي بكر، وتوطدت دعائمه في عهد الخليفة عمر بن الخطاب الذي كان يقوم بهذا الدور بنفسه، وقد اختلف هذا النظام مع ظهور الشرطة التي أصبحت تقوم بالدور نفسه، بالإضافة إلى بعض المهام الأخرى التي من شأنها حماية المواطنين ليلاً، ونهاراً، وقد اختلفت الآراء حول نشأة الشرطة، ف يرى البعض أنها نشأت زمن عثمان بن عفان، ويرى البعض الآخر أنها نشأت في ولاية عمرو بن العاص على مصر<sup>(٦)</sup>، ويرى البعض الآخر أنها ظهرت في زمن الخليفة الرابع علي بن أبي طالب الذي قام بتتظيم نظام العصص في صورة هيئة متخصصة أطلق عليها اسم الشرطة.<sup>(٧)</sup> ولذا كان الأمر قد بدأت

(١) قبوي : سيرة أحمد بن طولون، ص ٤٢؛ سيرة كاتيف : أحمد بن طولون، ص ١٧٦؛ محمد جمال الدين سرور : الدولة القاطمية في مصر سبقتها الدخنية ومظاهر الحياة فيها، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ٢٨.

(٢) هدية الفيلسوف - تاريخ النظم والصلوة الإسلامية، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٢٣، ١٢٤.

(٣) محمد إبراهيم الأصمعي - الشرطة في نظم الإسلامية والقوانين الوضعية دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون، المكتب العربي الحديث، الإسكندرية، ص ١٣،

الشرطة كغيرها من الأنظمة بشكلها البسيط الذي أخذ في التطور مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، كما عرفوا القاتمين عليها : أنهم ضابطه من أعوان اللوآلي عرفوا بعلامات معينة، وعملوا على حفظ الأمن، والطمأنينة داخل الولاية. (١)

لقد كلفت وظيفة صاحب الشرطة من الوظائف المهمة، والجسبة، فقد كان اللوآلي يتولاهما بنفسه في كثير من الأحيان، وكان صاحب الشرطة بمثابة نائب اللوآلي في الولاية يوم الناس في العميلة نسي حالة مرضى للوآلي، وكذلك يحكم الولاية في حالة غياب اللوآلي، لذلك كان يتم اختياره عن طريق اللوآلي نفسه، إلا في حالات نادرة كان الخليفة يقوم بهذا الدور - كما فعل المأمون عام ٢١٧هـ عندما حضر لمصر لقمع ثورة القبط -، كذلك كان الخليفة يقوم بتعيين صاحب الشرطة بدلا من اللوآلي في حالة وفاة اللوآلي، أو عزله، وعلى الرغم من أن وظيفة صاحب الشرطة كانت تقتضي عليه نشر الفضيلة، وتحقيق الأمن بين الناس، فإنه في كثير من الأحيان كان مثاراً للجدل، وعصافاً للتصادم، لذلك كان يتمرضى بعزله، وربما للضرب، والعقاب. (٢)

وفي ولاية حاتم بن عرثمة على مصر ١٩٤ - ١٩٥هـ جعس على شرطته لبله، ثم عزله بعلي بن المتنبى، ثم عزل علياً أيضاً بعد الله الطروشى، واستمر على حتى أقر أمورها، كذلك في ولاية سليمان بن غالب على مصر (٢٠١هـ - ١١٦هـ) تشدد صاحب شرطته على المصريين فعزله عن الشرطة بالعباس بن لهيب المصري غير أن عباس بن لهيب قد تشدد هو الآخر على الرعية، ولجند الذين وثبوا عليه، وقتلوه فعزله اللوآلي عن إمرة مصر، كذلك في ولاية نصر بن عبد الله الشهير بكندر الذي ولى مصر من قبل المأمون ٢١٧هـ، كان ير بسطام صاحب شرطته غير أن كندر مرعاه ما عزله عن الشرطة لمؤامره سيئته وإرثوة ارتضاها، وذلك بعد أن حربه بالقسوط في صحن الجامع. (٣)

(١) ابن منظور : لسان العرب، طبعة دار المعارف، جزء "شرطة".

(٢) مدينة إسماعيل كاشف : أحمد بن طولون، ص ١٦٢.

(٣) ابن تقي بردي : التجوم، ج ٢، ص ١٤٥، ٢١٨.

#### (٥) المحتسب :

الحصبة - بكسر الحاء - هي نظام إسلامي ديني، تقوم فكرته على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ويعود نظام الحصبة إلى عصر النبوة حيث كان يقوم به الرسول (ﷺ)، إلا أنها قد وجدت بشكل رسمي كأحدى وظائف الدولة في أواخر العصر الأموي - عصر الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ / ٧٢٤ - ٧٤٣ م) - ثم أصبحت ذات شأن عظيم بعد ذلك، وقد أطلق على من يقوم بأمرها اسم المحتسب، ومن أهم اختصاصاته : مراقبة أحكام الشرع فيما هو حادث بين الأفراد على اختلاف طبقاتهم، كما أنه يقوم بالإشراف على الأسواق، والمطابخ، والباعة، والعمال كما يعمل على حماية الناس من غش التجار، وجشعهم، ولم تكن وظيفة المحتسب في مصر الإسلامية حتى العصر الطوسي وظيفة مستقلة، بل كان يقوم بها الوالي، أو صاحب الشرطة، أو مسؤولي الخراج، والقبضاء، وكان من المفترض في المحتسب العفة والنقاء حتى لا تسقط هيئته. (١)

ولما كان دول الحال من المعتل، ضاعت هيئة المحتسب، ولاسيما بعد أن أصبح يُختار وفقاً للأهواء والمصالح الشخصية، فأصاب هذه الوظيفة الفساد الذي أصاب غيرها من وظائف الدولة الإدارية، وأصبح المحتسب تستغل أعماله في جمع المال بأي طريقة غير شرعية لماخل ميزان عمله، ويكفي قولاً ما قاله سيدي محمد المصري من كلمات جمع فيها الحالة التي وصل إليها المحتسب في عصر الدولة المملوكية، فقد مر

---

(١) المنردى أبو الحسن علي بن حبيب المصري البغدادي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مراجعة : محمد فهمي السرجاني، المكتبة التوفيقية للطباعة، القاهرة، ١٩٧٨م، ص ١٧٠ في الأخوة : معلم القرية في أحكام الحبسية، ص ١٥٠ في تيمية في الدين لأحد : الحصبة في الإسلام ووظيفتها الحكومية الإسلامية، ط ١، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٤٩، سهام مصطفى أبو زيد : الحصبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى بداية العصر المملوكي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٦م، ص ٧١.

سببوه على المحتسب، وأعواله، وهم جالسون قدام لهم : فما هذه  
الأجراس يا تجلس، والله ما تم حق التمتوه ولا شعراً أصلمتموه، ولا  
جان أدبتموه، ولا ذي حسب وقرنموه، وما هي إلا أجراس تسمع باطل  
يوسع، وأفهاء تصفع، ويرطيل تقطع ! لا حظ الله من جحك محسباً،  
ولا رحم لك ولاية أبداً ..... ولما كان المحتسب هو مقياس صلاح  
النولة، ونسائها، فقد وضح مما سبق مدى ما وصل إليه الجهاز الإداري  
في مصر في تلك الفترة من فساد. (١)

مما سبق يتضح لنا أن صلاح الخليفة، وقدرته الإدارية هي التي  
تحدد صلاح الوالي من فساد، وكذلك الوالي في ولايته بما يمتلك من  
سلطات يحدد أيضاً صلاح أو فساد من دونه من باقي الجهاز الإداري،  
وإن كان الوالي في كثير من الأحوال كما هو واضح يقوم بجميع هذه  
المهام سواء كانت وظيفة متولى الخراج، أو صاحب الشرطة، أو  
المحتسب، وربما القاضي أيضاً، هكذا كان صلاح الرعية مرتبطاً بصلاح  
الراعي في أغلب الأحيان.

كذلك نلاحظ أن الجهاز الإداري بجميع مستوياته لم يوجد سرور،  
أو قائماً بذاته، وإنما وجد في المقام الأول لخدمة نظام آخر يلقبه في  
السيادة والأهمية، ألا وهو النظام الاقتصادي.

### [٣٦] الحياة الاجتماعية:

(١) طبقات المجتمع المصري وأوضاع العلاقة بينها

لم يكن هناك حط فاصل يفصل الحياة الاجتماعية عن بقية جوانب  
الحياة الأخرى، بل إننا نجد الحياة الاجتماعية هي المحصلة النهائية  
لتفاعل سياسي، والاقتصادي الذي يدور في مجتمع ما، فكل صلح  
الأساس السياسي، والاقتصادي صلح البناء الاجتماعي، وإن فسدت هذا  
الأساس تهار البناء، وكان المجتمع المصري وقت الفتح العربي يتألف  
من عدة عناصر مختلفة تضم الطود من الروم، والأقباط، والاكراة،

(١) سهام مصطفى أبو زيد : القضية في مصر الإسلامية، ص ٧١.

والدبلم، اتحدوا أصبحوا أقلية بعد الفتح ولم يكن لهم تأثير واضح في سير الأحداث مثلما كان تأثير القبط أهل البلاد الأصليين وكذلك العرب الفاتحين.<sup>(١)</sup>

لـ العرب .

على الرغم من أن العرب الفاتحين قد مثّلوا أقلية بالسياسة لأهل البلاد الأصليين فبقّهم جرحوا منذ اللحظة الأولى على إقامة مدينة عربية وسط المحيط المصري، فأصبحت القسطنطينية حاضرة لها، وقد اتخذت كل قرية من القبائل التي فتحت مصر حطة تحمل اسم هذه القبيلة، وقد ظل العرب محتفظين لأنفسهم بالميادة العليا حيث انتصروا إلى السياسة، والحرب، وتعد أحكام الله، فاحتكوا بشغل المناصب الرئيسية، مثل الإمارة على مصر، ورئاسة المالية، والشرطة، والقضاء، فابتعدوا عن الزراعة، وسائر المهن الأخرى الذين تركوها في أيدي أهل مصر من القسطنطينية وكونوا طبقة اجتماعية مستقلة، لها شخصيتها التي حثت عليها عدم الانتماء، أو الامتزاج مع غيرها من الطبقات الاجتماعية الأخرى. وأند التفرقت هذه الطبقة بمميزات لم تمنح للطبقات المجتمع الأخرى، ولا سيما في العصر الأموي، مما أدى إلى ظهور الشخصية، والتمتع بها، وبين أهل البلاد الأصليين.<sup>(٢)</sup>

ولم تكن العلاقة بين العرب أنفسهم تسير في خط مستقيم، بل ظهرت روح العنصرية القبلية فيما بينهم، وتقسّموا على أنفسهم بين مدينة، وقبيلة، مما أدى إلى فساد العلاقة فيما بينهم، وقد ظهر هذا واضحا في الأيام الأخيرة من عمر الدولة الأموية، وقد انعكس هذا بشكل واضح على الحياة الاجتماعية في مصر، ولا سيما في ظل تغيير الخلافة المستمرة،

---

(١) علي حسني الخريوطي، مصر العربية الإسلامية، ص ٣٢.

(٢) ليلاندري إلمندري يحيى بن جليل: فتوح البلدان، مراجعة وتحقيق: رصموان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م، ص ٢٧٦، علي إبراهيم حسن: مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى المفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧ م، ص ٤٤٦.

وسبامة كل وال حسب ميوله قيسًا كان لم يميلنا مما أدى إلى وجود حالة من الفوضى، والاضطراب عمت أنحاء مصر. (١)

وفي ظل تلك الفوضى بدأ العرب يتخلون تدريجيًا عن سبوة عدم الاندماج بالمصريين، فآثبوا على العمل بالزراعة، ولتملك الأراضي، وقد زل هذا الاندماج في عصر الخليفة العباسي المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧ هـ الذي أمر باستأط العرب من ديوان الجند، وقطع أعطياتهم، هذا الأمر الذي أدى إلى حدوث تقارب شديد بين العرب، والمصريين معب من خلاله التميز بينهما، وقد أدى هذا الاندماج إلى ظهور عنصر جديد يحمل الجينات المصرية، والعربية، كما أدى إلى انتشار العربية، والإسلام على نطاق أوسع مما كان عليه فكانت كما يقال : الصارة النافعة. (٢)

#### بد الأقباط :

لما الأقباط فقد شكلوا العاقبة العظمى من سكان مصر، وتولوا معظم الوظائف الإدارية في مصر كما تولي بعضهم مناصب ولاية الأقاليم المصرية، وكانوا محل عطف الولا المسلمين، وكانوا يحملونهم معاملة حسنة، وذلك لانضمام بعضهم إلى العرب وقت الفتح، وانتمام البعض الآخر بالحياد، غير أن سيطرة بعض الولا قد أدت إلى عدم انقباط بالثورة في بعض الأحيان، وذلك لتشد هؤلاء الولا معهم في جداسة الضرائب - الفراج -، وكذلك لإقتنائهم من مناصب الدولة الكبرى، ولأنهما أن أصبحت الكتابة في الدولوين. منذ عهد عبد الملك بن مروان ٨٧ هـ باللغة العربية بعد أن كانت بالقبطية، هذا الأمر الذي جعلهم يرحبون بالعباسيين؛ فلما منهم أن حياتهم ستكون معهم أحسن حالًا، غير

---

(١) سيدة إسماعيل الكايف : مصر في فجر الإسلام، ص ١٣٧ - ١٣٩ جمال الدين

الشيلى : تاريخ الدولة العباسية، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٢م، ص ٩.

(٢) المقرئى : الخطوط، ج ١، ص ١٣١ - ١٣٢ على حس الخروبلى، مصر

العربية الإسلامية، ص ٥٥، ٥٦ على إبراهيم حسن : مصر في العصور

الوسطى، ص ٢٤٧.

أَنَّ الْعَبَّاسِيَّيْنَ لَمْ يَخْتَلَفُوا كَثِيرًا عَنِ الْأُمَوِيِّينَ مَعَ جَطَبِهِمْ يَعُونُونَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى تِلْكَ الدَّوَلَةِ. (٢)

وكانت أول ثورة قام بها القبط ضد الضرائب في الوجه البحري عام ١٠٧ هـ / ٧٢٥م في خلافة هشام بن عبد الملك، وفي ولاية عبيد الله بن الحبحاب على الحراج<sup>(١٧)</sup>، ثم تلتها ثورات المصريين لتشمل الوجه البحري أيضاً، ولم تقتصر هذه الثورات على القبط وحدهم بل شاركهم فيها العرب أيضاً بعد أن انضموا في المجتمع المصري، وكان ذلك في خلافة المهدي عام ١٦٧ هـ حيث تشدد واليه موسى بن مصعب في جمع الحراج، ورفع مقدار الصريبة إلى الضعف كما فرض مبالغ أخرى جديدة على الأسوق، والدواب، ظل نصف الولاية في جمع الضرائب يقابله ثورة من الأهالي حتى قسى المأمون على آخرها ٢١٧ هـ، فمما القبط المقموعة السلبية مرة أخرى. (١٨)

وكان أهل النمة في مصر أهل كُتُوب من اليهود، والمسيحيين الذين تَمَتَّعُوا بِقُدْرٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ فِي ظِلِّ الْإِسْلَامِ، وَاقْتِصَامِ الدِّينِي، مِمَّا مَكَّنَهُمْ مِنْ مَعَارَسَةِ حَيَاتِهِمْ الْخَاصَّةِ، وَإِقَامَةِ شَعَائِرِهِمُ الدِّينِيَّةِ دُونَ فِرْدٍ، أَوْ تَدَخُّلٍ إِلَّا فِي ظُرُوفٍ خَاصَّةٍ وَلِفَتْرَاتٍ مُحَدَّدَةٍ، وَكَانَتْ الْعِلَاقَةُ بَيْنَ أُمَّةِ النِّمَةِ، وَالْمُسْلِمِينَ تَقَرُّرٌ وَتَقَرُّافٌ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ؛ وَكَانَتْ لِأُمَّةِ النِّمَةِ سِيَاسِيَّةٌ أَوْ اِقْتِصَادِيَّةٌ، وَلَيْسَتْ دِينِيَّةٌ، حَيْثُ كَانَ أَهْلُ النِّمَةِ فِي مِصْرٍ يَدْفَعُونَ الْعَدَدَ الْأَدْنَى مِنَ الْجُزْيَةِ، قَالِمَ تُكُنِ الْجُزْيَةُ مُتَسَاوِيَةً لَوْ مُحَدَّدَةً لِمَقْدَارٍ، حَيْثُ تَرَكَهُ تَقْدِيرُهُ أَوْ الْإِعْطَاءُ مِنْهَا لِلْحَاكِمِ أَوْ الْوَلِيِّ عَلَى أَنْ لَا يُكَلَّفَ ذِمِّي لُزُوقَ

(١) السيد عبد العزيز مكرم : دراسات في تاريخ العرب (المعاصر العلمي الأول)، ج٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ١٩٢، مدينة إسماعيل كاتيب، مصر في عصر الإسلام، ص ١٢.

(٢) فين تعري يردى : النجوم، ج ١، ص ٢٥١، هويدا عبد العظيم : المجموع مسي  
عصر الإسلام، ص ٢٠٢.

(٢) المنزوي : الخط ج ٧، ص ١١٧ ابن تقي برقي : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١.

(٤) قاسم عبده قاسم : أهل النخبة في مصر في العصور الوسطى (دراسة وثائقية).



وقد فرضت الجزية على أهل مصر من الذميين بمقدار ميسرين لكل حال، وأعفى منها النساء، والصبيان، والعبيد، وكذلك الحشى، والمجنون، كما أعفى من دفعها الرهبان، ورجال الكنيسة، لذلك كبر الكثير من القبط يلجأون إلى الأديرة، وحياة الرهبنة في حيلة منهم للتخلص من دفع الجزية، وغيرها من الالتزامات المالية الأخرى التي فرضها عليهم للعرب، غير أن العرب قد اغتلبوا لذلك، ففروا فرفض الجزية على الرهبان أيضاً، ففرضوا بذلك على النافع المادي الذي كان يشجع الذميين على الرهبنة، فظل القبط يلجأون إلى الحيلة، والمراوغة، ثم الثورة التي طرأت بالنعف، والشدة من جانب الولاة مما أثار القوضى، والاضطراب، وفساد العلاقة بين المسيحيين، والمسلمين غير أنه من الواضح جانباً أن تلك الثورات لم تكن بسبب الجزية بقدر ما كانت بسبب كثرة الضرائب، والأعباء المالية، ولا سيما في ظل تضاد قيمة الجزية نظراً لسدول الكثير من الذميين في الإسلام.<sup>(١)</sup>

وإن كانت الصورة قد بدت مظلمة لبعض الوقت، فإنها لم تكن مظلمة طوال الوقت، فلم يلجأ الولاة إلى استخدام الشدة، والنعف إلا عندما سارع القبط باستخدام الوسائل المتعددة لتخلص من الالتزامات التي فرضت عليهم، والتي لم تكن تفصل القبط دون غيرهم، بل شملت الجزية أهل الأئمة جميعاً، كما شملت الضرائب العرب المسلمين. وليس هنالك أكثر من شهادة الأقباط أنفسهم بالمعاملة الحسنة، والتسامح الديني الذي منحه لهم المسلمون لهم، وليكن يوحنا الفيثومي الذي عاش في تلك الفترة بمثابة شاهد حي على ذلك.<sup>(٢)</sup>

ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩م، ص ٢٢٣ مجلة إسماعيل كاشف : مصر الإسلامية وأهل الفقه، مطبعة تاريخ المصريين، عدد (٥٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤٠.

(١) المقريزي : الخطط ج ١، ص ١٢٢ : ابن تقي بري : التجوم، ج ١، ص ١١٦ فطمة مصطفى علمر - تاريخ أهل الفقه في مصر الإسلامية، ص ٤٩

(٢) سيدة إسماعيل كاشف : المرجع السابق، ص ٤٠ غير صابر جيد الجبلى : مخطوط يوحنا الفيثومي تاريخ العالم وثقة شاهد حي على الفتح الإسلامي

## جد اليهود

ظل اليهود يمثلون نخبة مهمة من ثبات المجتمع المصري على الرغم من كونهم أقلية عرقية مقارنة بأهل البلاد الأصليين، فعملوا بالتجارة، والصناعة، والأعمال المالية، وكانت الإسكندرية هي المركز الرئيسي لجمعهم، ويبدو أن هذا كان أمراً منطقياً فكون الإسكندرية هي العاصمة قبل الفتح، ولم يتغير ذلك الأمر بعد الفتح العربي لمصر بل إلى شروط صلح بانيون ٦٠هـ / ٦٤١م، قد نصت على أن يباح لليهود الإقامة في الإسكندرية، وانضموا إليها منهم إلى ثلاث طوائف مذهبية مختلفة وهم: الربانيون<sup>(١)</sup>، والقرانيون<sup>(٢)</sup>، والقصار<sup>(٣)</sup>.

---

لمصر، من كتاب أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، دراسات لجنة من الأستاذة، ثلثات قاسم عبده قاسم، شهينة لعامة لتصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ٣٥

(١) الربانيون هم أشهر الطوائف اليهودية وأكثرها عدداً، اشتق اسمها من كلمة 'ربى' أو 'رباني' العبرية، جاء ذكره في القرآن الكريم في سورة المائدة الآية ٤٤ "كان رئيس اليهود يفتل من هذه الطائفة بطلاً لكثرة عددها ولوتها، انتمسوا إلى قسمين فلسطينيين وعراقيين. للمزيد : راجع : قسم عبده باسم : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى تغزو المماليك، ط ١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٢، ٢٤

(٢) القرانيون : اشتق اسمهم من الكلمة العبرية (قرا) ومعناه 'عز' أو 'كدي'، وذلك لأنهم لم يحترقوا مع القرا أي ما قرأ فيه وهو التوراة، أي أنهم لم يحترقوا بالتمود، حرروا (بأهل الدعوة). للمزيد : راجع : قسم عبده باسم : المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) القصار : هم أتباع الصلبي الذي أخبر الله تعالى عنه في سورة طه، الآية (٢١)، 'واصلهم الصلبي'، ويقال في الصلبي هو الذي صنع الحجر الذي عبده بو إسرائيل، عندما ذهب موسى عليه السلام للقاهرة، لم يكن الربانيون لم القرانيون يحدونهم من اليهود، غير أن المصريين عدوهم أهل نعمة للمزيد راجع : المقريري : مخطوط ج ٤، ص ٤٧٦ : قسم عبده باسم : المرجع السابق، ص ٣٧.

و قد زعمت كل طائفة منهم أن المذهب الذي تحتفه هو المذهب الأقرب إلى أصول الديانة اليهودية وقد شكل الريانيون أكثرية عدسية بين يهود مصر، وذلك حتى عهد سلاطين المماليك، بينما كان القرايوس أكثر ثراءً، وقد قام بينهم وبين الريانيين نزاع وصل إلى حد اتهام ققرايين لهم بالكفر، فحرموا الزواج منهم، كما حرموا الاتصال بهم.

أما السامرة فكفوا أقلية، ووجدوا عن اليهود الريانيين، وكذلك القرائين، صار اليهود باختلاف طوائفهم بعد الفتح من أهل الذمة، وعوملوا معاملة حسنة، مقلدا عومل أهل الذمة، كما تعرضوا لمثل ما تعرض له أهل الذمة من مضايقات في بعض الأحيان غير أنها لم تكن مضايقات مذهبية. (١)

#### (٢) الانحلال الأخلاقي :

لم يخل المجتمع الإسلامي من ظهور بعض مظاهر الانحلال الأخلاقي الذي نتج عن دخول المجتمع الإسلامي في مرحلة جديدة تبدلت فيها أوضاعه بشكل سريع ومعاصر، فملا وقت مبكر من عصر الدولة الأموية ظهرت مسحة قوية من الترف أدت إلى تسرب كثير من الإفراط، والبحث الذي بعد عن روح الإسلام، ومبادئه، فانغمس بعض الخلفاء في اللهو، والترف، وقمل المجون، وكان بعضهم لا يظهر للندماء إلا من وراء حجاب حتى لا يطلع الندماء على ما يعله الخليفة، وهو سكران، في حين كان البعض الآخر لا يبالي من ذلك، ويغالي من فعل المجون بحضرة الندماء كما كان يزيد بن عبد الملك، وكذا الوليد بن يزيد الذي وصف بأنه صاحب شراب ولهو، ومجون. (٢)

(١) القزويني : المصدر السابق، ص ١٤٧، فلم عنه قاسم : المرجع السابق، ص ٣٣.

(٢) سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٢٥٥.

لم يقتصر الشرب، والمجون على الصغرة من الرجال فحسب، بل يرى بعض النسوة يخرجن عن المألوف ويدمنن الشرب، فكانت أم حكيم بنت يحيى بن العاص أم الخليفة يزيد بن هشام لا تكاد تفارق كأس التي عرفت بين الناس بكأس أم حكيم حتى عُير بها ابنها الخليفة يزيد، وجاء الوليد بن يزيد قائلا :

إن كأس المجوز كأس رواء	ليس كأس كأس أم حكيم
إنها تشرب الراسطلون <sup>(١)</sup> صرقاً	في إقاء من الزجاج عظيم
له به يشرب الهمير أو الفيل	يظل في مسكرة وعموم
ولفته سكرى قبل تحسن تطلق	فوان لذلك غير حليم <sup>(٢)</sup>

ولما كان الناس على دين ملوكهم، حاكى هؤلاء، وبعض العامة خلفاءهم، فكان الوالي مرة بن شريك والي مصر يتصف بالفسق، والفجور حتى قيل : إنه كلما انتهى من بناء مسجد نشنه بالخمر، وقال : يا الليل، ولهم النهار، كما كثرت مجالس الغناء التي اقرنت هي الأخرى بالشرب، والتي لم تقتصر على مجتمع القصور فحسب بل شملت بقية طبقات المجتمع الذي شغف بها أيضاً، وذلك مع غارق بوعية الحضور، ومستوى انعقاد المجلس<sup>(٣)</sup>.

(١) الراسطلون : هو شراب لهم يرمي اتخذه أهل الشام وهو مزيج من الخمر والصل. للمزيد راجع : الأصفهاني [أبو الفرج علي بن قيس بن سعيد القرشي] ت ٣٥٦هـ : الأغنياء المجلد السادس عشر، ط ١، نشره وكتبه هوامشه : زيد أ. علي مهنا، دار الكتب القطرية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م، ص ٢٩٢.

(٢) نفسه، ص ٢٩١، ٢٩٢.

(٣) ابن نوري برقي . الفجوم، ج ١، ص ٢١٧ نسخة إسماعيل كتف مصر في فجر الإسلام، ص ٢٥ سعيد عبد الفتاح عاشور : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٩.

لم تقتصر مظاهر الفساد الإداري إلى حد شرب الخمر فحسب بل عم الفساد أوسع مصر، حتى إنه في ولاية يحيى بن داود الخرمي (١٦٢ - ١٦٤ هـ / ٧٧٨ - ٧٨٠ م) الشهير بأبن ممدود كثر المعسودون، ويطاع الطريق فأخذ في إيهانتهم، وقتل العديد منهم، وفي ولاية مزاحم بن حافسان (٢٥٣ هـ / ٨٦٢ م) ساءت الأحوال، وانتشر الفساد، فلحظ في شر لأخلاق الحميدة، وأمر صاحب شرطته بالتحذير لتلازم لتحقيق ذلك، فتشدد أرحور صاحب الشرطة، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن، كما منعهن من التوجه إلى الحمامات، أو المقابر، كذلك نهى عن شق الثياب، والنواح على الميت، ومنع حلق الشعر، وسواد الوجه على الميت.

ولم يمنع الثراء الاقتصادي التي عاشته مصر زمن أحمد بن طولون من انتشار الأخلاق غير الحميدة، فعلمنا كثر الثراء مسبباً مني الفلوع في الرذيلة، كان للفقر أيضاً سبباً لذلك، ففي زمن أحمد بن طولون ثم العثور على جمال بسيط يحمل فتية يذهب بها إلى الصحراء بعد أن العمران، لكي يقوم بدفعها هذا مقابل دينار واحد أفراد به القتل، وقد قبل العمال ذلك؛ نظراً لمصيق حاله، كما وافقت بعض السيدات العمل بالتمسك لصلح الخلفاء، والولاء، وتسري إلى الثبوت لمعرفة أخبار ما، لم نقلها للولاء، ولم يلق الأمر عند هذا الحد من ساد الأخلاق بل وصل إلى حد الفسق، والرفا، فقد حملت إحدى الفتيات سفاحاً من رجل غير زوجها بعد أن أهدتها هديقاتها، واستولين على عظامها، ولم تذكر ذلك الفتاة في محاولة إجهال نفسها حتى لا يفتضح أمرها.<sup>(١)</sup>

- 
- (١) ابن تغري بردي: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٤ المرفوعي الخطص، ج ١، ص ١٠٢، ١٠٣؛ محمد عبد القادر خريست: المرأة والمشاركة الممسية لسي ظل الدولة الممسية لإدارة تطبيقية منذ العصر الجاهلي حتى سقوط الخلافة الممسية في بغداد، ١٥٦ هـ / ٢٥٨ م، ط ١، الأرن، ١٩٩٨ م، ص ١٨٥.
- (٢) البروي: سيرة أحمد بن طولون، ص ١٣٠، ١٦٩؛ محمد عبد القادر خريست: المرجع السابق، ص ١٨٥.

ويؤكد سعيد عاشور أن هناك العديد من الأمراض الاجتماعية الأخرى التي انتشرت في شتى الولايات الإسلامية شرقاً وغرباً هي تلك الفترة، غير أن التمسك بالدين، والحرص على إحياء شعائره حال دون ظهورها مثل الشذوذ الجنسي، وكذلك تعاطي المخدرات. (١)

وخلال سير الأحداث يتأكد أن الفساد يتوابعه، ولا سيما الاجتياح منه قد يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعملية التحول، ولا سيما المعاجي منه ينسحب النظر عن تحديد مجتمع بعينه أو عملية تحول بعينها، فإن افتراضنا أن مجتمعاً ما قد تحول إلى مجتمع مثالي يتمم بالتقويم والأخلاق، فإنك لابد أن تجد للفساد بحلولاً جاهذاً للبحث عن مكان له في ذلك المجتمع حتى لو ادعى هذا المجتمع بكل ما يملك من قوى. (٢)

---

(١) سعيد عبد الفتاح عاشور : دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٢٧٤

(٢) دعاء محمد أنور : التحولات الاجتماعية وظاهرة الفساد في المجتمع المصري، ص ٦٥.



# الفصل الثالث

## مظاهر الفساد السياسي والإداري في مصر تحت الحكم الفاطمي

أولاً : تمهيد :

- ١-بدلية التشريع.
- ٢-أصل الفاطميين ونسبهم.
- ٣-إقامة الدولة الفاطمية في مصر.

ثانياً : أساء الخلفاء السياسي :

- ١- التسلط في أسس العقيدة الإسلامية، وتغيير تعاليمها لأغراض سياسية.
- ٢- كدعاء معرفة الضيق، والأكراهية لأغراض سياسية.
- ٣- الإمعان في القتل، والتعذيب، وإرهاب العامة.
- ٤- تدخل النساء في أمور الدولة.
- ٥- كثرة المناسن، والمؤمرات، والاعتقالات داخل القصر.

ثالثاً : فساد الوزراء والوسطاء ومراعاتهم من أجل الوصول للحكم

رابعاً : الفساد الإداري في مصر تحت الحكم الفاطمي.





## أولاً تهديد:

### [١٦] بداية التشيع -

نُعتُ بداية التشيع أولَ حزبٍ سياسي ديني يظهر على مسرح الأحداث التاريخية الإسلامية، فيمجرد وفاة النبي (ﷺ) ١٢ هـ / ٣٦٢ م، اختلف الصحابة فيما بينهم على من يتولى أمر المسلمين، وقد اجتمع بعضهم على أن أدق الناس بذلك هم آل بيت النبي (ﷺ)، ولاسيما بن عمه، وزوج ابنته علي بن أبي طالب، غير أن الأمر قد آل لأبي بكر الصديق (رضي الله عنه)، ومن بعده عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، الذي انحاز إلى بني أمية التي طالما حذرتهم أنفسهم بالسلطة، فأخذوا يتصرفون في الولايات الإسلامية، وكأنها ملكاً خاصاً بهم، هذا الأمر الذي أدى إلى وقوع فتنة بين المسلمين أدت إلى قتل عثمان بن عفان ٣٥ هـ، وتولى علي بن أبي طالب الخلافة. (١)

غير أن بني أمية لم يقبلوا بهذا الواقع، وأبت أنفسهم ترك السلطة، والمجد، فانهموه بالمشاركة في نماء عثمان، ومن ثم دخلوا معه في حروب كثيرة، أدت في النهاية إلى مقتل علي، وفوز بني أمية بالخلابة لاجعلوها إرثاً يتوارثونه فيما بينهم، فعز ذلك على أنصار علي، وشيعته فوكلوا في وجه بني أمية كمزب مضاد، وتعرضوا من أجل ذلك للقتل، والصلب، والتعذيب، والتشريد، ثم استماتوا بأبناء عسوتهم من بني العباس للوقوف في وجه الأمويين، وما أن تم لهم النصر عليهم حتى حل العباسيون محل الأمويين. وشعر العلويون أنهم خدعوا للمرة الثانية، وما تم من تحالف بينهم، وبين العباسيين ما هو إلا مجرد استبدال سيد بمسود آخر أشد قسوة، ومن ثم بدأ صراع مزمر بين شيعمة علي (رضي الله عنه)،

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢، ط٢، تحقيق كامل حداد، مؤسسة دار العلوم، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١١٩٢؛ ابن الأثير: [عز الدين أبو الحسن بن علي بن محمد]، الكامل في التاريخ، ج٢، دار صادر، بيروت، ص ١٧٩؛ أحمد مختار البدي في التاريخ العباسي وقلطسي، ص ١٢١؛ المجد عبد العزيز سالم : تزيح الدلالة العربية، مؤسسة شهاب للدراسة، الإسكندرية، ١٩٩٧، ص ٢٧٩ - ٣٠٦

والعباسيين الذين دافعوا عن أحقيتهم في الخلافة، ودارت الدائرة من جديد، ولكنها كانت أشد وطأة، ولحمى وطبعاً حتى قال أحد الشعراء للمجهولين،  
 تالله ما قطعت أمية فيهم — معشر ما فطنت بنو العباس<sup>(١)</sup>

هذا الأمر الذي جعل شيعة علي (عليه السلام) يلجأون إلى سياسة 'التقية' أي التخفي، وانتشر عن أعين العباسيين، وقد استطاعوا بفضل دساتهم أن يشروا دعواهم في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، إلا أن حطيم إمارة العالم الإسلامي، واسترداد ما يسمونه حقهم المطلوب في الخلافة ظل يراودهم دون انقطاع، وأخيرًا وبعد ما يقرب من مائة وخمسين عامًا من التخفي، والانعزالية، استطاع الحزب الشيعي العلوي أن يصل إلى بلاد المغرب بالقرينة، ويعلن عن نفسه، وعن قيام دولة شيعة جديدة بعيداً عن الخلافة العباسية، عرفت هذه الدولة بالدولة الفاطمية (٢٩٧هـ/٩٠٨م).<sup>(٢)</sup>

#### [٢٦] أصل الفاطميين ونسبهم

لقد انقسمت الشيعة فيما بينها منذ أول عهدها إلى عدة فرق، وكان أشهر هذه الفرق فرقة الإمامية التي انقسمت بدورها إلى طائفتين، سائبة الإمامية الاثني عشرية<sup>(٣)</sup>، وطائفة الإمامية الإسماعيلية التي نسبت إليها

(١) المقريزي : التراج والتماسم فيما بين بني أمية وبني هاشم، ص ١٣٧، حسن إبراهيم حسن : عهد الله المهدى بإمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م، ص ١١٨، جرجي زيدان : تاريخ تمدن الإسلام (يتناول مبسطة الدولة وتبازع رجالها على السيادة في عهد الراشدين، فالأمويين، فالعباسيين، فالأندلسيين، فالفاطميين، ومبسطة كل دولة منها في تأكيد سلطتها)، ج ٤، مراجعة ومطبع : حسين مؤنس، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ٥٢.

(٢) المقريزي : تعاقب الحقا، ج ٤، علي حقيقي خريوطي : لير عهد الله الشيعي، ص ٤٩، أحمد مختار تجلدي، في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٢٢١، ٢٢٠.

(٣) الإمامية الاثني عشرية - هي التي قامت بإمامة موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق ومن بعده موسى بن الإمام علي الرضا ثم أئمتهم من بعده حتى يصلوا إلى الإمام محمد المنتظر الذي يمثل عندهم الإمام الاثني عشر الذي دخل مردياب ثم اختفى ٢٦٠هـ وهم ينتظرون عودته. لذا قد أطلق عليهم أيضاً الوفاة، ومذهبهم

الدولة الفاطمية، التي قامت في المغرب، ومصر، وقد حرص الحلفاء الفاطميون منذ البداية على تمسكهم بصلة القرابة بأمره النبي (ﷺ) لذلك هم يحرصون على ذكر اسم دولتهم في السجلات الرسمية باسم الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup> نسبة إلى السيدة فاطمة بنت النبي (ﷺ)، وزوجة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وكذلك في أحيان أخرى يسمونها بالدولة العلوية<sup>(٢)</sup> نسبة إلى علي بن أبي طالب الجد الشرعي لسلالة خلفائهم، ولما كانوا أنصار علي وشيعته منذ أمر الملقبة المعروف فقد عرفوا أيضاً بالشيعة.<sup>(٣)</sup>

ولكن هذا ما قد سجلته لنا السجلات الرسمية المختلفة، وعرف في كتب التاريخ كإمر واقع دأب أكثر من مائتين وستين عامًا، ومع ذلك فقد ظلت قضية نسب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب، وزوجته فاطمة مشاراً للجدل، والخلاف بين المؤرخين، وقضية تتأرجح بين ما هو مؤيد وما هو معارض، ولم يتم البت فيها، لو إغلاق ملفها حتى الآن.

فمنهم من يزيد هذا النسب، ويدافع عنه بشدة ويرجع نسبهم إلى إسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومن إسماعيل انتقلت الإمامة إلى ابنه

---

هو مذهب أهل بيت اليوم، للمزيد راجع : البغدادي (عبد القادر بن طاهر بن حمد البغدادي) ١٣٧/٤٢٩. الفرق بين الفرق، تحقيق : حمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢١؛ الحصن بن موسى القرني للشيعة، تحقيق : عبد السلام المصري، دار الرشاد، القاهرة، ١٩٩٢، ص ٥٧؛ أحمد مختار البغدادي : المرجع السابق، ص ٢٢١.

(١) عبد السلام ماجد : السجلات الفسطاطية، دار الفكر العربي، القاهرة، سجل رقم (٣٧)، (٣٤)، ص ١٠٤، ١٠٩.

(٢) نفسه، سجل رقم (٣٤)، ص ١٠٧.

(٣) ابن خلدون أولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (الإسبيلي) . ليعبر رندويوس السبكأ والخبر في تاريخ العرب والمجم والبربر ومن عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر، ج ٤، بولاق، ١٢٨٤م، ص ٣٤٨؛ عبد العظيم ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج ١، ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٩.

محمد (المكثوم) - وهو أول الأئمة المستورين، والإمام السابع بعدهم - الذي رحل إلى سلمية<sup>(١)</sup>، وأمن في التخفي من العباسيين، وقد اعتمد محمد، ومن بعده ابنه عبد الله الرضي في نشر دعوته على رجل يدعى عبد الله بن ميمون، كما اعتمد أحمد بن عبد الله الرضي على عبد الله بن ميمون القداح، ومن أحمد انتقلت الإمامة إلى ابنه الحسين، وفي عهده خرجت الدعوة إلى كثير من أرجاء العالم الإسلامي، إلى أن وصلت إلى المغرب بفضل عبد الله الشيعي<sup>(٢)</sup>، داعية في بلاد المغرب إلى أن استقرت الأمور، فبعث إلى عبد الله المهدي بن الحسين الذي قدر له أن يكون أول الخلفاء الفاطميين فيها.<sup>(٣)</sup>

وليعرض الآخر يذكر هذا القصب، ويرجع الفاطميين إلى أصل مجوسي، نسبة إلى ميمون القداح سابق الذكر، وهو فارسي مجوسي من سبي الأموي، ويذكرون أنه قد تظاهر بالإسلام، والتشيع، وغالي في

(١) سلمية : هي بلدة من أصل حمص وكانت تعد من أعمال حمص، قيل أنها كانت قرب الموثكة، ولما نزل المذاب بأهل الموثكة قتلوا في القرآن، نج منهم مائة، فصرخوا وسكروها، وسيت سلم مائة، ثم حرفت إلى سلمية، يقال أن بيتها ببلد التميميين وفي طريقها إلى حمص قيل لعمرو بن بشير، فلزيد راجع : بالوت العموي (مجم البلدان، ج ٥، ص ٩٦٩).

(٢) أبو عبد الله الشيعي : هو أبو عبد الله بن أحمد بن محمد بن زكريا المعروف بالشيعي، من أهل صنعاء باليمن، اشتهر بالذكاء والدهاء ومهارته في القتال، كما اشتهر بالفتن والزهد حتى أطلق عليه (الصوفي) كما كان ذا علم بفسرود الدين وهو صاحب الدور الأولى للدعوة الفاطمية في بلاد المغرب، غير أن جزء من نفس الجزء الذي يغاها أبو مسلم الفرساني مع فرق فتنة حوث فغلب الشيعي العمسقي به الأمور في بلاد المغرب بعد ما وصل إليه أبو عبد الله من مكانه. للمزيد راجع : ابن خلكان : وفيت الأعيان، ج ٢، ص ٢٢٦ المقريزي : التمهيد لفتحها، ج ٢، ص ٩٦٦ علي حسني الخريوطي : أبو عبد الله الشيعي، ص ١٢.

(٣) ابن خلكان : المعصر السابق، ص ٤٠٥ ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٤، ص ٥٠ المقريزي : التمهيد، ج ٢، ص ٢٤٨ التمهيد لفتحها، ج ٢، ص ٤٠٥ عبد المصم ماجد : المرجع السابق، ج ٢، ط ١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨٥، ص ٩.

دعوته، وتلاى بوجود إلهين إله النور، وإله الظلمة، وقد درس الفقه، والأساطير، والجنال الفلسفي، وبحث بدعائه في كل مكان معتمدين على الشعر الذي أجادوه، وجاء إبنه عبد الله الذي كان لمكر منه، كما ينكرون أن عبد الله المهدي نفسه من أصل يهودي يعود إلى أن أحسن بن أحمد بن عبد الله اقتراح لما أتى سلمية تزوج من امرأة رجل يهودي مات عنها زوجها، وكان لها ولد يدعى سعيد أحبه الحسين، وأبنه، وأعطاه أسرار الدعوة حيث لم يكن له عقب، وسعيد هذا في اعتقادهم هو عبد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين. (١) والبعض الآخر من المؤرخين وقف محايداً بين ما هو مزيد، وما هو معارض. (٢)

ومع ذلك فإننا نميل إلى الرأي القائل بثبوت نسب الفاطميين إلى علي، وفاطمة، ولا نرى بداً لما قد قيل في التشكك في نسبهم سوى أنه وسيلة من وسائل الحرب القائمة بين العباسيين، والعتوبيين، ولاسيما في ظل انتشار المذهب الشيعي في كثير من أرجاء العالم الإسلامي (٣)، حتى وصل إلى بغداد - عاصمة العباسيين - نفسها، مما أدى إلى استخدام هذه الوسيلة لوقف هذا الفرع الشيعي، ولاسيما أن الفاطميين قد اعتمدوا كما ذكر في إقامة دولتهم على هذا النسب، فصدرت عدة محاضرات تدوين

(١) المقرئ: الخطوط، ج ١، ص ٢٤٤؛ القزويني [أحمد بن يوسف القزويني]: أخبار الدول وأثر الأول في التاريخ، تحقيق: أحمد حطيط، وفيه مبحث، المجلد الثاني، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م، ص ١٢٢٩ محمد عبد الله علق: الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط ٣، مكتبة الختجي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص ٢٨١ - ٢٨٢.

(٢) أبو الفداء [إسماعيل المؤيد بن علي صاحب كتاب]: المختصر في أخبار البشر، ج ٧، تحقيق: حسن مؤنس، ص ٩٣.

(٣) سراج الدين في إقامة دولة شيعية حاكمة في طبرستان ٢٥٠هـ/٨٦١م، وفي لبس ٢٨٤هـ/٨٩٧م. كما تولى القرامطة على جنوب العراق والبحرين والإصطري، وتوجه البرهمن الشيعة في فرض ميطرتهم على بغداد، راجع: ابن سبويه: الدولة الفاطمية في مصر، تحقيق: مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧، ص ٢٢٢، محمد جمال الدين مرزوق: الدولة الفاطمية، ص ٢٧.

للعالميين، وقتهمهم بالكفر، والزندقة - كمادة الجاسيين فيهم يعصبون عليهم - وقد وقع على هذه المحاضر عند من الأشراف، والأعيان، والعصاة. كما أطلقوا عليهم اسم "الجديدين" مخزيةً، ولطفاً لهم. <sup>(١)</sup>

ولكن لئلا كان الأمر، وسواء كان اقتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب، وروجه قطعة حقيقة، أو ادعاء فإن هذا لا يغير من الأمر شيئاً لأن الفاطميين اعتمدوا على هذا النسب ليكون الدعامة الأساسية لإثبات أحقيتهم في الخلافة، وقد نجحوا بفضل، وبعد جهود كبيرة في إقامة دولة فاطمية شيعية في بلاد المغرب تعتمد كغيرها من الدول الإسلامية الأخرى على الدين والدولة معاً. وهذا يتفق مع ما ذكره ابن خلدون في أن الدولة لا تقام إلا بالدين، والسياسة معاً. <sup>(٢)</sup>

### [٢٢] إقامة الدولة الفاطمية في مصر :

لم يكن هدف الفاطميين هو إقامة دولة شيعية في بلاد المغرب فحسب، بل كان هدفهم الأساسي هو إقامة العالم الإسلامي، ومن ثم القضاء على الخلافة العباسية في بغداد ؛ لذلك عدوا مدة إقامتهم في بلاد الغرب بمثابة الفترة التمهيدية التي يعدون فيها لعدة ؛ لكي ينطلقوا منها نحو الشرق الإسلامي ؛ لذلك كان العلم الذي يرلودهم باستمرار هو كهيئة الحصول على مصر، ولا سيما أنه لم يجب عنهم أن الوصول إلى مصر معناه السيطرة على الشام، وفلسطين، والمجاز، ومن ثم السيطرة على ثلاثة من أهم المراكز الإسلامية الكبرى ألا، وهي : القسطنطينية ودمشق، والمدينة المنورة، إضافة إلى ذلك ما تتميز به مصر من ثروات متعددة تساعد على تحقيق أهدافهم ؛ لذلك أخذ الفاطميون يشنون دعائهم في مصر في محاولة منهم لتحويل أهلها لقبول مذهبهم الشيعي الجديد، وقد نجح هؤلاء الدعاة إلى حد كبير، وأصبح للفاطميين أعوانٌ وأنصارٌ يتماطلون معهم داخل الديار المصرية. <sup>(٣)</sup>

(١) محمد ماهر حمادة : التوافق السياسية والإقليمية، ص ٩٠، ٩١.

(٢) ابن خلدون : المقدمة، ج ١، ص ٣٩٣.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والاجتماعي، ج ٢، مصر العلمي في الشرق ومصر والمغرب والأندلس ٢٢٢ - ٤٤٧ هـ / ٨٤٧ - ٨٤٧ هـ.

و قد اتخذ الحليفة المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية، أول خطوة في تحقيق حلم الفاطميين وكان ذلك في عام إحدى وثلاثمائة، عداً أرسل جيشاً كبيراً إلى مصر قلده ابنه أبو القاسم، وسار أبو القاسم إلى برقة، واستولى عليها، ثم سار إلى الإسكندرية، والقيوم فضيق على أهلها، فأرسل الحليفة للعباس المقتدر (٢٩٥ - ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ - ٩٢٩ م) جيشاً عظيماً استطاع أن يحلهم عن مصر، فعادوا إلى المغرب مرة أخرى، ويذكر المقريزي أن سبب تحرك أبا القاسم بن المهدي على رأس هذه الحملة أنه قد وجه إلى بغداد قصيدة يفر فيها بنفسه، وبما فتح من بلاد، فأجابته أحد الشعراء بقصيدة على ورنها وروبها ومنها :

فلو كانت الدنيا مثلاً لطائر  
لكان لكم منها بما حُرِّم الذئب  
فأثَّره هذا البيت، وقال :

أولئك لا أزال حتى أمك صدر الطائر، ورأسه أن قدسرت، وإلا  
أهلك دونه<sup>(١)</sup>.

ومن أجل ذلك فقد حاول أبو القاسم غزو مصر مرة أخرى، وكان ذلك في عام ست وثلاثمائة، وفي هذه المرة وصل إلى الإسكندرية، واتجه إلى صعيد مصر، وملك الأشمويين، غير أن جيوش الخلافة العباسية قد تغلبت عليه في هذه المرة أيضاً، غير أن هذا الحظ ظل يروده طويلاً، ولكنه لم يسعده الحظ في تحقيقه، وهلك دون أن يحققه، وقد أباح لأبيه المنصور (٣٢٤ - ٣٤١ هـ) بذلك ولوماء بتمقيقه، غير أن المنصور لم شغل بثورات البربر المتتالية، والحركات الخارجية التي أبداها أهل السنة

١، ٥٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص ١٥٢، أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٢٦، ١٢٧، صدي عهد القمم حسن . محاضرات في تاريخ مصر الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ١١٦  
(١) أبو الفداء (الملك المؤيد صاعد الدين بن علي صاحب حاكم) : المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ط ١، تقديم حسين مؤنس، ص ١٩٨، المقريزي : الخطوط، ج ٢، ص ٣٥١، تعلف الحفاء، ص ٦٩، أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٢٦.





بمصر من فساد، ولا سيما بعد موت كالقور الإخشيد، وعدم وجود شخصية قوية تسيطر على الأحوال في مصر، ويلاحظ مدح المعز، وأثره على جواهر مصطفى، على رأس جيش استطاع حمله احتلال مصر بـ  
مقدمة.<sup>(١)</sup>

وهكذا كان فساد مصر سلاخاً ذا حنين، أدى الأول منه إلى قطع دابر الإخشيديين وإتجار دولتهم نهائياً من مصر، وأدى الثاني إلى قيام الدولة الفاطمية فيها، ومن ثم بناء عاصمة جديدة عرفت بالقاهرة التي سر لها أن تصبح منذ ذلك الزمن إحدى أعين المدن الرئيسية في دنيا الإسلام، والعروبة حتى وقتنا الحاضر.<sup>(٢)</sup> ومن القاهرة الفاطمية يبدأ الباحث رحلة

==

البيعة المأخوذة، نشره : يس عبد المسيح : عزيز سوربال عطية، أسوند برسبر، ج ٢، م ٢، القاهرة، ١٩٥٩م، ج ٢، م ٢، ص ١٨٧ ابن حنكلان وفيلات الأعشي، ج ١، ص ٣٧٦ : مصطفى صلاح الدين خليل بن أبيه [ت ٢٥٤هـ / ١٢٦٢م، الوالي بالولايات، ج ١١، تحقيق : مجموعة من العلماء، استنبول، بيروت، ص ٢٢٤ : الفولادري [أبي بكر عبد الله بن أبيه] كثر الضرر وجامع المغرر (الفرقة المضيلة في أخبار الدولة الفاطمية)، ج ١، تحقيق : صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٩١م، ص ١٢١ : ابن توري بردي : النجوم، ج ٤، ص ٣٠ : ابن أبي إسحاق : البركات محمد بن أحمد بن أبي الحسن : بدخ فزوه في وقتع فزوه، ج ١، القسم الأول، تحقيق : حمد مصطفى، القاهرة، ١٩٧٥م، ص ١٨٤.

(١) ابن حنكلان : وفيلات الأكمل، ج ١، ص ٣٧٥ : ابن عبد الظاهر [محي الدين أبو الفضل عبد الله الظاهر المصري] (٦٢٠ - ٦٩٢هـ / ١٢٢٣ - ١٢٩٢م)، الروضة البهية الزاهرة في خطط العمرة القاهرة، تحقيق : أمين فؤاد سيده، تدوين العربية للكتاب، القاهرة، ص ٩ : الفوري [شهاب الدين أحمد بن عبد قوام] مدينة الأرب في فنون الأنس، ج ٢٨، تحقيق : حسين نصر ومحمد أمين ومحمد عبد الهادي شعير، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ٥٩ - ١٠٠ : المصري [أبي الدين أحمد بن علي] : المعنى الكبير، ج ٢، تحقيق : محمد اليمشوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م، ص ٣٤ : ابن توري بردي : النجوم، ج ٤، ص ٢٨ : محمد ماهر حمدة : الوثائق المملوكية والإدارية، ص ٢٠ - ٣١.

(٢) محمد ماهر حمدة : المرجع السابق، ص ٢٠ - ٣١.

الكشف عن مظاهر الفساد المختلفة، ولتكن البداية الفساد السياسي فساد  
القمة

### ثانياً فساد العلاقات السياسية

#### [١] التناحر في أسس العقيدة الإسماعيلية، وتغيير تعاليمها لأغراض سياسية

قامت طائفة الحكم عند الفاطميين على أسس متبعة من تعاليم  
المذهب الإسماعيلي، الذي عد نظام الإمامة<sup>(١)</sup> هو النظام الرئيس الذي  
قامت عليه الدولة الشرعية، والإمام الفاطمي في نظر الشيعة يقع في مرتبة  
دون النبي (ﷺ)، وفوق البشر<sup>(٢)</sup>، وهو خليفة لمن سبقه بموجب الحق  
الإلهي يُختار ليكون وصياً للنبي (ﷺ)، ولعلي بن أبي طالب (عليه السلام)،  
ويشترط في الإمامة أن تكون في الأعقاب أي تنتقل من الأب إلى الابن  
لأن الابن في مفهومهم يحمل علوم الإمام السابق، وكذلك صفاته الإلهية  
التي تنتقل إليه بالوراثة ساعة موت الخليفة السابق<sup>(٣)</sup>، كذلك يكون الإمام

---

(١) الإمامة : يفضل الإسماعيليون لفظة إمامة ولا يفضلوا لفظة خلافة، والإمام الأول  
عندهم هو "علي بن أبي طالب" (عليه السلام)، وقد تشبهوا في ذلك بإمام الصلاة الواجب  
إنهاضه والافتضاء به، والخلافة عندهم هي الإمامة الكبرى نموذجاً لها عن الإمامة  
الصغرى وهي الإمامة في الصلاة. لذلك فلم يظهر لقب خليفة في مساجدهم  
الرسمية، بل ظهر باسم الإمام أو أمير المؤمنين. للمزيد راجع : جمال الدين الشيال  
: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١١٧ عيد المنعم ملحد : نظم الفاطميين ورسومهم،  
ج ١، ص ٥١.

(٢) القاضي النعمان . المجالس والمسيرات، ص ١١٢ عيد المنعم ملحد : ظهور  
خلافة الفاطمية وسقوطها في مصر (الفتوح السعيدية)، ط ٤، دار الفكر العربي،  
القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م، ص ٢٨٣.

(٣) القاضي النعمان : المصدر السابق، ص ٤٤٥ جمال الدين الشيال : مجموعة  
الوثائق الفاطمية، ص ١١٧ عيد المنعم ملحد : السجلات المستعمرة، سجل  
(٣٥)، ص ١١١ عيد المنعم ملحد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، مكتبة  
الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م، ص ٥٣.

الشيعي في العقيدة الشيعية معصوماً من الكبت، والصغار<sup>(١)</sup>؛ لذلك ليس طاعة الفاطميين للإمام كانت طاعة مطلقة، ومقدسة.<sup>(٢)</sup>

ولا يوجد شرط في الإلمة الإسماعيلية سوى ما عُرف لديهم باسم "الوصية"، وهي بمثابة التعيين الذي يحتم على الخليفة القيام به قبل موته لمن يجلفه، ولا يشترط أن تكون هذه الوصية مكتوبة، أو معلنة، فعالب ما كانت شفهية، أو معروفة لبعض الأشخاص الموثوق بهم لدى الخليفة، الذين يقومون بإعلانها في الوقت المناسب<sup>(٣)</sup>، وحفاظاً من الشيعة على إظهار صفاتهم الروحية، وسلطانهم الدينية، كان، ولابد لولي العهد أن يلقب "بولي عهد المؤمنين".<sup>(٤)</sup>

ويذكر الدكتور/ جمال الدين الشيال: أن نظام ولاية العهد كان عاملاً من عوامل استقرار الدولة الفاطمية إلى حد كبير، حيث حسب الأسرة الفاطمية، والدولة عوامل الصراع، والنزاع، والتخاصم في سبيل ولاية العرش<sup>(٥)</sup>، غير أن هذا الاستقرار لم يستمر طويلاً، حيث تعرض هذا النظام للعديد من المخالفات، وكذلك عمّ الفساد، والتفلال أركانه، فانقسمت العقيدة الفاطمية على نفسها، ودبّ النزاع بين أصحاب البيت الفاطمي، وظهر الفساد في أنحاء مصر، ولاسيما في ظل ولي العهد من

(١) ابن الطوير [أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن القهري القسري]، ت ٦١٧هـ / ١٢٢٠م، ترجمة المؤلفين في أخبار النوليين، بتكميل، لؤس فؤاد سيد، ٩٩٢م، ص ١٢٣، المفريزي: تملط الحنفاء، ج ٣، ص ١٣٧، جمال الدين الشيال: للمرجع السابق، ص ١٧ - ٢٠، عهد المنعم ملج: ظهور الدولة الفاطمية، ص ٣٨٢.

(٢) النسي التعلل: المصدر السابق، ص ١٧٨، عهد المنعم ملج: نظم الفاطميين ورسولهم، ص ٦٢.

(٣) أمير فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣١٧.

(٤) ففاسي النعان: دحلهم الإسلام ونكر الحلال والحرام والتصليا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم فضل السلام، ج ١، تحقيق: أسفي بن علي بن أصغر بن قيسي، دار المعارف، القاهرة، ٩٦٥م، ص ١٥.

(٥) جمال الدين الشيال: المرجع السابق، ص ٢٠.

الحنفاء المأظميين الإمامة في سن صغير<sup>(١)</sup>، مما أدى إلى كثرة المؤامرات، والدسائس، وكذلك تسلط الوزراء والقوغاء، وتدخل هذه العصر في الحكم.<sup>(٢)</sup>

وقد كان قمز بنين لله الفاطمي (٣٦٢هـ - ٣٦٥هـ) (٩٧٢م - ٩٧٥م) أول من اخترق المذهب الإسماعيلي، وحالف شروط الخوفاة العصفية، وذلك عندما عين لولاية عهده ابنه تالك "زار" الذي عرف بالعزيز بالله (٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ) (٩٧٥م - ٩٩٦م)<sup>(٣)</sup>، على الرغم من أنه ليس صاحب الحق في ذلك، تبعاً للمذهب الإسماعيلي الذي يصر بضرورة أن يكون الإمامة في الأعقاب كما تم ذكره، وقد كان المير لذين الله - وهو ما زال في إفريقية - قد قام بتعيين ابنه الأوسط عبدالله لولاية عهده من بعده<sup>(٤)</sup>، متخطياً ابنه الأكبر تميم ؛ لأن تميماً كان يحجب حبة عابئة بعيداً عما يجب أن يكون عليه الإمام.<sup>(٥)</sup>

(١) حيث تولي الحاكم بأمر الله الخلافة بعده إحدى عشر سنة وخمسة أشهر وثمانية أيام، وتولى الظاهر لدين الله وهو في السادسة عشر من عمره، والمستنصر بالله السابعة من عمره، والأمر لدين الله خمس سنوات، والظاهر سبع عشرة سنة، والظاهر خمس سنوات، والظاهر إحدى عشر سنة، للمريد راجع . القديس إسماعيل الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ت ٧٤٨هـ / ١٢٤٧م مير أعلام النبلاء ج ١٥، تحقيق : شعيب الأرنؤوطي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ص ٣٠٧، ٣٠٨، القفري : القامع الحناء، ج ١٢، ص ٣١٧، ١٤٩، بن تليزي، بري . النجوم، ج ٢، ص ١٧٦، ١٢٤٧، ج ٥، ص ١٧٦، القفري لغير الدول وأثار الأول، ص ٢٤٤ - ٢٤٥، عبد القم ملاحظ نظم الشاهسبير ورسومهم، ج ١، ص ٥٧.

(٢) ابن الأثير : القولة القبطية في مصر، ص ١٥٧.

(٣) ابن حماد : أمير عبد الله محمد بن علي : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، نقوى الشهاسي، نشر، عبد الحليم عويس، نشر الصلوة، القاهرة، ص ٩٤.

(٤) نفسه، ص ٩٣.

(٥) نفس فؤاد سيد : المرجع السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

وبذكر ابن حماد أن المير ك قصي ابنه تميم عن الإمامة لأنه كان لا يولد له لخير بني عبيد، ص ٩٣.

ظل عبد الله يعد انتقال القاطنين إلى مصر هو وني عهد المعز لدين الله حتى توفي فجأة في حيلة ليه<sup>(١)</sup>. هذا الأمر الذي أدى إلى انقلاب في نظام الحكم، حيث كان ابن عبد الله هو صاحب الحق الشرعي في الإمامة، إلا أن المعز لدين الله قد تخطأ كما تخطى شعبيته نفسه، وقام بتعيين درار، على الرغم من حرص الشيعة الشديد على أن الإمامة لا تنتقل من الأخ إلى أخيه بعد أن انتقلت من الحسن لحسين<sup>(٢)</sup>، وأبى يجب أن تكون في الأعقاب.

وعلى الرغم من صمت المصدر عن الحبب الرئيس لتجمل المعز لدين الله عن القعدة الأساسية في العقيدة القاطنية، وعلى الرغم من أن ما فعله المعز لدين الله لم تظهر تبعاته في ذلك الوقت؛ نظراً لقوة الخليفة، وقوة الدولة في ذلك الوقت. فإن محاولة تكرار هذا الأمر، ولاقتضاء به، أدى إلى ظهور العديد من مظاهر الفساد التي أثرت على الدولة القاطنية نفسها.

وفي عهد الخليفة الحاكم بأمر الله القاطني (٣٨٩ - ٤١١هـ) (٩٩٦ - ١٠٢٠م) ازدادت الاضطرابات، وتفنن، وكثرت مظاهر الفساد سواء كان ذلك في مرحلة حكمه الأولى التي تحكم فيها وسطاؤه، ووزرائه، أو في مرحلة حكمه المتأخرة التي تشمت بالشدة، والعلف، والاضطراب في الأحكام، والقرارات<sup>(٣)</sup>، ففي عام ٤٠٤هـ / ١٠١٤م،

(١) ابن ظفر إجمال الدين: «أخبار الدول المنتهية (دراسة تحليلية تنقسم للخصص بالمسلمين)» المجلد (١٢)، تقديم وشقيب: أنفريه فريد، المعهد القومي الفرنسي للأثار الشرقية، القاهرة، سنة ١٩٦١؛ ابن عيسى إناج الدين محمد بن علي بن يوسف بن حبيب راجع: أخبار مصر - المنطق من، حققه وكتب مقدمته وحوشه: ابن لؤي سيد، المعهد القومي لآثار شرقية، القاهرة، ١٩٩٢م، سنة ١٩٩٦ المبرزي: قنات الحفاد، ج ١، ص ٢١٦.

(٢) ابن لؤي سيد: الدولة القاطنية في مصر، ص ١٥٧.

(٣) يسكر النكر / جمال الدين الشبل: «في عهد محاولة تخطي شعبيته الإسلامية». غير أن هذه المحاولة قد سبقها محاولة المعز لدين الله القاطني الذي سبق ذكره. مجموعة الوثائق القاطنية، ص ٢٠.

قرر الحاكم بأمر الله الخروج على العقيدة الإسماعيلية، وعدم الاهتمام بها، وذلك عندما حرم ابنه الظاهر لدين الله (٤١١ - ٤٢٧ هـ) (١٠٢٠ - ١٠٣٥ م) من ولاية الحكم، وعهد به إلى بن عمه عبد الرحمن بن إدريس - وهو من امرأة مسيحية - حيث جمع سائر الجند على اختلافهم بالقصر، وقرأ عليهم، بأن أبا القاسم عبد الرحمن بن إيلاس "ولي عهد المسلمين" في حياته، والعقيدة من بعده، كما أمر القناس بالسلام عليه، وأن يقولوا له في سلامهم عليه: "السلام علي ابن عم أمير المؤمنين، وولي عهد المسلمين"، كذلك عين له محلاً يجلس فيه في القصر، كما أرسل بسجل أحمر إلى إفريقيا، قرئ في جامع القيروان، وغيره من الجوامع. <sup>(١)</sup> كما نقل اسمه على السكة، ودعا له على السكاكين <sup>(٢)</sup>، وولاه ولاية دمشق. <sup>(٣)</sup> وفي العام نفسه أصدر مرسوماً آخر يقضي فيه بعدم مخاطبته بـ "الإمام" مكتفياً بلقب "أمير المؤمنين" <sup>(٤)</sup>، بعد أن زهد في الدنيا، ولبس لباس الزهد، والتشلف. <sup>(٥)</sup>

(١) ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، ص ١٢٦، القنوري نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٢، القنصدي إنباب الدين أبو العباس أحمد بن علي: صبح الأشتى في صناعة الإنشاء، ج ٩، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩١٢ م، ص ٢٩٥ - ٢٩٦، القنوري: الخطط، ج ٢، ص ٢٢٨.

(٢) ابن الصوري إنتاج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب بن سليمان للكتاب، ت ٥٤٢ هـ / ١١٤٨ م، نقالون في ديوان الرسائل والإشعار في من دال للوزارة، حفظها وكتب مخطتها وحوادثها ووضع فهرساً: أمين مؤيد، ط ١، الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م، ص ١٦٤، القنوري: أتماظ للصناعة، ج ٢، ص ٣١٧، ابن تقي بري: النجوم، ج ٤، ص ١٩٣، جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٢١.

(٣) القنوري: القصر السابق، ص ١١٩، ابن تقي بري: القصر السابق، ص ١٩٣.

(٤) القنوري: الخطط، ج ٢، ص ٢٨٨، أتماظ الحفاه، ج ٢، ص ٩٦.

(٥) ابن ظفر: أخبار الدول، ص ٥٠.

عدوا أن ولاية عبدالرحمن بن إياس غير شرعية، وتطلبوا على الحاكم بأمر الله، واضطريت الأمور في مصر، وترععت أمور العقيدة الإسماعيلية فيها. ولم ينفذ الأمر سوى تدارك ست الملك أخت الحاكم بأمر الله للمقص ولحقاء الحاكم بأمر الله نفسه من مسرح الأحداث في صروف شاصية محيطها الشك، وقرينة حتى أنه لم يعثر على جيشه (١)

على الرغم من أن محاولة الحاكم بأمر الله لمحاربة العقيدة سم يكتب لها النجاح، فإن هذا القرار أدى إلى فساد المجتمع في ذلك الوقت، ولم يكن قرار الحاكم بأمر الله ذا صلة بسبب مباشر أو معالجة لبعض الأمور، ولكنه نتج عن فساد في قراراته السياسية، وعلى الرغم من عدم معرفة السبب الأسس الذي جعل الحاكم بأمر الله يفعل ما فعل، إلا أنه قد تم في العام نفسه الذي أمر فيه الحاكم بأمر الله التخلص من خطاياهم، وأسبأت أولاده من القصر - على الرغم من شغفه بالجماع - بما ليهم أم الظاهر لدين الله التي أخذتها ست الملك، وأخفنها عن العيون. (٢)

ظلت أمور الإمامة تسير بشكل طبيعي إلى أن توفي المستنصر بالله الفاطمي في عام ٤٧٧هـ / ١٠٩٤م، فأصبح أمر الدولة، وعقبها في يد ورثتها الأقوياء (أرباب السيوف) الذين أصبحوا أصحاب السلطة الفعلية بعد انقسام الدعوة الإسماعيلية، فأصبح هؤلاء الوزراء هم الذين يتحكمون في اختيار الإمام نفسه دون شرط، أو قيد حتى لو لم يكن له الحق في الإمامة حسب العقيدة الإسماعيلية، عقيدة الدولة الفاطمية.

- 
- (١) ابن الأثير . الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣١٥؛ سايروس بن المقفع . سين تيممة المنفس، ج٢، م٢، ص١٣٧؛ أبو صالح الأرمي : تاريخ فتوح أبو صالح الأرمي، (تذكر فيه أخبار من تولي مصر وإقطاعها)، تحقيق : رزق الله مغريوس السدي، المطبعة المدرسية، لكهنورد، ١٨٩٣، المسيحية، ص٦٦، ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج٢، ص٦١، المقريزي : تعاليف الخلفاء، ج٢، ص١١٥ - ١٢١، ابن قنري يروي . المعجم الملحق، ص١٨٥ - ١٩٢
- (٢) لأطلسكي (أحيى بن سعيد) : تاريخ الأتطلي المعروف بصله تاريخ كونخا، حققه ووضع مخرسه : عمر عبد السلام كنعري، جروس برس، طرابلس، ليبيا، ١٩٩٠، ص٣٠٤.



بمجرد وفاته أراد الوزير الأفضل بن بدر الجمالي التلاعب بالعقيدة الفاطمية، فرفض جعل الإمامة "تنزل" الابن الأكبر الحبيبة المستنصر بالله وصاحب الحق الشرعي في الخلافة بعد أبيه، حيث أقره المستنصر بالله للإمامة بعده، والذي كان يبلغ من العمر في ذلك الوقت خمسين عامًا، حيث ولد في عام ٤٣٧هـ<sup>(١)</sup> وتوفي بالآل الأصغر للمستنصر بالله (أبا القاسم أحمد) الملقب بالمستطلي الذي ولد في عام ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م<sup>(٢)</sup>، وابن كخته - حيث إن المستنصر بالله كس فد تزوج من ابنته بدر الجمالي، وأنجب منها أبا القاسم أحمد -، وأجسسه على كرسي الخلافة. ولم يكتف الأفضل بذلك بل أتى بنزله وأمره بتسليم الأرض بين يدي الخليفة الجديد، ومبايعته<sup>(٣)</sup>.

رفض "نزل" هذا الأمر، وطالب بحقه في الخلافة، ويذكر المقرئ<sup>(٤)</sup> أنه كان بين الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، والوزير أبي العهد الشرعي، ثمة خلاف قديم أدى إلى إقصاء الأفضل لنزله من الإمامة خشية منه على منصبه، ويعود هذا الخلاف إلى تعدد نزله (هانة الأفضل شاهنشاه، وسبه أمام الجند عندما وجدوا يدخل القصر الملكي، وهو ركب دون أن يترجل، فصاح به "نزل" : "ترجل يا لؤمي يا نجس" فأسرها الأفضل شاهنشاه في نفسه، ولم ييدها إلا بعد وفاة المستنصر بالله، لأنه علم أن الخلافة لو آلت للنزل لم يستقم له أمر بعد. بالإضافة إلى ذلك فإن الخليفة الجديد "المستطلي" كان صغير السن، ومن ثم لم يستطع الاتصال شاهنشاه السيطرة على جميع أمور الدولة من خلاله<sup>(٥)</sup>.

(١) المقرئ : تاملت الخطأ، ج ٢، ص ١.

(٢) ابن ميمر : أخبار مصر، ص ١٦٢ المقرئ : المصدر السابق، ص ١٠.

(٣) المقرئ : المصدر السابق، ص ١٤٣ ابن تقي بريدي : الفجوم، ج ١٥، ص ١٤١، ١٤٢.

(٤) المقرئ : المصدر السابق، ص ٤٤٩.

(٥) نفسه، ص ٤٤٩ ابن تقي بريدي : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٢ جمال

الدين الشيبان : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١٤٠ أحمد مختار الجبدي : في

التاريخ السياسي والفاطمي، ص ٣٠.

لقد أدى إقصاء نزار من الخلافة - على الرغم من أفضيته بهب وتولية "المستعلي" (٤٨٧ - ٤٩٥هـ) (١٠٩٤ - ١١٠٦م) إلى حدوث انقلاب سياسي، وعقائدي، نتج عنه اضطراب، وفساد الأمور السياسية، والعنصرية في بعض البلاد المصرية، حيث اختلف الدعاة فيما بينهم على من يتولى الخلافة، "بركانت" أمين الدعاة "عبد الله" الابن الأوسط للمنتصر بالله، وبعته "بالموفق"، وعندما علم الأفضل شاهد شاه بذلك ذهب إليه، وقتله. (١)

أما أهل الإسكندرية فقد خرجوا عن طاعة الخليفة الفاطمي الجديد، وانحازوا إلى نزار، وابعده بالخلافة، ولقبوه بالمصطفى لدين الله، وذلك بعد أن قُتل إليهم نزار هارباً من ظلم الأفضل، وقد رحب به واليها أفتكين عندما وعده نزار بالوزارة بدلاً من الأفضل، وعندما علم الأفضل بذلك الفتنة التي قاترها نزار سار إلى الإسكندرية على رأس حملة كبيرة ودارت بينه، وبين أهل الإسكندرية معركة انتهت بهزيمة الأفضل، الذي لم يلبس، وبعد مرة أخرى ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م، حاصر فيها الإسكندرية - يقرب من السبعة أشهر، ارتكب خلالها الكثير من دروب قسوة، والقتل حتى اضطّر نزار، وأفتكين لطلب الأمان، وعلى الرغم من أن أعطاه إياهم الأمان، فإنه قام بقتل أفتكين بمجرد وصوله إلى القاهرة. أما نزار فقد بالغ في الانتقام منه حيث قام بحمصه ثم بنى عليه حائطاً حتى مات. (٢)

على أن قتل نزار لم يضح حلاً للخلاف الذي قام بين الفاطميين + حيث انقسمت الدعوة الفاطمية إلى نزوية - نسبة إلى نزار -، وسفلية

(١) المغربي : القصر السليق، ج ٢، ص ٤٢٨.

(٢) ابن ميمر : أخبار مصر، ص ١٦٢ المقريزي - قلائد الحناء، ج ٣، ص ١٤٣.

على حمسي القزويني : مصر العربية الإسلامية، ص ١٦٧ أمية القزويني  
روية الرحلة المسلمين للأحوال المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي،  
سلسلة تاريخ المصريين، عدد رقم (٧٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،  
١٩٩٤م، ص ٥٠٣.

- نسبة للمستعلي - هو جرى بين الاثنين نزاع حربي، وجادل مذهبي أدى إلى ضعف الدولة الفاطمية، وقد ظهر هذا الخلاف واضحا في الرسالة التي أرسلتها أم المستعلي إلى خلفاء الدعوة في اليمن، وأخرى بعث بها للمستعلي نفسه؛ وذلك لتبرير ألقته في الخلافة، كذلك الرسالة الصادرة عن الأمر بأحكام الله بين المستعلي والمعروفة باسم "الهداية الأمرية" في إبطال الدعوة للزيرية؛ لتبرير شرعية حكم والده، ونحوض حق -عسوى عنه نزار- (١)

والمستعليون اضطراب الدولة الفاطمية، ومصاد عقبيتها، والنسبها بين حكامها، وأعدوا الهجوم على أعدائهم الفاطميين، وذلك عن طريق التشك في نسبهم، وألقتهم للخلافة، فقاموا بتحرير محضر آخر (٢) ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م تمهدهم فيه بالخروج عن لغة الإسلامية؛ مما كان له عظيم الأثر على رغبة قوة الدولة الفاطمية، واضطراب أمور (٣) أصبحت الأمور جميعها في يد الأفضل شاهنشاه الذي استبد بالأمر دون الشيعية "المستعلي" الذي لم يكن له من الأمر شيء، ولم تكن له سيرة تذكر، وبعد وفاة المستعلي ٤٩٥هـ / ١١٠١م، وكان يبلغ من العمر سبعة عشر عامًا، قام الأفضل شاهنشاه بتصيب ابنه "المصور" بالخلافة، وألقه بالأمر لأحكام الله (٤٩٥ - ٥٢٤هـ). (٤) وكان طفلاً لم يتجاوز خمس سنوات.

(١) ابن خلدون : المقدمة، ج ١، ص ٣٦٢؛ المقرئ : المصدر السابق، ص ٤١ - ٤٤٩؛ ابن تيري بردي : التاج، ج ٥، ص ١٤٢ - ١٤٥؛ محمد باقر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية، ص ٤٢؛ عبد المنعم ملحد : نظم الفاطميين ورموسهم، ج ١، ص ١١١؛ جمال الدين فكيك : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٤٧ - ١٧.  
(٢) كلر للمحضر الأول الذي قرره الفاطميون ضد أعدائهم الفاطميين في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، حيثما كثرت الاضطرابات والفتن ومظاهر الفساد في مسند إلى حد تلبية للحكم بأمر الله نفسه.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٦٣؛ المقرئ : المصدر السابق، ص ١٧.

(٤) المقرئ : قسطنطين الحناء، ج ٣، ص ٤٤٩؛ قرقاني : أخبار الدول ولأثر الأول، ص ٣٤٤ - ٣٤٥.

تولى الوزير محمد بن قنك البطاحي<sup>(١)</sup> الوزارة بعد سبيل  
الأفصل شاهنشاه (٥١٥هـ / ١١٢٢م)، وقد بعثه الأمر والمأمور، سار  
المأمور البطاحي على سياسة ملقه بالاستبداد بالسلطان، والاستهانة  
بالخبرة، وحل الصلا محل اللود بينهما، ولا سيما بعد أن ادعى المأمور  
البطاحي الخلافة، وادعى أنه ولد "قزلق" بن المستنصر بالله من جارية  
خرجت من القصر، وهي حامل به، عندما خرج قزلق إلى الإسكندرية،  
وقد بعث المأمور البطاحي برسول من قبله إلى اليمن لتحقيق نسبه هناك،  
وأمر الرسول أن يدعو الناس إلى بيعته، فانزعج الحليفة "الأمر" وأحد  
بتحامل لاستدعائه إلى القصر بحجة إكرامه، ثم اعتقله وحملا من إخوانه  
في خزانة البنود<sup>(٢)</sup>، ثم أرسل يستدعي الرسول من اليمن، وقتلهم جميعاً  
سنة ٥٢٢هـ / ١١٢٨م.<sup>(٣)</sup>

(١) محمد بن قنك البطاحي : هو أبو عبد الله محمد بن الأمير نور الدولة، البطاحي  
نسبه إلى قبيلتي موثق بين واسط والبصرة، فلم يتدبر الأمور زمن الأفصل  
شاهنشاه ثم وزير للأمر، وقد بعثه الأمر بالمأمور لأنه مسلم أموي الأفضل كلها  
بعد وفاته وأحضرها كاملة للحليفة الأمر، قال له : إنك المأمور حقاً ملك في هذا  
الوقت شريك، يقال إن قول أمره كل فرشاً راجع . ابن الصوري : (الإسكندرية،  
ص ٦٧ - ١٦٤ ابن المأمور البطاحي (الأمير جمال الدين أبو علي موسى)  
ت ٥٨٨هـ / ١١٩٢م، نصوص من أخبار مصر، تحقيق : أمين فؤاد سيد : المعهد  
العلمي للثقافة الشرقية، القاهرة، ص ١٣٠ المقرضي : المصدر السابق، ص ٦٤،  
١٦٥ ابن تغري بردي : النجوم ج ٥، ص ١٧٠.

(٢) خزانة البنود : تعرف باسم خزانة الرليف والأحكام، بنماها الظاهر لإعزاز دين  
الله الفاطمي، كان موضعها خارج عن القصر، وكانت أيضاً تستخدم كمسكن بمنزل  
فيه الأمراء والوزراء، ظلت حتى نهاية الدولة الفاطمية كذلك الأيوبية ثم الممركية،  
كما أُنكر فيها جماعة من ثوري القرنج. راجع : المقرضي : المصدر ج ١،  
ص ١٤١ - ١٤٤.

(٣) ابن موسى : أخبار مصر، ص ١٠٧، القوي : نهاية الأرب ج ٢٨، ص ٣٩١،  
المقرضي : المصدر السابق، ص ١١٢ - ١١٥، ١٢٢، ابن تغري بردي :  
المصدر السابق، ص ١١٧، أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر،  
ص ٢٢٨.

قُبِلَ الأمرُ (٢٤٤هـ / ١١٣٠م) <sup>(١)</sup>، ويقتله دخلت مصرُ مرحلةً أخرى من مراحل الفوضى السياسية، والعقلانية، وذلك لأن الأمر قد قتل، ولم يحلف وإثماً للعهد، فاضطرب الناس، ولا سيما الشيعة منهم، وقادروا لا يمت أحد من أهل البيت إلا ويخلف ولذا ذكراً منصوباً عليه الإمامة، وبدلت مشكلة البحث عن وريث. غير أن الأمر قد أُلشِرَ قبل موته بسان إحدى جهاته حاملاً، ومن ثم كان، ولابد من انتظار المولود لمعرفة إذا كان ذكراً، وإثماً للمهد أم أنثى. وانتظروا لهذا المولود فقد تم تولية الإمامة - لأول مرة في تاريخ الدولة الفاطمية - "إمام مستودع" وفقاً للمصطلح الإسماعيلي وهو ابن عمه أبو الميمون عبد المجيد أكبر الأكارب سنداً، ولقب بالحافظ لدين الله (٥٢٤ - ٥٤٤هـ) (١١٣٠ - ١١٤٩م) غير أن الحافظ لدين الله لم يهنا بالخلافة سوى يوم واحد، حيث حصر عليه الزبير أبو علي أحمد بن الأفضل شاهنشاه الملقب "بكنيفات"، واستولى على مقاليد الأمور كأبيه، وجده من قبل. <sup>(٢)</sup>

شهدت مصر في تلك الفترة التي سيطر عليها أبو علي أحمد بن الأفضل الذي تلقب بلقب "الأكمل" (٥٢٤ - ٥٢٦هـ / ١١٢٩ - ١١٣١م) وضعاً فريداً لم يشهد من قبل ؛ حيث كان الأكمل يعتنق مذهب

---

ويذكر النويري شيئاً آخر لقتل الشاهسون البطشقي، ويقول أن الشاهسون رسل الأمير جعفر - أخا الأمر - وأغراه بقتل الأمر، وأن يقوم مكانه في الخلافة، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٩٩.

(١) بن الأثير : الكامل، ج ١، ص ١٦٤ ابن ميسر : المعصر السابق، ص ١١٣  
ابن كثير : إمام لدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير قرشي : البدلية وقلبية، ج ١، ص ١٤٠، ص ١٢١٥ نويري : المعصر السابق، ص ٢٩٤ - ٢٩٥ قفري :  
تعاظ العتقاء، ج ٣، ص ١٥١٧ الخطيب، ج ٢، ص ٢٠٤ ابن تغري : نوري :  
المعصر السابق، ج ٥، ص ١٨٤، ١٨٥.

(٢) ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ٢٢٧ - ٢٢٩ نويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٩٨ جمال الدين قشوب : مجموعة وثائق الفاطمية، ص ١٩٣ ابن فؤاد سود : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

الإمامية الاثنا عشرية، فأعلن نهاية الأسرة الفاطمية، ودعا للإمام المستر  
الاثني عشري، ونقش اسمه على السكة ككتائب عنه، ثم أخذ يعمل على  
إضعاف المذهب الإسماعيلي في مصر، فأوجد ملة لم يسمع عنها من قبل.  
في سنة ٥٢٥هـ / ١١٣١م قام بتعيين أربعة من القضاة، منهم اثنا من  
الشعبة أحدهما إسماعي، والآخر إسماعيلي، وثنان من السادة أحدهما  
شافعي، والآخر مالكي، وكان كل منهم يحكم بمذهبه، ويورث بمذهبه،  
فوصلت مصر إلى قمة صاعدها، وقد أثارت تلك السيادة غضب دهاء  
الفاطميين فتمسوا له من قتله، وهو خارج للهو ٥٢٦هـ / ١١٣٢م (١)

أثار غلمان الأمر في ظل تلك التوضى، وتمكنوا من إخراج  
الحافظ من المعتقل، وابعده بالإمامة للمرة الثانية - ولثناء تلك الفترة ما  
بين قتل الأمر، وتولية الحافظ كانت زوجة الأمر قد أنجبت طفلاً، والذي  
أكد بعض المؤرخين على أنه ذكر، وخالفهم لبعض الآخر (٢)، غير أن هذا  
المولود قد هرب من القصر، وكنم أمره، ويقول بعض إن الحافظ طمع في  
الخلافة فأمن في البحث عنه فلما احتدى إليه قتله (٣)، ولم تهبط الأمور  
بتولية الحافظ فقد توالى الأزمات، والاضطرابات تدخل صفوف الدعوة  
الإسماعيلية من جديد، عندما أثار الناس أن الأمر قد أنجب ولداً ذكراً قبل  
وفاته بشائية أشهر ٥٢٤هـ / ١١٣٠م أسماء أبا القاسم الطيب، وجعله  
ولياً للعهد، ويقال إن الحافظ كنم أمر هذا الطفل أيضاً بعد وفاة الأمر،

(١) ابن ميمر، أخبار مصر، ص ١١٥؛ النويري: المصدر السابق، ص ٢٩٧؛ ابن  
كثير: البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٢٢؛ المقرئ: شذوذه، ج ٢، ص ١٣٤٣؛  
الحافظ أحنفا، ص ٥٢٧؛ ابن تغري بردي: فتوح، ج ٥، ص ٢٢٩؛ علي حسني  
الخربوطي: مصر العربية الإسلامية، ص ١٧٢.

(٢) النويري: المصدر السابق، ص ٢٩٨؛ ابن تغري بردي: المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٣) ابن ميمر: المصدر السابق، ص ١٠٩، ١١٠؛ محمد جمال الدين الشاذلي:  
المرجع السابق، ص ٢٩؛ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية، ص ١٢٢؛  
علي حسني الخربوطي: المرجع السابق، ص ١٧١ - ١٧٢.

ويؤكد وجود هذا الطغاة سجل قد بحث به الأمر إلى السيدة الحرة في اليمن  
يشرها بميلاد ابنه الطيب.<sup>(١)</sup>

وبناء على هذا السجل فقد أصبح الإمام الطوب رأساً لدعوى  
إسماعيلية جديدة اعترف بها الإسماعيليون في اليمن، وغرب الهند،  
بالإضافة إلى الفرارية في الشام، وإيران، أما في مصر فقد انقسمت بين  
حافظية - نسبة للحافظ - وطوبية تكادي بحق الطيب بن الأمر ثمركز  
أصحابها في الإسكندرية، ونقضوا دلائل تحمل اسمه<sup>(٢)</sup>، كما نلاحظ أن  
نفوذ الفاطميين قد انحصر بهذا الشكل في مصر فقط بعد أن انفس عنها  
أتباعها الذين لم يعترفوا بأحقية الحافظ، وخلفائه في الخلافة؛ لذلك حين  
بعض المؤرخين<sup>(٣)</sup> بدون خلافة الحافظ لدين الله هي البداية الحقيقية  
لانهيار الدولة الفاطمية. وقد عنت إمامة الحافظ خروجاً على أسس العقيدة  
الإسماعيلية نفسها، وتجاهل شرط وجودها في الأعداء، مثلما كان الأمر  
من قبل مع عبد الرحيم بن إلياس رمن الحاكم، غير أن عبد الرحيم قد قتل  
قبل وصوله للحكم، بينما استمر الحافظ لدين الله وأصبح خليفة  
للمصريين، وتنازع أبناؤه من بعده على ولاية العهد.<sup>(٤)</sup>

وقد أدى هذا الضعف السياسي للخلفاء إلى تولي الوزراء الأكرباء،  
وتحكمهم في الأمور، أيما كان مدعهم. هذا الأمر الذي أدى إلى سيطرة  
العقيدة الفاطمية، وزوالها تماماً، على خلافة الظاهر لدين الله (٥٤٩ -  
٥٤٩ هـ / ١١٤٩ - ١١٥٤ م)، تولي الوزارة محمد بن السلار، والتي  
الإسكندرية، والبحيرة، الذي أجبر الخليفة الظاهر على قبوله في منصب

---

(١) حماد اليمني إنجم الدين أبو محمد بن أبي الحسن علي شمس، تاريخ السمر،  
نشره حسن سليمان محمود، القاهرة، ١٩٥٧ م، ص ١٢٧ - ١٢٨، الفريزي  
الملك حقائق، ج ٢، ص ١٥٢، ابن تقي برقي : الفجوم، ج ٥، ص ١٢٨، جمال  
الدين الشيب : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٢٦ - ٢٨.

(٢) ابن فزلا سعد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٥٢.

(٣) محمد ماهر حمادة : الوثائق السياسية والإدارية، ص ٤٤.

(٤) الفريزي : فمات حقائق، ج ٢، ص ٥٢٤ - ٥٢٦، ابن تقي برقي : المعاصر  
السابق، ص ٢٤٦، جمال الدين الشيب : المرجع السابق، ص ١٠٢.

الوزارة بعد حروب دارت بينه وبين ابن مصلح الوزير السابق، وقد وافق الحلوة الظاهر لدين الله رغماً عنه، على الرغم من كور أبي السلاسل<sup>(١)</sup> مني المذهب.

وأبدي ابن السلاسل عداؤه للمنصب الشيعي فوكت الفتنة بين قبل من الشيعة، والسنة، ولاسيما بعد أن استجد بنور الدين محمود صاحب بسام، وكان نور الدين محمود متيناً متعصباً، وقد شعر الحلبة بخطر ابن السلاسل على الدولة، وكذلك مذهبها الشيعي، فعمل على التخلص منه نهائياً.

ولقد تم ذلك في عام ٥٤٨هـ / ١١٥٣م.<sup>(٢)</sup> هذا الأمر الذي أغضب أهل السنة في مصر؛ ولكنهم خشوا التمييز عن خصبيهم حشية بطش الخليفة، وفي ظل هذا القصد الذي غم مصر وأنحاءها، تمكن الفرنج من الاستيلاء على مدينة عسقلان<sup>(٣)</sup> (٥٤٨هـ / ١١٥٣م)، ولقد الفاطميون آخر ممتلكاتهم في بلاد الشام.<sup>(٤)</sup>

(١) سايروس بن المقفع، سير اليمامة المقتمة، ج ٣، ص ١٤٤، ابن بطويع نزلة المقلتين، ص ١٥٩، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ١٤٩، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٤٢، قنويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٩٢.

(٢) ابن الفلاس: أبو حمزة بن أحمد القيسي، دول تاريخ دمشق، تحقيق: لاسدروس بيروت، ١٩٠٨، ص ٣١٩ - ٣٢٠، ابن طاهر، أخبار مصر، ص ١٠٣، سبط بن الجوزي: قسطنطين أبو المظفر يوسف بن قزويني: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨، حيدرآباد، شريكن، الهند، (١٣٣٧ - ١٣٣٩م)، ص ٢١٤ - ٢١٥، أبو شامة: شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الرواسين في أخبار الدولتين، ج ١، ص ٢٢٦ - ٢٢٧، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١١٦ - ١١٧، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٤١٨، قنويري: قصائد الطغاة، ج ٣، ص ٥٦٦ - ٥٦٨، ابن تغري بردي: التاج، ج ٥، ص ٢٩٥، محمد جمال الدين مبرور: الدولة الفاطمية، ص ١٢٤.

(٣) مدينة عسقلان، يفتح أوله ومكون ثلثه، وهي اسم عجمي وهي أعلى البر، وهي في العربية مطاها أعلى الشام، وهي مدينة بالشام من أصل فلسطين، على ساحل البحر، يقال عنها محروس الشام، مثلما قيل عن دمشق، استولى عليها الفرنج ٥٤٨هـ / ١١٥٣م، وبقيت في أيديهم ٣٥ عاماً، ثم استردوها صلاح الدين الأيوبي ٥٨٣هـ. المزيد راجع - ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٦، ص ٥٩.

(٤) ابن الفلاس: المصدر السابق، ص ٣٢٠ - ٣٢٢، أبو شامة: المصدر السابق،

=



وفي أواخر عهد الفاطمية، ازدادت مناهج الفساد، وكثرت الصراعات بين كبار رجال الدولة، لتولي منصب الوزارة، واستعان كل من المنتازعين بقوى خارجية تطلعت على عوراث مصر، وماركر صحتها، حتى آل الأمر في النهاية إلى تولي صلاح الدين الأيوبي المنصب المذهب وزيرا للطيفة العاضد، نيابة عن نور الدين محمود حاكم الشام. (١)

أخذ صلاح الدين في تصفية الدولة الفاطمية، والقضاء على مذهبها الشيعي نهائيا، وقد تم هذا بطريقة تدريجية، حيث قام بحرق أضرحة مصر الشيعية، وقد قصده من السنة للشافعية، والصلحية، كما أنشأ مدرسة لتكريس المذهب الشافعي، وأخرى لتكريس المذهب المالكي، فاستعاد المذهب السني قوته، وبدأ المذهب الإسماعيلي في الاختفاء تدريجيا. (٢) كذلك عمد صلاح الدين إلى التشكيك في نصب الفاطميين للسيدة فاطمة الزهراء، فاشيع أنهم من أصل يهودي أو مجوسي، مما جعل الناس يسي مصر بتحدثون، وينتظرون زوال تلك الدولة، وفي عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م أسقط صلاح الدين الأيوبي الخطبة للفاطميين، وأمر بالدعوة للخليفة العباسي المستنصر بالله، فكانت نهاية الدولة الفاطمية، وكذلك عقيدتها الشيعية في هدوء تام. (٣)

ص ٢٧٢ - ٢٥٥ ابن فاضل شعبة إيدر الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد الأندلسي (المعتمد الشافعي)، التكملة القدرية في السيرة النورية، تحقيق محمود زاهد، بيروت، ١٩٧١م، ص ١٣٩ - ١٤٤.

(١) أبو شامة : المصدر السابق، ص ٤٠٦؛ ابن واصل إجمال الدين بن مسلم المصري، مخرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ١، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٦٨ - ١٦٩؛ القويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٥٨ - ٣٥٩؛ المقرري : تلخيص العلماء، ج ٢، ص ٦٤٠.

(٢) مطب بن الجوزي : مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٨٢؛ أبو شامة : قروصين، ج ١، ص ٤٨٦؛ ابن واصل : مخرج الكروب، ج ١، ص ١٩٨؛ المقرري : الحفظ، ج ٢، ص ٢٧٢؛ ابن فارس : بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٢٣.

(٣) ابن الأثير : التكملة، ج ١١، ص ٣٦٩؛ أبو شامة : المصدر السابق، ص ٤٩٣؛

هكذا جاء المذهب التشيعي مصر ، ولحقى دون بن يعقوب أغلبية  
الشعب المصري، اللهم إلا القلة القليلة التي تعاونت مع تحلفاة القومية

#### [٧] ادعاء معرفة الغيب، والألوهية لأغراض سياسية

كن اختلفاء الفاطميين شديدي الشغف بآغموض، والسرية ،  
كذلك شعروا بعلم النجوم. وكان هذا الغموض في كثير من الأحيان مسبب  
من أسباب ثوتهم، وظهرهم في نظر العامة، والخاصة بالمقدرة الحسنة.  
ويبدو أن شعب الفاطميين بالتعجب، ومعرفة غيب الأمور، قد هب بهم  
أمور عدة حالت اقترية الإسلامية، وكذلك المبادئ الإسلامية نفسها.  
وأدت إلى ظهور قلائق، وتقسيد داخل المجتمع المصري.

وقد أدى شعب المعز لدين الله الفاطمي بعلم النجوم، إلى اختفائه  
في سرداب أربعة أشهر<sup>(١)</sup>، حتى يمنع مكروه نله عليه طلعته، كذلك  
اختفى عن الأعين حتى يمر هذا المكروه بسلام دون أن يجهده، وعندما  
عاد النشر بين الناس أنه قد رفع إلى السماء ثم عاد مرة أخرى، ولا نعلم  
كيف كانت تدار أمور البلاد في تلك الفترة التي اختفى فيها المعز نسبي  
له، ولا سيما أن المقريري قد ذكر أن مدة اختفائه عن الأعين كانت عمت  
كاملاً<sup>(٢)</sup>.

لما العزير بالله كرار<sup>٣</sup> فقد ادعى أنه يعلم الغيب، هذا الأمر الذي  
أغضب العامة في كل مكان، ولا سيما السنة منهم، فاتهموه بالكفر، واستف

٢٠

محمد باقر حمدة : الوثائق السياسية، ص ٤٩٤؛ محمد جمال الدين سرور ، الدولة  
الفاطمية، ص ١٣٤ - ١٣٥.

(١) دمت الدولة الفاطمية في بلاد المغرب في ظروف غامضة، فكانت ثورة بدعوة  
سرية بقيادة بالغموض والأسرار، وكان عبد الله المهدي أول خلفاء شخصيه  
خامسة لم يمتنع التاريخ أن يقف على حقيقتها، كذلك كل الفاطميين في مصر  
يحبهم مصر الصوري والشك محمد عبد الله عنان - الحاكم بامر الله، ص ٤٥٠.

(٢) فر كثير - البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٢٨٤ إلى ١٢٨٥ - المصدر السابق  
ص ٣٧.

(٣) المقريري : القلق الحظاء، ج ٧، ص ٤٥٠.

بعضهم صعبه يوماً على المنبر للصلاة، وأقرأ إليه بورقة كتبوا فيها :

بالتظلم والجور قد رضىنا وليس بالكفر والحقائق

إن كنت اطاعت على الغيب فقل لنا ككتب القبطانية<sup>(١)</sup>

لم يهتم العزيز بالله "نزار" بالأمر، وظل شغوقاً بهذه الأمور، حتى

إنه قد أوصى ابنه الحاكم بأمر الله بضرورة الاهتمام بالتجويد، وطالبه في

كتاب عتيق أسماء وصية الإمام العزيز بالله لولده الحاكم بأمر الله<sup>(٢)</sup>

لما الحاكم بأمر الله الفاطمي فلم يكن في حاجة إلى وصية من

والده العزيز "نزار"، فقد كانت فترة خلافته محاطة بالفيوم، والأسرار،

كما كانت شخصيته مزيجاً من المتناقضات، فقد وصف بأنه يجمع بين

النسيء، ونقصه في فن واحد، فقد جمع بين الشجاعة، والإقدام، والجبن،

والإحجام، أحب العلم، وانتم من العلماء، ملل للإصلاح، وغفل العلماء،

كما وصف بأنه سريع الاعتقاد، سريع التقلب من حال إلى حال، متعذب

الأكثار، مضطرب الشخصية، وصفه البعض بالجنون، وبالشغف أحياناً ،

كان عاشقاً للنساء، وأقل المتبذ من المقربين إليه، ولا سيما للزعماء،

والقادة، والوزراء، والكتّاب، والتجار، حتى العامة لم يملوا من طغيانه

فكثرت ضحاياه، وكثر غموضه<sup>(٣)</sup>

أنت تصرفات الحاكم بأمر الله المروعة، إلى مبالغة الناس في

تقديرهم لشخصه، فظهرت أقوال كثيرة تبين أن الحاكم بأمر الله يمام مثل

الأنبياء، إنما بشرت به الأنبياء، بينما اعتقد بعض الناس أنه قد يكون

المسيح - عليه السلام -، الذي يأتي آخر الزمان؛ لإقامة العدل، حيث كان

(١) محمد عبد الله حنن : الحاكم بأمر الله - ص ٢٤٦.

ويذكر الأنطاكي : أن هذه الأبيات قد كتب الحاكم بأمر الله وليس للعزيز بالله،

تاريخ الأنطاكي، ص ٣٣٦ - ٣٣٧.

(٢) محمد عبد الله حنن : المرجع السابق، ص ٢٤٦.

(٣) ابن خلدون : أخبار الدول، ص ٥٠؛ المقريزي : تعليق الحقا، ج ٢، ص ١٤٦؛

ابن تغري بردي : فتوح، ج ٤، ص ١٧٦؛ محمد عبد الله طلي : المرجع السابق،

ص ١٠٥؛ محمد ناصر حمادة : الوثائق السياسية، ص ٣٦.

الحاكم بأمر الله بعد نفسه مسؤولاً عن الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كما كان يقوم بقتل المخطئ، كذلك أُنشروا إليه بالرمز في النور، وبأنه يأتي بأعمال باهرة<sup>(١)</sup> وقد مال الحاكم بأمر الله إلى مثل هذه الأقاويل التي أحاطته بهالة من الإجلال، والتقدير الذي كان يسعى إليهما دائماً كغيره من الفاضلين، وعلى ما يبدو أن الحاكم بأمر الله قد سبق هذا الأمر حتى إنه كان يفرد بنفسه في الجبل يتقوَّث إلى الله تعالى أن ينجيه، ويوحى إليه كما نوحى موسى، وأرصى إليه، وإلى غيره من أنبيائه - عليهم السلام -.<sup>(٢)</sup>

ولقد أدى هذا الاتجاه الذي نهجه الحاكم بأمر الله، وهذه الأسطوانات التي عمت مصر، إلى محاولة بعض الطوائف الدراسية لإحياء مجدها القديم، فوفدوا إلى مصر لنشر مذهبهم، وألكارهم الهدامة<sup>(٣)</sup>، تمهيداً منهم لسقوط الدولة الفاطمية، وإعادة مجد الفرس القديم، ففي عام ٤٠٩هـ / ١٠١٨م، ظهر رجل يقال له حسن بن حيدر الفريسي الأخرم<sup>(٤)</sup>، يروي حلول الإله في الحاكم بأمر الله، ويدعو إلى ذلك، ويتحكم في إبطال النبوات، ويتناول جميع ما في الشريعة فاستدعاه الحاكم بأمر الله، وخلق عليه حلماً سيئاً، وحمله على فرس يسرج في

(١) عبد المنعم مaged: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٨٤، ٢٨٤.

(٢) الأنطاكى: تاريخ الأنطاكى، ص ٣٠.

(٣) لقد تمثلت ترويات في تاريخ ظهور هؤلاء أعداء بشكر الأنطاكى أن للبري هو أول من ظهر منهم، وكل ذلك في سنة ٤٠٨هـ / ١٠١٧م، وهو أول من قال بأهمية الحاكم بأمر الله وأشاعها، وعلى هذا سميت جماعتهم بالدروز وبوالله اسمي لله عبد المنعم مaged، ثم ظهر حمزة الزورقي، بينما يذكر ابن طاهر أن حسن بن حيدر الأخرم هو أول من ظهر بمصر في هذا الفتنة، ولهم حصة من التسمية، ثم البري الذي عرِب إلى القسام وكون جماعة الدرّوز. راجع: الأنطاكى، ثممستر السابق، ص ٢٣٤ - ٢٤٢، ابن طاهر: أخبار التولى، ص ٥٩ - ٥٤ عبد المنعم مaged: المرجع السابق، ص ٢٨٣.

(٤) الأنطاكى: المصدر السابق، حاشية (٤)، ص ٣٤٠ - ٣٤١، ابن طاهر.

المصدر السابق، ص ٥٠: الدرّوزي: كل الدرّوز، ج ٦، ص ٢٩٤.

موكيه، ربما هو يسير في بعض الأيام تقدم إليه رجل من الكرخ، ولكنه بعد أن تغاد من فرسه، وقد سُر أهل السنة لذلك. <sup>(١)</sup>

وفي عام ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م، ظهر رجل من دعاة حسن بن حيدرة، يدعى حمزة بن أحمد الزوزني <sup>(٢)</sup> يقال له حمزة اللباد، وهو أعجمي من الزوزون، لازم الجلوس في المجلس، وأظهر الدعاء إلى عبادة الحاكم بأمر الله، وأن الإله جل فيه، واجتمع إليه جماعة من شلة الإسماعيلية، وكثر جمعه، وأشاعت دعوته، وتلقب بهادي المسنحين. وكان الحاكم بأمر الله يفرد به، ويحادثه، وقد ادعى الحاكم أنه قد خاب على نصه، ولما قوماً من التجند قد تودعوه بالقتل، وأنهم سيفعلون به مثما فعلوا بالأخرم الفراعني، فأنفذ له الحاكم بأمر الله أسلحة كثيرة، غنمها على باب المسجد، وقد ارتفع شأنه، وأصبح له خواص، ولقبهم بالقباب، كان منهم رجل لقبه بسفير القدرة، وجعله رسولاً له فكان يرسله لأخذ البيعة على رئيس رئيس، وكبير كبير على نائبه الحاكم بأمر الله، ولم يكر هناك من يخالفه خشية بطشه. <sup>(٣)</sup> وقد دعا إلى الرخصة، والإباحة، وحل نكاح الأمهات، والأخوات، والبنات، وأسقط جميع التكليفات من الصوم، والصلاة، والحج، وقد استجاب له خلق كثير. <sup>(٤)</sup>

ثم تبع شاب من الأتراك يدعى أئوشتيكن البغلاري يعترف بالدرزي <sup>(٥)</sup>، ملك نفس طريق الزوزني، والفراعني، وكان الدرزي حليفاً

---

(١) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٥٢؛ محمد عبد الله عتق : الحاكم بأمر الله، ص ١٩٧، غير أن محمد عبد الله عتق، يذكر أن حمزة اللباد ظهر في عام ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م.

(٢) حمزة بن أحمد اللباد : وهو فارسي من مقلعة زوزون، كان يصل في بدء أمره بصنع اللباد، وأنه وفد إلى القاهرة في عام ٤٠٥ هـ... محمد عبد الله عتق : المرجع السابق، ص ١٩٧.

(٣) الأتكلبي : تاريخ الأتكلبي، ص ٣٤٢؛ ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٥٢.

(٤) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٥٢.

(٥) الدرزي : أحمد بن إسماعيل الدرزي : هو رجل أعجمي، ربما يكون تركي، وذلك لأن اسمه "أئوشتيكن" قدم مصر في عام (٤٠٨ هـ / ١٠١٨ م) وتفصل

لحسرة، وداعيته، ولكنه تقبب عليه، وخاصمه، وبدأ دعوته منفرذاً، وسمى نفسه سيد للهادين، وحامي المستجيبين، وكان من الباطنيين القائلين بالناسخ، اجتمع بالحاكم بأمر الله ومساعدته على لاعاء الربوبية<sup>(١)</sup>، فقربه الحاكم بأمر الله إليه، وفوض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب؛ حيث لم يوراءه، والثقل، والعلماء كانوا يقضون بدوئه، ولم ينقض شغل إلا على يده، فكان بعض العامة كلما مر عليهم للحاكم بأمر الله قالوا به، "يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت"<sup>(٢)</sup>.

بالحاكم بأمر الله، وكلى قدرتي من القاطنة القلتين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم بأمر الله ومساعدته على لاعاء الربوبية، وصنف له كتاباً ذكر فيه أن روح آدم عليه السلام انتقلت إلى علي بن أبي طالب، وأن روح علي انتقلت إلى أبي الحاتم بأمر الله، ثم انتقلت إلى حاتم نفسه، فقربه الحاكم بأمر الله إليه وفوض الأمور إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث لم يوراءه والثقل والعلماء كانوا يقضون على يده، وقد كان له أهواك وأهواك مساعدته على نشر دعوته، وكان منهم الحسن بن حيدر بن الخراساني الأحمري، وحزبه بن أحمد بن الخراساني، ويذكر بن ظافر: أن الخراساني قد ظهر في عام ٤١٤ هـ، وأنه كل من رجال حنابلة فليد وأنه كثر رسولاً له يرسله لأخذ البيعة للحاكم على أنه إله من رؤساء وكبار الدولة، فثار الناس عليه وقصدوا قتله، وقتله أحد الأتراك وهو في موكب الحاكم بأمر الله، وقامت الفتنة في مصر واستمرت ثلاثة أيام خلقت فيها أبواب القاهرة، وقتل القويود من جماعة الدرزية.

للخزرجي ربيع: الأنطلي: المصدر السابق، ص ٣٢٤، ٣٢٥، ابن ظافر الخزرجي، ص ٥٢، ٥٣، السويدي: تهذيب الأريب، ج ٢٨، ص ٩٩٦ - ٩٩٨، الخزرجي: الحفاظ، ج ٢، ص ١١٣، ابن خنيزار: التكملة، ج ٤، ص ١٨٤، عبد المنعم ملجود: ظهور الخلافة القاطنية، ص ٢٨٢، محمد عبد الله حنبل: الحاكم بأمر الله، ص ٢٠٢، ٢٠٣، أمين فؤاد سود: القولة القاطنية في مصر، ص ١٧٤، ١٧٥، عبد الرحمن بدوي: الدرر، ملحق بكتاب في هب الإسلاميين، المجلد الثاني، ط ١، بيروت، ١٩٧٢، ص ٥٨.

(١) م تكي فكرة تأليه الأئمة قريفاً على القاطنيين، وقد نادى المغالين منهم ولا سيما السنية بتأليه علي بن أبي طالب، راجع: علي حسني الخربوطلي، مصر المريسة الإسلامية، ص ١٥٧.

(٢) الأنطلي: تاريخ الأنطلي، ص ٣٤، ابن ظافر: أخبار التنويز، ص ٥٤، ابن خنيزار: التكملة، ج ٢، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

وقد حاول هؤلاء الدعاة الذين كثر عددهم إلى فرض عقيدتهم الجديدة على أهل القبط فدخلوا مسجداً عمرو بن العاص (مركز المقاومة المسيحية) ولجئوا السنة على اتباع مذهبهم، فأفكر الناس ما سمعوه، وجنحوا بالتكبير، والتهايل، والتناد على الله عز وجل. (١)

وحدثت فتنة عظيمة في مصر لم يرض عنها سوى الحاكم بأمر الله، ومن تأثر هؤلاء الدعاة حتى إن بعض رجال الدعوة الشيعية قد رفضوا مثل هذه الادعاءات، فرفضوا عقد مجالس الحكمة، والبعض الآخر اتبع هذا، وبعضهم قد تزعمت عقائده، وأدى ذلك إلى ظهور بعض الدعاة، ومنهم أحمد حميد الدين الكرماني، الملقب بحجة العرفي الذي قدم إلى مصر في ٤٠٨ هـ / ١٠١٧ م، بوضع رسائله المعروفة "الرسالة الواضحة في الرد على الأحرار الفرغاني" ببعض فيها فكرة تأليه الحاكم بأمر الله، ويثبت حقبة الإسماعيلية في الله الذي لا إله إلا هو. (٢)

ثم يقبل المصريون هذه الادعاءات فاجتمعوا وسائر الجند لأنصاره الذين لم يرضوا ما ادعاه جماعة الدروز، وقصدوا دار الدرزي، وأحاطوا بها، وقد فر الدرزي، ودخل القصر الحاكم، حيث أخذه الحاكم بأمر الله، وأكبر وجوده خوفاً من الرعية، وادعى أنه قتل، غير أن الجند، والرعية قد ثاروا عليه، ولا سيما بعد أن اتهم إليهم بقتل الجند، واستطاع الحاكم بأمر الله أن يمد الدرزي بالمال، والسلاح فهرب إلى الشام، ونزل ببغداد، وهناك استطاع بماله، وفكره نشر دعوته بين أهلها، وسادى بالرهبة الحاكم، وأباح لهم المخطورات كما أباح لهم شرب الخمر، والزنا، وقد استباح أعوان الدرزي دماء من خلفهم في عقيقهم. (٣)

(١) الأنطاكي : المصدر السابق، ص ٣٤٢ ابن ظافر : المصدر السابق، ص ٥٦،

١٥٣ المغربي : الخطوط ج ١، ص ٣٥٤ قسطنطين، ج ٢، ص ١١٢

(٢) محمد عبد الله غنم : الحاكم بأمر الله، ص ٢٩٨.

(٣) الأنطاكي : المصدر السابق، ص ٣٤٨ ابن ظافر : المصدر السابق، ص ١٥٤

ابن نخعي بردي : الهجوم، ج ٤، ص ١١٨ محمد جمال الدين سرور : الدولة

الفاطمية، ص ١٩٢ ابن فؤاد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٧٤

تزايد أمر القوزية إلى أن لحوا أنتم، ونوحاً، وجميع الأنبياء،  
ومحمداً، وعلياً، وتخطوا في المساجد، ولطخوا القبة بالأكثار، وبألوا  
على مصاحف القرآن، وعملوا كتاباً في معنى القرآن، وسوء الدستور،  
وكان الحاكم بأمر الله منذ بدء أمرهم قد قطع ما جرى به رسمه من  
صلواته، وخطبة الجمعة وعطل على ذلك الحج إلى مكة كما انقطع كس  
الكسوة التي جرت بها العادة بتجهيزها إلى الكعبة. <sup>(١)</sup> بل إنه فكر في نقل  
الحج إلى مصر، ولكن محاولته باءت بالفشل. <sup>(٢)</sup>

مكثاً عَمَّ الفساد في بلاد الشام أيضاً كما عَمَّ مصر، وأخذ الحاكم  
بأمر الله في الانتقام من الجند، والرعية، هذا الأمر الذي أدى إلى حرق  
الفسطاط بأهلها، بعد أن استباح حرملكها، وأصر بأهلها. ولم يجد من  
يؤيهم فنصر عوا إلى الله طالبين منه أن ينحسب مما ألوا إليه <sup>(٣)</sup>، ولم يكتف  
الحاكم بأمر الله بما حدث بل استمر في طغيانه، وادعى أنه يعظم الغيب،  
مثمناً فعل والده العزيز من قبل، فكان يضع جواسيسه من العجائز اللاتي  
يدخلن في بيوت الوزراء، والأمراء، والأعيان، ويأتيه بهما يحدث بهما،  
ويبيت هو ثلاثاً لهم ما قد حدث لدخل بيوتهم فيصدقوا أنه يعظم الغيب. <sup>(٤)</sup>

ظل الحاكم بأمر الله يدعي الغيب، ويهزم بأمر الدجوم حتى قيل إنه  
عرف من طالعه أنه مالك في هذه الليلة، وقد أخبر أمه بذلك، ولكنه لم  
يفعل مثمناً فعل جده الفخر لدين الله من قبل، فاحتكي حتى يمر الخطر، بل  
خرج الحاكم بأمر الله لمصيره حتى اغتكي ثماناً دون رجعة. <sup>(٥)</sup>

(١) الأنطكي : تاريخ الأنطكي، ص ٣٤٤، ٣٤٥.

(٢) القزويني أبو عبد الله بن عبد العزيز، جارية مصر في كتاب أسباليه  
والممالك، تحقيق عبد الله يوسف الخليل، الكويت، ١٩٨٠، ص ٥٧.

(٣) ساويرس بن المتق : سير فيبمة المتقمة ج ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧  
الأنطكي : المصدر السابق، ص ٣٤٥ - ٣٤٦ : قزويني : دهشة الأرب، ج ٢، ص  
١٩٣ - ١٩٤ : ابن قزويني : الفجوة ج ٤، ص ١٨٦ - ١٨٧ : ابن ياس  
: بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

(٤) الأنطكي : المصدر السابق، ص ٣٣٧ : ابن ظفر : أخبار الدول، ص ٥٠، في  
ياس : المصدر السابق، ص ٢٠٨.

(٥) ساويرس بن المتق : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٧ : أبو صالح الأرمي



وعلى الرغم من موت الحاكم بأمر الله وانتهاء أمره، فإن مظاهر الفساد التي عمت عصره لم تنته بوفاته؛ حيث نشأت جماعة للرزية أن الحاكم لم يموت، وأنه سيعود إذا زالت المقلد المنتشرة في العالم فهو الإمام المنتظر<sup>(١)</sup> من وجهة نظرهم<sup>(٢)</sup>، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل امتد حتى خلافة المستنصر بالله الفاطمي، ووسط جو ملئ بالفساد، والاضطرابات، وصراعات الجند، ظهر رجل يدعى "سليمان" كان يشبه الحاكم بأمر الله<sup>(٣)</sup>، ادعى أنه الحاكم بأمر الله، واث دعاؤه سرا في البلاد، واستغل خلو القصر من الصاكر، وذهب إلى القصر، وقال للحكام: "كولوا هذا، فالحاكم" لعنت ضجة كبيرة، وخرج الناس لعودة الحاكم بأمر الله، وانتشرت القوضى في البلاد إلى أن قبض عليه، وصلب كصف قتل أصحابه<sup>(٤)</sup>. وكانت بداية لنهاية للدولة الفاطمية.

- 
- تاريخ أبو صلاح الأرمي، ص ٦٦، ابن طاهر: المصدر السابق، ص ٥٨، ٥٩، ابن الأثير: التكملة في التاريخ، ج ٩، ص ٣١٤، ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٧ - ٢٩٨، ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ٦٦، المقريزي: المعاد الخلفاء، ج ٢، ص ٦١٥ - ٦٢١.
- (١) يوجد شك طائفة من مواقف الشيعة إمام منتظر، فهم يسمونه يعتقد اختلاف بين الحولية في جبل رضوى، وأنه سيعود ليبدل الجور عدلاً، ولجميع: ليسن لمساس، بدافع الزهور، ص ١٤٥، علي حسني الخريوطي: مصر العربية الإسلامية، ص ١١٩.
- (٢) سلاويين بن المقفع: المصدر السابق، ج ٢، م ٢، ص ١٢٨، المشبحر [الأمير فخر بن الملك محمد بن هبة الله بن أحمد]: أخبار مصر في سكتين (١١٤ - ١١٥ هـ)، ج ٤٠، تحقيق: ولهم، ج ١، ص ١٢٨، المقريزي: المصدر السابق، ص ١٤٠.
- (٣) ينكر الأقطلي: أن هذا لم يكن ثانيه الوحيد للحكم بأمر الله، حيث قتل. إنه ورد من انضم إلى مصر رجل من أهل عكا مقريزي يري الأمراء من ولد المهدي الطوي وجلس في جوار قصر للحكم بأمر الله يبيع المواد والأقلام، وكل شئ يبيعها بالحكم بأمر الله، فوقف به الحكم وسأله عن أمره، فذكر له أنه أخوه من جارية أخرجت من القصر حلي من العريز بالله وولفته، وذهب له الحكم بأمر الله وأعطاه ما يقوم بحله. ولجميع: الأقطلي: تاريخ الأقطلي، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.
- (٤) المقريزي: المعاد الخلفاء، ج ٢، ص ٣٢٥.

## [٢٢] الأمان في القتلى والتضيق وإرهاب عامة الشعب -

دخل جوهر الصقلي مصر (٣٥٨هـ / ٩٦٩م) حاملاً معه وثيقة جديدة تحمل بين طياتها السياسة الفاطمية الجديدة، وقد تضمنت هذه الوثيقة فيما عرف بـ"كتاب الأمان"، الذي ألقاه جوهر على المصريين ليؤمهم به على أنفسهم، وأموالهم، وأهلهم، وقد بين هذا الأمان ما يتصف به جوهر من دكاء، ودهاء، وحسن سياسة، حيث أكد جوهر في أمانه أن الجيوش الفاطمية لم تأت إلا لنجدة، وحماية أهل مصر مما قد تعرضوا إليه من ظلم، وفساد، مستفيداً من الأحوال السيئة التي آلت إليها مصر زمن الإخشيديين، لذلك فقد جاء برنامجه الإصلاحى بعكس، ويحدد سلبيات الحكم السابق، ويظهر مميزات الحكم الحالي (الفاطمي).<sup>(١)</sup>

وقد جاء في هذا الأمان : "هذا كتاب من جوهر عبد الله أمير المؤمنين لجماعة أهل مصر... أنكم لستم كتاباً يشتمل على أمانكم في أنفسكم، وأموالكم، وبلائكم، وجميع أحوالكم ... إذا غلبتكم الأيدي، واستطاع عليكم المستنزل، وأطمعته نصه بالافتاء على بلدكم، والتغلب على من فيه، والاحتواء على نصكم، وأموالكم ... ولكم على أمان الله التام العام الدائم على من الأمان، وكرور الأموال في أنفسكم، وأموالكم، ولعمركم، وضياحكم، ورباهكم، وعلى أنه لا يعترض عليكم معترض، ولا يتجنى عليكم متجن".<sup>(٢)</sup>

استقبل المصريون هذا الأمان في استكثاف، ولستسلام للأمر الواقع.<sup>(٣)</sup> ظم يكن هناك ما يخشاه المصريون من الفاطميين، وقد أدرك

(١) التويري : نهاية الأرب، ج٢٦، ص١٢٢ - ١٢٨؛ ابن خلّكان : وفيات لأعيان، ج١، ص٣٧٧؛ المقريزي : لمصر السليق، ج١، ص١٠٣؛ ابن تغري بردي : الفجوم، ج٤، ص٧٢ - ١٢٦؛ تاريمان عيد الكرم : مصر الإسلامية، ص١٢٥ - ١٢٦.

(٢) التويري : بداية الأرب، ص١٠٤ - ١٠٥؛ تاريمان عيد الكرم : مصر الإسلامية، ص١٢٦.

(٣) ابن تغري بردي : الفجوم، ج٤، ص٣٦.

المصريون أن تنتقل السلطة من خليفة عباسي مني إلى خليفة عظمي شيعي لن يغير من أوضاعهم شيئاً، وإن يكون أسوأ مما هم عليه، بل ربما يكون أفضل حالاً من سابقه، فقد أدرك معظم المصريين أن أي حكم جديد يكون مثاليًا في بدايته ثم يتحول تدريجيًا حتى يصل إلى غايته.

ولم يلتزم القاطمون فيما عقده على أنفسهم من أمان للمصريين، حيث تكثرت الأهواء، والمطامع، والصراعات، وحج السلطة، والرغبة في الظهور بمظهر القدسية، والإجلال في نقد هذا الأمان، فعانى الشعب المصري من العديد من مظاهر الإرهاب، والتعذيب، والقتل بحق، أو بغير حق، ولم تكن عقوبة القتل في حد ذاتها من العقوبات التي تُلَى إليها الأنفس، ولا سيما إذا كان هذا القتل عقابًا على جرم قد لا يُعرف بالفعل، ولكن الأعمال في هذا القتل، ولقد كن في عمليات التعذيب التي سبق هذا للقتل عدت من الجرائم الإرهابية التي خالفت الشريعة الإسلامية، والتي عانى منها الشعب المصري في ظل الحكم القاطمي.

وقد افتتح المعز لدين الله عهده في القاهرة بتعذيب الشيخ أبي بكر النابلسي، الذي أحضره بين يديه، وقال له : بلغني عطفك ذلك قلت : لو أن معي عشرة أسهم لرميت الروم بسهم وفيما تسعة، فقال النابلسي : أما لنت هذا، فظن المعز لدين الله أن النابلسي قد رجع في قوله فخرج، وقال له : كيف قلت؟ قال بكل قوة وحزم : قلت لو أن معي عشرة أسهم، لرميتكم بتسعة ثم بالعشر أيضًا، قال المعز لدين الله : أو لم ؟ قال النابلسي بحزم أقصد : لأنكم غيرتم دين الأمة، وقتلتم الصالحين، وأصعابتم نور الإلهية، وادعيت ما ليس لكم، وكان النابلسي من علماء السنة الذين أجبروا على سب الصحابة على المنابر، ولتباعهم، فغضب المعز لدين الله، فأمر بإشهاره ثم أمر بضربه ضربًا مبرحًا بالسياط في اليوم الثاني، ثم أمر بملخه في اليوم الثالث، وقد أمر جزاءً يهوديًا بإتمام هذا الأمر بعد أن رفض الجزاؤون المسلمون. فسطح مغرق رأسه حتى بلغ وجهه، وهو يصير، ويقول قول الله - تعالى - (وكان ذلك في الكتاب

مسلوفاً<sup>(١)</sup>، واستمر في السلخ حتى بلغ صدره فرجمه السلاخ، ووجره بالسكين في موضع صدره فقتل عليه، وقتل<sup>(٢)</sup>، فرجمه اليهودي، ولم يرحمه الخليفة الفاطمي.

أدى ضاد برجوان الخلع<sup>(٣)</sup> أحد وسطاء الحاكم بأمر الله، واستنثاره بالسلطة دونه، إلى تفكير الحاكم بأمر الله في قتله، وقد تم له ذلك في عام (٣٩٠هـ / ١٠٠٠م)<sup>(٤)</sup>، هذا الأمر الذي فُتّر الجميع فاجتمعوا حول القصر يطالبون الحاكم بتفسير ما حدث، إلا أن الحاكم بأمر الله كان من الشجاعة والذكاء، والظفنة ما جعله يكسب حب الناس، وودهم، وذلك بما فعله من تبرير منفع للقتل برجوان، ومن ثم أحد الثامن في الدعاء له، وتقبل الأرض بين يديه، فزادت ثقته بنفسه، وبدأ مرحلة جديدة من مراحل حكمه الذي استخلصه لنفسه بعد غناء استمر أربع سنوات تولى فيها برجوان الوصاية<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الأحزاب، الآية رقم (٦).

(٢) ابن الأثير : الكامل، ج٧، ص١٤٤١ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١١، ص١٢٨٤ ابن القلاء : عهد علي بن أحمد بن محمد الطبري : ثغرت الذهب في خير من ذهب، ج٢، نشره : جمال الدين القس، مكتبة القس، ص١٥٣ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٦، ص١٤٨.

(٣) برجوان القادم : الأمثلة أو الفروع برجوان القادم، كان خصياً أبيض، شأ في بلاط العزيز بالله وأوصاه على ولده منصور الذي خلف ولده باسم الحاكم بأمر الله كانت السلطة في يده بعد صرفه من حمار، فاستأثر بالحكم مع كاتبه أبو العلاء فهد بن إبراهيم النصارى، فلقب عليه الحاكم بأمر الله، وقتله على يد ربه بن الصقلي، وإليه تسبب حادثة برجوان بالقاهرة. ابن طاهر : أخبار النول، ص٤٣، ابن الأثير : المصدر السابق، ج٩، ص١١٨ - ١٢٢ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص١٧٠ - ١٧١ المصدي : قوافي، ج٢، ص١١٠ من شعري بردي : التاج، ج٤، ص٤٨.

(٤) مازين بن المقفع : سر القيمة المقدسة، ج٢، م٢، ص١٢٣ ابن كثير في الإشارة : ص٥٧ - ٥٨ ابن طاهر : أخبار النول، ص١٦٠ ابن خلكان : المصدر السابق، ج١، ص١٢٧ المقرئ : الخطط، ج٢، ص١٤٠ ابن شعري بردي : المصدر السابق، ج٤، ص١٤٨ جمال الدين القس : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص١٣٧.

(٥) المقرئ : تمهيد الحقائق، ج٢، ص٢٧ - ٢٩ جمال الدين القس : المرجع

وكان الحاكم بأمر الله في ذلك الوقت يبلغ من العمر خمسة عشر عاماً، وكان قتل يرجوان الحاكم نقطة تحول في حياة الحاكم بأمر الله، حيث أصبح منذ هذا التاريخ طاعية مطلقاً لا تصدر قراراته إلا بمروره، ونقلاته الملجئة، ومبرراته التي لا يعرفها سواه، وأصبح القتل، والإعدام فيه هو الوسيلة البسيطة التي يتبعها الحاكم بأمر الله للتخلص من معارضيهِ، أو من يصب عليه، ففي العام التالي من تحلوه من يرجوان الحاكم (٣٩١هـ / ١٠٠١م)، اتفق الحاكم بأمر الله مع علمائه الترك للتخلص من مؤدبه أبي التميم بن سعيد الفارقي، وهو يسميه في مجلسه : لأن أبا التميم قد شغل في شؤون الدولة، واطلع على الرقاق دون إذن الخليفة. (١)

وفي عام ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م، قتل الحاكم بأمر الله بن أبي نجدة متولي القصبه الذي أساء معاملته الناس، وتدخل فيما لا يحل من شؤون، فأمر الحاكم بأمر الله باعتقاله ثم قطع يده، وأسله ثم ضرب عنقه (٢)، وفي عام ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م، قتل أبا علي الحسن بن عسلوج، وأمر بإحراق جثته، وفي العام نفسه أمر بقتل وزيره فهد بن إبراهيم النصراني، وذلك لأنه أباي أن يعتنق الإسلام، وأمر بإحراق جثته، وقد جعل النصراني منه شهيداً، وزعموا أن جثته لم تحترق (٣)، كذلك قتل الكثير من زعماء كتامة دون وجه حق.

وقد تزهد الحاكم في القتل لكل من في دولته، وبذل سببه في مقامي أهل المملكة من الكتائب، والقواد، والجند، والرعايا، وقطع أيديهم،

السابق، ص ١٣٦ - ١٣٥، أين توجد مواد : دولة القاطمية في مصر، ص ١٦٣.

(١) محمد عبد الله عطار : الحاكم بأمر الله، ص ١٠٦ - ١٠٧، أين توجد مسجد المرجع السابق، ص ١٦٣.

(٢) محمد عبد الله عطار : الحاكم بأمر الله، ص ١٠٧.

(٣) ابن الصوري : الإشارات، ص ٥٨، المقريري : تحفظ الحفظ، ج ٢، ص ١٤٤؛ محمد عبد الله عطار، المرجع السابق، ص ١٠٧.

ولفرط في ذلك، كما قتل العديد من الخدم، والصفالية دخل القصر بعد أن قطع أيديهم بالسكاوير على خشبة من وسط الأبراج، كما قتل ذلك بالجوربي في قصره، فلخنت بلاتمه وقل رأسه رجلاه فتخوف الحسين بن جوهر قائد القواد على نفسه، وهرب، وأخذ معه أولاده وصهره عبد العزيز بن محمد بن الضمان، غير أن للحاكم أعطاه الأمان، وبعد عودته قتله، وصهره في مذبح مروعة. (١)

ونلا مصزع الحسين مذبح أخرى زُهِق فيها عدد كبير من الخاصة، والعامة، يربى عديم على مائة، قتلوا، وأحرقوا، كما قتل جماعة من الأعيان المقربين من الحاكم نفسه. (٢)

لما خالاه عن الذي شمله بعطفه، وثقه، وولاه الشرطة، والحسبة، فقد استدار عليه عندما سطع نجمه، وعلت مكانته بين الناس، فأمر بقطع يده في سنة (٤٠٠هـ / ١٠١٠م)، وصرفه عن الشرطة، والحسبة، ثم أمر بقطع اليد الثانية فحملت له على طبق، وبعد قليل أمر الحاكم بأمر الله بقطع لسانه فعمل نه على طبق آخر، ولم يستطع حين تعمل الجراح فتوفي في العام نفسه، وكذلك فلم يسلم كاتبه أبو القاسم الجرجاني الذي قطعت يده الأيمن، كانت الأولى قبل الثانية بثلاث سنوات، وشهر. (٣) وأخذ الحاكم بأمر الله يسير في حلقة مفرغة من القتل، وسلك الدماء حتى عجز المذبحون عن تحديد عدد ضحاياه. (٤)

(١) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ٢٨٤ - ٢٨٧، ابن طاهر : أخبار الدول،

ج ١، ابن خلکان : وفیات الأعيان، ج ١، ص ٣٨٠، المقريري : المصدر

السابق، ص ٢٩٩، محمد عبد الله طغان : مرجع السابق، ص ١١٢ - ١١٤.

(٢) الأنطاكي : المصدر السابق، ص ٢٨٧، ابن حنا : أخبار بني عبید، ص ١٩٧،

المقريري : المخطوط ج ٤، ص ٦٩.

(٣) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ص ٣٠٩ - ٣١٠، ابن القسيري : الإسمرة،

ص ١٦٨، ابن خلکان : وفیات الأعيان، ج ٣، ص ٤٠٧ - ٤٠٨، المقريري

اتعاظ الحنفاء، ج ٣، ص ١٠١ - ١٠٢، جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق

الفاطمية، ص ١٢٤، محمد عبد الله طغان : الحاكم بأمر الله، ص ٦١٠.

(٤) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٥١. ويذكر سلوويس بن المقفع أن همدان بلغ

كانت هناك الحديد من وسائل التعذيب التي يتبعها للحكم بأمر الله، غير قطع اللدين، واللسان، وحرق الموتى، فقد كان يأمر بمن يوقع عليه عقوبة الموت بأن يسلم جلداه وهو حي، ويضئ جلده بالثمن، ويصلب (١) ويذكر المقرري في خطبه أن الحكم بأمر الله عندما أظهر ثرده في الحياة، ومال إلى التصوف، تخلص من بعض خطايا، وأسبغ أولاده، وذلك بأن وضعهن في صندوق سميت عليهن، وثقلت بالحجارة، وألقت في النيل، وكان هؤلاء النسوة على قيد الحياة التي سبها من الحكم بأمر الله. (٢) كذلك قام الحاكم بأمر الله بقتل جماعة من المصريين قتل منهم سبعين رجلاً ممن عارضوا فكرة تأليه، ورفضوا مبادئ الذرية. (٣)

ويبدو أن الحاكم بأمر الله أصبح مغرماً بمسك الدماء، والقتل، حتى سار مشروباً من مشروب لهو، أو رياضته، في ذات يوم قتل الحاكم بأمر الله ركباً "بحرية" كانت في يده على باب جامع عمرو ابن العاص، ثم تولى شق بطنه بيده (٤)، كما أنه كان يواصل أثناء طوافه الوقوف بجانب ابن الأرقم الشواء، ويحادثه، وييدي عطفه عليه، وفي ذات يوم استدعى الحاكم أحد الركب من السودن المصطنعة بحضوره حالات بن الشواء، وألقه بين اثنين من زملائه، ورماء برمح، ثم أضجعه، واستدعى سكيناً لأخذه بيده، ثم استدعى ساطوراً لفصل به رأسه، وجسده، ثم استدعى ماء ففصل يده، ثم أمر بفصله، ونفخه، وعمل جنزة حافلة له. (٥)

شأنية عشر ألف نفس من مختلف الشخصيات، إمبراطورة المقدسة، بن حماد  
أخبار بني عبيد، ص ٩٧، عبد المنعم ملجم : ظهور الخلافة الفاطمية،  
ويقدم بعشرة آلاف قتلى، ص ٢٨٤.

(١) المقرري : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥ - ٢٦، ١٢٠ - ١٢١.

(٢) الأسطاني : المصدر السابق، ص ٣٠.

(٣) نفسه، ص ٣٤٤، المقرري : المصدر السابق، ص ١١٤.

(٤) محمد عبد الله عتاق : المرجع السابق، ص ١٠٧.

(٥) الأسطاني : المصدر السابق، ص ١٣١١، محمد عبد الله عتاق : المرجع السابق،

ص ١٠٧.

استمر الحاكم بأمر الله في القتل بالزعماء، ورجال الدولة من  
الوزراء، والكتّاب، والموقعين، والعلماء، ورجال القصر من الأساقفة،  
والخدم المسكينة، ومن إليهم من الضم حتى لباد معظمهم، عدا من قتل  
من التجار، والصناع، والكافة، خلال هذه الأعوام الرهيبة، وهم ألوف  
عديدة، بالإضافة إلى عمليات الإرهاب التي عانى منها الشعب المصري  
على جميع طبقاته.

ويروي المسيحي صديق الحاكم بأمر الله ومؤرخه فيما بعد، أن  
الجميع كان يرتعد خوفاً من الحاكم بأمر الله، وقراراته، فيذكر أن الحاكم  
بأمر الله أمر بعمل شؤنة كثيرة مما يلي الجبل ملكت بالسط، واليوس،  
والحلفاء، فارتاع الناس، وطن كل من له صلة بالحاكم، من رجال القصر  
أو الدواوين، أنها أعدت لإعدامهم، وانتشرت عن ذلك إشاعات مخيفة،  
فاجتمع سائر الكتّاب، وأصحاب الدوليين، والمتصرفين من المسلمين،  
والنصارى، في أحد ميادين القاهرة، ومازحوا يقبلون الأرض حتى وصلوا  
إلى القصر، فوقفوا على بابهم يضجون، ويتضرعون، ويسألون الطو  
عنهم، فصدر سجل بالعفر عن المسلمين، وآخر للنصارى، وآخر  
للإهود. (١)

واشتد الأذى بالعلماء، والخاصة على الخلفاء طوائفهم مضجوا،  
واستغلثوا، وطلبوا العفو، والأمان فأجيبوا إلى ما طلبوا، ونههم في  
الاستغاثة التجار، وأرباب المين، والحرف، وتوالي صدور الأمانات  
لمختلف الطوائف، حتى ختم القصر فلم يطمئن قلوبهم من جهة الحاكم إلا  
بعد أن أخذوا أمانهم منه، وذلك بعد أن اجتمعوا، وهرعوا إلى بكر البريل  
بالله، وضجوا باليكا، والاستغاثة. (٢) فأصبح القتل، والتعذيب وسيلة  
الحاكم بأمر الله لإخضاع جميع من حوله.

(١) محمد عبد الله طه: الحاكم بأمر الله، ص ١١٠.

(٢) ابن شاذلي: أخبار الجبل، ص ٥٢.



انتقل الحاكم بأمر الله من القتل الفردي إلى القتل الجماعي، دون اهتمام، حيث لم يتردد الحاكم ولو للحظة واحدة في سحق كل من تسول له نفسه بالتمرد عليه حتى، ولو كان فئة يحنها، أو شعباً يأكله، فقد أمر الحاكم بأمر الله بحرق حارة الجودرية على أهلها من اليهود الذين كانوا يجتمعون بها، ويسخرون من المسلمين. (١) كذلك ما فعله بأهل القسطنطينية هذا ما حدث بالفعل، عندما شعر الحاكم بأن أهل مصر يمحرون منه، ويكرهون أملاكه، ويسبونونه، وأعماله، لدرجة أنهم وصحوا في طريقه بمثل امرأة من ورق تحمل في يدها رقعة كانتها ظلامه، تحمل في برائتها بعض عهات النساء، ثم يطون إلى كل قببح، وسوى، هذا الأمر الذي أثار غضب الحاكم فقرر الانتقام من شعب مصر، ولكن لم يكن بوسع في هذه المرة قتل جميع أهلها لذلك فقد قرر حريق مصر، وإعمال القسطنطينية، فكثر أعمال الملب، والنهب، والقتل بها، وحلت عليهم نقمة الحاكم كما حلت على من قبلهم، واحترق من مصر مقدار للذهاب ونهب نصلها. (٢)

هكذا كان الحاكم بقتل بطريقة منظمة، يصحبها إرهاب مروع، كان الغرض منه خشوع، واستكانة، وإرهاب كل من حوله، إلا أن وسائله في القتل، والتعذيب وصلت من البشاعة إلى حد الاستكثار، والخروج على الشريعة، والرحمة الإلهية، لذلك، فلم يكن الله به رحيماً حيث قتل أبشع قتله، وقطعت جثته قطعاً قطعاً، فقتل من نفس الكأس الذي سقاه لشعبه، ولا وصفه الأقطاكي بصفة غير. (٣)

أما المستنصر بالله فعندما توجس خيفة من وزيره أبي محمد الحسن البازوري، الذي اتهمه بالتعاون مع عدوه طغرل بك السلجوقي الذي أحسن له المعية إلى مصر، وأمر بقتله، وكان ذلك في سنة ٤٥٠هـ /

(١) المقرئ: الخطم ج ٢، ص ١٩، ابن طغر: المستنصر السابق، ص ٥٢.

(٢) الأقطاكي: تاريخ الأقطاكي، ص ٢٤٦ - ١٢٤٧ ابن طغر، الجبر المنول،

ص ٥٥، ٥٦، قنويري: نهضة الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٢، ابن تقي بري -

النجوم، ج ٤، ص ١٨١.

(٣) الأقطاكي: المستنصر السابق، ص ٢٤٧.

١٠٥٨م: فعلت رأسه إلى المستنصر بالله، وأقيمت جثته في مزبلة ثلاثة أيام، ثم أقيمت، ثم تم نفيه<sup>(١)</sup>، وقد أنشأ المستنصر بالله سجناً لأرباب الجرائم السياسية من الوزراء والأمراء، والأعيان بخزانة "البود"، التي عرفت بعد ذلك بخزانة "رؤوس"<sup>(٢)</sup>؛ وذلك لكثرة ما قُطع فيها من رؤوس، أو ما نقل إليها من رؤوس لتخفظ بها.<sup>(٣)</sup>

كانت خزانة البود سجناً للمياسين جسد فيه الكثير من الناس لأسباب سياسية، وقد شاعت الصنفة أن يلقي الوزير أبو منصور النحلي القبض على أبي علي الحسن بن علي الأتباري وزير الحاكم بأمر الله، واعتقله في خزانة البود ثم أمر بقطع رأسه، ودفنت الرأس في سدة سنة (٤٣٨هـ / ١٠٤٦م). وبعد مدة لقي الخليفة المستنصر بالله القبض على أبي منصور النحلي نفسه، واعتقله في المكان نفسه، ثم أمر بقطع رأسه سنة ٤٤١هـ / ١٠٤٨م، ودفنها فوق رفات الوزير الأتباري.<sup>(٤)</sup>

أما العامة، فقد أعد الفاطميون لهم ما يشبه المعتقل، ليذكر المقريري أن السجن كان في تلك الفترة غير جالس من الناحية الإسلامية؛ لأنه يجمع العديد من السجناء في مكان واحد لا يستطيعون فيه الرصد، أو الصلاة، يؤذيهم الحر في الصيف، والبرد في الشتاء، ويخرجون لأعمال الشاقة، وهم مكبلون بالحديد، ويصرخون في الطرقات جوعاً؛ لأن جميع ما يجمع لهم من صدقات الناس كان يأخذه السجناء وأعرن الولي، وكان نوعاً آخر من أنواع العذاب، واعتقل الناس البشرية<sup>(٥)</sup>.

(١) سهرس بن المقفع: سر البيعة لنفسه، ج ٢، م ٣، ص ١٧٧ - ١٧٨، ابن المبرقي: الإثارة، ص ٧٣ - ٨٠، ابن ظافر: المصدر السابق، ص ١٧٨، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١١، ١٦.

(٢) المقريري: الخطط، ج ٢، ص ١٨٧ - ١٨٨.

(٣) ابن ظافر: المصدر السابق، ص ١٧٨ عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ط ١، دار الفكر العربي، ١٣١٧م / ١١١٨م، ص ٢٥١ - ٢٥٢.

(٤) ابن الفلكي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٨٤، ابن ميسر: المصدر السابق، ص ١٨، المقريري: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٤ - ٤٢٥.

(٥) المقريري: الخطط، ج ٢، ص ١٨٧.

بدأ بدر الجمالي إصلاحاته بتكبير مؤامرة شبيهة بمذبحة القلعة التي دبرها محمد علي بعد تلك بنحو سبعائة عام ؛ ليخلص من المماليك<sup>(١)</sup>، فقد استطاع بدر أن يخدع الأمراء الأتراك بمصيته، وأنه لم يأت؛ ليعمل بهم سوءاً، فأنزلوه، ويألفوا في إكرامه حتى انقضت أيام صيانتهم، حتى : غاهم إلى صنع قد أجده لهم، فلما اضمتموا، وسكروا، جعل كل واحد منهم يخرج من باب، وقد اتفق مع قوله أن يخرج كل واحد منهم مع أمير إلى داره على أن يئته برأسه على أن يكون له ماله، وداره، فلم يصبح الصباح إلا ورووس الجميع حول يده، كما تتبع لأتراك لقويت شوكته، وعظم أمره.<sup>(٢)</sup> ثم سار إلى الوجه البحري، والإسكندرية، واستود من الأعصا ما كان قد استولت عليه لوائه أو الملحقة، وأسرف بدر في قتلهم حتى قتل منه عشرين ألفاً، كما استولى على أموالهم، وكذلك توجه إلى الصعيد، وقاتل قبائل السودان فقتل لكثير منهم إلا من استطاع الهروب، ثم لحاظ بأموالهم، فملأ منها ما تجاوز الوصف.<sup>(٣)</sup>

استبد بدر بأسور الدولة، وأسرف في قتل كل من يقف أمامه، فقتل من أمثال المصريين، وحكاهم، ووزرائهم فكان منهم الوزير الحسن بن تقة الدولة المعطي بن أسد المعروب بامر كديبة الذي ضربه بسبب قليل

- (١) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٤٠ : ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٧، ص ٤٤٩ عبد الممنع ماجد . ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١٢٦ صلاح أحمد هريدي : دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ط ١، ج ٧، ع ١٠٠ للدراسات والبحوث الإسلامية والاجتماعية، القاهرة، ١٩٧٧م / ١٤٠٠م، ص ٤٨ : ابن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢١٠.
- (٢) ابن طاهر : أخبار فتول، ص ٧٦ : ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٤٠ - ٤١ عبد الممنع ماجد : المجلات المصرية، مسجل رقم (٥٦، ٥٧، ٥٨) : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٣٢٨.
- (٣) ابن الصوري . الآثار، ص ٩٦ : ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٧٦، ابن ميسر . المصدر السابق، ص ٤١ : ابن كزري يريدي : التاج، ج ٥، ص ٢١ - ١٢ عبد الممنع ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٣٢٦.

عشر صربيات حتى بلغت رأسه، والوزير أبو المكارم أسعد بن عجيل،  
والوزير أبو شجاع محمد بن الأشرف أبو علي محمد بن علي، والوزير  
أبو العلاء عبد الفتحي بن نصر بن سعد، وغيرهم الكثيرون<sup>(١)</sup>، كما قبض  
على قاضي الإسكندرية، وجماعة من قضاة، وأعيانها، وأخذ منهم أموالاً  
عظيمة<sup>(٢)</sup>، بالإضافة إلى قتله من يعارضه، أو يجاهر له العدا، فقد  
عصف بالشريف حيدر بن إبراهيم أبو طاهر الطوي، وقد بالغ بدر في  
الانتقام منه حتى قتل إنه قد قتل ثم ملغى، وقبل لخصاً إنه قد قام بسفحه  
هنا<sup>(٣)</sup>، وعلى النقيض كان بدر يشمل بعضه، وكرمه كل من يتقرب منه،  
ولو كان رياءً، فقد جاء إليه المنتصرون بالمعاجد، وكان من بينهم ابن  
العجمي، الذي قرأ عليه لقد صرحكم الله بذكر<sup>(٤)</sup>، وسكت عن تمام الآية،  
فقال له بدر، والله لقد جاءت في مكانها، وجاء مكوثك عن تمام الآية  
أفضل، وأتم عليه<sup>(٥)</sup>.

وإن كان بدر الجمالي قد استطاع أن يقضي على المعصدين، ويقر  
لواعذ البلاد، ويصلح من أمورها بعد أن هُتت، إلا أن ما فعله بدر من  
وحشية مبالغ فيها كان عليها أكثر مما كان لها من عواقب، وقد كان  
بإمكان بدر الجمالي، وبما يمتلكه من قوة عسكرية أن يقوم بتأديب هؤلاء  
المفسدين، ومعالجةهم، أو بسجنهم، أو حتى مصادرة أموالهم دون التسرع  
في إبادتهم بهذا الشكل، خير أن يدرك أن يظلم له، ولجندته الطريق  
دون منافسة أو معارضة، وإن كان بدر قد تشبه في فعله هذا بالحاكم بأمر

(١) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٤١، التقريري : انصاف الطغاة، ج ١٢،  
ص ٤٢٢ عهد الطغاة ماجد : المرجع السابق، ص ٢٢٦.

(٢) ابن ميسر : أفضل مصر، ص ٤١، التقريري : انصاف الطغاة، ج ١٢، ص ٤٢٠.

(٣) ابن الفلاس : دبل تاريخ دمشق، ص ١٩٤، ابن ميسر : المصدر السابق،  
ص ٤٢٢، ابن قسري يزني : الهجوم، ج ٥، ص ٨٠، ١٨٥، بحر السيد عبد  
العزيز سالم : الشائعات، ص ٢٨.

(٤) سورة آل عمران : الآية (١٢٣).

(٥) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٤٠، التقريري : المصدر السابق، ص ٤٢٢.

الله الفاطمي الذي أراد أن يتخلص من المعارضين، والمعتدين دور معاداة، غير أن المؤرخين قد وصفوا الحكم بالاستبداد، والوحشية، والجور ؛ بينما أخذوا في تمجيد بدر الجمالي مع إله الغاية والوسيلة لا لتفقتا، بصافة إلى ذلك أن حال الخلافة مع بدر الجمالي لم يتغير كثيراً، فقد ظل الحال الحليفة في قصوره كالمحجور عليه، وأصبحت الكلمة الأولى، والأخيرة لبدر، ومن جاء بعده من الوزراء الأكوياء، فأنتهى ببدر عهد الخلفاء، وبدأ عهد الوزراء الذين تلقوا بالقباب الملوك، وبقيت الغاية للأمر من الذين سيطروا على العصر الفاطمي الثاني سواء من بلغ منهم الوزارة، أو من مال تحير الوزراء. (١)

لما الأفضل بن بدر الجمالي الذي وزر للأمر بأحكام الله، وكان نه الأمر، وأنتهى، فقد أمر بحرق جوهر خادم أخيه المظهر الذي توفي في سنة (٥١٥هـ / ١١٢١م)، بعد أن ذكر أن جوهر هذا هو الذي قتله، وقد قيل إن هذا تم بأمر من الأمر نفسه، وقد عارض المأمون البطونحي تنفيذ هذا الأمر، وقال : معاذ الله هذه عقوبة لا يضرب بها إلا الله تعالى. (٢) أما المأمون البطونحي نفسه فقد قتله الأمر (٥٢٢هـ / ١١٢٨م) ، صلب هو وخمسة من إخوته، ثم أرسل رؤوسهم إلى خزنة البنود. (٣)

(١) المقرئ : الخط، ج١، ص٤٤٠، ابن كثير : تاريخ، المسعر السابق،

ص٢٢٢، عبد الملك ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٣٢٥.

(٢) المقرئ : المسعر السابق، ج٢، ص١٢٢ - ١٣٤.

(٣) ابن طاهر : أحبار الدول، ص٩٦، ابن الطوير : نزهة المقلقين، ص١٥ - ١١١.

ابن مسير : أحبار مصر، ص١٠٣، السويري : نهاية الأرب، ج٢٨،

ص٢٩١، ابن حلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٩٩، ابن الطوق : إنبصر

الدين محمد بن عبد الرحيم : تاريخ الدول والملوك، ج٢، تحقيق : حسن محمد

الشماع، القصر، ص٩٢ - ٩٥، انتهى : البحر في خير من بحر، ج٤،

ص٤٤.

كذلك قام الأفضل بقتل جماعة من رؤساء الإسكندرية، ووجهائها ؛ لأنهم أظهروا الريبة لـ "مرزوق"، وكان من بينهم قاضيها ابن عمار<sup>(١)</sup> احتلقت الوسائل التي اتبعتها الخليفة للحفاظ لدين الله، وذلك عندما غصب على وزيره بأنس الأرمني، قسمة في ماء المستراح، فانفتح بصره، ولم يعد يكثر على الجلوس، وقد علم من طبيبه أن راحته في السكون، وملاكه في الحركة، فقرر زيارته فلما رآه بأنس قام من فراشه احترس له، فأطاع الحفاظ جلسته متعينا، فلم يبق بأنس حتى سقطت أمهوه، ومات.<sup>(٢)</sup>

وعندما خزج الأمير حسن علي والده للحفاظ لدين الله، وطمع في الخلافة، واحتسب مجموعة من الأجناد من مختلف الطوائف - أسماهم صبيان الزرد - قوى بهم فأنعم عليهم، وأتمهم، وأقطعهم البلاد، ولولاهم الولايات، وجعلهم أمراء دولته فكانوا يقبضون بأمره من أمراء والده للحفاظ، ويحصرهم بالليل بين يده، ويضرب رقابهم، ويدفع أموالهم، ويدورهم بصبيان الزرد، كما سار في قتل خلق كثير من جميع الناس، فوجد في كل يوم جماعة مقتولة بين القصرين<sup>(٣)</sup>، حيث تلقى بأجسادهم

(١) ابن طاهر : القصر السابق، ص ٨٤، ٨٥.

(٢) سايوس بن المقفع - سيرة النعمان، ج ١، م ٢، ص ٢٨٨ ابن تفرج بردي : النجوم، ج ٥، ص ٢٤.

(٣) لم يكن يسمى بين القصرين مقصوراً على المكان المعروف في القاهرة، ولكنه عرف منذ الفتح الإسلامي في مدينة قسطنطين فكان هناك مكل يمرق بين القصرين. وهو ما بين دار عمرو بن العاص القصري والموضع المقابل لمروحة الأسطبل، وإنما قبل ذلك بين القصرين، لوجوده بين قصر عبد الله بن عمرو بن العاص الذي بناه في الدار القصري على ترويح الكعبة الأولى، والقصر الآخر مهما هو قصر حمر بن مروان بن الحكم وهو قس السدار المعروفة بإسرايل. التمرید راجع : ابن تعلق إبراهيم بن محمد بن أسد العباسي الانصار بواسطة عقد الأمصار إلى تاريخ مصر وجغرافيتها، القسم الأول، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي، دار الأحياء الجديدة، بيروت، بدون تاريخ، ص ٧.

بنو رؤوس حتى لا يعرفوا، مما كان له أثره في ترويع، وإرهاب الناس. (١)

وفي نهاية التولية الفاطمية، أثناء خلافة العاضد، لم يترد ويرره شور بن مجير السعدي في إعطاء أوامره بحرق القسطنطين وذلك قبل برول خوف الفرج إلى القاهرة بيوم واحد، فأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة، كما أمر جنوده بنهب القسطنطين، هجرت، ونهبت، وميت النار تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً<sup>(٢)</sup>، ولقد لجأ شاور إلى ذلك حتى لا يتحد الفرج من القسطنطين قاعدة لهم يتخرون منها على القاهرة، على الرغم من أن القاهرة بأموالها، وأهلها كانت قادرة على مقاومة هذا الغزو إلى ثم.

هكذا تعددت وسائل القتل، والتعذيب، والإرهاب الذي عانى منه أهل مصر في ظل الحكم الفاطمي لها، فاشتملت على جميع الوسائل المباحة، وغير الشرعية فكان منها، القتل، وقطع أجزاء من الجسم، ولأسمها الأيدي، أو اللسان، وشق البطن، والسرقة، والاغتصاب، والنار على قيد الحياة، وكذلك السليخ، والصليب، والحرق، بالإضافة إلى وسائل التعذيب التي مورست داخل السجون، وكذلك الاغتيالات السياسية، وفوق هذا وذاك الإبادة الجماعية عن طريق حرق القسطنطين بأهلها.

#### [١] الخليفة الفاطمي في عهد الدولة :

أ. زوجة العزيز بالله، وبنتها بنت الملك :

تزوج الخليفة العزيز بالله من جلوية مسيحية رومية - من أصل بيزنطي -، وكانت هذه السيدة تفتخر دائماً بهذا الأصل، وعلى الرغم من العداء القائم بين الفاطميين، والبيزنطيين، فإن الخليفة العزيز قد أحبها حباً شديداً، وتمتعت بنفوذ كبير في مصر، حتى أصبحت صالحة القرار في

(١) سويرس، بن المقفع : المعتمد السابق، ص ٢٨.

(٢) ابن طاهر . أخبار الدول، ص ١١٦، ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ١٣٣، أبو شامة - الرواسين، ج ١، ص ٢٧٩، ١٤٣٢ التويزي : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٣٩ - ١٣٤٠ التويزي : الخطط، ج ١، ص ١٣٨، ابن قنبري بردي . الهجوم، ج ٥، ص ٣٥.

عندهم، وكان لها السلطان، ولكن من وراء ستار. <sup>(١)</sup> وكان لهذه الميمنة  
 الفصل في زديت نفوذ أهل النعمة في عصره فقد استطاعت أن تولي  
 أحوالها في مناصب كنسية مهمة، يتولى أحدهما بطريركا على بيت المقدس،  
 وتولى الثاني مطرانا على القاهرة، ومصر وتحتجز إلى أهل النعمة. <sup>(٢)</sup>  
 كانت روح المحبة التي حظى بها أهل النعمة في عهد التحرير بالله  
 بالآثار العكسية على المسلمين الذين شعروا بالاستياء لتسلط النصارى على  
 شؤون الدولة، وقد شعر العزيز بذلك، وأراد إرضاء المعلمين، وكان أول  
 قراراته هو القبض على وزيره يعقوب بن كلس الذي أساء معاملة  
 المسلمين، غير أن العزيز بالله قد ضعف أمام شفاعته ورجته وأمنية ست  
 للملك التي كانت تتفكر بهويتها المزدوجة، وحبا لأهل النعمة، والتي  
 كانت أثرة عن والدهما، ولا يرد لها شفاعته. <sup>(٣)</sup>

وعندما سادت الأحوال، وكانت مصر تنغل في فتنة طائفية،  
 استبدل العزيز بالله بن كلس بحمى بن بطرس النصراني، كما ولي على  
 الشام منشا بن إبراهيم اليهودي، فاستولى أهل هاتين المملكتين على الدولة،  
 وشاعوا الفساد بين المسلمين. فارتفعت أصوات المعلمين بالشكوى التي  
 وصلت إلى حد السخرية من الخليفة نفسه، الذي أمر بالقبض على هذين  
 الرجلين، وجمع النصارى، واليهود من الكتاب في مصر، والشام،  
 وإعادة مناصبهم للكتاب المسلمين. <sup>(٤)</sup>

- (١) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ص ٢٠٣؛ ابن حنكس : وفيات الأعيان، ج ٥،  
 ص ٣٧٢؛ محمد عبد الله حنبل : تراجم إسلامية، دار المعارف، مصر،  
 ١٩٤٧م، ص ٣٤ - ٤١، غير أن ابن حنبل يذكر أن أصل روجة التحرير بالله  
 بطي، عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري في العصر الفاطمي (تريسة  
 تاريخية وثائقية)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ، ص ٩٨.  
 (٢) عبد المنعم سلطان : مرجع السابق، ص ١٢٠٣؛ جاك تاجر : قبضة ومسلون  
 ضد فتح العربي إلى عام ١٩٢٢م، تقديم : سمير مرعش، د/ محمد عيسى،  
 الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ١٣٨، ١٣٩.  
 (٣) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ١٤١؛ الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ص ١٢٠٣؛ عبد  
 المنعم سلطان : المجتمع المصري، ص ٩٨.  
 (٤) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٤١؛ الأنطاكي : المصدر السابق، ص ٢٠٣.



غير أن العزيز بالله قد ضعف مرة ثانية أمام تدخل ست الملك في الأمر، وذلك عندما أدرك عيسى بن بطورس تأثيرها على الخليفة، وواصل إلى شفاعتها، فأعاده العزيز بالله إلى الوزارة مرة أخرى.<sup>(١)</sup> فظهر الفساد بين المسلمين، وأهل النعمة مرة أخرى.

وبوفاة العزيز بالله ٣٨٦هـ / ٩٧٥م، وقولية ابنه الحاكم بأمر الله حدث تغير شديد في علاقة الدولة الفاطمية بأهل النعمة، وقد ظهر هذا في القرارات العنيفة التي أصدرها الحاكم بأمر الله ضد أهل النعمة، بعد أن تحصن من سيطرة والدته المسيحية، وأخته "ست الملك" التي كانت تظهر عطفاً شديداً، وتأييداً للصليبي.<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من تعويل المؤرخين لاشتراك ست الملك في قتل الحاكم بأمر الله بسبب التصديق عليها، ولتأثيرها في شرقيها<sup>(٣)</sup>، فإن البعض الآخر ينكر أن سبب اغتيال ست الملك لأخوها الحاكم بأمر الله هو معاملته العنيفة لأهل النعمة الذين كانوا موضع حب، وتقدير لها، والدليل على ذلك أنها ما كانت تتخلص من الحاكم حتى ألقت جميع قراراته ضد الصليبي، وأعادت إليهم نفوذهم.<sup>(٤)</sup>

حكمت ست الملك مصر أربع سنوات بعد مقتل الحاكم بأمر الله، استطاعت بما تهيأت به من حنكة، ودهاء أن تحتفظ على الدولة، وتعيد إلى الملك نصارته، كما أعادت للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله حقه المسلوب في الخلافة<sup>(٥)</sup>، وعلى الرغم من نجاح ست الملك في تسيير أمور الدولة، فإن رغبتها في السلطة جعلتها تهمل شأن الظاهر لإعزاز

(١) ابن ظهير : المصدر السابق، ص ٤١.

(٢) الأتصاكي : المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٣) ابن ظهير : المصدر السابق، ص ٦٤، القزويني - الحفاظ قصص، ج ٢، ص ١١٧.

(٤) الأتصاكي : المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٥) وذلك بعد ولي العهد عبد الرحيم بن إيلس الذي ولاء الحاكم بأمر الله ولاية العهد، سبق ذكره.



التستري<sup>(١)</sup> اليهودي ليضاء والتي كانت أمه في بيته قبل زواجها بالصدور، في محاولة منها لرد الجميل، فهدت إليه بقولي نظارة خاصتها<sup>(٢)</sup>، وكان التستري يخاف الوزير الجرجاني فلم يبد ما في نفسه إلا بعد وفاته، حيث استأثر بأسور القولة دون الفلاح حتى لم يبق للفلاحي أمر، ولا بهي. وأصبح لا يملك من الوزرة سوى الاسم فقط ففكره الفلاحى ذلك، وأسرها في نفسها إلى حين.<sup>(٣)</sup>

بدأ التستري في استمالة المخاربة فزاد من ولجبتهم، ونقص من لرزاق الأكراد، هذا الأمر الذي أدى إلى نشوب القتال بين الفريقين غير مرة، كذلك تقرب من بني جلعه من اليهود فأثرهم بالكثير من المصعب المهمة أدى إلى إثارة مشاعر المسلمين، وتقليبهم عليه، وقد تحير الوزير الفلاحى هذه الفرصة، وتحول إلى دين الإسلام ليستميل المسلمين إليه، كذلك استطاع طائفة من الأكراد، وزاد في لرزاقهم، وقربهم إليه.

==

موسوفاً بالبراعة في صروف الكلبة وكفى نظراً على الشام، قل في ٤٤ هـ.  
رجع : ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ١٧١ فن ظاهر : المصدر السابق، ص ١٧٨ ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٣.

(١) أبو سعد التستري : أبو سعد (وهي بعض المصادر أبو سعد) إبراهيم بن سهل التستري، كان والفوه أبو نصر يهوديان يشتغلان بالتجارة، فاستخدم الخليفة الظاهر أبا سعد في إتيان ما يحتاج إليه من أطراف الأمتة وتقدم عنده، فباع له جارية سوداء، تحلى بها الظاهر ولولتها أبوه المستنصر بالله فحفظت ذلك لأبي سعد فلما انقضت العلاقة إلى والدها، فوصت إليه أمر ديوانها. راجع : ابن الصيرفي : الإشارات، ص ١٧١ ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٤٤ ابن التستري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٩.

(٢) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ١٧١ ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٢ - ١٥ المقريزي : تهذيب المتفاه، ج ٢، ص ١٨٤ ابن قنبري بردي : المصدر السابق، ج ٥، ص ١٩٩ تاريخ ابن عبد الكريم : المرأة في مصر في العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٣، ص ٢٠٩.

(٣) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ١٧١ ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٤٤ المنصبي : أخبار مصر، ص ١٢٢ المقريزي : المصدر السابق، ص ١٢٩ ابن تخرى بردي : المصدر السابق، ص ١٩.

وحرسهم على قتل القسري، وقد نجحت خطته حيث اجتمع بباب القصر ثلاثة من الجند الأتراك واقتضوا عليه ليلاً، وقتلوه، وقطعوه قطعاً تدلّت الأيدي، والأعضاء، وحلّول أظفه شراء ما تبقى من جثته لشغلها، وكان ذلك سنة (٤٣٩هـ / ١٠٤٧م)، وعندما طالب الطيفة بقتله، أقر الجميع أنهم انقلبوا، فلم يتمكن الحليفة من معتقتهم.<sup>(١)</sup>

لم يرض أم المستنصر عما فعله الأتراك بالقسري، وكذلك لم يرض بمواقف ابنها، فصعدت على التحلّص من الوزير التتلاحي الذي ظن أن الدنيا قد خلت له، وأنه آمن ما يكرهه غير أنه ما لبث أن قبض عليه، واعتقل، وقتل سنة (٤٤٠هـ - ١٠٤٨م)، أما الأتراك فقد أخذت تدبر في الانتقام منهم؛ فتعاونهم مع قتلاحي على قتل القسري، فعملت على ضربهم بالعبيد السود كجاء جنسها التي تعبدت لهم، وأكثرت منهم، وجعلتهم طائفة خاصة بها، ثم أخذت في إغراء الوزراء الواحد تلو الآخر للتخلص من الأتراك غير أنهم كانوا يحدّثون الفتنة فيعتالون لها، وطلت أم المستنصر على هذا العزم حتى استطاعت إغراء الوزير أبي الفرج البجلي<sup>(٢)</sup> بما ترغّب، فأخذ في أسباب ما أمرته به، ونجح في الوقيعة بينهم فقامت الفتنة بين السود، والأتراك، وكان بدء الخراب.<sup>(٣)</sup>

(١) ابن الصيرفي: المصدر السابق، ص ٧٠ - ١٧٢ ابن ميسر: المصدر السابق، ص ٣ - ١٧ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢١٦، التقريري: الخطط، ج ١، ص ٣٥٥، قتل الحناء، ج ٤، ص ٣٣٠.

(٢) أبو الفرج البجلي أبو الفرج عبد الله بن حمد البجلي، كان يكتب عن صدي الدولة حسن بن صالح، وكتب عن الوزير علي بن أحمد التتلاحي، ولم يتولى الوزارة رفعة وولاه جمود دوفين الأموال، ثم ولي هو الوزارة ثلاث مرات، مرة عند القبض على التتلاحي سنة (٤٥٠هـ) ومصرع سعد شهرين ونصف، ومرة سنة (٤٥٢هـ) ومكت أربعة أشهر، ومرة أخرى عام (٤٥٤هـ) وقام خمسة أشهر، اعتقل، ثم أزم دله إلى أن مات، للمزيد راجع: ابن الصيرفي: الإشارة، ص ٨٣.

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٢٥ التويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٢٧، التقريري: الخطط، ج ١، ص ٢٧٧، قتل الحناء، ج ٤، ص ٣٣٧، ابن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٩٩.

بدأت الفتنة في (٤٢٨هـ) عندما خرج المستنصر كعائنه من كل عام للنزهة مع النساء، والحشم خارج القاهرة، وأما الناس أنه خرج للحج على سبيل الهزء والمجفة، ومعه من مصر، والروايا : عوضاً عن الماء، وبسببه الناس كما يفعل في طريق مكة، وقد اتفق أن بعض الأتراك جرد مبعاً في سكره منه على بعض عبيد لشراء، فاجتمع عليه طائفة من العبيد، وقتلوه، فاجتمع الأتراك، وقتلوا جماعة من العبيد بعد أن حصل بينهم قتال شديد في كوم شريك<sup>(١)</sup>، وهزم العبيد من الأتراك، وكانت أم المستنصر تعين العبيد بالأموال، والصلاح في الخفاء، وعندما علم لأتراك بذلك اجتمعت طائفة منهم، ودخلوا على المستنصر، رقدوا عليه، وأغلظوا له في القول، فطف لهم أنه لم يكن على علم بما ذكروا، وصر إلى أمه فأكرمت ما فعلت فصار المرف قائماً بينهم، حتى «جتمعوا» وخرجوا من شبرا دمنهور<sup>(٢)</sup> في بعض المصادر شبرا دمنهور - لقتل منهم خلائق كثيرة، وأصبت الأمور بينهم، وطمع كل منهم فيما ليس من حقه.<sup>(٣)</sup>

(١) كوم شريك : هو موضع بالقرب من الإسكندرية، عرف بشريك بن مسمي ابن يثوث أحد صحابة الرسول (ﷺ)، الذين كانوا في مقدمة عمرو بن العاص عند فتح الإسكندرية، وهو اليوم إحدى قرى مركز كوم حمادة بمحافظة البحيرة. راجع : ابن الصغري : المصدر السابق، ص ١٧٩، ابن موسر : المصدر السابق، ص ١٢٥، ذهبي : المعز في غير من غير، ج ٢، ص ١٢٥٧، ابن نغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٩٠.

(٢) شبرا دمنهور : هي القرى التي تعرف اليوم باسم شبرا الخيمة، إحدى صواحي مصر بمدينة القليوبية، وهي واقعة على فم قناة الإسماعيلية في شمال الغربي القاهرة على النيل، كانت تسمى قديماً شبرا دمنهور، حيث بدورها من الضلع قرية دمنهور شبرا التي تشب إليها. وهذه اليوم أيضاً من صواحي القاهرة. وشبرا الخيمة المذكورة تعرف عند سكان القاهرة باسم شبرا الخيمة تميزاً لها عن قسم شبرا أحد أقسام مدينة القاهرة. راجع : ابن نغري بردي المصدر السابق، ص ١٩١، حاشية رقم (١).

(٣) أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ٢٢٠، ابن ميسر : حيل مصر، ص ٢٥٥، القريني : الخطط، ج ٢، ص ١٣٢٢، تصحفاً، ج ٢،

وتتمسك الأكثر لك بضرورة إبعاد المودنين عن القاهرة، فأنصر  
 الحيفة مجبراً إلى موافقتهم على طلبهم، وذلك بعد أن قويت شوكتهم،  
 وأصبح الحكم الحقيقي في أيدي قوادهم، وتنفيذاً لأوامر الأكثر لك رحل  
 بعض العبيد إلى الصعيد، والبعض الآخر إلى الوجه القبلي حيث عاشوا  
 فيها الفساد، وأعمال السلب، والنهب، فتعالت صيحات الفلاحين تستجير  
 بما يحدث لهم، فصار ناصر الدولة بن حمدان قائد الترك بجماعة من فواده  
 لمحاربتهم في الصعيد، فقاتلهم قتالاً شديداً، حتى انتصروا عليهم، وقصروا  
 على دولتهم، ولم يبق لهم إلا القليل المستضعف، وعظم أمر ناصر الدولة  
 بن حمدان بعد أن أصبحت مصر، وصعيداً مسرحاً للقتال بين العبيد،  
 والأكثر لك، لقد عاد ابن حمدان إلى القاهرة فأساء معاملة الخليفة، وتجرأ  
 عليهم، ومطالبه بزيادة مقررات الأكثر لك ريادة بالغة، وعندما عجزت  
 خزينة الدولة عن الوفاء بما طلب، عاث الأكثر لك فساداً في القاهرة،  
 واستولوا على ذخائر المستنصر، وما كان بالقصر، والثروة المغرية من  
 كنوز، وتحف، وكتب بعد أن أتلوا الكثير منها، ولعل المقيري يعلن  
 أسفه عما نال تلك الكتب من إتلاف. (١)

على الرغم من أن المستنصر قد عجز عن مقاومة ابن حمدان،  
 فإن أم المستنصر لم تقا، وحاولت اغتيال ابن حمدان، ولكن محاولتها  
 باءت بالفشل، ففي إحدى الليالي لسنة ٤٦١هـ، ذهب حمدان إلى الوزير  
 أبي عبد الله المالكي، وعند خروجه وثب عليه رجل صيرفي، وضربه  
 بسكين فقبض على الصيرفي في الحال، وتم شقه في وقتها، وحمل ابن

ص ٣٩٢، ٣٩٥ ابن تقي بردي : التلويح، ج ٥، ص ١٧ - ١٩، فهرس مؤلف  
 سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٠٠.

(١) ابن الصيرفي : الإثارة، ص ٢٧ - ٢٨، ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٣١  
 ٣٩٨ تقي بردي : نهاية الترك، ج ٢٨، ص ٢١٧، المقيري : القطر، ج ١،  
 ص ٢٣٥ - ٢٣٦، القطر، ج ٢، ص ٣٩٢، ٣٩٥، ابن تقي بردي :  
 المصدر السابق، ص ١٢ - ١٥، علي حفي الخربوطلي : مصر العربية  
 الإسلامية، ص ١٦٤.

حمدان إلى داره جريحاً، وعولج من جروحه بعد مدة<sup>(١)</sup>، وعندما عولج من جروحه استبد بالأمر دون الخليفة الذي كان مشغولاً باللهو، والشرب، والطرب، فأسقط اسمه من الخطبة، وقام بمحاصرة القاهرة، حتى عجم ما يحرش المستنصر من أموال، واستغلت الناس من الجوع، واستسلم المستنصر، وقبض ابن حمدان على أمه، وعاملها معاملة سيئة، وصادر أموالها، غير أنها تمكنت من الهروب إلى بغداد، كما تفرق عن المستنصر جمع قذريه، ولولده، فصار بعض مذهب إلى العراق، والبعض الآخر إلى المغرب، وانتشر الفساد في مصر.<sup>(٢)</sup>

اشتعلت الدولة العباسية بما آلت إليه الخلافة الفاطمية من ضعف، واستسلام، وعادت إلى حملتها الأولى ضد الخلافة الفاطمية، والتي قد بدأها منذ زمن الحاكم بأمر الله، وأصدرت محضراً آخر حمل في طياته سباً، وإغفاءً، واتهاماً للفاطميين في تمهيد لطي بن أبي طالب، ربما كان المستنصر شديد التأثر بمثل هذه الشائعات، والوشايات، فقد أدى هذا إلى اهتزاز الأوضاع السياسية، وتدهورها أكثر مما هي عليه هذا الأمر الذي صدق به العامة حتى خرجوا من ثباتهم، وأعلنوا رفضهم لتلك السياسة.<sup>(٣)</sup> وقد ساءت أحوال مصر، ولاسيما بعد أن اجتمعت تلك الموضوعات السياسية بالأزمة الاقتصادية التي كانت آن تقضي على البلاد، معبد الخليفة المستنصر بالوزارة إلى أبي محمد الحسن البزوري<sup>(٤)</sup>، الذي سرى

(١) ابن تقي بردي . المصدر السابق، ص ٨٢، سحر عبد العزيز سالم . المشايخ، ص ٦٧.

(٢) ابن ظافر : أخبار الدول، ص ٧٥، أبو الفداء : المختصر، ج ٢، ص ١٢٧، المنبري : أعيان الأئمة، ج ٢، ص ١٣٩، ابن تقي بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٥.

(٣) سحر عبد العزيز سالم . فتاوي، ص ٣٨.

(٤) أبو محمد الحسن البزوري : هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن البزوري، كان أبوه فاضلي قرية "بزور" من أصل الرملة، تولى القضاء بعده ثم ضل، فطلق بجملة لم يستمر بالله، فرى مجله في الوزارة سنة ٤١٦ هـ، سمى به أنه قد حصل أول الدولة إلى التمام في التوازي، وشمع سيكه وأبده إلى

بالحكم ما يقرب من تسع سنوات، وقد نجح إليزوري إلى حد كبير في  
 حجب تلك الأزمات، عن الحليفة سرعان ما قهقهه بالتعزير مع عدوه  
 طومريك الساجوقي الذي أحسن له المجيء إلى مصر، فقتله ١٥٩هـ،  
 وحمل رأسه إلى المستنصر، ولقيت جثته في عريضة ثلاثة أيام ثم  
 أعيت. ومع ذلك، وكانت نهاية هذا الوزير هي بداية لظهور الفوضى،  
 والاضطراب. (١)

وبنقل الوزير إليزوري (٤٥٠هـ / ١٠٥٨م)، حدثت مصر في  
 حروب أهلية. ووقع الحلاف بين عبيد الدولة، وضعف قوة الوزراء عن  
 شهرهم، وذلك لقصر مدتهم؛ حيث تولى الوزارة فيها أربعة وخمسون  
 وزيراً، وكان وأربعون خاصية إلى سنة (٤٦٦هـ / ١٠٧٣م) فكان  
 للوزير بلي الوزارة شهراً، أو أياماً. (٢) فحدث أعمال الدولة، ولم تر  
 صلاحاً، ولا استقام لها أمراً. (٣)

وعلى الرغم من حروب أم المستنصر، فإن مظاهر الفتنة في  
 مصر لم تنته بعد، وظلت أعمال الفساد قائمة بين الجنود، وظل المستنصر  
 بالله مغرباً على أمره مهتماً في قصره.

انفلس وإلى الخليل، وقد حول إلى الهروب إلى بغداد فقبض عليه ٤٥٥هـ /  
 ١٠٥٨م وسُهر إلى تكس وقتل. ثم رجع المؤيد في الدين عبد الله  
 شيرازي، سيرة المؤيد في الدين وداعي الدعاء، ترجمة: حياته بطلبه، لتقديم  
 ونعيق: محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٤٩م، ص ١٧٨  
 الصيرفي: الإشارة، ص ٧٣، ٨٤؛ ابن طاهر: المصدر السابق، ص ١٧٨  
 ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٦؛ المؤيد في الدين: سيرته، ص ٨٤.

(١) ابن ميسر: المصدر السابق، ص ١٦؛ القويري: بهية الأريب، ج ٢٦، ص ٦٥٥  
 المقريزي: السخط، ص ٣٥٦.

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٢٤ - ٢٦؛ المقريزي: إغلة الأمة، ص ١٨٥ -  
 ١٢٧؛ ليرملي: عبد الكريم: قرأ في مصر في عصر الفاطمي، سلسلة تاريخ  
 المصريين، العدد رقم (٢٦٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٦٢م،  
 ص ٢١٦ - ٢١٧.

(٣) المقريزي: إغلة الأمة، ص ٢٢ - ٢٣.



ووقع تخلف بين الأتراك أنفسهم، وابن حمدان الذي ستر العرصة، وبالح في إهانة المستنصر، وأراد أن يقيم الدعوة لبني العباس في مصر، ويسيطر على الأمور دون الخليفة، وقد أيقن بقطعه الذكر أحد الأكرام الذي وقع مع ابن حمدان في التحيز من المشاطات، فجزر أمير بلدكوس، وكان من أكابر الأتراك، وأذكروا ما يقع من ابن حمدان وتحرف عقيدته، فاجتمعوا ببقي الأتراك، وأعلمهم بأنه لو دم المصير الدولة من يريد الله يبق على أحد منهم، فالتقوا جميعاً على قتله، فذهبوا إلى داره فبادره أحدهم بسيفه، وتبعه، وخز رأسه، ثم قطعوه قطعاً، وجعلوا كل قطعة في بلد، كذلك قتلوا أخويه فخر الدولة، وتاج المعالي، وتجهز جميع من بقي من بني حمدان قتلهم عن آخرهم<sup>(١)</sup>

وذهب بلدكوس، والكرز، وانصم إليهم الوزير ابن كديلة<sup>(٢)</sup> برؤوس اتفنى إلى الخليفة العاطمي يطالبون بالأموال وظنوا به أنهم خلصوه من ابن حمدان، وتشدوا في ذلك، ولم يستطع الخليفة التصدي لهم لماضطر مرضاً إلى بيع بعض جواهره - قطع من المرجس - وأعطاهم ما طلبوا من أموال، وبقتل ابن حمدان لزدلات الأمور اضطراراً، وأيقن الخليفة أنه تخلص من ابن حمدان لزدلات الأمور

(١) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٣٥ - ٣٦؛ أبو الفداء : المختصر، ج ٢، ص ٢٧١؛ مابورين ابن المقفع : سير أئيمه المختصة، ج ٢، ص ١٢٠؛ ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ٢٤٤؛ ابن خري بردي : التاج، ج ٥، ص ٢١ - ٢٢

(٢) أبو كديلة : هو أبو محمد الحسن بن تقة الدولة مجلي بن استير أبي كديلة الشراي، مولى لورارة خمس فسمت، وعنده نقل أمير الجيوش بدر الجمالي مصر، كان اسم الورارة ولحقاً عليم، كل قول ورثته سنة ٤٤٥ هـ، ثم شغل فيها الدفوعات المذكورة، كل شقي الخلق قلبي ثقب، ويقال أنه مر بثلث عبد الرحمن بن منجم، سيرة أمير الجيوش إلى دمياط قتله بها وقتل ولده ومنعه رجع : ابن الصيرفي : الإشرقة، ص ٩٠؛ ابن ظفر : أخبار الدول، ص ١٨؛ ابن ميسر : المختصر السابق، ص ٢٧، ٢٨. فذكر ابن ظفر أن لقبه كريمة وليس كديلة، أخير الدول، ص ٨٠.

اصطرا بآء، وأيقن الخليفة أنه تخلص من ابن حمدان ؛ فخطع في يد الأمر  
الأكثرak الذين ضيقوا عليه الخناق ضاغت أحواله، وأصبح أعوبه في  
أيديهم، وتقلص نفوذه وانحصر في قصره ؛ بينما قسمت مصر، وأقاليمها  
بين فرق فلجند<sup>(١)</sup>، ولم يجد المستنصر بالله من تجاه إلا بالاستعانة بوالى  
"عكا" بدر الجمالي ؛ ليخلصه من مظاهر الفساد التي آلت إليه مصر،  
فرحب بدر الجمالي بهذه الدعوة التي مستحق طموحاته، فدخل مع من  
دخل من جنوده الأرمن. وأعد للبلاد قوتها بعد أن قضى على المفسدين  
فيها،<sup>(٢)</sup>

هكذا كان تدخل أم المستنصر بالله نشورا بالصراع، والهلاك، غادت  
رغبتها في السيطرة مع قوة شخصيتها إلى تحكمها في أمور الدولة، وقد  
تيسرت لها جميع العوامل التي جعلتها تتدخل بهذا الشكل، إلا أن فقدانها  
للصفات التي تؤهلها للحكم أدت إلى فساد الدولة، حتى إن الوزراء الذين  
تولوا الوزارة في تلك الوقت كانوا يتقربون منها عن طريق الإساءة لمن  
قبلهم، أو من حولهم، ففسدت أمور الدولة، وأوشكت البلاد على الفراق،  
والدمار،<sup>(٣)</sup> ، ودخلت مصر في فترة جديدة تميزت بالضعف، وأصبحت  
حالة المستنصر بالله هي النقطة الفاصلة في تاريخ الدولة الفاطمية،  
وتحول أمور الحكم فيها من عصر الطفلاء إلى عصر الوزراء الذين  
تحكموا في أمور الدولة دون الخليفة نفسه حتى نهاية الدولة.

لم ينته الأمر عند هذا الحد، فلم يرحل المستنصر بالله العظمي،  
إلا بعد أن تزوج من ابنة الوزير بدر الجمالي، وقد أسفر هذا الزواج

(١) ابن الصيرفي : الإثارة، ص ١٩٥، ابن ظفر : أخبار الدول، ص ٧٤، المترجمي  
: تعاقب الخلفاء، ج ٢، ص ٤١٩ - ٤٢٠، ابن قسري يردى : الفصول، ج ٥،  
ص ١٢٢، ليس فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٠٧.

(٢) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ٩٥ - ٩٦، فلوري : نهاية الأرب، ج ٢٨،  
ص ٢٢٦ - ٢٢٨، ابن قسري يردى : المصدر السابق، ص ٢١ - ١٢٢، عبد  
المعزم ملجود : سجلات المستنصرية، سجل رقم (٥٦)، (٥٧).

(٣) تاريخ ابن عبد الكريم : قمرلة في مصر، ص ٢١٢.

صراعاً جديداً على العرش لصالح الابن الأصغر للمستنصر بالله من روجنة الأرمنية لينة بدر الجمالي، فطى الرغم من عدم أحقيته فيه، فقد حدثت الدماء الأرمنية في تكوين الخلفاء الذين تولوا الحكم بعد ذلك (مثل المستعالي بالله، والأمر بأحكام الله)، وإن كان هذا تدخلا غير مباشر من لينة بدر الجمالي، فإن مصر قد تضررت بهذه التزججة.

أدت الظروف المحيطة بمصر من اضطرابات سياسية، وصد بين الوزراء في الداخل، ووجود الفرنجة على حدود البلاد، والأزمات الاقتصادية المتلاحقة فضلاً عن ضعف شخصية الخلفاء، واستبداد الوزراء بهم، إلى تدخل النساء في أمور الدولة، ولكن بصورة تنسم بالضعف، وذلك عن طريق الاعتماد على رجل قوي ضد رجل آخر؛ للتحقق بالوزراء، فكثر النساء، والمؤامرات دخل القصر الفاطمي، ولكن في هذه المرحلة كان من أجل الحفاظ على الدولة من الانهيار.<sup>(١)</sup>

#### ٢٥٦ كثرة المحاليس والمؤامرات والإختلالات داخل القصر

يختلي الحاكم بأمر الله (١١١هـ / ١٠٦١م) بطريقة يكتنفها الغموض، حيث خرج من المقطم، وطلب إلى المكاريين الذين صعبا بالنظر، وفتحوا عنهما في الجبل، ولم يره بعد ذلك أحد. وقد عثر على ثيابه، وبها طمط بعد خمسة أيام من غيابه<sup>(٢)</sup>، ولم يتذكره الناس هذا الأمر، وظلوا يتربصون ظهوره، ويتبعون أثره إلى أن تحققوا عدمه، فذهلت قلوبهم.<sup>(٣)</sup>

(١) نفسه، ص ٢٥٥.

(٢) بن ظفر: لمبار الدول، ص ٥٨، ٥٩؛ ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ١١٣؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٩٧ - ٢٩٨؛ فيوري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٤ - ١٩٦؛ ابن خلدون: تزيخ بن خلدون، ج ٤، ص ٢١؛ ابن تقي بري: التجوم، ج ٤، ص ١٩٠.

(٣) الأملاني: تاريخ الأملاك، ص ١٣٦؛ ابن تقي بري: المستنصر السابق، ص ١١٨؛ المقريري: تعلق الخفاء، ج ٢، ص ١١٥ - ١١٦؛ ابن إيس: بئاع الزهور، ج ١، ص ٤٥، محمد عبد الله علق: الحكم بكمر الله، ص ٢.

وتتجه لصنيع الاتهام أن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الكبرى، التي قصعت بالذكاء، وزجاجة العقل، واتساع الإدراك، والتي رأت في تصرفاته المشيئة، واتساعه الألوهية، وهتكه نقوس الشريعة الإسلامية هلاكاً للنوالة الفاطمية، فضثيت من ثورة أهل مصر عليه، ومحبوبة قتله، وقتل أهل بيته، وراء عملية اغتيال الحاكم بأمر الله، وذلك بالاشتراك مع سيب اثوالة الحصين بن علي بن دواس الكتامي.<sup>(١)</sup>

وكانت ست الملك قد نالها ما نال غيرها من المقربين للحاكم بأمر الله حتى إنه قد اتهمها في شرفها، وزماها بالتجاوز، وأسمعها أغلظ الكلام، وقد عزم علي إدخال القوايل عليها تكشف حالها<sup>(٢)</sup>، وعلمت ست الملك أنها هالكة لا محالة، فبررت لقتله خشية من بطشه<sup>(٣)</sup>، أما ابن دواس فكان يتوهم خيفة من غدر الحاكم، ويتنظر هلاكه منه يوماً بعد يوم، ولا سيما بعد أن عاتبه الحاكم بأمر الله بسبب تأخيره عليه في يوم الموكب<sup>(٤)</sup>، لقد أشغلت ست الملك ذكاهها، وأغرقت ابن دواس بقتله، بعد أن استعصفته كأنثى، ووعدهته بالأموال، والظلم، وقد استعان ابن دواس بعبدين وثق فيهما؛ لتتعد تلك الحادثة<sup>(٥)</sup>، .....

(١) لأطناكي : المصدر السابق، ص ٣٦١ - ١٣٦،٢ : ابن تقي بردي : المصدر السابق، ص ١٨٥ - ١٩٠.

(٢) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٥٧، ٥٨ : عبد المنعم سلطان : المجتمع المصري ٩٨٥ م، ص ١٠٣.

(٣) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٥٧ : المقريزي : تاملط شعفا، ج ٢، ص ١١٥ - ١١٦.

(٤) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٥٨ : ابن تقي بردي : المصدر السابق، ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٥) لقد كمن العبدان الأسودان له، وعندما قرب الصباح وثبأ عليه وطرحاه على الأرض فصاح ويلكما ما شريدان ؟ قطعا يدبه من رأسه وكفسه وشفا جوفه وأخرجاه ما فيه وقام في كساءه وحملته إلى ابن دواس، فصفه بمن دواس مع العبدين إلى ست الملك لثافته في مجتها وكتبت أمره ثم أرسلت الوزير خطيبس الملك، وأبلغته بالأمر واستكتمته على أمرها. راجع : المقريزي . تاملط الشعفا، ج ٢، ص ١١٥ - ١١٦ : ابن تقي بردي : الفجوم، ج ٤، ص ١٨٨ - ١٨٩ : محمد عبد الله عزال، الحاكم بأمر الله، ص ٢١٥ - ٢١٦.

وقد نجحاً في ذلك. (١)

وبعد أن تحطمت ست الملك من الحاكم بأمر الله أرادت للتخلص من بين دلويس نفسه، وقد مكثت لذلك، فبعد موت الحاكم بأمر الله، أمرت للأعبان بملأ كثير، ومراكب ذهب، وفضة، وأمرت ابن دلويس أن يشهد بها في الحزقة، وقالت له : غدا تنزع عليك، فقيل في - وس الأرض، وفرح، وأصبح من القدر يحبس عند البئر ينتظر الإبر حتى بأمر، ويهيئ، وكان الحاكم بأمر الله مائة عود يختصون بركابه، ويحمون السيوف، ويقتلون من يأمرهم بقتله، فبعث بهم بيت الملك لابن دلويس ليكونوا في خدمته، فوقوا بين يديه، ثم أمرت صاحب البئر أن يقول لهؤلاء العبيد : يا عبيد، مولانا يقول : لكم هذا الرجل قاتل مولانا الحاكم بأمر الله فاقبلوه، فاقبل العبيد على ابن دلويس، وقتلوه بالسيوف كما قتلوا العبيد الذين قتلوا الحاكم بأمر الله. (٢)

أصبحت ست الملك منذ نهاية عام ٤١١هـ / ١٠٢١م في الحقيقة هي الحاكمة الفعلية للبلاد، حيث تولى الظاهر لدين الله بن الخليفة الحاكم لدين الله بعد مقتل والده، وكان الظاهر لدين الله في سن صغيرة، فتولت ست الملك الوصاية عليه، واعتمدت ست الملك في أول أمرها على رئيس الوزراء الوزير خطير الملك أبي الحسن بن شمار (٣) بن محمد، التي

---

(١) الأتطاكي : تاريخ الأتطاكي، ص ٣٦٣؛ ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٥٧ - ١٥٨ ابن تقي بردي : المصدر السابق، ص ١٨٥ - ١٨٩؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج ٣، ص ١٩٢؛ مصدر عهد الله - عمان، المرجع السابق، ص ٢١٤ - ٢١٧.

(٢) ابن عدي : القبيح المغرب، ج ١، ص ٢٧١؛ القويري : بهجة الأرب، ج ٢، ص ٢١٤؛ المقرئ : المظلي الكبير، ج ٢، ص ٥٦٢ - ٥٦٣؛ ابن تقي بردي : المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩١ - ١٩٢.

(٣) الوزير خطير الملك : الأمير الخطير رئيس الوزراء أبو الحسن صابر بن محمد، آخر ومثبط الحاكم بأمر الله، تولى بيعة الإمام الظاهر لإمزاز دين الله، ثم قتل ربيع : ابن الصوري : الإشارة، ص ١٥٥؛ ابن طاهر : المصدر السابق، ص ١٦٥؛ المقرئ : تكملة الحنفاء، ج ٢، ص ١١٨؛ القويري : المصدر السابق، ص ١٩٢؛ ابن تقي بردي : المصدر السابق، ص ١٩٢.

أُظلمه على أمرها فيما يخص قتل الحاكم بأمر الله، وكان حظير الملك قريباً جداً من الظاهر لدين الله، شغوفاً به مخلوفاً له، كما كان الظاهر لدين الله يحبه حباً شديداً، فحشيت ست الملك عن تأثير حظير الملك على الظاهر بأمر الله كما خطيت سبيل التوضيح أمرها، فتبرأت لمصرعه، وكذلك كل من أطلع على أمرها، ثم باشرت أمر الدولة بنفسها<sup>(١)</sup>

بقيت ست الملك أن يقام ولي العهد عبد الرحمن بن إياس - الذي قد ولاه الحاكم بأمر الله ٤٠٤ هـ مخالفاً للشرعية الإسماعيلية - يستل حظير على العرش؛ لذلك فقد أرسلت لأمته عائله من الشام؛ لتولي أمور الدولة، وعندئذ وصل إلى تميم حبسه صاحبها، وكان ذلك بالاتفاق مع ست الملك ثم أرسله إليها. فقامت بحبسه في قصر، ثم دسّت عليه من قلعه، وبقت فيه مات مسموماً من فاكهة مسمومة أرسلت إليه، غير أنها عملت على أن يظهر هذا القتل على أنه محاولة لقتل من ولي العهد نفسه، وقد نجحت في ذلك، وألقت عليه الشهود، ولم تثبت ست الملك بعدها سوى ثلاثة أهل، وماتت سنة ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م.<sup>(٢)</sup>

وفي ٤٢٧ هـ / ١٠٣٦ م توفي الظاهر لإعزاز دين الله، وتولى ابنه المستنصر بالله أبو تميم بن علي، وكان في السابعة من عمره، لم يكن كأجداده قد تنبأ بالغيب بعد، فقد كان المستنصر بالله أطول الخلفاء الفاطميين حكماً على الإطلاق، حكم مصر ستين عاماً، وأربعة أشهر

(١) ابن الصبري: الإنبارة، ص ١٥٥، في ظفر: أخبار الدول، ص ١٦٥ الفوري  
نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٦٤ ابن تقي بردي: القجوم، ج ٤، ص ١٩٢، أين  
فواد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٨٢ محمد عبد الله عس: الحاكم  
بأمر الله ص ٢٢٦ - ٢٢٧.

(٢) الألفاكي: تاريخ الأنطكي، ص ٢٣٨ الفوري: التمهيد السابق، ج ٢٨، ص ٢٠٤ - ٢٠٥ الفوري: التمهيد السابق، ج ٢، ص ١١١ ابن تقي بردي  
المصدر السابق، ص ١٩٢ - ١٩٤ جمال فتحي تشييل: مجموعة الوثائق  
الفاطمية، ص ٢٢١ محمد عبد الله عس: المرجع السابق، ص ٢٣٦، أين فواد  
سيد: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٤٢٧ - ٤٨٧ هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤ م)<sup>(١)</sup>، شهدت تلك السنوات أحداثاً جساماً في تاريخ الدولة الفاطمية، تطلتها فترات قصيرة من الاستقرار، والرخاء، وفترات طويلة مليئة بالاضطرابات، والفتن، والمشاكل السياسية، والاقتصادية، والإدارية التي زعزعت كيان الدولة، حتى تعرضت القاهرة وقصر الخلافة نفسه للعديد من الصراعات الدامية التي جتاحت ملوئها الجند على اختلافها، ثم جاءت الأوبئة، والأزمات الاقتصادية الواحدة تلو الأخرى حتى ضعفت قوى الدولة، وضعف نفوذها.<sup>(٢)</sup>

لقد ساءت أحوال مصر بعد أن اجتمعت القواصم السياسية بالأزمات الاقتصادية التي كانت تقضي على البلاد، وساءت أحوال الطبقة الذي أصبح كعوبة في يد الجند الأتراك، وأصبح كالمحجور عليه دخل قصره، بعد أن انقسم الجند لثلاث فئات، فبدأ بينهم<sup>(٣)</sup>، ولم يجد الخليفة أمامه سوى الاستعانة بقوة خارجية تخلصه من مظاهر الفساد التي عمت البلاد، وقد تمثلت تلك القوى في بدر الجمالي<sup>(٤)</sup>، والي عكا الذي

(١) ابن علقمة: أخبار الدول، ص ١٧٧، قنديلاري: كل الدور، ج ٩، ص ١٣٤٢، المفريزي: المصدر السابق، ص ١٨٤، ابن تقي بردي: المصدر السابق، ج ٥، ص ١.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٨١ - ٨٢، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٢٥ - ٢٦، قنديلاري: المصدر السابق، ص ٢١٧ - ٢٢٥، المفريزي: السط، ج ١، ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٣) استرلي قنوقون والطبعة على البحيرة والإسكندرية ومكوا جميع أسل لأرم، واستقر المسجد في أيدي شمارة والمونان، وتحكم الأتراك في القاهرة والسط. رابع: ابن الصغري: الإشارة، ص ١٩٥، المفريزي: السط، ج ١، ص ١٧، المتقي الكبير، ج ٢، ص ٣٩٧.

(٤) بدر الجمالي: هو مملوك أرمني من أصل مسيحي، وهو من مملوك جمال النوبة أبي الحسن حتى بن عمار صاحب طرابلس، يتصور بقية العرم، وقوة الجيش، ظل يقتل في الحرم ويخرج في القرب ويلبذ نفسه بالجد فيما ياتره، حتى ولي دمشق وسائر الشام فحين، كتبت الأولى سنة ٤٥٥ هـ وظل وقتاً طويلاً في خرج منها هارباً سنة ٤٥٦ هـ وفاتية كتبت في سنة ٤٥٨ هـ وغيب حشفت

أرسل إليه الخليفة سراً يستعجيه للتحوم لتجديته، وإعلانه، ويعدده بتمالك البلاد.<sup>(١)</sup>

استطاع بدر الجمالي بمن معه من الجند الأرم، أن يقصي على المعسدين، ويقر قواعد البلاد، ويصلح من أمورها بعد أن قضت<sup>(٢)</sup>. وقد حفظ الخليفة المستنصر بالله لبدر الجمالي فضله على الدولة، والخلافة فلم يحل سجل من السجلات<sup>(٣)</sup> التي أرسلها المنتصر بالله لدعائه في اليمن، والمكتوبة بعد سنة (٤٦٧هـ / ١٠٧٤م) من ألتتويه بفضله على الدولة ؛ ذلك في سنة ٤٦٨هـ أليه خلة الوزير - وزارة الكوبهر - ؛ وأصاب إلى ألقابه السيد الأجل أمير الجيوش، وفي (١٧٢هـ / ١٨٠م) أضيف إلى ألقابه لقب كمال قضاة المسلمين، وهادي دعاة المؤمنين<sup>(٤)</sup>، فأصبح بدر الجمالي الحاكم الفعلي للبلاد، وأصبح الخلفاء

- لجنة رئس عليه أهل البتة فخرج منها وانظر بعد خروجه بشر "مكة" إلى ل استدعاء الخليفة المستنصر بالله لإعاد مصر مما ألت إليه.
- للمريد راجع : ابن الصيرفي . المصدر السابق، ص٩٤، ٩٥، ابن قفلسي ؛ دليل تاريخ دمشق، ص١٢٧ - ١٢٨، ابن موسى ؛ أخبار مصر، ص٢٨ - ١٣٠، ابن خلكان ؛ وفيات الأكيب، ج٢، ص٤٨، ص٤٩، القفدي ؛ الوافي بالوفيات، ج١، ص٩٥ - ٩٦، ابن تكري بردي ؛ الفجوم، ج١٥، ص٢٠.
- (١) ابن الصيرفي . المصدر السابق، ص٩٥، ٩٦، أبو صلاح الأرمي ؛ كتابس وأخبار مصر، ص٩١، ابن طاهر ؛ أخبار قنول، ص١٧٦، ابن ميسر ؛ أخبار مصر، ص٤١، ابن خلدون ؛ تاريخ بن خلدون، ج٤، ص١٦٤، البقريزي ؛ الخطط، ج١، ص٣٨٢، تاملط الخفاء، ج٢، ص٤١٩، ٤٢٠، القفدي للكبير، ج٢، ص٣٩٦، ابن تكري بردي ؛ المصدر السابق، ص٢١، ٢٢.
- (٢) عبد المصم ماهد ؛ السجلات المستنصرية، سجل رقم (١٥، ١٦، ٣١، ٣٢) أ ليس عزاد سود ؛ الدولة الفاطمية في مصر، ص٢١٣.
- (٣) ابن الصيرفي ؛ المصدر السابق، ص٩٥ - ٩٦، ابن ميسر . المصدر السابق، ص٤٠ - ٤٤٥، المقرزي ؛ الخطط، ج١، ص٤٤٠، ابن تكري بردي ؛ المصدر السابق، ص١٠١، السجلات المستنصرية، سجل رقم (٥٦، ٥٧، ٥٨)، ص٨١ - ٩٤.
- (٤) ابن ميسر ؛ المصدر السابق، ص٤٥ - ٥٠، القويزي ؛ نهاية الأرب، ج٢٨،



الفاطميون منذ ذلك التاريخ رؤساء رمزيين سلسلة من الطغاة العسكريين الذين لم يخلوا عهدهم من بعض مظاهر الفساد المختلفة، ولقد سمي عصرهم بعصر الوزراء، أو العصر الفاطمي الثاني.

بدأ العصر الفاطمي الثاني بسلسلة من الصراعات، والفتن، والنكسات، ففي عام ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م خرج الأوحى بن أمير الجيوش بدر الجمالي على أبيه، حيث قرر لتمرده عليه، وقتله بالاتفاق مع جماعة من العسكريين، والعربان، وقد تحصن، ورفقه بالإسكندرية، غير أن بدر الجمالي قد فطن لذلك المؤامرة، وسار إليه، وحاصر الإسكندرية حتى طلب أهلها الأمان، فقام بدر بقتل أصحاب ولده، الذي لحق أنزله بعد ذلك، وقد قيل إن بدرًا قد قتله حيًّا، كما قيل إنه جُرحه حتى مات،<sup>(١)</sup> وترجع إحدى الدراسات التاريخية الحديثة أن هذه الأقاويل ربما يكون مبالغًا فيها من قبل الشعب الذي ارتد خوفًا من ذلك الوزير الذي اشتهر بقوته، وجبروته<sup>(٢)</sup>، على أن هذا الحادث كان له أثره على سير الأمور فقد استجاب بدر ولده للأفضل شاهنشاه، وجعله ولي عهده.

وقد أقر الخليفة المستنصر بالله المخلوب على أمره، هد الأمر، وأرسل للأفضل شاهنشاه سبحة الملك، وما يخص بمظاهر السلطان، وأمور الجند، وقد أصدر المستنصر بالله مبعلاً بذلك إلى دعائه<sup>(٣)</sup> على أن

ص ١٢٨، التقريري : المصدر السابق، ص ٣٨٢، عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، سجل رقم (٥٩).

(١) مأثور من بن المقفع : سير القيمة المقدسة، ج ٢، م ٢، ص ٢١٧ - ٣١٨، ابن ميمون : أخبار مصر، ج ٢، ص ٤٦ : للتوحيدي : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٣، التبريزي : صفات الحفّاء، ج ٣، ص ٤٢٧ : ابن تقي الدين : الفجور، ص ٥٠، ص ١١٩ : جمال الدين الشيال : تاريخ منة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ١٢٢.

(٢) سفر عبد العزيز سالم : فتاوى، ص ٢٩.

(٣) عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية : سجل (١٥، ٢٧)، ص ٦٢ - ٦١، ٩٤ - ٩٦.

يتفرغ بدر الجمالي إلى الإشراف على الدعوة، هذا الأمر الذي لم يطر له  
بعين الارتياح من قبل أنباح الدعوة<sup>(١)</sup>، على أن هذا أصبح أمراً واقعاً،  
كما تحولت بذلك الوزارة إلى ما يشبه "الملك" الذي يورث.

نجح الأفضل شاهنشاه في إقصاء الخلافة عن "رؤس" الابن الأكبر  
للمستنصر بالله، وولي عهده، وتولية الابن الأصغر - ابن أخت لأفضل  
المستنصر بالله، ولكي يتم له هذا الأمر بسلام، فقد عمل على قتل  
"رؤس" ليتخلص منه نهائياً، فبعد حروب شديدة دارت بينهما، طلب "رؤس"  
الأمان من الأفضل شاهنشاه، وقد أعطاه إياه، ولكنه نكث هذا الأمان،  
وبالغ في الانتقام منه، ثم عمل على قتله شر قتله، حيث حبسه ثم بنى  
عليه حائطاً حتى مات. (٢)

أصبحت الأمور جميعاً في يد الأفضل شاهنشاه، الذي استبد  
بالأمر دون الخليفة للمستنصر الذي لا نجد ما نفوقه في سيرته أفضل مما  
قاله المقرئ حيث قال : "لم يكن للمستنصر مسيرة تذكر قبل الأفضل كان  
يدير أمر الدولة تدير سلطنة، وملك لا تدير وزراء"<sup>(٣)</sup>، وكان ذلك طوال  
خلافة المستنصر حتى توفي في ٤٩٥هـ/ ١١٠١م، وكان يبلغ من العمر  
سبعة عشر عاماً، وقيل إنه مات مسموماً، أو ربما قتل سرّاً، وتشير  
أصابع الاتهام إلى أن الأفضل هو الذي دبر لمقتله، وذلك عندما بد بطالب  
بعقه في السلطنة، وبمجرد وفاته قام الأفضل بمبارحة ابنه المنصور  
بالخلافة، وقلبه بالأمر لأحكام الله. (٤)

(١) ابن فؤاد جيد . الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢١٧.

(٢) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٨٨ ابن عديم : أخبار مصر، ج ٢، ص ١٦٢

قدادغري : كنز الدرر، ج ٦، ص ٤٤٧ المقرئ : المقسى الكبير، ج ٢،

ص ١٢٢ ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٤٤، ١٤٥

(٣) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٨٨ المقرئ : المقسى الكبير، ج ٢،

ص ١٤٤ ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ١٧٤، ١٧٥.

(٤) المقرئ : المصدر السابق، رقمي : أخبار الدول وأخبار الأول، ص ٢٤٤ -

٢٤٥.

كان الأمر لأحكام الله طفلاً لم يتجاوز خمس سنوات، فحجر عليه لأفضل مكاناً فعل مع والده، واستقل هو بتدبير أمور الدولة<sup>(١)</sup>، وقد أخذ الأفضل بجرد الخليفة من سلطته تدريجياً فقلّ مقر الحكم الفاطمي - لأول مرة في تاريخ الدولة الفاطمية - من القاهرة إلى القسطنطينية ثم نقله من القسطنطينية إلى موضع أعده بالقرب من الدار التي استأجره لنفسه بالقسطنطينية - دار الملك - ثم قام بمنع الخليفة من تركها في المواسم والأعياد، ومما يتصرف هو كالمملوك، والسيلاطين، فحضر إليه محمد ابن فاتك البطاركي، وسلم إليه جميع أموره، واعتمد عليه في تصريف أمور الدولة فصار منه مكان الوزير من الخليفة، ظل الأفضل على هذه الصورة حتى قتل ٥١٥هـ / ١١٢٢م، تاركاً وراءه ثروة ضخمة ظل الأمر شهرين، ولها في حصرها، ونقلها<sup>(٢)</sup>، وبهم المؤرخون الأمر بأنه قد تكرر على الأفضل شاهنشاه بالانفاق مع محمد بن فاتك البطاركي؛ ليخلص منه بعد أن سلبه أن جميع حقوقه مقبى توليته الوزارة<sup>(٣)</sup>.

وقد تولى المأمون البطاركي الوزارة (٥١٥هـ / ١١٢٢م) بعد الأفضل شاهنشاه، وسار إلى ما سار إليه الأفضل من سيطرة، واستبداد

(١) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٧٠، ابن خلدون : المصدر السابق، ص ١٨٧  
ابن خلدون : وفيات الأئمة، ج ٢، ص ٤٤٨، ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ١٧٠.

(٢) ابن المأمون البطاركي : أخبار مصر، ص ٤٦، ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٤٥٤، ٤٦٨، ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٨٠، ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ١٧٠ - ١٧١، جمل الدين الشيلى : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٤٤٦.

(٣) سايروس بن المقفع : سر القصة المقصصة، م ٣، ج ١، ص ٢٢ - ٢٣، المؤيد بن  
مهاية الأربعة، ج ٢٨، ص ٣٧٩ - ٣٨٠، السولتاني : كنز الدرر، ج ١، ص ٤٨٥، ابن تغري بردي : المعجم، ج ٥، ص ١٧١، لصح مختار المصنفين - في تاريخ الفاطميين، ص ٣٠٧، أمين مؤيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٢٩.

(٤) ابن الفلكسى : ذيل تاريخ دمشق، ص ٢٠٤، ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٨٧.

بالحليمة، فأيقن الخليفة الأمر بأحكام الله، أنه قد استبدل سيد بسيد آخر، ولا سيما بعد أن علم الأمر بأن المأمون البيهقي يريد الاستقلال باستبداده، فعزل على قتله ٥٢٢هـ / ١١٢٨م. <sup>(١)</sup> وفي ٥٢٤هـ / ٣٠م، قتل الأمر نفسه، بواسطة غلمان الأفضل شاهنشاه الدين أرلداوا الاستبداد له، وبما أن الذي قتلته هم جماعة من أتباع عمه قزار، وقد فرح الناس بقتله. <sup>(٢)</sup>

وفي خلافة الحافظ لدين الله سيطر على أمور الدولة برعلي أحمد بن الأفضل شاهنشاه من بدر الجمالي الذي لقب بـ "الأكمل" ٥٢٤هـ - ٥٢٦هـ. فاستبد كأيبه وجده بالحكم، وسيطر على كل شيء.

ثم ضيق على الحافظ لدين الله وحجر عليه، ومنعه من الصهور، وأقام باعتقاله في عزقة الهند لا يدخل عليه أحد إلا بإذن من "الأكمل" نفسه، واستبد بالحكم، وسيطر على كل شيء، ثم انقض على القصر، وأخذ جميع ما فيه من زخائر بهجة أن ذلك مال أبيه، وجده. <sup>(٣)</sup> وفسدت أمور الدولة، وكذلك العقيدة في عهده، حتى تأمر عليه دعاة الفاطميين، ودسوا له من قتله، وهو خارج لهم (٥٢٦هـ / ١١٣٢م). <sup>(٤)</sup>

(١) ابن الطوير، نزعة المملوكين، ص ١٥ - ١٦؛ ابن ميسر، المصدر السابق، ص ١٠٣ - ١٠٧؛ التويري، المصدر السابق، ص ٢٩١؛ المقرئ، المظلي الكبير، ج ٩، ص ٤٩٩؛ تامل الحفاء، ج ٢، ص ٥٠٧؛ ابن تفرج، بردي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٠.

(٢) ابن صفر، أخبار الدول، ص ٩١؛ ابن الأثير، الكامل، ج ١٠، ص ١٦٤؛ ابن ميسر، المصدر السابق، ص ١١٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٩٩ - ٣٠٠؛ المقرئ، تامل الحفاء، ج ٢، ص ٥١٧؛ ابن تفرج، بردي، المصدر السابق، ص ١٧٣، ١٨٤، ١٨٥.

(٣) المقرئ، تامل الحفاء، ج ٢، ص ٥٢٧ - ٥٣٠؛ ابن تفرج، بردي، المصدر السابق، ص ٢٢٩؛ علي حبي الخريموطلي، مصدر العربية الإسلامية، ص ١٧٢.

(٤) ابن صفر، المصدر السابق، ص ٩٥؛ ابن ميسر، المصدر السابق، ص ١١٥ - ١١٦؛ المقرئ، المصدر السابق؛ ابن تفرج، بردي، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

ثار غلمان الأمر بأحكام الله في ظل تلك الفوضى التي برصت لها مصر، وأخرجوا الحافظ لدين الله من المعتقل، ولبعوه بالخلافة للمرة الثانية<sup>(١)</sup>، وكان الحافظ كما تم ذكره أبا "مستودعاً"، ينتظر ميلاً الطفل الجديد - ابن الأمر - . وفي تلك الفترة أنجبت روجة الأمر طفلها الذي عمل الحافظ على الاجتهاد في طلبه، وقلته ؛ طمعا في الخلافة<sup>(٢)</sup>.

لم يتمتع للخليفة الحافظ مما حدث له على يد الأكمّل، لأرمي، فعندما استقامت له الخلافة اتخذ من يأنس الأرمي وزيراً له، وكر يأنس من علمي الأفضل بن أمير الجيوش، وقد تخوف يأنس من خاصة الخليفة، واستأثرهم به، فعمل على التخلص منهم فلوحد ثلث الأحرار دون أن يستأذن الخليفة في ذلك؛ مما أغضب الحافظ فتوجس منه خيلة، وأصبح يخشاه، فقرر التخلص منه، غير أنه لم يكن رحيماً به فقد سمع له ماء الممترّاج فلنفتح دبره، ولم يعد يقدر على الجلوس، وقد علم من حبيبته أن راحته في السكون، وهلكه في الحركة، فقرر زيارته فلما رآه يأنس قام من فراشه لاحتضنها له، فأطال الحافظ جلسة متعمداً فلم يقم يأنس حتى سقطت أمعاؤه ومات، وتولى شؤون الوزارة بنفسه حتى يسريح من غير الوزراء<sup>(٣)</sup>.

في (٥٢٨هـ - ١١٣٣م) عهد الحافظ بولاية العهد لابنه الأكبر أبي الربيع سليمان، غير أن سليمان قد توفي بعدما بشهرين، فأصدر سجلاً آخر بتولية ابنه الأوسط حسن، غير أنه أعدل عن هذا الترشيع وجعله لابنه الأصغر أبي تراب حيدرة، وذلك لسوء أخلاق حسن، وعقوبة نوالده، فسق ذلك على حسن، فأعلن العصيان على أبيه، وأخيه، وعلى أثر

(١) المقريزي : الضبط، ج ١، ص ٣٥٧ - ٣٥٩.

(٢) المقريزي : تعطل الحفظ، ج ٢، ص ٥٢٠؛ ابن قسري - بردي . النجوم، ج ٥، ص ٢٣٨؛ جمال الدين قشوب : مجموعة الوثائق القبطية، ص ٦١ - ١٧٨.

يحيى عزازة سيد : القولة القبطية في مصر، ص ٢٤٩، ٢٥٠.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٢١؛ ابن قسري - بردي : المصدر السابق، ص ٢٣٨ - ٢٤٠؛ ابن فؤاد سود : المرجع السابق، ص ٢٥٦.

هذا العصيان انقسم الجيش أيضاً إلى فريقين، فريق يساند حيدرة صاحب الحق، وفريق يساند حسن، وقامت بينهما حروب شديدة كدت بين العسكريين بالقاهرة مسرحاً لها، وعندما يأس حيدرة فر هارباً من أخيه، واحتمى بقصر أبيه، غير أن حسن قد حاصر القصر بالديران، ولم يجد للحياة وسيلة لإيقاف تلك المهرلة إلا بإقصاء حيدرة عن ولاية العهد، وبصدار سجل آخر بتولية حسن مرة أخرى، وكان ذلك في سنة ٥٢٨هـ/١١٢٤م، هذا الأمر الذي لم يرض به حيدرة، فدخل في صراع أخرج أخيه كاس النصر فيه لحسن، وهلك أخوه حيدرة، كذلك قتل الكثير من الطرفين. (١)

على الرغم من حرص الحافظ على الابتعد عن سيطرة الأمراء فإنه قد وقع رعباً عنه تحت سيطرة ابنه حسن الذي استبد بالأمور دونه حتى لم يبق له معه حكم، فقد سجنه، وعمل على التخلص منه، كما عمل على التخلص من أمراء أبيه، فلما علم الأمراء بذلك فروا خلع الحافظ، وابنه فاجتمعوا حول القصر بالديران، ليحرروه، فلم يجد الخليفة من يلجأه عليهم، لأنهم أقصاه، وحاول الحافظ احتواء الموقف، وتهدئة الأمراء، ولكن نون جدوى، حيث أصرروا على قتل الحسن، وألذروه بسوء العاقبة إن لم يستجب لهم. فاضطر الحافظ إلى سم ابنه عن طريق سقبة شربها لتبدأ الفتنة تهدت الأمور، ولكن بعد أن قتل العديد من الرجال، والعساكر، واضطربت جميع أمور مصر. (٢)

(١) المغربي: اتعاظ الحفاه، ج٢، ص٥٢٤ - ٥٣٦ ابن قنوي يروي: النجوم، ص٥٣، ص٢٤١، ١٢٤٦ جمال الدين الشيبان: مجموعة قوشلق القاطنة، ص١٠٣.

(٢) ابن ظفر: أخبار الدول، ص٩٦ - ٩٧، مايورين بن المقفع: سير النبوة المقصدة، ج١، ص٢٨ - ٢٩، ابن الأثير: الكامل، ج١٠، ص١٦٢ ابن ميسر: أخبار مصر، ص٦٦ - ٦٧ ابن قنوي يروي: المصدر السابق، ص٢٤٧ - ٢٤٢.

هكذا اضطريت أمور مصر، وفسد حالها لدرجة جعلت الابن يحجر على والده، ويحاول التخلص منه، وتجعل الأب يسم ابنه. كذلك جعلت الجند يتحكمون في تولية، أو عزل الخلفاء، والوزراء كما سرى. وفي خلافة الظاهر، ووزارة ابن السلار، وقعت الفخيرة، وأعمال العساد بين ابن السلار، وبين عباس الصنهلجي - ابن زوجته الذي طمع في الوزارة، وقد استغل عباس هذا علاقة ابنه نصر بالخليفة المصير، فأبدي نصر للخليفة برغبة والده في ذلك، فحجب بذلك شريطة استحص من ابن السلار الذي كان الخليفة كارها له، وقد نجح نصر في تلك المهمة، وقتل معه الوزير ابن السلار (٥٤٨هـ / ١١٥٣م). فوُفقت الفتنة بين أهل مصر من السنة، والثنية؛ لأن ابن السلار كان سني المذهب. (١)

تولى ابن عباس الوزارة فاستبد بالأمور، واستولى على الخليفة، وقد ساعده في ذلك صفر بن الخليفة، وانضم إليه بالهوى، والنهب، فاعتمد في حياة الترف، وترك الدولة لمن يقدر عليها، ظن ابن عباس أن الأمور قد استقرت له، خير أنه كان واعيا؛ حيث أتت إليه الضربة من أقرب الناس إليه، حيث طمع ابنه نصر في مكان أبيه، فأراد التخلص منه، ولكنه فشل؛ وعندما علم أبوهُ بذلك أحده بالليل، والظلم حتى ألغمه بقتل الظاهر حوصلا عنه، بعد أن أثار غضبه عندما قبله بأن الناس يتحدثون عن علاقته غير الشرعية بالظاهر، حيث كان الظاهر ينادم نصرا، ويهاشره لينزل في الليل متحفيا إلى داره، فاستغل نصر ثقة الخليفة به، وقتله في ذات ليلة، وهو مكران في داره بعد أن فعل معه ما يفعله مع النساء، ثم حفر له تحت لوح من الرخام، ودغنه. (٢)

(١) ابن الأثير : المصدر السابق، ص ١٨٤ ابن حوسر : المصدر السابق، ص ١٤٦ - ١٤٧ الأولاد في ذكر الدرر، ج ١، ص ٥٥٢ مقري : المصدر السابق، ص ٥٦٦ - ٥٦٨ ابن قري يري : المصدر السابق، ص ١٢٥ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية، ص ١١٤ علي حبي الحريوطي : مصر العربية الإسلامية، ص ١٧٥.

(٢) ساريس بن المقفع : سير النبوة المقدسة، م ٢، ج ١، ص ١٤٥ ابن ططار : =

وهكذا وصل الفساد بالدولة الفاطمية الدينية التي قامت على أسس عقائدية ثابتة إلى انعدام حلفائها في حياة اللهو، والترف، والتفرد بالجواري، حتى زهدوا فيهن، وزلحوا يبحثون عن متعة أخرى حتى، ولو كانت غير شرعية، فلجأ خليفة المسلمين إلى ممارسة "الشنود الجنسي" Homosexuality فكان من الطبيعي أن ينتهي بتلك النهاية، ولكن لم يكن الخليفة مسؤولاً عن نفسه فحسب، بل كان يحمل في عنقه مصير دولة كاملة، وقد ملك عنقه فماذا يكون مصير دولته ؟

قتل الظاهر، وجاء الوزير عباس يرسم على وجهه أثر حزن رالفة، يحاول خلالها إقناع الجميع بأن يوسف وجبريل أخوي العاصرين هما اللذان تأمرنا لقتله، ثم أحضر طفلاً صغيراً للظاهر يدعى "عيسى"، وأقامه مقام أبيه، ولقبه "بالقائز" ثم قتل عمه أمام عينه، فأصيب الطفل بالذهر من منظر الدم الذي ملأ القصر، وكاد يموت رعياً، فظل طوال حياته القصيرة مريضاً بالصرع Epilepsy<sup>(١)</sup>، وانفرد عباس، وابنه بكل شيء، فلم يعد هناك خليفة يحكم الأمور - ولو صورياً - تسرعت سبيل للتصوير تحت الظاهر - ويقال الخدم - بالكذب إلى الأمير طلائع بن زريك والي فوس، وأسوان، والصعيد - وكانت ولاية الصعيد أكبر المناصب بعد

---

أخبار الدول، ص ١٠٥، ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ١١٩١، التويري ١ نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣١٦، الصدي : قولي، ج ٩، ص ١٥١ - ١٥٢  
سعر عبد العزيز باسم الشجاعة، ص ٣٠.

(١) الصرع Epilepsy : هو حالة عصبية تحدث من وقت إلى آخر لاختلال وظيفي في النشاط الكهربائي الطبيعي للمخ، يكون لهذه الشجاعة تأثير على وعي الإنسان وحركة جسمه وأحاسيسه لمدة قصيرة من الزمن وهذه التغيرات الكهربائية تسمى تشنجات صرعية، لذلك يسمى الصرع أحياناً بالاضطراب التشنجي\* ليس له من محد كما أنه يصيب الإنسان وبعض الحيوانات مثل الكلاب، القطط، الأرانب، الخ. إلخ.  
تفسير راجع :

<http://www.elazagam.com>

<http://www.epilepsyfoundation.org>



الوزارة تستجد به لإتمام الخلافة من فساد عباس، وابنه، وما لم يصل ابن رزيق إلى القاهرة حتى فر عباس، وابنه إلى الشام فثار العامة، وقاموا بهب دورهم، ونشبت المعارك في طرقات المدينة. (١)

وفي خلافة الفاطم استبد الوزير طلائع بن رزيق بالأمر، وسيطر على الخليفة، وحبس على السلطة بيد من حديد، حتى لو يصبح الخليفة من الخلافة سوى الاسم، وقد حاولت عمه الفاطم التخلص منه، ولكنه علم بذلك المؤامرة، ومثلها. (٢) ظل هذا الأمر في خلافة العاضد لدين الله (٥٥٥هـ - ٥٦٧هـ / ١١٦٠م - ١١٧١م)، غير أن سيدات القصر لم ترض بهذا الأمر، حيث استبد الوزير طلائع بن رزيق بكل شيء في الدولة، وقام بإخراج كثير من الأمراء، وفرقهم في البلاد، ليؤمن نفسه، ثم عدل على تزويج ابنته من الخليفة العاضد، كي يظل الملك في بني رزيق. (٣)

ولم ترض سيدات القصر عن ذلك، فأرسلت عمه العاضد إلى والي تونس للقيام على ابن رزيق، ولتخذ الوزارة منه، غير أن ابن رزيق قبض على الأمير عندما علم بالأمر، وقد عادت عمه العاضد على هذه المحارلة، واتفقت مع أحد أمراء القصر، وكذلك صاحب القباب، على التخلص منه، غير أن ابن رزيق لم أصيب بمكده، ولم يموت، وعندها طلب ابن رزيق عمه العاضد كان العاضد من الضعف، والاختلال، فأرسلها له ليليل ملاقاته بذلك المؤامرة، مما كان من ابن رزيق إلا أن غنقه. (٤)

(١) ساويرس بن المقفع : سير اليمامة المقففة، ج١، م٢، ص٤٥ - ٤٦ ابن خالز : أخبار الدول، ص١٠٨ - ١٠٩ المقريزي : أقطاب العرفاء، ج٢، ص٥٧٦ - ٥٧٧  
١٥٩٠ ابن تغري بردي : ألقوم، ج٥، ص٢٩٢ - ٢٩٦ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية، ص١٢٤ - ١٢٥ أيمن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٧٩.

(٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص٣١٤.

(٣) ابن خالز : المصدر السابق، ص١١٢ ابن الأثير : الكامل، ج١٩، ص١٤٩ - ١٥٠، ج١، ص٢٥٥ ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص٢١٨.

(٤) يذكر المؤرخون أنه قد توفي على أثر تلك المذبحة في اليوم التالي لها. راجع عمارة القيسي إنجم الدين أبو محمد بن أبي من علي الحكيم، أكتفتم مصرية

وقد توفي الصالح طلائع بن رزيق على إثر هذه المؤامرة متأثراً بجراحه.

ظلت القنن، والمؤامرات، والتسلل تحاك داخل القصر الفاطمي ، لتؤدي منصب الوزارة الذي أعد بمذابحة الخلافة في العصر الفاطمي الثاني، وظل شعب مصر يعاني من تلك القنن، والصراعات إلى أن تولى الوزارة صلاح الدين الأيوبي المعنى المذهب للخليفة الفاطمي، فكان آخر تلك المؤامرات، هي التي قام بها الخدام السودل داخل القصر، الذين شعروا بكل عصر الدولة الفاطمية أصبح في يد وزير بني ليس له من الأمر شيء، وبالتالي فلم يستقم لهم أمر، فاندروا بالخيانة، وأرسوا إلى حاكم الفرنج ، لتكبيته من السيطرة على مصر، غير أن صلاح الدين قد كشف المؤامرة، ونهض عليهم، ثم قام بحرق الحارة المخصصة لهم "حارة المنصورية"<sup>(١)</sup>، فأصبح أمرهم كلز لم يكن. <sup>(٢)</sup> كذلك كانت وزارة صلاح الدين هي النهاية للدولة الفاطمية نفسها.

==

في أخبار الوزارة المصرية، تحقيق : هرتويج دهربرغ، شتوتن، ١٨٩٧، ص٤٨، ١٠١، ابن ظفر : أخبار الدول، ص١١٢ سنويرس بن المتلح : المصدر السابق، م٢، ج١، ص٤٧، ابن خلكن : وفيات الأعيان، ج٧، ص٥٢٨، السبكي : الوافي، ج١٧، ص٦٨٦، ابن تقي بردي : المصدر السابق، ص٣٤٥، باريمان عبد الكريم : الدولة في مصر، ص٢٢٢.

(١) حارة المنصورية : كل السودن حارة تعرف بهم تسمى المنصورية، وكانت كبيرة مقسمة، وكان بهم بيل مصر كل قرية مطه ومبهم مكان خضر بهم لا يشبه غيرهم، احتفلوا لهم وكفوا يزيوا عز خمسين ألفاً، وكفوا إذا تار على وزير قتلوه، وكان الضرر بهم حظوم حيث امتد أيديهم إلى أموال الناس حتى أكلهم صلاح الدين، راجع : المغربي : المخطوط ج١، ص١٩.

(٢) أبو شامة : الروصين، ج١، ص٥٦٠ - ٥٦٢، ابن ولعل : مفرج الكروب، ج١، ص٢٤٣ - ٢٤٧، المغربي : السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م، ج١، ص٥٢ - ٥٤، ابن تقي بردي : النجوم، ج٥، ص٣٤٠ عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، ص١٠٧ - ١٠٨.

### ثانياً : فساد الوسيطى والوزراى وصراعههم من أجل الوصول للوزارة :

فلمن المعز لدين الله الفاطمى إلى أن دعاهم ملكه في مصر قد نوطدت - بفصل جوهر الصقلى - ، فقرر الرحيل إليها، وصل المعز لدين الله في قصره بالقاهرة (٢٦٦هـ / ٩٧٧م) مع كثير من رجالات دولته، ومن بينهم أولادهم، وأصنامهم، وحاشيتهم، وخمعه، وعبيده، وكذلك ربات بيته، المهدي (٢٩٧ - ٣٢٢هـ / ٩٠٩ - ٩٢٤م)، وثلاثهم (٣٢٢ - ٣٣٤هـ / ٩٣٤ - ٩٤٦م)، والمنصور (٣٣٤ - ٣٤١هـ / ٩٤٦ - ٩٥٣م)، كذلك كان مصحلاً بالفزلقن، والأموال، وقد استقبله أمير مصر، وعلى رأسهم جوهر الصقلى الذي أخذ يقبل الأرض بين يديه، وفي اليوم التالي لقدومه خرج أعيان مصر، وأشرفها لتقديم الهدايا له، وأخذ جرهر الصقلى يقدم له الفاس قطافة ثور الأخرى.<sup>(١)</sup>

وبقدوم المعز أصبحت مصر دار خلافة للفاطميين بعد أن كانت دار إمارة تابعة لهم، وبذلك السياسة الفاطمية الجديدة في الظهور، وأول ما فعله المعز هو استبعاد جوهر الصقلى عنها لما كان يطمع به من سطوة، ونفوذ مستأثر<sup>٢</sup> هو بكل شيء، ولم يعد لجرهر من السيادة سوى الاسم فقط، فقد رأى المعز لدين الله أن دور جوهر الصقلى قد انتهى عند هذا الحد، ليهتد أن المعز ملك في ذلك مسلك غيره من الخلفاء مع عظماء قوادهم من ذوي الشخصيات البارزة<sup>(٣)</sup>، وكانت عادة بعض السياسيين عدم

(١) ابن تولاى : أبو الحسن بن إبراهيم بن الحسين البشلى، فضائل مصر وأخبارها، ص٢٤٧؛ النويرى : لهجة الأريب، ج٢٦، ص٤٣؛ شمرى : الفسط، ج١، ص٣٥٣؛ ج٢، ص١٧٧؛ ابن تفرى برقى : المنصر المفق، ج٤، ص١٣٢؛ ابن نياس : بدائع الزهور، ج١، ص٩٨٧ - ٩٨٨.

(٢) عندما لعل أبو العباس صفاح يأبى سلطة الخلال، وأبو جعفر المنصور يأبى سلم الحرمانى، الذي قامت على اكتفاهم الدولة العباسية، وكذلك قبل أبو عبد الله الشيعى بعد أن انتشرت على يده الدعوة الشيعية في بلاد المغرب. فامرئد، راجع : أبو الفداء : المختصر، ج٢، ص٩٥؛ على حبلى الخريوطى : أبو عبد الله الشيعى، ص٦٧؛ على إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلى فقد المعز سدين الله الفاطمى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٢٩.

الاعتراف بجميل لأحد، وتكن جوهرًا، وإن جزاء المعز جزاء سمار<sup>(١)</sup> إلا أنه كان أكثر حفظًا من لقود الفاتحين على شكلته.

فصل المعز لدين الله ألا يفوض سلطاته إلى أحد، وأن يبشر الربرير بنفسه، ولا يعول فيه على غيره<sup>(٢)</sup>، ولا سيما أن الفاطميين لم يعرفوا منصب الوزارة في المرحلة الإفريقية<sup>(٣)</sup>، وتكن المعز قد وجد ما أطلق عليه لقب "الوساطة"؛ لأن صاحبها كان يتوسط بين الخليفة والرعية، ولم يظهر لقب الربرير في مصر الفاطمية إلا في سنة (٢٦٨هـ / ٩٧٩م) عندما فتح الخليفة الفاطمي الثاني العزيز بالله ليعقوب بن كلس لقب "الوزير الأجل"، وأصبح بذلك أول وزراء الدولة الفاطمية<sup>(٤)</sup>، غير أن هذا اللقب لم يثبت رسميًا إلا زمن الخليفة الفاطمي الرابع الظاهر لإعزاز دين الله، فأصبحت الوزارة منذ هذا التاريخ ٤١٨هـ / ١٠٢٨م منصبًا وتكليفيًا<sup>(٥)</sup>، وما بين العزيز بالله والظاهر لإعزاز دين الله، ظهر منصب الوساطة مرة أخرى زمن الحاكم بأمر الله.

و قد تولى الحاكم بأمر الله الخلافة بعد وفاة والده، وهو مازال حديثًا لم يبلغ الثانية عشرة من عمره - أحد عشر عامًا وخمسة أشهر، وستة أيام -، هو كان الحاكم في هذه الفترة ٣٨٦ - ٣٩٠هـ لا يملكه من

---

(١) جزء سمار : سمار رجل رومي بنى قصر شهورق بطبر فكريته، سمع بن مروان القبر كي يستضيف فيه ابن ملك الفرس، الذي أرمته ليوه إلى الحيرة والتي اشتهرت بطبيب موتها، وذلك لينشأ بين العرب ويحكم الفروسية، وعندما لم يهاه، وقف سمار والقصر على سطح القصر، فقال الفرس له : هل هناك قصر مثل هذا القصر ؟ فأجاب كلا، ثم قال : هل هناك بناء غيرك ويستطيع أن يسي على هذا القصر ؟

<http://www.qassimiy.com/vb/showthread.php?t=48059>

(٢) ابن الصيرفي : الإثارة، ص٤٧.

(٣) المقرري : الخطط ج١، ص٤٣٩.

(٤) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص٤٩؛ ابن ظاهر : أخبار الدول، ص١٣٨.

المقرري : المصدر السابق، ص٨٢.

(٥) أمين فواد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٧١.

لمور السلطان شيئاً حيث كانت السلطة في يد ابن عمار<sup>(١)</sup>، ثم في يد برجوان الحاكم<sup>(٢)</sup> معظمه وأستأذنه وقد استأثر الأستاذ برجوان بكبير الأمور دونه، كما عمل على حجب عن رجال دولته، وأحد يعمل على طرح به في مجال اللهو، والعبث، ووقفت لم للخليفة عاجزة عن حماية ابنها من تلك الوصفية الخطرة، ولم يجد برجوان من يقف أمامه فأرسلت قوته، وطلعياته، ومسلحته واعتقد برجوان أن الأمر قد خلاص له فأخذ يفعل ما يشاء دون مراجعة، أو محاسبة ؛ مما أدى إلى زيادة أعدائه داخل القصر، فأضمرؤا له العدا. <sup>(٣)</sup>

لم يهتم برجوان بما يحدث حوله، وانكب على ملذاته، ونصي معظم أوقاته في مجالس الأكل، واللحساء، والطرب فكان ينسى نفسه، ويفعل ما يفعلونه دون دراية، وقد بلغ فساد برجوان إلى درجة أنه قد أساء إلى الحاكم نفسه، وأخذ يتجاهل أوامره، ولزاد به الفجور فنكر له،

---

(١) ابن عمار : هو أبو الحسن بن عمار بن أبي الحسين، أمين الدولة، أحد شيوخ كتامة ومبدها، لما أعطت الخلافة للحاكم بأمر الله رد إليه أمور الدولة وتبهرها، كان الناس على اختلاكم يترجلون إليه.  
راجع : ابن الصوري، الإشارة، ص ١٥٦، ابن حطاب : وفيه الأعيان، ج ٥، ص ١٣٥٤ المقرئ : الخط، ج ٢، ص ٢٦ - ٢٧، ابن تقي بري : الهجوم، ج ٤، ص ١٢٧.

(٢) برجوان الحاكم : أبو الفوح برجوان الحاكم، كان خصمياً ليوحش ثانياً لسي سلاطه العزيز، أوصاه على ولده منصور الذي ظفب والده باسم الحاكم بأمر الله أصبحت السلطة في يده بعد ابن عمار، استأثر بأمور الدولة فقتله الحاكم بأمر الله على يد رينان المظلي وإليه تسبب حرب برجوان بالقاهرة. راجع : ابن ظفر، أخبار الدول، ص ٤٢؛ ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٧؛ المقرئ : الخط، ج ٢، ص ٣ - ٤، ابن تقي بري : المصدر السابق، ص ٥٨.

(٣) مايريس بن المقفع : مير البيعة المتكسبة، ج ٢، ص ١٢٩، ابن الصوري المصدر السابق، ص ١٥٧، ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ١١٨، ابن خلكان وفيه الأعيان، ج ١، ص ٢٧١، المقرئ : الخط، ج ٢، ص ٢ - ٣، انفاة الحنف، ج ٢، ص ١٢٠، ابن تقي بري : المصدر السابق، ص ١٤٨، محمد عبد الله صان : الحاكم بأمر الله، ص ٩٨.

وتعتمد إقامته. هذا الأمر الذي أثر في نفس الحاكم فقرر استعادة ميثته، وحقه المملوك من ذلك الطاغية ؛ لذلك فقد قرر التخص من تلك الوصاية. بل لتخلص من الوصي نفسه قيل أن يتخلص هو منه، وقد ساعده على ذلك خصوم برجوان الذي رآه عددهم لدخل القصر، وادسما ريدان المسفلي حاضن المظلمة، وخضمه للقوي لدخل البلاط، ويتبع الحق الحاكم مع ريدان على قتل برجوان، وقد نجح ريدان في ذلك ٣٩هـ / ١٠٠١م، واستعادة الحاكم حقه المملوك.<sup>(١)</sup>

وربما يكون برجوان أراد أن يتقيه يكافور الإخشيد، إلا أن الحاكم بأمر الله لم يكن كأبناء الإخشيد، حيث استطاع القضاء على برجوان، واستعاد ملكه.

وكان تخليفة الظاهر على عكس والده تمامًا بعيدًا عن الاشتغال بشؤون الدولة، فقد نشأ محجورًا في بيت عمته مت الملك، واشغل بلدائه، ولهوه، وسماع الطعام بعيدًا عن شؤون الدولة التي تركها لأصحاب الوصاية.

بدأت الفترة الزمنية من ولاية الظاهر لإعزاز دين الله بعد موت عمته مت الملك، ولم يكن منصب الوصاية واضحًا تمامًا، حيث تولاه الأمير شمس الملك أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان<sup>(٢)</sup>، ولكنه لم يعمر

(١) ساريمس بن المقفع، المصدر السابق، ص ١٢١؛ ابن العسيري، المصدر السابق، ص ١٥٠؛ الأقطلي: تاريخ الأقطلي، ص ١١١؛ ابن مسير: المصدر السابق، ص ١٨١؛ حمد الدين إدريس بن عبد الله الألف، عيون الأخبار والوقوع الأسرار، ج ١٦، تحقيق: مصطفى هلب، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤، ص ٢٤٠ - ٢٥٧؛ جمال الدين القزويني، مجموعة الوثائق القطلمية، ص ٣٢.

(٢) أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان: الأمير شمس الملك تقي الدين الأمير أبو الفتح المسعود بن طاهر الوزان، خلق عليه في ذي الحجة من سنة ٤٠٩هـ وجمع واسطه فقل جميع القزويني إلى داره وجعل له يومًا يركب فيه القصر بمطلة ما يحتاج إليه، وقد استمر على ذلك إلى أن صرف ٤١١هـ ثم رد إليه مسرة ثانية وكل له النظر في فرجى والأموال في ٤١٤هـ، فكان يتولى لذلك حوسلة في خلافة الحاكم بأمر الله وكذلك الظاهر لإعزاز دين الله، ثم منع بعد ذلك النظر في حوسلة مجلس في داره في ٤١٥هـ.

فيه كثيراً، حيث وقع الفساد بينه وبين الطامعين في هذا المنصب، وأخذت اختصاصاته تسحب منه تدريجياً، وذلك لتدخل بعض الشيوخ العلويين في الأمور دونه، مما اضطره للاشتغال من الوساطة فأقام في داره ثلاثة أيام، إلا أن الظاهر قد استعانه وأمره بالعودة، ثم حل محله مجلس وساطة تكون من ثلاثة أفراد، وهم الشريف أبو طالب العجمي، والشيخ العميد محسن بن بتوس، والشيخ نجيب الدولة أبو القاسم علي بن أحمد الجرجاني، وقد قرروا هؤلاء الثلاثة بالانطلاق مع القائد أبو الخوارس معضداً للخاتم أن يكونوا الظاهر أمر الاهتمام بالدولة، لينكب على مآثمه، وينهروا هم بتبيز الأمور دونه ؛ ليكون كالمحجور عليه في قصره مرة أخرى. (١)

يؤكد ابن توري بردي أن الغالبين على الظاهر لإعزاز دين الله كانوا كثيرين جداً، ويعمل ذلك بأن الظاهر لإعزاز دين الله كان صغير السن ضعيف البدن، غلب عليه الاستمقاء ascites، الذي ظل يأكل في بدله حتى توفي ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م، وعنده من العمر أحد وثلاثين عاماً، ونتيجة لكثرة الغالبين عليه، وكثرة صراعاتهم، اضطربت أحوال مصر، والسلام، وعظم فيها الفساد. (٢)

يلاحظ مما سبق أن الشعب المصري قد تعرض لقرارات قاسية زمن الحاكم بأمر الله الذي تحول إلى طاغية بعد قتل برجوان الخادم، وتوليته زمام الأمور، وقد أصابت قرارات الحاكم بأمر الله الشعب

راجع : المسيحي : أخبار مصر، ص ١٨٠؛ ابن الصيرفي : الإشارة، ص ٦١ - ٦٢؛ ابن ظفر : أخبار النور، ص ٦٥.

(١) سوليرس بن المقفع : بحر البيعة المنقصة، ج ٢، ص ١٣٥؛ المسيحي : المصدر السابق، ص ٤٥ - ٤٦؛ ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧.

(٢) ابن ظفر : المصدر السابق، ص ٦٥؛ التويري : بهجة الأرب، ج ٢، ص ٢٠٨؛ المقرئ : الخطط، ج ١، ص ٣٥٥؛ تعاليف الخفا، ج ٢، ص ٢٩٥.

(٣) ابن توري بردي : التاج، ج ٤، ص ٢٤٨؛ المقرئ : تعاليف الخفا، ج ٢، ص ٣١٧.

المصري بالخوف، والرهبة، والتدعر، ولكنها ألزمته إلى حد ما بالحرص على عدم الخطأ، وجاء الظاهر لإعزاز دين الله لاحقاً لتلك القرارات متساهلاً في أمور الدولة لدرجة جعلت المصريين يتجرؤون عليه، ويطالبون بخلعه، وبين قرارات الحاكم بأمر الله القاسية، وإلحاح الصهر لإعزاز دين الله لها مع تساهله الشديد، تعرض المصريون لصنعة كبيرة أخذتهم فجأة من الشيء إلى نقيضه دون ترج فكثرت مظاهر الفساد بشئى أشره.

تولى المستنصر بالله الخلافة بعد موت أبيه الظاهر لإعزاز دين الله، وكان في السابعة من عمره، سيطرة أمه على أمور الدولة، وكثرت الصراعات، والدسائس بين الجنود، وكذلك الوزراء، الذين كانوا يتقربون إليها بصراعاتهم مع بعضهم بعضاً، فثارت فتنة كادت بغضى على مصر بأمرها<sup>(١)</sup>، لولا تدخل الوزير أبي محمد الحسن البازوري الذي لكر أمورها سبباً، غير أن الفساد ظهر بابه، وبين المستنصر بالله ففتنه<sup>(٢)</sup>، وكان الوزير البازوري آخر وزراء التعبد الأكوياء، حيث كثر الفساد، وتصارع الوزراء، حتى تولى بعد عرله ٤٥٠هـ / ١٠٥٨م، أربعة، وخمسين وزيراً حتى استجد الخليفة الفاطمي بوالى عكا بدر الجمالي<sup>(٣)</sup>، بمجرد أن انتهى بدر الجمالي من إعادة النظام إلى الدولة، والقضاء على معارضيتها فوجه الخليفة المستنصر بالله جميع سلطاته، ومنحه إشراكاً عاماً على شؤون الدولة، فأصبح بدر الجمالي أول قائد عسكري يولى الفاطميون الوزارة، وأصبحت الوزارة منذ ذلك الوقت ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، تقوم مقام السلطة، وفي ذلك يقول المقرئى : إن

(١) ابن ميسر - أخبار مصر، صص ٢٤٤ - ٢٤٦؛ قسوي - نهاية العرب، ج ٢، ص ٢٣٣.

(٢) ابن قسوي - الإثارة، ص ٢٢٣؛ ابن ظفر : أخبار الدول، ص ٢٨.

(٣) ابن ميسر : المختصر السفيق، صص ٥٥ - ٥٦؛ المقرئى : إغاة الأمة، ص ٢٢ - ٢٣؛ الفتى الكبير، ج ٢، صص ٤٤٥ - ٤٤٦؛ علي حسني الخريوطي، مصر تحريرة الإسلامية، صص ١٦٤ - ١٦٥.



الوزارة صارت وزارة تفويض، يقال لمتوليها "أمير الجيوش" وبطل اسم الوزارة. <sup>(١)</sup> ، وأصبح الوزير يجمع إلى جانب قيادة الجيش جميع الإدارات المدنية، والقضائية، وكذلك الدبلوماسية، أي جميع شؤون الدولة دون استثناء، ولم يعد للخليفة منهم أي سلطة. <sup>(٢)</sup>

ومنذ ذلك الوقت أصبح صراع الوزراء وكبار رجال الدولة هو مباح المعصر الفاطمي الثاني (٤٦٦هـ - ٥٦٧هـ / ١٠٧٣ - ١١١٧م)، وقد ساعد هذا الصراع على نهاية الدولة نفسها. <sup>(٣)</sup> وكان أول هذه الصراعات هو ما حدث بعد موت الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، وأخذ البيعة لأخيه أبي القاسم أحمد الملقب بالمستطلي بالله دون أخيه نزار، وكان هذا بتخطيط من الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، الذي بغض نزار في حياة أبيه، فعاقبه بعد موته بأن أبعدته عن الخلافة، وأخذ البيعة بدوره، وأجبر رجال القصر على إعلان البيعة للمستطلي. <sup>(٤)</sup>

هرب نزار إلى الإسكندرية، ومعه أخوه عبد الله، وأحد رجاله المخلصين الملقب بأبن مصال <sup>(٥)</sup>، وقد ساعد الفتيان والي الإسكندرية على

- (١) المقرئبي : الخطيب، ج ١، ص ٤٤٠.
- (٢) ابن الصبري : الإشارة، ص ٩٦، المقرئبي : لتعداد الخطباء، ج ٢، ص ٤٣٧.
- ابن تقي يودي : المجموع، ج ٥، ص ١٠١، عبد المنعم ماجد : السجلات المستنصرية، ص ٥٦، ٥٧، ٥٨، ص ١٨١ - ١٩٤، أبو الفوارس سید : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢١٤ - ٢١٦.
- (٣) أميلة الفوري : رؤية للحقيقة، ص ٥٠٧.
- (٤) ابن ميمر : أخبار مصر، ص ٩٩، ابن خللكش : وصفات الأعيان، ج ١، ص ١٨٠، المقرئبي : المصدر السابق، ص ٤٤٩، ابن تقي يودي : المصدر السابق، ص ١٤٢، جمال الدين الشرب : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١٤.
- أحمد مختار الحادي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٣٠٦.
- (٥) ابن مصال : الأمير نجم الدين أبو الفتح سليم (مقوم) بن محمد بن مصال الفتياني شمريني، سببه إلى "الك" كان تافراً في أمور الدولة ابتداءً من ٥٣٩م، ولكنه لم يطلق عليه اسم الوزارة، قبله الخليفة فظهر بالمسند الأجل المعتمد أمير الجيوش سعد الملك لقب للدولة، وهو يومئذ من كبار الدولة وأمرائها. ابن قسيویر : نزهة المتقين، ص ٥٥، ابن ظفر : أخبار الدول، ص ٢٠٢، ابن ميمر : المصدر السابق، ص ١٤١، الفوري : نهاية الأرب، ج ٢، ص ٣١١.

الاستقرار بها، ومحاربة الأفضل متبها، وكان ذلك طمعا منه في تولي منصب الوزارة بعد الأفضل شاهنشاه، ولا سيما أن نزاراً قد وعد به ذلك، وعندما علم الأفضل شاهنشاه بتلك سائر إلى الإسكندرية على رأس حملة كبيرة، ودارت بينه وبين نزار معارك شرسة عملت على اشدة العوصى، والأصطراب داخل البلاد، وتعرضت منطقة القناة والإسكندرية لهب، وضاد الجند من الطرفين، إلى أن انتهت الأمر بالقصر على نزار، وسجله، والقضاء على كنياعه، وهروب ابن مصال.<sup>(١)</sup>

أصبحت الأمور جموعاً في يد الأفضل شاهنشاه الذي استتب به الأمر دور الخليفة المستعلي، حتى قتل بتدبير من الأفضل سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٠م، وله من العمر سبعة عشر عاماً، وبمجرد موته أقام الأفضل بن الأمر الأصغر "المصور"، ولقبه بالأمر بأحكام الله.

كان الأمر بأحكام الله طفلاً لم يتجاوز خمس سنوات، فعهز عنه الأفضل مثماً لعل مع والده، واستقل هو بتدبير أمور الدولة، وقد أخذ الأفضل بوجود الخليفة من سلطانه تدريجياً فقل مفر الحكم الفاطمي - لأول مرة في تاريخ الدولة الفاطمية - من القاهرة إلى القسطنطينية كما نقل دواوين الدولة من القصر إلى موضع أعده بالقرب من الدار التي ابتناها لنفسه بالقسطنطينية - دار الملك - ثم قام بتحريم الخليفة من الركوب في المواليم، والأعياد، وسار يتصرف هو كالمملوك، والسلطين، فغلب إليه محمد ابن فاتك البطارقي، وسلم إليه جميع أموره، واعتمد في نصريف أمور الدولة، فسار منه مكان الوزير من الخليفة، طن الأفضل على هذه الصورة حتى قتل ٥١٥هـ / ١١٢٢م، تاركاً وراءه ثروة ضخمة، ظل الأمر شهرين، وأياماً في حصرها ونقلها.<sup>(٢)</sup>

(١) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦١؛ مقررني : المصدر السابق، ص ٤٢٨؛ ابن قنري بردي : الفجوم، ج ٥، ص ٣؛ أنيلة الشوريجي المرجع السابق، ص ١٥٣؛ علي حنفي الخريوطي : مصر العربية الإسلامية، ص ١٦٢.

(٢) سليمان بن المقفع : سيرة اليمعة المقدسة، ج ٢، م ١، ص ٢٢ - ٢٣، ابن

تولى المأمون القبط لتحتي الوزارة بعد قتل الأفضل، فظل بالأمر بأحكام الله مثلما فعل الأفضل فلا تقي نفس المعصير الذي لقبه الأفضل، وظل الأمر بأحكام دين الله بدون وزير غير أنه لم يتمكن من سياسة الدولة وحده، فقد ظل بعيدا عن أمور الدولة طيلة الخمسة والعشرين عامًا السابقة التي سيطر فيها الأفضل، وقلماعون، فانتشل بالعسق، ومنجور، ورتكائب القولحش<sup>(١)</sup>، ولوكل أمر الدولة لأراهب متصوب يعرب بأبي مجاح بن قنا، وقد استبد ذلك الأراهب بأمور البلاد ونشر فيها الفساد، فعم البلاد على جميع الرؤساء، والقضاة، والكتائب، والسوقة، ولم يبق أحد إلا، وبالله مكروه منه، إما من ضرب، أو نهب، أو أخذ مالا. هذا الأمر الذي أدى إلى حدوث فتنة كبيرة بين المسلمين الذين تخرجوا من ظلمه، خاف الأمر بأحكام الله من تلك الفتنة فأمر بقتله بعد أن ضرب باللعن، ومنع على لوح عند كرسي الجسر ثم طرح في النيل، لما الأمر بأحكام الله على الرغم من الإجراءات العسدة التي أحاط بها نفسه خوفًا من الثورية - أثار نازر - فقد وصل إليه أحد منهم وقتله ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، كما قيل إن سلمان الأفضل هم الذين قتلوه، وقد فرح الناس لقتله<sup>(٢)</sup>.

تولى الخليفة الحافظ لدين الله الخلافة - كإمام مستودع - يقوم

المأمون، أخبار مصر، ١٥ - ٢٠، ٤٦؛ ابن طاهر : أخبار السدول، ٨٧؛ ابن ميسر : أخبار مصر، ١٧٠؛ قنوداري : كنز السدول، ج ١، ص ٤٨٥ - ٤٨٧؛ المقريزي : تمليط الحقا، ج ٣، ص ١٤٥؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٧٠ - ١٧١؛ جمال الدين الفسيف : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ١٤١؛ أحمد مختار العبدي : في التاريخ المباسي والفاطمي، ص ٣٠٧؛ عمر سعيد عبد العزيز سلم : اشتباكات، ص ٢٩.

(١) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٩١؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٠١؛ المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٢٩١؛ ابن تغري بردي : المعصر السابق، ج ٥، ص ١٧٣.

(٢) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٨٨، ٨٩؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١، ص ٢١٥؛ القسطلاني : صبح الأعشى، ج ١٢، ص ٣٦٩ - ٣٧٠؛ المقريزي : تمليط الحقا، ج ٣، ص ١٧٠؛ ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٧٣.

بتكبير شؤون الدولة تحين تقوم ولي العهد، غير أن هذا الأمر لم يطب لأبي علي بن الفضل شاهنشاه الملعب بكتيقت، فاستولى على مقاليد الأمور، وحجر على الحافظ ومنعه من الظهور، وكان ذلك بعد يوم واحد من تولي الحافظ لدين الله الخلافة، استهان أبو علي بأمر الدولة، وعقيدتها، حتى قتله ٥٢٦هـ / ١١٣١م، وهو خارج للهو بشيخ من علمي الأمر<sup>(١)</sup>، وأعيد الحافظ للخلافة.<sup>(٢)</sup>

وأثناء صراع الحافظ لدين الله مع ابنه حسن الذي طمع في الخلافة دون أبيه، استعان حسن بوالي القرية بهرام الأرميني النصراني، ليعزز موقفه بمن معه من الأرمين ضد أبيه، وأخيه حيدر غير أن الحسن قد قتل قبل وصول بهرام، وعندما تقرب بهرام من القصر تمسكت به طائفة الأجناد، وأدخلوه على الحافظ لدين الله، وألزموه أن يوليهم الوزارة عوضاً عن ابنه، فاستجاب الحافظ لدين الله على الرغم من كونه بهرام نصرانياً، فكانت كارثة أصابت مصر الإسلامية، وأصبح بهرام بذلك أول وزير نصراني يتولى وزارة التتويص للفاطميين، وكان من شروط الوزير أن يراقى المنبر في الأعياد، وغير ذلك من الشؤون الخاصة بالمسلمين، ومن الجدير بالذكر، والغريب أيضاً أنه نعت "سيف الإسلام" نارة، و"سيف الدولة" نارة أخرى.<sup>(٣)</sup>

(١) ابن ظفر : المصدر السابق، ص ١٩٤، ابن كثير : المصدر السابق، ص ٢١٥ - ١٢٢٠ المقرئ : المصدر السابق، ص ٢٢٧ - ٥٢٠، ابن كثير : بردى : المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٩٥، ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٦٧٢ - ٦٧٣، ابن الطوير : نزاهة المظفر، ص ٣٤ - ٣٥، ج ١٠، الجوري : امرأة الزمان، ج ٨، ص ١٤٦ - ١٤٧، ابن كثير : بردى : المصدر السابق، ص ٢٤٧ - ٢٤٨.

(٣) ساريس بن المقفع : سر القصة المقدسة، ج ٣، م ١، ص ٢٩، ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٢٨، ١٤٤، ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٢١، الجوري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٠١، المقرئ : الحافظ، ج ٣، ص ١٥٣، حسن حبشي : تاريخ العالم الإسلامي، ج ٢، ص ١٤٩، لمينة الشورجي : رحلة الرحالة، ص ٥٠.

أحاط بهرام نفسه بهالة من الأرمن بني جنسه الذين استندهم من تل باش<sup>(١)</sup> (مسقط رأسه) بلغوا حوالي ٢٠ ألف شخص، استطاع حلالهم أن يسيطر على شؤون البلاد، ويطلق أيديهم في كل شيء، وقد تطاول هؤلاء على المصريين، ولأسيما المسلمين، كما استكثروا من بدء الكنائس، فكان لكل رئيس منهم كنيسة، أخذ بهرام يوليهم المصائب الرئيسة في البلاد، فأصبح أغلب الولاة من النصارى أيضا، فظهرت النصرانية في أيامه حتى كان المسلمون يحلفون بحق السيدة مريم، فعاب أهل مصر من أن يعيروا ملة الإسلام، فكثر تشكاكاتهم، وفي أهله. <sup>(٢)</sup>

صانق أهل مصر تلك الأوضاع، واستكثروا ما يبعث بهم النصارى، ولم يجدوا أمامهم بعد أن بأسوا من الخليفة سوى والي العربية، 'رضوان الولختي' <sup>(٣)</sup> الذي كمل كغيره من الولاة بتقرب الأمور، وببظفر الفرصة، فسارع رضوان، وجمع حشدا كبيرا من أتباعه، ودخل في

(١) تل باش : هي قلعة حصينة وكورة واسعة من شمال 'طب' بينها وبين 'طب' بومن، أهلها نصارى وأرمن، ولها ربحى وأسواق للمريدين، راجع : باقوت العموي : معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٠.

(٢) ابن الطوير : فرقة المقلدين، ص ١٤٥، ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٢٤ - ١٢٩، القويري : نهاية الأرب، ج ٣٨، ص ٣٠١ - ٣٠٢، المقريزي : المعتمد المضاف، ج ٢، ص ٥٤٢، حسن حبشي : تاريخ علماء الإسلام، ج ٢، ص ١٤٩، جمال الدين النبال : مجموعة الوثائق الفلسطينية، ص ١٤٤ - ١٤٦، أميرة الشوربجي : رؤية فرحات، ص ٥٠٦.

(٣) رضوان الولختي : ولد في ٤٨٧هـ، ترقى في الخدم إلى أن ولى 'نوس' وأصبح في ٥٢٨هـ كان شجاعا متفانيا، ولكنه كان ملقبا بالعقل قليل النبات، كما كان سنيا حسن الاعتقاد، تعرف بهرام منه فبعده عن مصر وولاه عسقلان في ٥٢٩هـ غير أنه قد علقه بأى مرفقه عنها وأعادته إلى القاهرة، عندما اغترض رضوان جماعة من الأرض كفوا لصحن مصر، وقد ولاه امر 'الغربية' في ٥٣٠هـ ظنا من بهرام أنه قد أبعد عن التعرض للأرمن - بسى جسده - المزين راجع : ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٢٥ - ١٢٦، المقريزي : المصدر السابق، ص ١٨٤.

معركة كبيرة مع بهرام كانت نتيجتها هروب بهرام إلى إحدى أسيرة  
الصعيد، وانتصار رضوان، فقام العامة، وتهيوا دور الأرمن، كذلك است  
أيديهم إلى التقاتل الخاصة بهم اضطرت أمور مصر، لما رصو - وقد  
تولى ورارة قضاة بمصر ٥٣١هـ / ١٣٧م. (١)

وكان رضوان أول وزير سني يتولى منصب الوزارة، است  
مصر، والحافظ من التقيض للتقيض فجأة، وحين صادق إندر، است  
رضوان في معاملة الأرمن، واستولى على أملاكهم، كما عمل على حيد  
المدح المسمى، ومقاومة المذهب الشيعي، وقام بخلع الحافظ بحجة أنه  
ليس إماماً بل هو كفيل لغيره، فاستاء منه الحافظ ودخل في صراع  
استمر فيه ببهرام الأرمني مما اضطر رضوان للخروج إلى الشام إلى أن  
اعتقه الحافظ ثم قتل ٥٤٢هـ / ١١٤٨م. (٢) ، ولم يزل الحافظ بعد  
رضوان أخذاً بعد أن عاني الكثير، وضاعت هيئته بين وزرائه، وأولاده  
وجده، والقلمعين من ولاية الأقاليم، ظل الحافظ حتى توفي بالقوسج (٣)،

---

(١) سايبرس بن المقفع : سير ليعة المنعم، ج ١، م ٣، ص ١٣٠، ابن طاهر . أخبار  
الدول، ص ١٩٨، ابن الطوير : المصدر السابق، ص ٤٥ - ١٤٢، ابن ميسر :  
المصدر السابق، ص ١٢٤ - ١٢٥، القنطري : ص ٨، ص ٢١١، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢١٢.  
(٢) سايبرس بن المقفع : المصدر السابق، ص ٢٤٢، ابن طاهر . المصدر السابق،  
ص ١٩٩، ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٢٦، ١٢٧، ابن مقرئ بردي :  
البحر، ج ٥، ص ٢٨١.

(٣) القوسج : عبارة عن اضطراب مزمن في وظائف الجهاز الهضمي (الأمعاء  
الخطوة) وتسمى القولون، ينتج عنه انتفاخ وآلام بالبطن ليس له سبب عضوي،  
أغلب الأحيان تكون نفسية تزداد أعراضه مع التوتر النفسي، كما تختلف  
أعراضه من شخص لآخر أهمها : شعور بالإرهاق والتعب، الرغبة في عدم  
الأكل وفقد الشهية، آلام أسفل البطن وفقد الشهية، الإكثاء للصبغ، آلام  
شبيهة بالوجع في الصدر والكف، فطم تلك العديد من الأعراض الأخرى التي  
تتفق معها نفس الأعراض. للمزيد، راجع : ابن مقرئ بردي : البحر، ج ٥،  
ص ٢٣٨.

٥٤٤هـ / ١١٤٩م. فخلت مصر مرحلة أخرى من الصراعات التي أوتت بها في النهاية. (١)

يُؤيد المنصور إسماعيل الابن الأصغر للخليفة الحافظ بالإمامة في اليوم نفسه الذي قُتل فيه والده، وتُلقب بالظافر بالله، دون سجل معين (٢)، وقد اتحد الظافر الأمير نجم الدين أيا الفتح سليم بن محمد بن مصدر الكلي وزيراً له، وخلق عليه خلعة الوزارة، وكان ذلك بوصية من أبيه، وهو بذلك يعد آخر وزير فاطمي يتم تعيينه بهذه الطريقة، حيث استمر ولاية الأقاليم ضعف الخليفة، وكُنوا يتنازعون فيما بينهم للوصول إليه، حتى أصبحت الوزارة لمن يطلب، فلم يرش ابن السلار (٣) والي الإسكندرية، والبحيرة شيخاً مثل ابن مصدر الكلي، فالتقى مع والي الغربية - ابن زوجته - الأمير عباس قصنهاجي، على التوجه إلى القاهرة، وإجبار الخليفة على توليته الوزارة، وبالفعل استطاع ابن السلار أن يولي الوزارة، وذلك بعد حرب دارت بينه، وبين ابن مصال، قُتل فيها ابن

---

(١) ابن القلاسي: ديل تاريخ دمشق، ص٢٧٦، ابن الظافر أخبار الدول، ص١٩٩، ابن مؤسر: أخبار مصر، ص١٤٠، المغريزي: فتاوى الحفاه، ج٣، ص٥٦٢.

(٢) لم يحدد الحافظ سجل تعيين الخليفة الإمام بعد السجلات الثلاث التي أسسها في سنتي ٥٢٨ - ٥٢٩هـ، والتي عهد فيها لأبيه بولاية على التتالي (سليم بن - وحيدة - وحسن)، خير أن ما فعله ابنه حسن معه من عرق جعله يمرض من كثرة سجل آخر، لذلك اضطر إسماعيل إلى إصدار هذا السجل بوصح فيه أن والده قضى بولاية المهد له، أمين غواد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص٢٧٣.

(٣) ابن السلار، أبو الحسن علي بن السلار وقيل: أبو منصور علي بن محمد المنقب بالمانن، وزير الظافر بامر الله، كان سنياً شافعيًا، وكان والده رجلاً كرديًا قدم إلى مصر فلكرم وسمى حنيف الدولة، وكان ابن السلار أحد الصياليين "المُجروية" الذين كفوا يديهم في أيام الفاطميين في حجر بجرار وباب المنصور، ويتفوق تدريجات عسكرية، وكان ابن السلار ذو إقدام وشجاعة، يعيد عن اللهو والحلاعة، تلبت به الأحوال حتى ولي البحيرة والإسكندرية للمريد راجع ابن الظاهر: نزعة المتقين، ص١٥٧، ابن خلكان: وقفيات الأعيان، ج٣، ص٤١٨، النجدي: البحر، ج٣، ص٤٧.

مصال، وطيف برأسه في شوارع القاهرة، فاضطر للخليفة إلى تعيينه وزيراً بعد حصاره القصر الملكي. (١)

كان الخليفة للظاهر كلوما لابن السلار، ولأسميا أنه كان منى المذهب، فاتب سياسة بعض أسلافه في إيذاء عدائه للمذهب الشيعي ؛ لذلك فقد كانت حربه مع ابن مصال هي في الحقيقة حرباً بين الشيعة، والمئة استند فيها ابن السلار بذور الدين محمود صاحب الشام. وكان منتهياً منهصياً ؛ لذلك فقد شعر الخليفة بخطر ابن السلار على الدولة العظمية فعمل على التخلص منه (٥٤٨هـ / ١١٥٣م). (٢)

و اتفرد عباس، وابنه بكل شيء، فلم يعد هناك خليفة يحكم الأمور - ولو صورياً - فسارعت ست القصور أخت للظاهر - ويقال انخدم - بالكتابة إلى الأمير طلائع بن رزيق وفي قوص، وأسوان، والسيدي - وكانت ولاية السيد كبير المنصب بعد الوزارة تمتد به لإفقاد الخلافة من ساد عباس، وابنه، وما لم يصل ابن رزيق إلى القاهرة حتى هو عباس، وابنه إلى الشام فثار العامة، وقاموا بهرب دورهم، ونشبت المعارك في طرقات المدينة. (٣)

- 
- (١) أسامة بن منقذ إموي الدولة بن مظفر أسامة بن مرشد الكوفي الشيعي، الاعتبار، تحقيق: هيب حتى، مطبعة جامعة برنستون، الولايات المتحدة، ١٩٣٠، ص ٧ - ١٨ الشيعي : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣١١ - ٣١٢ الدواداري : كثر القدر : ج ٦، ص ١٥٥٣ ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٤، ص ٢٢٧ ابن تفرج بردي : التاج، ج ٥، ص ٢٩٥ علي بن شامير : الخط التوفيقية تجددة مصر والقاهرة، ج ١، ط ٢، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٠، ص ٦٠ : ابن فؤاد سيد : الدولة العظمية في مصر، ص ٢٧٣.
- (٢) ابن خلدون : أخبار القبول، ص ١٠٣ ابن بطوطة : نزهة المشتاق، ص ٥٨، ٦٢ - ٦٦ ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٤٧ ابن خلدون : وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١٤١ التوفيق : نهاية الأرب، ص ٣١٥ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والفني والثقافي والاجتماعي، ج ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٧٦.
- (٣) أسامة بن منقذ : الاعتبار، ص ٤٥ : ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١١٩ ابن



كان دخول ابن رزيق القاهرة تثير سوء، حيث دخل مرتدبا الثياب السود، ومعه أعلام سود، وقد علق المقرئ على ذلك قائلا : "كس فالأ عجباً" : حيث تحلت أعلام بني العباس السود من بعدك إلى القاهرة بعد خمس عشرة سنة لما مات العاضد<sup>(١)</sup>، تولى طلائع الوزارة، ولقب بالملك الصالح، ولم يكن طلائع أفضل مما سبقوه في الوزارة، فما أن تولى الأمر حتى استولى على مقاليد الأمور مستغلاً صغر سن الخليفة . مثل لعب الأفضل من قبل من الخليفة الأمر - ، وأصبح هو الحاكم الحقيقي بسلا، غير أن طلائع كان يخشى أن يظهر من ينافسه في منصبه، فأخذ ي تتبع كبار رجال الدولة، وأعيانها، وأهائهم، وصانر أموالهم، مما اضطر بعضهم لمعادرة مصر خوفاً منه. لم تكن سنة جديدة لم تكن موجودة من قبل حيث كان شرقاً حريصاً على تحصيل المال، فأخذ في بيع ولايات لأعمال للأمرأ بأسعار مقرر عرف "البراطيل"<sup>(٢)</sup>، جعل لكل ولاية سعراً، وحدد مدة كل متول بسنة أشهر فقط، خوفاً من أن يثورو عليه، كما استطاع له عدداً من الممالئكة، والسمان، وقدمهم حتى صار لكل واحد منهم نحو مائتي مملوك، فطغوا في أيامه حتى صبح الناس منهم<sup>(٣)</sup> ويقال :

خلكان : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٩٢، المقرئ : تعالط الخلف، ج ٣، ص ٥٧٦، ٥٩٠؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ٢٩٢ - ٢٩٦  
محمد جمال الدين مرور : الدولة الفاطمية، ص ١٢٤، ١٢٥.

(١) المقرئ : الحفظ، ج ٢، ص ١٣٠؛ ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ٢٩٧.

(٢) البراطيل : الرشاوى في صغرنا العالي، ويرطأ لتخصم أي رشي . راجع . الرمشري : أسرار التلافق، ص ٢١؛ ابن مقطور : لبس العرب، ص ١٣٣  
أحمد عبد الرزاق : القنل والبرطلة زمن سلاطين المملوك، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦، ص ١١.

(٣) من ظاهر : أخبار الدولة ص ١١١؛ ابن خلكان : وقوف الأعيان، ج ٣، ص ١١١؛ المقرئ : تعالط الحفظ، ج ٢، ص ٥٨٢، ٥٩٦؛ ابن تغري بردي . النجوم، ج ٥، ص ٣٦١، ٣٣٩؛ محمد جمال الدين مرور : الدولة الفاطمية، ص ١٢٥.

إنه كان بخيلاً جداً، وعلى ما يبدو أن بخله هذا قد وصل أيضاً إلى شعره حيث قال :

**فكيف بقاء عمرى وهو كثر وقد أثقلت منه بلا حساب. (١)**

حكاه لم يقتصر النزاع على منصب الوزارة فصبه بل تعدى إلى الدراع على ولايات الدولة كذلك، فصارت مصر تباع، وتشترى لمن يبيع الثمن، ومن ثم أصبح الأمراء حريصين على أن يحققوا ما يقدرون عليه من مكاسب لصغر مدته، ولا يتهموا لذلك فقد امتنحز شعب مصر من ظلم الولاة، وكثرة فسادهم مع كثرة ترددهم عليهم، وعاشوا كثيراً من ظمهم واستبدادهم.

ويبدو أن طلائع قد ضلح إلى ما هو أكثر من ذلك، فعندما توفي العائز ٥٥٥هـ / ١١٦٠م، وعنده إحدى عشرة سنة - دون وريث، طمع في أن يجعل الخلافة في عقبه، فجاء بالأمير عبد الله حفيد الخافض، وهو أصغر الأئمة سناً، ونعته بالعاقد لدين الله وزوجه من ابنته عسى أن ترزق منه بولد فيجمع بيني رزق الخلافة والمال، لم ترض سيئات القصر بمنزلة هذه الزيجة، ولا مثل هذا السلط، فحاول التخلص منه، وقد خلعه في الوزارة ابنه رزك ٥٥٦هـ / ١١٦١م، الذي لقب بالملك العادل. (٢)

كان الملك العادل رقيق يتوجس خيفة من والي الصعيد شاور بن مجبر، فلم يعبأ بنصيحة والده قيل قتله بأن يهبوه، ويحرقوه سنة، بل سارع بهزله من ولاية قوص، فجن جنون شاور، وأخذ جيشاً كبيراً، ذهب به إلى القاهرة ٥٥٨هـ / ١١٦٣م استطاع خلاله أن يتغلب على العادل، ويحتله، ويتولى مكانه في الوزارة، لم يكن شاور يتولى الوزارة حتى نفسه عليها أبو الأشبال ضرغام بن عامر (٣) - مقدم أمراء الزميمة،

(١) ابن تغري بردي: المعصر السابق، ص ٣١٤.

(٢) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٢٩، ابن تغري بردي، المعصر السابق.

ص ١١٢ جمال الدين الشيال: مجموعة الوثائق القاطنة، ص ٦٥٧ - ٦٥٨.

(٣) أبو الأشبال ضرغام بن عامر: ابن سوار السكندري، كان كبير أسراء "البرقة"

وصاحب القلب، وهي رتبة نلي الوزارة مباشرة - واستبد بسلطة مصر . فكانت من العجائب المضحكة، والمحزنة في نفس الوقت ؛ حيث لم مصر كسبت تحكم خلال ثلاث وزارات في وقت واحد، شاور، وصرغام، والعدل، وهي بذلك تنهي القوضي، والتفقد السياسي، لقد ظل العمل في سجنه حتى قتله طي بن شاور، أما شاور، وصرغام فحلا معا في صراع عيب لحد كل منهم يحدث عن قوى خارجية تسعين بها على الآخر<sup>(١)</sup> .

نجح شاور في أن يقر إلى الشام بعد هزيمته أمام صرغام، واستنجد بالسلطان العادل نور الدين محمود ؛ لاستعادة منصبه، ووعده مقابل ذلك بثلاث خراج مصر بعد إقصاءات العسكر، وأن ينصرف هو بأمر نور الدين، واختاره أي يكون نكتا له في مصر، لا نائباً للعاصدة<sup>(٢)</sup>، وكانت استعانة شاور بالدول المجاورة تدبراً بنهاية الدولة الفاطمية ؛ حيث

التي قد أشأها "زريك" ولاء شاور القلب، كان فارساً وشجاعاً، فليس نور لدي الورية، فولي الوزارة بعد قتل قتلى بقتل طي بن شاور، وقد خضع عليه القصد خلع الورية وبقه بمملك تميمور<sup>(٣)</sup>، راجع . عمارة التولي أنجم الدين أبو محمد عمارة بن أبي الحسن طي الحكمي ؛ انكت تمصورية في أخبار الوزارة المصرية، تحقيق : هرونج دزيرغ، شاور، ١٨٩٧م، ص ٦٨، ١٦٩ ابن ظافر : أخبار الدول، ص ١١٤ في تطوير : نزهة المقلبي، ص ١٦٢ ابن تغري بردي : الهجوم، ج ٥، ص ٢٢٨.

(١) عمارة التولي : المصدر السابق، ص ٦٦ - ٦٧، ابن ظافر : المصدر السابق، ص ١١٤ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١١، ص ١٢٧٨ التويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٢٩ التويري : تخطيط ج ٢، ص ٣٢٨، فهدد الحبيب، ج ٣، ص ٥٩٩ - ٦٠٤ جمال الدين شبل : مجموعة الوثائق العاصمة، ص ١٥٥.

(٢) ابن ظافر : المصدر السابق، ص ١١٤ ابن شدك : إنباء الدين أبو نحاس يوسف بن رافع بن عديم، فلولر السلطانية والمحسن قويمية، أو سيرة صلاح الدين، تحقيق : جمال الدين شبل، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٣١، أبو شامة : الروضتين، ص ٣٣١ - ١٢٢٣ ابن راصل : مرقع الكروب، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨ ابن تغري بردي : المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٣٨ جمال الدين شبل : المرجع السابق، ص ١٥٦ ابن عزاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٢٨٨.

ولت أمراء الشام ثم ملوك الفرنج على مواطن الضعف في الدولة العاطمية، وأغرتهم بالطمع فيها، والاستيلاء عليها، أما ضرغام حين أن يش من الاستعانة بنور الدين محمود قرر الاستعانة بصوري ملك بيت المقدس، وعرض عليه مبلغاً من المال نظير مساعدته، وبالفعل استطاعت قوات نور الدين أن تصل إلى القاهرة بعد مرارعة الفرنج، ودخلت في حروب مع ضرغام كانت نتيجةها قتل ضرغام (٥٥٩هـ - ٦٤٤هـ)، وعودة شاور مرة أخرى للوزارة، ليكون بذلك أول وزير يطلب بعودة مرة أخرى<sup>(١)</sup>، واضطر الخليفة لعمل سجل آخر بثولية شاور الوزارة للمرة الثالثة، وقد حملت تلك الوثيقة في طياتها أن سبب انقراض شور على العاقب ضرغام هو تغلي العاضد عن ضرغام، وهذا لم يحدث قط، ولا عجب فقد بلغ الفساد كل مناحي الحياة في مصر، فليس من الغريب أن يكون في وثائقها أيضاً.

بمجرد عودة شاور للوزارة استبد بالأمور مرة أخرى، وتراجع عن وعده لنور الدين محمود وطمع في مصر فطلب من أسد الدين شيركوه قائد حملة نور الدين أن يعود بقواته إلى الشام، فدخل شاور في صراع حربي مع شيركوه وجنوده الذين رفضوا الرحيل، فلم يجد شاور أمامه في هذه المرة إلا الاستعانة بالفرنج فوعدهم بألف دينار يومياً، غير أن هذا العرض جعلهم يطعمون في امتلاك مصر لأنفسهم، فأصبحت مصر مسرحاً للحروب بين الفرنج، ونور الدين محمود، أما شاور فقد لعش أمره، وساءت سيرته، وكثر تجرؤه على الدماء، وامتلاكه للأموال، أدت تصرفات شاور المهينة إلى عدم ثقة الخليفة في تصرفاته، ولأنه بعد أن منح لبعض قوات الفرنج بالبقاء في مصر فعمثوا بفساداً

(١) عمارة اليماني : الفتنة، ص ٢٧٧ أبو شامة : الروضتين، ج ١، ص ٣٢٢ - ١٢٣٤ التويري : نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١١٠ بين تقري بردي النجوم، ج ٥، ص ٣٣٨ التقيشتي : صبح الأضي، ج ١٠، ص ٢٦٠ - ١٢١٨ جمال الدين الشبل : مجموعة الوثائق العاطمية، ص ١٥٥، ٣٦٩. (٢) جمال الدين الشبل : المرجع السابق، ص ١٥٦ - ١٥٧.

فكره الشعب، واستكروا أفعاله، فاستلب الطيفة معه ابنه الكامل شجع  
في الوزارة -، وكنت المرة الأولى التي عين فيها نائباً للوزير على  
الرغم من وجوده. (١)

أرسل الكامل شجاع إلى نور الدين محصود يعرض عليه الدخول  
في طاعنه، ويضمن له، ولأجمع المصريين في الوقت الذي كان والده قد  
اتفق مع الفرنج، غير أن الكامل أدرك أن طماع الفرنج في مصر دائر أن  
يربط سياستها بأمن مصر أمون من انتقالها إلى أيدي الفرنج، وعندما علم  
الفرنج بذلك الاتفاق بانثروا بالمجيء إلى مصر، وحاصروا بلبيس (٢)،  
وأكثروا فيها الفساد فأمرؤا جماعة من المستنيرين، ونهبوا أموالهم فتلأشى  
أمر الديار المصرية من الظلم، والجور، أما الخليفة فلا حول له، ولا قوة  
فلم يبق منه سوى الاسم، والخطبة، شعر شاور بمجره أمام الاقتصادي  
للفرنج، وأيقن أنهم قادمون إلى القاهرة، فقرر نون تكثير في أهل مصر  
بإحراق القساطل فأمر أهلها بالانتقال إلى القاهرة، وقد ما ج الناس،  
واضطربوا لذلك الفتنة فتركوا أموالهم، ولستعهم، ونجوا بأنفسهم كأنما  
أخرجوا من ديارهم إلى العشر. (٣)

---

(١) أبو شامة : قروضتين، ج ١، ص ٣٩٠، المقرئ : الخطط ج ٢، ص ٢٣٨  
ابن تقي بردي : قصص السلي، ج ٥، ص ٢٢٨ : جمال الدين الشهاب  
المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) بلبيس : بكسر الباء وسكون اللام، وهي مدينة في حدود الصحراء الشرقية،  
بينها وبين القساطل حشرة لرايح، وهي على طريق الشام، تمتد سدة ١٨ أو  
١٩ - على يد عمرو بن العاص، كانت قاعدة الأعمال الشرقية زمن العاصيين  
حتى آخر عهد الحكم البركاني. راجع : ياقوت الحموي : معجم البلدان، ج ٢،  
ص ٢٤٦ محمد رمزي : القاموس الجغرافي في الجلاء الحالية، ق ٢، ج ١،  
ص ١٠١.

(٣) أبو شامة : قروضتين، ج ١، ص ٣٩٠ : ابن واسل : مفرج الكروب، ج ١،  
ص ١٣٩ - ١٤٠ : المقرئ : الخطط ج ٢، ص ٢٣٩ : ابن تقي بردي :  
النجوم، ج ٥، ص ٣٥٠.

نزل الناس بمساجد القاهرة، وحماماتها، ومثأوا جميع الشوارع، والأزقة، وصاروا مطروحين بأولادهم في الطرق، وهم في تلك بئطروا هجوم الفرنج على القاهرة، وقتل، وسبى من بها من حريم، ومسيب، وأصيب الجميع بالزعر، ولاسيما من هول ما وصلت إليه القسطة من حراب حيث ملكت التيران تعمل فيها أربعة وخمسين يوماً حتى أصبحت أثراً بعد عين، فكتب العاضد إلى نور الدين برسالة عودة تحمل في ضمتها ذوالب النساء أهل القصر، ويرجوه بنجدة مصر، فاستجاب نور الدين مسرعاً، وأرسل حملة ضى رأسها شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين، استطاعت تلك الحملة أن تهزم الفرنج، وتقتل مصر، فخرج العاضد شكرًا إلى شيركوه، وطلب منه رأس شاور، فقتل، وحملت رأسه للعاضد الذي علم عليه خلع الوزارة، ولقبه "بالمك" المتصور سلطان أمير الجيوش<sup>(١)</sup> فاستقرت له الأمور دون منازع، غير أنه ما لبث أن توفي فجأة<sup>(٢)</sup>.

توفي شيركوه، فكان من قبدهي أن يختار الخليفة العاضد للوزارة أحد رجال الدولة الفاطمية، غير أنه أ قدم على خطوة جريئة كانت فيها هلكه، وهلك دولته، حيث عهد بالوزارة إلى ابن أخيه شيركوه، وهو صلاح الدين حيث ظن جدلاً أنه يستطيع أن يستعيد نفوذه خلال ذلك الشدب للقتل الشأن دون استبداد الوزراء، ولكن العاضد مرعان ما شعر أنه أخطأ في ذلك التقدير حيث وجد في صلاح الدين شخصية قوية شديدة البأس سيطرت على رمام الأمور فأصبح العاضد معه كالمجور عليه لا يتصرف في أمر من الأمور إلا بمشورته، وإلأه<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن ظفر، أخبار الدول، ص ١١٦ ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ١٣٦ أبو شامة المصدر السابق، ص ١٣٩ ابن واصل : المصدر السابق، ص ١٥٢ التويري : بهجة الأريب، ج ٢٨، ص ١٣٣ ابن تفرج يرقى : المصدر السابق، ص ٣٥٠ - ٣٥٢ محمد ماهر حماد : الوثائق السلوية والإفريقية، ص ١٤٨ أمينة التويرجي : روية الفتح، ص ٥١٣.

(٢) ابن الأثير : المصدر السابق، ص ١١٧ أبو شامة : المصدر السابق، ص ١٤٠ ابن تفرج : إعراب دول أبو الفرج بن هارون الملقب، تاريخ مختصر الدول،

هكذا وضع الإمام الفاطمي الإسماعيلي نفسه، ودولته تحت وصاية  
 روبر سني أجنبي استطاع أن يقضي على الدولة الفاطمية مهاتياً، ويقيم  
 الدعوة للعباسيين المستنيرين مرة أخرى.

#### رابعاً : انقسام الإداري في مصر تحت الحكم الفاطمي

على الرغم من استقلال مصر استقلالاً تاماً عن الخلافة العباسية،  
 وإقامة خلافة فاطمية شيعية جديدة تخالف العقيدة السنية هي بعد، فإن  
 الفاطميين قد عملوا على بقاء النظم الإدارية التي كانت موجودة من قبل،  
 وعملوا بها بعد أن أدخلوا عليها بعض التعديلات لتصبح تلك النظم برز  
 آخر، توارثه الفاطميون عن العباسيين في مصر، والذي امتد بأصوله  
 العربية إلى تلك النظم الإدارية التي كان معمولاً بها من عهد  
 البزطيين. (١) ، وقتي قسمت مصر على أساسه إلى قسمين رئيسيين  
 هما : مصر السفلى (الفيحاء، والوجه البحري)، ومصر العليا (النصعيد،  
 والوجه القبلي)، وينقسم كل منها بدوره إلى أقاليم مقسمة إلى كور تشمل  
 كل منها على عدة قرى، يتولى إدارة كل منها والي يعاونه معاونون  
 موجودون في القرى. (٢)

وقد عمل الفاطميون على زيادة تركيز زمام السلطة الإدارية في  
 أيديهم، وذلك لاستكفاء مصالح حكومتهم، وخلافتهم الواسعة، لذلك فقد  
 حرصوا على أن يكون النظام الإداري في مصر نظاماً شديد المركزية،  
 لذلك أصبح كل ما يمس إدارة البلاد في الخلافة الفاطمية بإشراف السلطة  
 المركزية في عاصمتهم القاهرة، كما كان الإشراف الإداري تدار شؤونه  
 من داخل القصر. (٣)

ج٢، تصحيح الأب أنطون صالحي اليسوعي، ط٢، دار الفرسند اللباني،  
 بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص١٣٧ ابن تغري بردي : المصدر السابق،  
 ص١٣٤٠ جمال الدين الشيال : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص١٧٠.

(١) عبد السلام ماجد - نظم الفاطميين ورسومهم، ج١، ص٩٤، ١٩٥٠ تونس دار سيد  
 : الدولة الفاطمية في مصر، ص٣٢٧.

(٢) ليس عزاد سيد : المرجع السابق، ص٣٢٢ - ٣٢٣.

(٣) عبد السلام ماجد : المرجع السابق، ص٩٥.

وكانت نظرية الحكم عند الفاطميين تنحصر في أن الإمام هو  
 رئيس الدولة الأعلى، وهو الحاكم المطلق، ومن ثحته تترج بغيرية السلطات  
 من على إلى أسفل، ولكن أول ما يليه من أهل السلطان هو الوزير.  
 وبني الوزير أعمال، أو حكم الولايات، وللتصور الذي يبدو بمثابة  
 للولاة<sup>(١)</sup>، وليس كان يوليهم وظيفة في الحصر النظامي الأول. ثم  
 الوزير في العصر الفاطمي الثاني<sup>(٢)</sup>، ولم يكن لترقية حق الاتصال  
 بالخدمة. أو الوزير الذي جمع بين العديد من الأعمال الإدارية، وكذلك  
 الدينية<sup>(٣)</sup> إلا بالبطء، والولاء، وأداء الجباية المطلوبة، أي من السحب  
 الدستورية نظرية الحكم المطلق<sup>(٤)</sup>، بل تعدى ذلك إلى أن رئيس الدولة  
 الأعلى فيها، وهو الإمام يمتاز بصفات العظمة، والقداسة<sup>(٥)</sup> غير أن هذا  
 الأمر لم يتجاوز سبعين عامًا سيطر بعدها الوزراء الأقوياء على الأمر  
 دون الخلفاء حتى نهاية الدولة الفاطمية.

هذه الفاطميون على إحلال المخاربة للشيعة، الذين قامت  
 على أكتافهم الدولة الفاطمية محل المصريين السنيين، وقد نجح جوهر  
 الصفي لحد كبير في تنفيذ تلك السياسة بشكل تدريجي، حتى لا يؤثر  
 شعور السنيين الذين كانت إليهم أمور الدولة فتتعلل الأعمال الإدارية،  
 ويضطرب النظام الإداري فيها؛ لذلك فقد أشرك المغاربة في جميع  
 الأعمال الإدارية بجانب السنيين<sup>(٦)</sup> غير أن جهل المغاربة بدقائق لإدارة

(١) القائلوندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٧٠.

(٢) نصه، ص ٥٧٠، حمدي شملوي : ثورارة والوزراء في عصر الفاطمي، مكتبة  
 الدراسات التاريخية، مطبعة دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٤٤.

(٣) ابن ميسر : أعجز مصر، ص ١٢٢ ثوري : مينة العرب، ج ٢٨، ص ٣٠٠  
 المغربي : تخطيط، ج ١، ص ٤٤٠.

(٤) محمد عبد الله عني : الحكم بأمر الله، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

(٥) القاضي القمني : المجالس والمسيرات، ج ١، ص ٢٨١، عبد المنعم ماحد  
 السجلات المستعمرة، سجل رقم (٣٥)، ص ١١٠، ١١١، نظم الفاطميين،  
 ج ١، ص ١٧٧، محمد عبد الله عني : الحكم بأمر الله، ص ٣٢٩.

(٦) المغربي : اتفاق الحق، ج ١، ص ١٦٥، عبد المنعم ماحد : نظم الفاطميين  
 ررهمهم، ج ١، ص ١٩٧، علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصفي، ص ٦٤.



المصرية جعلهم يقتصرون على الإدارة المحلية بالولايات، أما إدارة المركزية، والتي احتاجت إلى مهارة كبيرة فقد تولاها في أغلب الأحيان أهل الدمة الذين انتشروا في جميع فروع الإدارة، ووصلوا إلى أعلى المناصب الإدارية، حتى وصل بعضهم لمنصب الوزارة، سواء من عتق منهم الإسلام، أو بقي على ملته، وقد ظهر هذا الأمر مع ظهور أول حكام الدولة الفاطمية في مصر. (١)

وقد بدأت تلك السياسة مع المعز لدين الله الفاطمي، الذي قام برعاء القائد جوهر الصقلي من جميع مناصبه، ثم عهد إلى يعقوب بن كلس بإعادة تنظيم إدارات الدولة في مصر، كما عين عضكج بن الحسن لمعاونة ابن كلس في الإشراف على الشؤون المالية (٢)، وقد نجح ابن كلس في وضع نظام أكثر مركزية، يدير بشكل هرمي، يأتي الإمام أو الخليفة على رأسه، وتنبثق منه كل سلطة، وقد تقاسمت إدارة هذا النظام إلى سلطات ثلاثة : إدارية، يتولى الوزير الإشراف عليها، وقضائية يتولى القاضي القضاء الإشراف عليها، ودعائية يتولى داعي الدعاة الإشراف عليها، وكانت السلطة القضائية، والدعائية تجمعان أحياناً شخص واحد. (٣)

غير أن هذا التنظيم لم يستمر طويلاً حين لحق به ما لحق بالدولة الفاطمية نفسها من أحداث متلاحقة، وضعف متكرر، زاد من نسوة الوزراء، فأصبح الوزير هو قائد الجيش، وقاضي القضاة وداعي الدعاة

(١) عبد المنعم مازد : المرجع السابق، ص ٨٧ - ١٩٨ لورمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، هيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١١٨.

(٢) ابن خلدون : أخبار الدول، ص ٣٨؛ ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ١٧٧؛ ابن حجر : إنباء مصر، ص ١٦٣؛ ابن خلدون : وفيات الأعيان، ج ٩، ص ٢٧ - ٣٥؛ المعري : الخطط، ج ١، ص ٨٢؛ الخطط، ج ١، ص ٤٤، ٤٥.

(٣) ابن الصيرفي : الإشارة، ص ٤٧ - ٥٢؛ الصوري : مهابة الأرب، ج ٢٦، ص ٤٩ - ٥٠؛ المعري : الخطط، ج ٢، ص ٥٥.

في الوقت نفسه<sup>(١)</sup>، كما أعيد تقسيم مصر إداريًا ٤٧٠ هـ / ١٠٧٨ م، أصبحت تشتمل على أربع ولايات رئيسة وهي قوس، والشرقية، والعربية، والإسكندرية، أما العاصمة المصرية المتمثلة في ولاية القاهرة وولاية القسطنطين فكان لكل منهما وال خاص يتمتع بمكانة عالية عند الخليفة. وقد سبحت الحكومة الفاطمية لكل وال من حدد الولايات الأربعة الحرية في تعيين العمال على المدن، والقلاع، والقرى المدخلة في ولايته.<sup>(٢)</sup>

كانت ولاية قوس هي أعظم تلك الولايات الأربعة، ويعد رئيسها له رتبة نزي الوزاره مباشرة، وكما كانت مظاهر الصراع عر الفساد بين هؤلاء الولاة مستمرة فيما بينهم، وبين الوزير، فأصبحت الرشوة وبذل أموال مقابل تلك الولايات، ولاسيما في العصر الثاني من الدولة الفاطمية، والذي كان جل<sup>(٣)</sup> وزرائه من حكام تلك الولايات الذين تصارعوا فيما بينهم، وكثر فسادهم في ظل ضعف سلطة الخليفة، وسيطرة الوزير على كل سلطات الدولة<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن الطوير : نزعة المقلدين، ١٩٩٢، ص ٤٩ - ٥٣؛ عبد المنعم ماجد : نظم الفاطميين ورموزهم، ج ١، ص ١٣٣؛ علي حلي الشربطلي : مصر العربية الإسلامية، ص ٧١٣، ٧١٤.

(٢) ابن موسى : أخبار مصر، ص ١٢٣؛ فتواري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٣٠١؛ التفتننندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٩٣ - ٤٩٤؛ المقرري : القسط، ج ١، ص ٤٤٠؛ القفاط الحناء، ج ٢، ص ١٣٦؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ١٣٣.

(٣) مر أمتهم : نجم الدين أبو الفتح بن مصال، رضوى الوليخ، ابن السلا، ضائع بن زيك، شاور من مجير السعدي. ولوح : ابن موسى : المعصر السابق، ص ٨٩، ٩٢، ١٣٥؛ المقرري : القسط، ج ٢، ص ١٢٠؛ القفاط الحناء، ج ١، ص ١٧٨؛ القفتنندي : صبح الأعشى، ج ١٠، ص ٢٨٢ - ٢٨٣؛ أحمد سيد الرزقي : القيد والبرقعة، ص ١٧.

(٤) ابن ميسر : المعصر السابق، ص ١٧٢، ١٧٤، ١٤٩؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ١٢٣؛ السجلات المتكسورية، سجل رقم : ٣، ص ١٠٨ - ١٠٩.

## [١] الفساد الإداري في الدولة :

انقسمت الوزارة في عصر الفاطميين كبقية العالم الإسلامي إلى وزارة تنفيذ، ووزارة تعويض، ولم يكن الفاطميون في المرحلة الإفريقية يعرفون منصب الوزير، أما في مصر فقد كان الغالب على وزراء العصر الفاطمي الأول وزراء التنفيذ؛ بينما كان كل وزراء العصر الفاطمي الثاني ابتداءً من وزارة بدر الجمالي ووزارة تعويض.<sup>(١)</sup>

أما الوزير في الدولة الفاطمية فقد اختلف اختلافًا كليًا عنه في مصر الإسلامية - قبل الدولة الفاطمية - لأن الوزير فيما قبل كان يمثل القوة المشتقة من القوة الكبرى المتمثلة في الحليفة ولم يظهر دوره إلا مع ضعف الحليفة نفسه، أما في مصر الفاطمية فكان الوزير يسيطر على الأمور في كثير من الأحيان وكان ذلك منذ بداية الدولة الفاطمية في مصر، ويسيطر على جميع الأمور في النصف الثاني من الدولة الفاطمية، فكان نزاماً أن تتركه ضمن القوة المشتقة في فسادها الإداري في النصف الأول من عهد الدولة، والقوة المسيطرة سياسيًا وإداريًا أيضًا في النصف الثاني من عهد الدولة. وفي الحالتين كان الوزير هو الرئيس الإداري في منظومة الدولة الفاطمية.

وكان الوزير أبو الفضل جعفر بن الفرات يفتقد منصب الوزارة عند دخول جوهر الصقلي مصر وكان ابن الفرات سديًا غاليًا تولى هذا المنصب منذ عهد الإخشيديين، وقد أبقى جوهر الصقلي في بادئ الأمر أن يلقبه بلقب وزير، فاستع عن ذلك قائلًا : "ما كنت وزير خليفة" إلا أنه قد أقره في منصبه، متمشيًا في ذلك مع سبلسته العامة في هذه البلاد، غير أنه قد عين معه خدام يبيت معه في داره ويترجمه في شوقه وروحانه ويرفق به في حركاته وسكناته، ومن ثم ضعف نفوذ هذا الوزير، فلم يبق له من منصبه سوى الاسم فقط ويقال إن ابن الفرات هذا قد اعتز عن مهامه في نمت الوزارة بعد وصول المعز لمصر.<sup>(٢)</sup>

(١) أبو الفداء : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٢٠.

(٢) المقريري : تليظ الحفاه، ج ١، ص ١١٩، الخطط، ج ١، ص ٤٣٩؛ عبد المصم

ويأثر رغم من ذلك فإن ابن كلس هو أول من خوطب بالوزيرة في عهد الدولة الفاطمية.

وعندما وصل للمعز لدين الله إلى مصر، فضل ألا يعرض سلطاته إلى أحد، وأن يبشر الكبير بنفسه ولا يعول فيه أحد غيره، فأبى أن يتخذ وزيراً له، ولكنه أوجه ما أطلق عليه الوساطة لأن صاحبها كان يتوسط بين الحليفة والزعيم. <sup>(١)</sup> غير أن المعز لدين الله قد اعتمد كما ذكرنا على يعقوب بن كلس في كافة شؤون الدولة الرشيدة والمدنية، كما لهذه ٣٦٣- الخراج والحسبة <sup>(٢)</sup> والإعشار والجوالي والأجاس والميراث والشرطين ويعاونه في ذلك عسوج بن الحسن اليهودي. <sup>(٣)</sup>

ولا شك أن إبتداء مثل هذه الأعمال الإدارية الكبرى لهذين الرجلين قد قوى من نفوذهما إلى حد كبير وأثر بشكل آخر على السلطة التي كان يتمتع بها جوهر الصقلي من قبل. <sup>(٤)</sup> على أن هذه الثقة التي

---

مناج : مساجد المستنصرية، سجل رقم (٥٩)، ص ١٩٥، علي إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي، ص ٦٨، تاريمان عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٨٩.

(١) ابن الصيرفي : الإخبار، ص ٤٧، القشيري : صبح الأعشى، ج ٧، ص ٤٨٩، أمين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٢٠، حمدي المفلوي : الوزارة والوزراء، ص ٢٤١.

(٢) الأنصاري : تاريخ الأنصاري، ص ٢١٩، ابن خلدون : تكملة الدول، ص ٣٨، ٣٩، ابن ميمر : أخبار مصر، ص ١٦٣، ١٦٤، ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١، ص ٢٧ - ٣٥، المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٨٧، التماط الحنا، ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، أحمد مختار جادوي : في التاريخ العباسي والفاطمي، ص ٢٨٢.

(٣) ابن ميمر : المصدر السابق، ص ١٦٣، المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٨٢، أحمد الحنا، ج ١، ص ١٤٤ - ١٤٥، حسن إبراهيم حسن : تاريخ جوهر الصقلي، ص ٦٩ - ٧٠، تاريمان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين، ص ١١٨.

(٤) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ٤٧، حسن إبراهيم حسن : المرجح السابق، ص ٧٩ - ٨٠.

لولا الخليفة المعز لدين الله لهذين الرجلين جطتهما وتصرفان كما يحلو  
 لهم وحسب أهولتهم الشخصية، وعلى الرغم من العداء الذي كان بين ابن  
 الفرات - الوزير السابق - وابن كلس منذ عهد الدولة الإخشيدية والذي  
 جعل ابن كلس يفر هاربا إلى بلاد المغرب، فإن أولصل الصداقة قد  
 توصلت بينهما، وتزوج القفصل بن الفرات من ابنة الوزير بن كلس،  
 فظهرت المصوبية والوساطة في ظل تلك الزيجة السياسية - إلا أن  
 لولي ابن كلس ثقة قائمة لابن الفرات وعول إليه في معالجة الأعمال<sup>(١)</sup>  
 كما معنى هذا الرجلان في استخراج الأموال من المصريين،  
 إرضاء للمعز لدين الله لكي يسترد ما أنفقته جوهرا من أموال في مصر،  
 فاستخرجوا أكثر من مائتي ألف وعشرين ديناراً في يوم واحد من مال  
 تكليس، وديوان، والأشعوريين، هذا الأمر الذي لم يسمح بمثله من قبل  
 والذي أزعج الشعب المصري وأثقل كاهله، وقد استمر يحقوب بن كلس  
 زمن الخليفة الفاطمي العزيز بالله، الذي أقره في الوزارة ٣٦٨هـ ولقبه  
 بالوزير<sup>(٢)</sup> الأجل وأمر ألا يخاطبه ولا يكتبه أحد إلا بهذا اللقب<sup>(٣)</sup>  
 بالإضافة إلى ما قد تركه هذا الرجلان من أموال ضخمة يخيم عليها  
 الشبهات<sup>(٤)</sup>.

كذلك الوزير أبا الحسن بن علي عمر الدنبري الذي فتخذه العزيز  
 بالله وزيراً له، ثم أمر بالقبض عليه في ٣٨٣هـ / ٩٩٣م، بعد أن اتهمه  
 بتبديد أموال الدولة<sup>(٥)</sup>. ثم استوزر العزيز بالله عيسى بن بطرس

(١) أحمد مختار العبادي : مرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٢) لم يثبت هذا اللقب رسمياً إلا زمن الخليفة الفاطمي الرادع الظاهر لأعرور ديس  
 ٤١١ - ٤٢٧هـ بولي الوزير أبي القاسم الجرجاني الوزارة ٤١٨هـ /  
 ١٠٢٨، حيث أصبحت الوزارة منصباً وتلقبوا منذ ذلك الوقت . راجع ابن  
 كثير، المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) نفسه، ص ٤٩؛ أحمد مختار العبادي : المرجع السابق، ص ٢٨٢.

(٤) المقرئ : الخطط، ج ٢، ص ١٥؛ أحمد عبد الرزاق : البذل والبرقة، ص ١٨.

(٥) ابن الصيرفي : الإشراف، ص ١٥؛ ابن سير، لقب مصر، ص ١٧٨؛  
 المقرئ : المصدر السابق، ص ٥.

النصراني في ٢٨٤هـ / ٩٩٤م، كما اعتمد على أحد اليهود ويدعى منشأ بن إبراهيم القولا في تصريف أمور الدولة الإدارية، وقد عمل هذان الرجلان في تقريب أهل الدمة على حساب المصريين، وقد ماعدهم على ذلك تلك السلسلة التي اتبعها الخليفة العزيز بالله من تقريب أهل الدمة له بطراً لرواجه من نصرانية، وقد ضاق بالشعب المصري من تصرفات هذين الرجلين فبعثوا إلى الخليفة بأمره في حجة لها تقول وتقول :

"بأندي أعز النصراني بموسى واليهود بمنشأ، وأهل المسلمين بك لما كشفت عن ظلامتي". و غضب العزيز بالله وأمر بالقبض على الرجلين وعزلهما بعد أن صادر أملاكهم، كما قام بطرد أهل الدمة من الواوين، ولكن سرعان ما عاد الأمر إلى مساره بعد توسط ست الملك ابنة العزيز من زوجته النصرانية، فعاد ابن بطور مرة أخرى. (١)

وعندما تولى الحاكم بأمر الله كان ابن عمار يقوم بتكبير شؤون الدولة كوزير له (٢)، غير أن ابن عمار قد تحيز إلى بربر كتامة وأدخلهم في الواوين الدولة وكفل لهم الوظائف الرئيسية حتى يتمكن بواسطتهم من السيطرة على البلاد (٣)، فأغدى عليهم الأموال والأعطيات دور خبيرهم، فاستولوا على وظائف الدولة واقتسموا سلطانها وعاثوا في شؤونها ومراقبتها فكثر فسادهم واعتكوا على الناس، وعلى أموالهم وكان ابن عمار يشجعهم على ذلك. (٤)

(١) ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ٥٤، ٥٥، ابن خاسر . أخبار النول،

ص ٤٠، ٤١ ابن تغري بردي : التتويج، ج ٤، ص ١١٥ - ١١٦، السوطي :

حسن المحاضر، ج ٢، ص ١٥٠، علي حمسي الغربوطلي : مصر العربية

الإسلامية، ص ٤٩، نازيان عبد الكريم : معاملة غير المسلمين، ص ١١٩

(٢) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ص ١٨١، ابن الصيرفي : المصدر السابق، ص ٥٦.

(٣) ابن طاهر - المصدر السابق، ص ٤٢، ابن ميمر : المصدر السابق، ص ٧٨.

ابن تغري بردي : المصدر السابق، ج ٤، ص ١٢٢، عبد المنعم منجد : نظم

الفاطميون ورسومهم، ج ١، ص ٩٩.

(٤) ابن خلكان : وفوات الأعيان، ج ٥، ص ٣٥٤، القويري : نهاية الأرب، ج ٢٦،

ص ٥١، المقرئ : تكملة الحقا، ج ٢، ص ٤ - ١٠.

لما بن عمار قد أغلق بابه إلا على الخاصة والأكابر من شيعته،  
وطمى وتجبر وألزم جميع الناس بالترجل إليه، وقد ظلت إدارة البلاد  
تسير على هذا الموال القاسد حتى ضاق بالتلصص، فاجتمع الصفاوية  
والباقون عليه وعلى سياسته تحت قيادة الأستاذ برجوان، وهجموا  
للكتابين في ظاهر القاهرة ٣٨٧هـ، وكلفت فتنة كبيرة، فاضطر بن  
عمار ومن معه إلى الهروب بعد أن هوجمت داره ونهب ما فيها <sup>(١)</sup>  
غير أن الأستاذ برجوان لم يكن أفضل حالاً من ابن عمار، حيث  
يسيطر هو الآخر على مقاليد الأمور، واستأثر بكل سلطة حقيقية دخل  
البلاط وخارجه، ومن أنه الحاكم الحقيقي للبلاد فانقلب عليه الحاكم وقتله  
٣٩٠هـ، ثم حتم على أمواله وصاندر تركته وكانت عظيمة تحتوي على  
الكثير من نفيس المتاع وقناب والطبي والحيل والعلمان والكتب  
وغیرها. <sup>(٢)</sup> أما أسدقلاؤه وأعدائه القاسدون فقد اختفوا من الميدان على  
حد قول علان. <sup>(٣)</sup>

وبالرغم من حسد هؤلاء الوزراء وتحاملهم على الناس وظلمهم  
فإن سياستهم المالية قد لقيت قبولاً وهو بعض الخلفاء الفاطميين، وقد  
أشى الحاكم بأمر الله على أحد رجال دولته وهو الوزير بن عبدون  
النصراني لأنه جمع له من الأموال ما هو خرج من أموال المواوين  
تثمائة ألف دينار، تون النظر لحال الرعية. <sup>(٤)</sup>

(١) ابن الصوري : الإثارة، ص ٥٦، ٥٧ ابن ظفر : أخبار الدول، ص ١٢٣، ١٦٠  
ابن خلکان : وفیات الأهل، ج ٥، ص ٣٥٤ القويري : مهابة الأرب، ج ٢١،  
المعري : الخطط، ج ٢، ص ٣٦، ٣٧ ابن تفرج : برقي النجوم، ج ٤،  
ص ١٢٢ محمد عبد الله علان : الحاكم بأمر الله ص ١٩٣ ص ١٩٤

(٢) ابن الصوري : المصدر السابق، ص ٥٧ القيرزي : تمناط الخفاء، ج ٥، ص ٤٠ - ١٠.

(٣) محمد عبد الله علان : المرجع السابق، ص ٩٢ - ١٠٠.

(٤) المعري : المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٢.

ثم عاد تسلط أهل النخبة على الإدارة مرة أخرى عندما ولى الحاكم بأمر الله الفاطمي، منصور ابن سورتين النصراني بالوزارة، فاستأثر وقومه بوظائف الحكومة، إلى أن سقط بين العامة، مما اضطر الحاكم لاستبعاد أهل النخبة بشكل عام. <sup>(١)</sup> وبالرغم من جيروت للحاكم بأمر الله واستبعاد عنهم، وتعال لنا د/ تاريمان عبد الكريم هذا الأمر بأن العبد في ذلك الوقت كانوا يمثلون ثلث سكان مصر. هذا بالإضافة إلى أن أغلبهم كان على دراية تامة بشؤون الإدارة منذ زمن بعيد. <sup>(٢)</sup>

إضافة إلى ذلك بُعد الفاطميين عن أهل مصر المنفيين والذي أتاح الفرصة لأهل النخبة للسيطرة على تلك الأمور - كلفة الأمور الإدارية - بكل ثقة منهم في عدم قدرة الحاكم على الاستعانة بهم فكانوا يعملون ما يشاؤون دون خوف. كقتضاع أبي الفتوح موسى بن الحسين الذي تولى الوساطة للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١٣هـ / ١٠٢٢م والذي لم يمكث في الوزارة سوى تسعة أشهر فقط ثم قبض عليه <sup>(٣)</sup>، مما أدى إلى تكوين ثروة ضخمة جدًا، حيث وجد عقده من العيون ستمائة وعشرون ألف دينار وهو مبلغ ضخم بالنسبة لتلك الفترة التي تولى فيها الوساطة <sup>(٤)</sup> وقد أمر الظاهر لإعزاز دين الله بقتله نتيجة اعتقاله. <sup>(٥)</sup>

وجاء الظاهر لإعزاز دين الله واستورر نجيب الدولة عبي بن الجرجاني في ٤١٨هـ / ١٠٢٨م، والغريب في هذا الأمر أن يتولى أبو

(١) علي حسني الخربوطلي: مصر الحرية الإسلامية، ص ١٥٥.

(٢) تاريمان عبد الكريم: مملكة غير المسلمين، ص ١٢٠.

(٣) ابن السيرفي: الإشراف، ص ٦٦؛ المقرئ: لفظ الفتاء ج ٧، ص ١٣٢؛ النويري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١٢٢.

(٤) حمدي المناوي: الوزارة والوزراء، ص ١٨٧؛ أحمد عبد الرزاق البذل والبرطلنة، ص ١٧.

(٥) ابن السيرفي: المصدر السابق، ص ٦٦؛ ابن تقي: أخبار الدول، ص ١٢٥؛ النويري: المصدر السابق، ص ١٢٢.



القاسم الجرجري في الوزارة يتكليف رسمي وهو مقطوع اليدين، والأغرب أن الحاكم بأمر الله - الخليفة السابق - قد أمر بقطعهما عندما كان الجرجري يتولى بعض الدواوين للحاكم فظهرت عليه الخيانة، لذلك أمر بقطع يديه، وقد لاه الظاهر الوزارة على الرغم من إثبات خيافته، إلا أن خبرته في شؤون الإدارة عفت عنه ذنب الخيانة، وقد ظل الجرجري في الوزارة حتى توفي ٤٣٦هـ - ١٠٤٥م، في عهد المستنصر.<sup>(١)</sup>

وفي عصر المستنصر بالله الفاطمي تولى الوزارة حسنة بن يوسف الفلاحى كان يهودياً وأسلم<sup>(٢)</sup>، وفي عهده ظهر رجل يهودي حال سلطة واسعة وهو أبو سعيد التستري الذي كانت أم الخليفة أمة في بيته قبل زواجها من الظاهر لإعزاز دين الله، فعمدت إليه بنظرة حسنة، فأرادت سلطته حتى انتزع جميع سلطات الوزير الفلاحى. فأصبح التستري رئيس ديوان الخليفة المستنصر الفاطمي، فاستكثر من بني جلسه ومكلمهم من السيطرة على الإدارة الفاطمية، كما قام بتجيين أخيه أبي نصر رئيساً لديوان الخليفة، وعين ابنه إمرة الديوان، وعظم شأنه حتى صار دوطر في جميع أمور الدولة، على الرغم من عدم تلقيه صراحة بلقب الوزير<sup>(٣)</sup>

(١) المسحبي : أخبار مصر، ص ١٤٥، ابن الصوري : المختصر السابق، ص ٦٨.

١٩٩ القريري : القطط ج ١، ص ١٣٥٥ عند القسم ماجد نظم الفاضلين

ورسومهم ج ١، ص ١٨١ حمدي عبد شتم حنين : معاضرات في تاريخ

مصر الإسلامية، دار المعرفة العلمية، الإسكندرية، ١٩٩٩م، ص ٥٢ جمال

الدين النجاش : مجموعة الوثائق القطمية، ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) ابن الصوري : المختصر السابق، ص ٧١.

(٣) بلمه، ص ٧١، ١٧٢ ابن ميمر : أخبار مصر، ص ٥٠٢، القوري : المختصر

سابق، ص ٦٤، ٦٥ القريري : المختصر السابق، ص ٢٥٥، تعظ الحناء،

ج ٢، ص ١٩٩ ابن تغري بردي : التجوم، ج ٥، ص ١٩، القيوطي : حسن

المعاصرة، ج ٢، ص ٢٠١، طي صلي الخريوطي : مصر العربية لاسلامية،

ص ١٦١ - ١٦٢، تاريخ عبد الكريم : معاملة غير المسلمين، ص ١٢٠،

١٢١.

أدى هذا الأمر إلى حقد الفلاحين على للتستري وبقي جسده، فدير له مؤامرة لقتله باغتياله وقد ساعده في ذلك مخطط الناس عليه بعد أن سيطر اليهود على وظائف الدولة وعاثوا فيها هسداً، ففضيت أم الحليفة لذلك - قتل للتستري - فعلت على إقالة الوزير الفلاحي وسجبه ثم قتله<sup>(١)</sup> ثم أخذت تتحكم في أمور الدولة وإدارتها قصد الأمر<sup>(٢)</sup> وكثر عدد الوزراء، حتى وصل الأمر إلى تعيين عدد كثير منهم أشهر معسودة أو أيلماً معلومات وربما إلى يوم واحد<sup>(٣)</sup>.

وقد عبر أحد الشعراء عن غضب الشعب من تسلط اليهود قائلاً :  
يهود هذا الزمان قد غلبوا غلبة آمالكم وقد ملكوا  
العز فيهم والعمال عندهم ومنهم للمستشار والملك  
يا أهل مصر قد نصبت لكم تهودوا فقد تهود الملك

أما الشعب المصري فكان لا حول له ولا قوة في ظل خليفة ضعيف وسيدة تتحكم في مقاليد الأمور، ودولة إسلامية يتحكم في إدارتها اليهود وأهل النمة دون رقابة.

تفاقمت الأحوال في الدولة العاطمية خلال تلك الفترة نتيجة لتدخل أم المستنصر وحاشيتها، مما أدى إلى حدوث كوارث أدت إلى دخول مصر في فتن وصراعات وسجاعات كانت تقضي على مصر، وسيطر رجال الأقرباء من الجند على المستنصر وأمه، مما جعل المستنصر يقوم باستعاء بدر الجمالي والي عكا - الأرمني - لإفقاد الخلافة، وعلى

(١) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٤٨، قنويري : نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١٤١،

المقريزي : قضاة القضاة، ج ٢، ص ١٩٥، ١٩٦، ٢٧٣

(٢) قال رسول الله (ﷺ) : لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة حتى رسول الله (ﷺ)

للقلمي [أبي عبد الله محمد بن علي] ت ٦٣٠ هـ تهذيب الرضا، ربيع الميسرة، ط ١٤٠٠ تحقيق إبراهيم يوسف مصطفى عجو، مكتبة السار، لارن، ١٩٨٥، ص ١٣٨.

(٣) ابن الصيرفي : الإشراف، ص ٥٤، المقريزي : إغلة الأمة، ص ٢١، ٢٢

الرغم من إسلام بدر الجمالي، فلن مجيئه إلى مصر قد أسعد النصارى على وجه الخصوص، حيث كان على علاقة طيبة بالأقباط فالتحق بخدمته الكثير من القبط وأسند إليهم العديد من الوظائف المهمة في مختلف الدواوين المالية والإدارية.<sup>(١)</sup>

ومكثا تغير كل شيء إلا تسلط أهل الذمة على إدارة البلاد وإصدار حق المصريين فيها.

وكان تولي بدر الوزارة هو افتتاح عصر برز فيه ورراء نظام سلبوا السيادة من الخلفاء، وقد سطوا في اختيار الخلفاء الضعفاء، وحاربوا الثراء بجانب السلطة دون أن يقف في طريقهم أحد، وقد ساعدتهم على ذلك ضعف الخلفاء الفاطميين، ومن هؤلاء الوزراء الذين سيطروا على أمور الإدارة حسب أهوائهم وميولهم فنكر : الأفضل بن بدر الجمالي في عهد المستعلي والأمير، والأكمل ابن الأفضل في عهد الأمر والحافظ، وبهرام النصارى الذي أحدث طعنة في الوزارة حيث كان أول من يتولاها من النصارى صراحة<sup>(٢)</sup>، وكذلك نجد ابن لسلار وابن مصال في عهد الظاهر وطلائع بن رزيق وابنه أبا شجاع العادل في عهد الفائز، وأخيراً شاور وأسند الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي في عهد المعز وأخر خلفاء الدولة الفاطمية.<sup>(٣)</sup>

ولم يكن هؤلاء الوزراء يملأون من الفساد، بل عملوا على استغلال مناصبهم في جمع أكبر قدر من الأموال، فكثرت ضرائبهم وظلمهم

(١) ابن المبروكي : المصدر السابق، ص ٩٨، ٩٩؛ لازيمان عبد الكريم : معاملة خير المسلمين، ص ١٢١.

(٢) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٧٨ - ٧٩ عبد الحليم ماجد : نظم القضاة بين وروصهم، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠.

(٣) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ١١١؛ ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٣٥، ٣٦، ٩٢؛ القفطحي : صيغ الأعيان، ج ٢، ص ٢٨٧ - ٢٨٢؛ المقرئ في القفط ج ٢، ص ١٣٠؛ الخلفاء، ج ١، ص ١٧٨؛ علي صلي العربي في مصر العربية الإسلامية، ص ١٦٦ - ١٦٧.

للرعية، ففي عهد الأمر بأحكام الله الفاطمي اعتمد على رجلين من رجال الدوليين وذلك بعد تخلصه من وزيره الملمون البطاحي<sup>(١)</sup>، كان أحدهم مسلم وهو أبو جعفر ابن عيد المنعم، والآخر سامري يقال له : «أبو يعقوب» وقد توليا استخراج ما يجب من زكاة وصرايب، وأقام معهما منصرف يعرف بأبي نجاح الراهب، الذي تحكم في القنص وصالب الصباري بالأموال<sup>(٢)</sup> وقد أعجب الأمر بأحكام الله بهذا حيث لقي موسى عنده، فلقبه بالأب للكنيس الروماني، لأنفسه أبي الآباء سيد الرؤساء مقدم أمير النصرانية وسيد البطركية.<sup>(٣)</sup>

كما وزر في عصر الحافظ لدين الله الوزير بهرام الأرميني الذي استقل منصبه وأخذ في توزيع الولايات والوظائف على أظه وبني جده ولاسيما أوصى التي ولاها لأخيه الذي لم يقل فسادا عنه، كذلك عمل بهرام على استباحة أموال الناس وبلغ في إيذائهم<sup>(٤)</sup>، وقد كثرت الرشوة والفساد في عهده حتى اشتهر ببيع الولايات والمريضة على الدوليين، ففي عهده استطاع أحد الصباري عرف بالأخزم التوصل إلى ديوان النظر في المظالم نظير بذل يومي لدره ألف دينار موسى المولى والفرمانات الأخرى.<sup>(٥)</sup> كذلك كان بهرام النصرفي يصعد الفقير ينظر في مسائل

(١) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٠٣، ١٠٧ ابن الصيرفي : الإلهام، ص ١٠٣ ابن خلّكان : وفاته الأعيان ج ٤، ص ٢٦٥ المقريزي : التلخيص، ج ٣، ص ١٢٧.

(٢) ابن خنّار : المصدر السابق، ص ١٨٨، ١٨٩ ابن الطوير : نزهة المشتاقين، ص ٢٠ - ٢٣ ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٩٠٧ - ١٠٩ الشويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢١٧ المقريزي : التلخيص، ج ٢، ص ١٢٥، ١٢٧ القفندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

(٣) التويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٨٧ المقريزي : التلخيص، ج ٣، ص ١١٧.

(٤) المقريزي : التلخيص، ج ٢، ص ١١٥ ابن ظفر - المصدر السابق، ص ٩٧ التويري : المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩٠.

(٥) المقريزي : التلخيص، ج ٣، ص ١١٧ ابن ظفر : أخبار الدول، ص ١١١.

المناصب الدينية هذا الأمر الذي أثار حفيظة المسلمين، وتناهى مع شروط الورقة<sup>(١)</sup>

كذلك فعل الوزير ملائح بن رزيق، الذي اشتهر بحبه الشديد للمال، فجمعه من شتى السبل حتى إنه كان يبيع الولايات لمن يريدها، كما جعل مدة الولاية ستة أشهر فقط حتى لا تقوى شوكة الولاية وينازعون في منصب الوزارة، وكان لكل ولاية سعيًا محددًا<sup>(٢)</sup> حسب أهميتها بأوبة. هذا الأمر الذي جعل الولاية يتنازعون من أجل الولاية، كذلك عملوا على جمع أكبر قدر من المال مهما كانت طرقه غير المشروعة وذلك لفحص مدة ولايتهم فاقبوا ما اتبعه رؤسائهم في جمع المال، فرائدت الرشوة وكثر الفساد وأرغى للشعب المصري.<sup>(٣)</sup>

إذاً فقط انتشرت الوساطة والمسبوبة بين الوزراء وموظفيهم، الذين تنوعوا حسب ميولهم وأهولتهم الشخصية، وتعدى الأمر ذلك بكثير حيث وجدنا أن الوزارة نفسها أصبحت ثروة لأبناء الوزراء، مثلما حدث مع أسرة بدر الجمالي وكذلك أسرة طرزيك. ويؤكد لنا د/ عبد المليم ماجد هذا القول عندما ذكر أن موظفي الإدارة لم يكونوا يفتخرون لما يعرف بالعلم الوظيفي، بل كان الأمر هنا مقصوراً على رضا الخليفة أو الوزير، وكذلك كان يتم اختيار الموظف نفسه حسب أهواء الوزراء وهذا سواء كان في عهد وزراء التنفيذ، أو عهد وزراء التعويض. كما كان في الغالب الابن يتولى شغل وظيفة أبيه.<sup>(٤)</sup>

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص ١٢٦، ابن طاهر : المصدر السابق، ص ٩١، المقريري : المعنى الكبير، تحقيق : محمد السملاني، ج ٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١، ص ٥١٤.

(٢) ابن طاهر : المصدر السابق، ص ١١٦، المقريري : الخطط، ج ١، ص ١١١، المقريري : أقطاب الحنفية، ج ٣، ص ٢٢٢ - ٢٢٤، ابن خلكان : وفیات الأعيان، ج ٢، ص ١١٠، التويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٢٥، ابن تغري بردي ، النجوم، ج ٥، ص ٣٣٦.

(٣) المقريري : أقطاب الحنفية، ج ٢، ص ٢٢٢، أحمد عبد الرزاق : القول في الأمر، ص ١٧، طبع في : القاهرة، ص ١٥٢.

(٤) عبد المليم ماجد : نظم القلميون ورسومهم، ج ١، ص ١٠١ - ١٠٢.

ومن اللافت للنظر أيضاً أن الكثير من وزراء الفاطميين سواء الذي منحوا لقب الوزارة أو لقب الواسطة كانوا من النصارى، مثل عيسى بن بطورس وزير العزيز، وكذلك زرعة بن بطورس الشافعي، ومصور بن عبدون الكافي في أيام الحنك بامر الله، وبهرام الأرمني الذي تولى وراره التقيص الخليفة الحافظ على الرغم من نقله على نصرانية، وعلى الرغم من تلقيه بلبب يوسف الإسلام<sup>(١)</sup>، أو كانوا من اليهود الذين حرصوا على أن يتحولوا للإسلام من أجل شغل وظائف الدولة المهمة، مثل ابن كلس وأبي سعد التستري، وصدة بن يوسف الفلاحي.<sup>(٢)</sup>

كذلك نلاحظ أن وزارة التقيص لم تبدأ بدير الجمالي، ولكننا نرى بعض الوزراء يقومون بهذا الدور قبل بدير الجمالي، مثل ابن عمر الذي استأثر بالحل والعقد في الدولة، وأبي القاسم الجرجاني في عهد الظاهر لإعزاز دين الله، وكذلك التستري في عهد المستنصر. وإن لم تكن بشكل مطلق ولكنها تحدث وزارة التقيص.<sup>(٣)</sup>

#### قاضي القضاة:

كانت مصر قبل العصر الفاطمي مركز قضاء إقليمي تابعاً للخلافة المشرقية الأموية أو العباسية، ولكنها حدث منذ قيام الخلافة الفاطمية بها مركزاً مستقلاً بذاته تتبعه أقاليم الدولة الفاطمية.<sup>(٤)</sup> وقد عمل الفاطميون على إقامة سلطة قضائية مستقلة لدولتهم الجديدة، ومن ثم فقد

(١) ابن الطوير: رحمة الملقين، ص ٤٤، ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١١٢، ابن

الصبغي: الإشارة، ص ٥٩، ٦٤، النويري: مهابة الأرب، ج ٢، ص ٣٠١.

(٢) أبيس لؤد سيد: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٣٢٦.

(٣) القاضي القاضى: القيس والمباريات، ص ٤٠، ابن الصبري: القيس، ص ٦٨، ٦٥، ٦٦.

هكذا كانت سياسة الفاطميين في اختيار الرجال الذين يحتقون بهم ما أرادوا من سياسة مالية بغض النظر عما ورد في كتب الدعوة بعدم المحيلة وعدم العسر بالمالين. أو ما يتخلف مع عقيدتهم، مما أدى إلى تفتت النظام الإداري، لا سيما أعظم وزراء العصر الفاطمي على الخصوص كانوا أهل ثمة.

(٤) محمد عبد الله علق: الحاكم بامر الله، ص ٣٣٨.

بدأ عهد جديد في تاريخ القضاء المصري، أصبحت فيه السلطة القضائية مثل غيرها من السلطات ملكاً للشريعة، الذين عملوا على إحلال التشريع الشعبي محل السني الذي كان أساس الحكم منذ الفتح الإسلامي. (١)

وقد كثرت وظيفة القاضي من الوظائف الدينية، وهي كالوظائف الإدارية، وقد ضمت وظائف أرباب الأقلام، وتشتمل على نظم القضاء والدعوى، وهما الدعامتان للميزتان للدولة الفاطمية في مصر. (٢) وكان قاضي القضاة هو أعظم زعيم ديني في الدولة، وإليه مرجع الأحكام الشرعية في العبادات والمعاملات والأحوال، أي في الشؤون الدينية والمدنية والجنائية، كذلك فنظر في شؤون السكة (نور الصرب)، وكان اختصاصه يشمل مصر والشام والحرمين، وكان مركزه في القاهرة المميزة. (٣)

وكانت السلطة القضائية واحدة من السلطات الثلاثة التي تشمل عليها النظام الفاطمي في مصر، ونظرًا لأن قيام الدولة الفاطمية كان يرتكز على نشر مذهبها الشيعي والدعاية له، فقد عمد الفاطميون على التحول في القضاء المصري من المذهب السني إلى المذهب الشيعي الإسماعيلي الذي ساد في مصر قبل مجيئهم، وقد تم هذا الأمر بطريقة تدريجية، حيث كل أباطير محمد بن عبد الله بن صالح بن أسامة الداهلي هو قاضي المصريين السنيين قبل دخول الفاطميين مصر، وعندما دخل جوهر الصقلي مصر أقره في منصبه منقلاً لخطب المصريين المنية. (٤)

(١) السيوطي : حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٠١؛ محمد عبد الله عيسى : المرجع السابق، ص ١٣٨؛ عبد السلام ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٣٤، ١٣٥؛ علي حلي الفريوطي : مصر العربية الإسلامية، ص ٢١٥.

(٢) عبد السلام ماجد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) للكفندي : مسيح الأعشى، ج ٢، ص ٤٨٢؛ المقريزي : الفسطاط، ج ١، ص ٤٠٣؛ محمد عبد الله عيسى : الحاكم بأمر الله، ص ٣٣٧.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٤٧؛ الكندي : الولاة وكتب القضاء، ص ٥٨٧، ٥٨٨؛ السيوطي : حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٧؛ علي إبراهيم صبر : تاريخ جوهر الصقلي، ص ٧٠ - ٧١.

وبوصول قنصل مصر لدين الله الفاطمي مصر، بدأت تلك الحضرة،  
عند أكرم أبا الطاهر الذهلي بإصدار أحكامه وفقاً للمذهب الشيعي وليس  
المثني، وحرصاً منه على تنفيذ ذلك فقد أشرك معه أبا سعيد بن ثوبان  
العربي ٣٦٢هـ / ٩٧٢م وأسند إليه النظر في المظالم<sup>(١)</sup> بجانب القضاة،  
وما لبث أن تطور الأمر وقويت شوكة أبي سعيد حتى أصبح يسيطر في  
اللقصبة المشتركة بين المصريين والمغاربة (السنيين والشيعة)، ثم أصبح  
ينظر في قضايا السنيين أيضاً حتى أطلق عليه قاضي مصر  
و (إسكندرية).<sup>(٢)</sup>

(١) النظر في المظالم : هي سلطة قضائية أعلى من سلطة القضاة والمختصين، تشبه  
إلى حد ما محكمة الاستئناف في وقتنا الحالي، والغرض منها الاستماع إلى  
خلافات الناس من القضايا لرفع الظلم عنهم، ويشترط حين توليها أن يكون  
مظالم القضاة، قليل الطمع، قليل الفروع، قليل القدر، ذا سطوة، وكانت جلسات  
النظر في القضايا يتم بحضور الخليفة نفسه أو من يوبى عنه من الوزراء  
والقضاة، وعرف المصريون النظر في المظالم وفي عهد الفاطميين، وكان جعفر  
الصلالي يقوم بهذا الدور بنفسه، وكذلك الخلفاء في بعض الأحيان، وأحياناً كان  
يخوّل بأعمال القاضي نفسه ثم أصبح من اختصاص فورير في العصر الفاطمي  
الثاني. وكان عبد الله بن أبي ثوبان القاضي المغربي أول من نظر في المظالم  
من الفاطميين في مصر، كما تولاهما يعقوب بن كلس وصلاح بن الحسن.

راجع : ابن ميسر : المصدر السابق ، ص ٤٤٤؛ الماوردي : الأحكام السلطانية،  
ص ٨٩؛ الكندي : المصدر السابق، ص ٥٨٧؛ المقرري : قضاة المظالم، ج ١،  
ص ٨٥؛ القلقشندي : صيغ الأسماء، ج ٢، ص ٢٧٧؛ عبد الرحمن بن عبد  
الرحيم العمري : القضاء ونظامه في الكتاب والسنة، المملكة العربية  
السعودية، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، مكة  
المكرمة، ص ٥٨؛ عبد الغني منجد : المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٢) ابن ميسر . أخبار مصر، ص ٤٤٤؛ الكندي : قولا وكتاب القضاء، ص ٥٨٥،  
٥٨٧؛ ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٢٨، ٢٩؛ السيويني . حص المحاضرة،  
ج ٢، ص ١٤٧؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١، ص ٨٥؛ المقرري : انعطاف  
الظلم، ج ١، ص ٢٢٢؛ ابن حجر العسقلاني : رفع الإصرار عن قضاء مصر،  
ج ١، ص ٥٧.



وفي علم ٢٦٣هـ / ٩٧٣م قلم المعز لدين الله بتعيين القاضي حر  
للشعبة وهو علي بن النعمان ابن حيون المغربي القيرواني الإسماعيلي،  
فقسام أبا الطاهر في القضاء، فكان ابن النعمان يجلس للقضاء في جامع  
عمرو بن العاص (الخاص بالعنيتين) وأبو الطاهر يجلس في الجامع  
الأزهر<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من أن المعز لدين الله قد أُلزم أبا الطاهر بالحكم  
حسب التوزيع القاطمي فإن وجود مجلسين للحكم قد أدى إلى الكثير من  
مظاهر الفساد والاختلاف بين الخصوم، فأصبح كل منهما يحمل على إغناء  
خصومه أما في القاضي الذي يختاره حيث كان القاضيان في أغلب  
الأحيان يتفقان بأحكام مختلفة، وعندما يحكم الأمر كان لزاماً على  
ال خليفة المعز لدين الله أن يتدخل للحسم بين القاضيين، أما العزيز بالله فقد  
عمل على التخلص نهائياً من الطاهر، وفوض الحكم لعلي بن النعمان  
الذي انتسب له في القضاء وأخذ يحكم على هواه واستخلف أخاه في  
الحكم، كما عين الحسن بن خلوف الشافعي، بعد أن شرط عليه أن يحكم  
بالمذهب الإسماعيلي وليس الشافعي.<sup>(٢)</sup>

وقد عمل القاضي محمد بن النعمان، كما فعل أخوه علي،  
واستخلف ابنه عبد العزيز في القضاء، وانقطع عبد العزيز عن البرول  
إلى الجامع للنظر في القضايا، ونظر فيها في دهره، ثم اتخذ لنفسه هالة  
وجلالة حتى كل الناس لا يغاطبونه إلا بسبوتنا.<sup>(٣)</sup> ثم تولى القضاء بعده  
الحسين بن النعمان الذي أضيف إليه النظر في المظالم، وكذلك أمر  
الدعوة وهو أول من كتب في سجله قاضي القضاء<sup>(٤)</sup>، وقد اتسم الحسين

(١) الكندي : المصدر السابق، ص ٥٨٥؛ القريري : المصدر السابق، ص ٢٢٥؛

إبراهيم ربيع الله أيوب : التاريخ القاطمي، ص ٢١٢ - ٢١٤

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٤٤؛ الكندي : المصدر السابق، ص ٥٨٧،

٥٨٨، ٥٨٩؛ السيوطي، المصدر السابق السابق، ص ١٢٦؛ عبد السلام مجد،

نظم القاطمين ورسومهم، ج ١، ص ١٥٠.

(٣) الكندي : المصدر السابق، ص ٥٩٤.

(٤) ابن حور : رفع الإصر، ج ١، ص ٢٠٨؛ الكندي : الولا، ص ٥٩٧.

بين النعمان بشكته وظلمه، فيذكر الكندي أن الحسن المغربي قد تقدم إليه مرة في خصومه، قرأ لسانه بشيء خاطب به القاضي فأغضبه، ورمى إليه واثي الشرطة فصريره ألف درة وثمانمائة درة بحصيرة صاحب القاضي وطبع به صلات في يومه، فغضب الناس منه واكثروا الداء عليه وبشم القاضي على ما فعل وفاته انتم.<sup>(١)</sup>

كما تسم جدا القاضي بصاد نعمته وقوله ترموزة وتعرضه بمش الرعية، حيث امتدت يده لمال اليتامي، فقد تقدم أحد اليتامي برقعة إلى الحاكم بأمر الله يذكر فيها أن لجاه قد توفي وترك له عشرين ألف دينار، وأن مودعة في ديوان القاضي، وقد أخذ منها رزق أوقاف معروفة، غير أن القاضي حسين بن النعمان قد عرفه أن ماله قد جرد، فدعا به وأوقفه الحاكم على الرقعة، فقال كما قال لليتيم من أنه (أي اليتيم) قد استوفى ماله من آخره، فأمر الحاكم بأمر الله بمرابطة ماله في ديوان القاضي، فكتبين أن الرجل اليتيم قد وصله ماله كل مما له، فطلب القاضي العدو والتوبة بعد أن اعترف بذنبه، غير أن الحاكم بأمر الله قتله وأحرق جثته بغير فعلته.<sup>(٢)</sup> ولاسيما بعد أن راد تحاكم بأمر الله في ررقه وإقطاعه واشترط عليه ألا يأخذ مال الرعية بالباطل.<sup>(٣)</sup>

ويبدو أن منصب القضاء شايه السداد والمحسنة والوساطة مثله كمثله المناصب الأخرى حيث أصبح إرثاً يتوارثه الأبناء عن الآباء ويوصي به كل قاص لمن بعده، دون النظر لشروط الواجب توافرها في قاضي القضاء، مما أدى إلى فساد القضاء أنفسهم فبعد قتل الحسين بن النعمان تولى القضاء ابن عمه عبد العزيز محمد بن النعمان، الذي اتسم

(١) الكندي : الولاء وكتاب القضاء، ص ٥٩٧.

(٢) الكندي : المصدر السابق، ص ٦٠٠؛ ابن حجر : رفع الإصر، ج ١، ص ٢٠٩ محمد بن عبد الله بن علي : محكم بأمر الله، ص ١٠٩.

(٣) الكندي : المصدر السابق، ص ٥٩٧؛ ابن حجر : المصدر السابق، ص ٣٩؛ ابن صابر : أخبار النول، ص ٦٠؛ أحمد عبد القادر : البطل وشيخته، ص ١٧.

بشدته وتصلبه<sup>(١)</sup>، ثم أبو محمد القاسم بن عبد العزيز الذي وصفه الكندي بأنه لم يكن مصود السيرة<sup>(٢)</sup>.

ثم جاءت أسرة الفارقي، لتأخذ نصيبها من القضاء والفساد كآسرة آل السعمان، فقد كان القاضي عبد الحاكم بن سعيد الفارقي، أخو مالك بن سعيد الذي ولى القضاء عوضاً عن قاسم بن عبد العزيز في ١١٩هـ — / م، وأصيف إليه الأحباش<sup>(٣)</sup>، وقد اشتمت يد الحاكم بن سعيد لمسي الأحكام وكذلك في تحصيل الأموال وكثرت الرشوة في عهده، فصار دخله في السنة زيادة عن عشرين ألف دينار<sup>(٤)</sup> وقد عمل هذا القاضي على ظلم الناس وتبذير أموالهم، ففي قضائه توفي رجل يقال له الزيلعي وترك مالا جزيلا ولم يخلف سوى بنت واحدة ورثت مال أبيها كنه طبقاً للمذهب الإسماعيلي، فطمع فيها الناس للزواج منها وكان الحاكم بن سعيد القاضي من الطامعين، وعندما رغبت الزواج منه، أتى بأربع شهود زور شهدوا بأنها سفيرة، واحتوى على مالها، فبريت منه وشكت إلى الوزير أبي القاسم الجرجاني الذي تبين من صدقها وأمر بإحضار القاضي مهان كما أمر بهمس الشهود وإرجاع المال لمصاحبه<sup>(٥)</sup>.

(١) الكندي : المصدر السابق، ص ١٠١ ابن حجر - رفع الإصر، ج ١، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

(٢) الكندي : المصدر السابق، ص ١١٢.

(٣) ابن حجر : المصدر السابق، ص ١٢٠ ابن ظافر : المعصر السابق، ص ١٦٦ المقرئ : تلطظ الحقا، ج ١، ص ٢٢٥.

(٤) يعتبر بدل المال على طلب القضاء من المحظورات لأنها رشوة محرمة بصير الدين لها والقيل لها محرومين، قال رسول الله (ﷺ) : "لعن الراشي والمراشي والرائش - المتوسل بينهما -"، كذلك قال : "لعن هذا الأمرأ من غلول"، صدق رسول الله (ﷺ). كذلك لو لم تكن القضاة يقولون حجة من خصم ولا من أحد من أهل عمله وإن لم يكن له خصم لأنه قد يستدعيه يوما بلوغه، راجع : البلوردي، الأحكام السلطانية، ص ٨٤.

(٥) الكندي : الولاءة وكتاب القضاء، ص ١١٢، ١١٤ المقرئ : تلطظ الحقا، ج ٢، ص ٢٢٨، إبراهيم رزق الله : التاريخ القاطمي، ص ٢٠٤.

ظل القضاء شيعيًا إسماعيليًا حتى عام ٤٠٥هـ / ١٠١٤م، عندما أقدم الخليفة الحاكم بأمر الله على نقل القضاء إلى أبي العباس محمد بن أبي العولم السعدي، الفقيه الحنبلي، على الرغم من نشوء الحاكم المذهبي وعلى الرغم من أنه ليس على مذهب الفاطميين، وقد رأى الحاكم أنه سم يصلح للقضاء غيره لأنه عارف به ويأهل البلاد، غير أن الحاكم بأمر الله قد شترط عليه أن يحكم بالمذهب الشيعي، كما جعل معه أربعة من القضاة الشيعيين الذين اختارهم للخليفة، وقد صدرت تلك الشروط في سجل عيني، واستمر ابن العولم في القضاء لتنتهي عشرة سنة وسبعة أشهر، أصيب إليه النمل في المعابر، ودار الصرب، والصلالة، والمواريث، والمساجد. (١) ثم أخذت أمرة تتوارث القضاء كغيرها من الأمور الشيعية السابقة.

يتضح مما سبق أن بعض الأمور المسماة للمذهبية قد أغرقت حجب الرئاسة إلى التحول للمذهب الشيعي، لتولي بعض المناصب الإدارية الكبرى كالتضاء الذي كان صاحبه يقوم بتكليف كتب في الفقه الشيعي، كذلك يتضح أيضًا إمكانية وجود غير فاضل في العصر الفاطمي الأول ولكن مع مراعاة وجودهم في مجلس واحد، ليكونوا دوليًا له.

وقد استمرت سلسلة فساد القضاء ولاسيما عندما دخلت البلاد فيما عرف بالشدة الفاطمية زمن الخليفة المستنصر بالله الفاطمي، فكان القضاء يتغيرون كل يوم مما ترتب عليه فساد الذمم وصراع هبة العدالة، حتى إنه في خلال سبعة عشر يومًا ومنذ وفاة الوزير الفيلسوف - الذي جمع بين القضاء والوزارة - أبعث أربعة وخمسين وزيرًا واثنى وأربعين خاضيًا (٢)

(١) الكندي : المصدر السابق، ص ٦١٠ ابن حبر : رفع الأمر، ج ١، ص ١٠٠ - ١٠٣ ابن ظاهر : أخبار الدول، ص ٦١ المصطفى : ص ١٠٣ المحاضرة، ج ٢، ص ١٤٤ إبراهيم رزق الله أيوب : المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٢) ابن ميسر : تاريخ مصر، ص ٣١ - ٣٢ عهد المستنصر بالله - نظم المصنفين ورواههم، ج ١، ص ١٥٤ حسن إبراهيم حسن : الفاطميين في مصر، أعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، المطبعة الأميرية، ١٩٣٧، ص ١٢٩١ أين فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص ٣٦٤.

إلى أن وصل بدر الجمالي ٤٦٦هـ / ١٠٧٣م، فطرأ تغيير كبير على منصب قاضي القضاة.

كما كان قاضي القضاة يعين بسجل صلب من الخليفة نفسه يثبت فيه بقاصي القضاة، وما أضيف إلى ذلك من أعمال أخرى، غير أن لقب قاصي القضاة في العصر الفاطمي الثاني - عصر الوزراء - وما تبعه أصبح ضمن ألقاب الوزير الذي سيطر على مصر في ذلك الوقت، وأصبح القاصي باللقب عنه، واقتصر لقبه على "القاصي" فقط، كما أصبح القاضي يعين بسجل يصدر من الوزير على الرغم من أن كتاب التولية كان يخرج من ديوان الإنشاء باسم الخليفة.<sup>(١)</sup> كما سيطر الوزير على منصب داعي الدعاة فأصبح يجمع بين المناصب الدينية والقضائية في مصر. <sup>(٢)</sup> وهذا لا يمنع أن كثيراً من وزراء العصر الفاطمي الأول قد تولوا منصب قاضي القضاة وداعي الدعاة بالإضافة إلى المنصب الإداري الأخرى قبل بدر الجمالي .. <sup>(٣)</sup> وكان بدر الجمالي يلقب أمير الجيوش بقاضي قضاة المسلمين، هادي دعاة المؤمنين.<sup>(٤)</sup>

(١) المقرري، الخطط، ج ١، ص ٤٠٢؛ التفتنذي؛ صبح الأضي، ج ٣، ص ٤٨٠.

١٤٨٧ محمد عبد الله علي : الحاكم بأمر الله، ص ١٣٢٧؛ عبد المسلم مجت : المرجع السابق، ص ١٤٢.

(٢) جمال الدين النبال : مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٢٩، ٣٠؛ أحمد مختار المعادي : في التاريخ السياسي والفاطمي، ص ١٣٠٤؛ عبد المسلم مسعود : المجتمع المصري، ص ٣٨.

(٣) من أمثله : الوزير الفزوري في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، وفوزير عبد الكريم بن عبد الحاكم بن محمد الفارسي ٤١٩هـ - ٤٢٧هـ، الورود أبو عيسى أحمد بن عبد الحاكم بن سعيد الفارسي، ابن أبي كتيبة.

راجع : ابن الصيرفي : الإشراف، ص ٧٣، ٨٦، ٨٩؛ ابن حجر : ربيع الإصر، ج ١، ص ٧٨ - ٧٩، ٨٤؛ ابن ميسر : المستنصر السابق، ص ٣٠ - ٣١؛ لابكدي : دولة وكتاب القضاة، ص ٦١.

(٤) ابن الصيرفي : الإشراف، ص ٩٦؛ ابن حجر : ربيع الإصر، ج ١، ص ١٢٢؛ الفزوري : نهضة الأرب، ج ٢٦، ص ٧٠؛ المقرري : الخطط، ج ١، ص ٤٠٢.

لم يحل العصر الفاطمي الثاني من مظاهر الصراع التي انتشرت وسط القضاء، فقد أمر بدر الجمالي بقتل مجلي بن أسد المعروف بـ «إبي كديبة»<sup>(١)</sup> الذي تردد في القضاء أربع عشرة مرة، وفي الوزارة حمص مراراً<sup>(٢)</sup>، وكان ابن أبي كديبة قاضي القضاة جباراً سيئ الخلق، قد دس عليه السباع وضربه بسيف كليل إحدى عشرة ضربة حتى بانف رأسه ضربات بعدد ولايته القضاء والوزارة.<sup>(٣)</sup>

وقد ظل القاضي في العصر الفاطمي الأول يحكم بالمدىب الشعبي الإسماعيلي - وذلك حرصاً من الخلفاء الفاطميين في السيطرة على القضاء المصري لأن الخليفة كان مصدر التشريع الأوحد عند الشيعة - . ولكن في العصر الفاطمي الثاني لم تستطع الدولة الحفاظ على هذا الأمر، فقد تغير مدىب القضاء بتغير وتعدد الوزراء ومدىبهم وميولهم، حيث كان الوزير هو صاحب الأمر والنهي في تلك المرحلة دون سيطرة من الخليفة الذي أصبح لا يملك من المنصب سوى الاسم فقط، فعندما تولى الوزارة أبو علي الأتصل كتبته، سجن الخليفة الحالط لدين الله، ودعا للإمام المنتظر ٥٢٦هـ / ١١٣٢م، وربت في الحكم أربعة لحاظ، بأربعة مذاهب مختلفة، فكان قاضي للشافعية، وقاضي للمالكية، وقاضي للإسماعيلية، وآخر للإمامية، ويحكم كل قاضي بمدىبه ويرتد بمقتضاه، وقد علق ابن ميمس على ذلك بأنه لم يسمع بهذا قط فيما سلف.<sup>(٤)</sup>

(١) توجد في ابن ظفر بن أبي كريمة، ابن ظفر : أخبار شتول، ص ٨٠.

(٢) ابن ميمس : أخبار مصر، ص ٢٧ - ٢٨؛ ابن حجر : رفع الإصرار، ج ١، ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) يذكر ابن ميمس أنه ولي الوزارة سبع مرات وضرب سبع ضربات، ويذكر ابن ظفر أنه ضرب عشر ضربات بعد ولايته القضاء والوزارة. ابن ميمس : تاريخ مصر، ص ٤٠ - ٤١؛ ابن ظفر : أخبار شتول، ص ٨٠؛ وفظفر : مصر : المعري : قضاة الحلفاء، ج ٢، ص ٣١٢؛ ابن حجر : المعتمد السبق، ص ٢٠١.

(٤) ابن ميمس : المعتمد السابق، ص ١١١؛ النويري : نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٨٧ - ٨٨؛ المقرري : قضاة الحلفاء، ج ٣، ص ١٤٢؛ المقرري : الخطط، ج ٢، ص ٢٢٧.

وكانت مصر من الفساد وسوء الأحوال عندما كان يحكم في قضائها فاختبئان بمذهب واحد، هما يال الحكم بين أهلها عن طريق أربعة من القضاة بمذاهب مختلفة. وألجأوا من هذا وذلك أن يولي الوزارة في عهد الحافظ لدين الله وزير نصراني على الرغم من عدم إجازة ذلك الأمر من قبل فقهاء الإسلام<sup>(١)</sup>، إلا أن بهرام الأرمني قد تولى وزارة التتويص وحلعت عليه جلع الوزارة، ونعت بصيف الإسلام ونجاح الخلافة، وقد أنكر الناس ولايته لكونه نصرانياً، ولكن شرط الوزارة أن يرقى الوزير المعبر مع الإمام، وعلى الرغم من أن القاضي حل محله في هذا الأمر فإن بهرام لم يترك سعة الشهرة في الناس وفضل التنصاري الذين تطاولوا على المسلمين فأثار ذلك من سخطهم وخصمهم.<sup>(٢)</sup>

وفي عام ٥٤٤هـ / ١١٤٩م، تولى القاضي مجلي بن جُمع الشافعي قاضياً للقضاة بالديار المصرية<sup>(٣)</sup>، كما تولى عبد الملك بن دريس الشافعي ٥٦٦هـ / ١١١٧م، في وزارة صلاح الدين الأيوبي، وكان هذا الأمر بداية لزوال المذهب الإسماعيلي من مصر، مع زوال الدولة الفاطمية<sup>(٤)</sup> وعودة المذهب السني مرة أخرى.

## ٥

- ص ١٣٤٢، ابن حجر : رفع الإصر، ج ١، ص ٢٤٧، السيوطي : حسن المعاضرة، ج ٢، ص ١٦٥، ح عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨، ص ٢٢٢.
- (١) الماوردي : الأحكام السلطانية، ص ٢٧، الكندي : السيادة وكتاب الفقه، ص ١٧٣.
- (٢) ابن ميسر : المختار السابق، ص ٢٨ - ٢٩، عبد الحميد ماجد : نظم تعصبيه ورموزهم، ج ١، ص ٩٩.
- (٣) الذهبي : أئمة الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، ص ٢٤٨، ص ١٢٤٧، الأمير في خير من عبر، ج ٢، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار عبد، الكويت، سلسلة التراث العربي، ١٩٦٠ - ١٩٦٥، ص ١٢، ابن حجر : رفع الإصر، ج ١، ص ٢٦٧ - ٢٧٠، السيوطي : حسن المعاضرة، ج ٢، ص ٥.
- (٤) ابن واصل : مفرج لكروب، ج ١، ص ١٩٨.

وعلى الرغم من أهمية قاضي القضاة في الدولة الفاطمية والذي يعد ميراثاً لصلاحياتها أو قضائها وعلى الرغم من ضرورة تعزيز انصافه بالرفعة، هذا الأمر الذي كان يرقبه الخليفة بنفسه في العصر الفاطمي الأول<sup>(١)</sup>، فإن كان هناك الحيد من مظاهر القضاة والظلم والفساد والوساطة والمحسوبية التي التابت بعض القضاة في هذا العصر، وأصبح منصب القضاة كغيره من المناصب التي أصبحت إرثاً وحكراً على بعض الأسر<sup>(٢)</sup> دون غيرها. وقد أدى فساد قاضي القضاة إلى قسار جميع الأحوال في مصر، ولأنهما أن القاضي كانت تقسم إليه بجانب وظيفته للعديد من الوظائف الأخرى. كصاحب المظالم والمحتسب، وصاحب الشرط، وداعي الدعاة وأحياناً قضاء العسكر، وقد تحول الأمر من القاضي إلى الوزير الذي جمع بين العديد من تلك الأعمال سوء في العصر الفاطمي الأول أو العصر الفاطمي الثاني الذي سيطر فيه للوزير على كل شيء حتى سلطات الخليفة نفسه فزاد فساد الدولة مع فساد وزرائها.

ونمل أبرز مظاهر الفساد الذي ميز الدولة الفاطمية هو بطلانها العديد من الأعمال الإدارية إلى غرة واحد وأولى من تقى به، هذا الأمر الذي جعله لا يستطيع تلبية ما عليه من واجبات تجاه تلك الوظائف، كذلك أضافت له الفرصة في إظهار سيطرته وتفوقه وفساده طيلة العصر الفاطمي أوله وآخره.

وعلى ما يبدو أن تلك السياسة كانت سياسة الفاطميين منذ وجودهم في مصر، ويظهر هذا جلياً في نظام الضمان ونظام جمع الضرائب الذي اتبعته الدولة مع المصريين.<sup>(٣)</sup>

(١) صيد الصيغ ملود : نظم الفاطميين، ج ١، ص ١٤٢، ١٥٢.

(٢) ملحق رقم (٧).

(٣) راجع : الفصل الاقتصادي ... الضرائب غير الشرعية.



## صاحب الشرطة<sup>(١)</sup> والمحتسب

كانت وظيفة "صاحب الشرطة" و"المحتسب" في الدولة الناطمية في مصر، تتركز ضمن وظائف قاضي القضاة مثلما ضم إليه مر قبل وظيفة "أعي النعاة" و"صاحب المظالم"، بالرغم من أن وظيفة صاحب الشرطة والحبسة من الوظائف غير القضائية في الدولة الناطمية. وعلى الرغم من الاختلاف الواضح بين عمل كل من صاحب الشرطة والمحتسب، فإنه في الغالب الأعم كان يتم الجمع بين الوظيفتين لشخص واحد.<sup>(٢)</sup> ويؤكد القاشندي أنه رأى في بعض مجلات الفاطميين بصفة الحبسة بمصر وقاهرة إلى صاحب الشرطة.<sup>(٣)</sup>

كذلك كانت اشرطتين العليا - في القاهرة - والبسطى - اسي  
الفسطاط - بجمعاين لشخص واحد في العصر الفاطمي الأول، مصاف  
إليه الحبسة، وقد ظهر عد منذ بناية الدولة الفاطمية، حيث عهد المعز  
لجعوب بن كلس أمر للحبسة والشرطتين<sup>(٤)</sup> في سنة ٣٦٣هـ / ٩٧٤م.  
فيذكر المسبجي أنه في عام ٤١٥هـ / ١٠٢٤م ولي بشر للدولة بفسطاط

---

(١) ظهر لقب صاحب الشرطة في العصر الناطمي الأول فيما اختفى لفظ "المحتسب" الوالي، فكان صاحب الشرطة يفرم بأعش الوالي، ولكن في العصر الفاطمي الثاني اختفى لقب صاحب الشرطة وحل محله الوالي، فظهر ولاية الأقاليم الذين تناصبوا فيما بينهم ثم تحول إلى منصب الوزير، لذلك فقد كان معظم ورر في العصر الفاطمي الثاني من ولاية الأقاليم. وكان الوالي في هذه الفترة يقوم بعمل صاحب الشرطة ويضرب إليه الحبسة بالإضافة إلى مهامه الإدارية. راجع: ابن ميسر: أخبار مصر، ص ١٢٢، ١٢٤، ١٤٩؛ أيمن هؤاد: سيد الدولة الفاطمية، ص ٣٣٧ - ٣٣٩.

(٢) القاشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٨٧؛ عبد شميم ماجد: نظم الفاطميين ورموزهم، ج ١، ص ١٦١.

(٣) القاشندي: المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(٤) ابن ميسر: صبح الأعشى، ص ١٦٣؛ ابن الصيرفي: الإنبارة، ص ١٤٩؛ المعري: الخطوط، ج ١، ص ٩٧؛ ج ٢، ص ٥٥؛ المعري: المعجم، ج ٢، ص ١٤٤، ١٤٥.

الحكام الأمود للشرطتين العليا والسفلى، وعندئذ تولى بنى الحادام لأموال الشرطتين في نفس العام نظر في أمر الحصة أيضاً. <sup>(١)</sup> كذلك كان الحادام عين ومن لحاكم يأمر الله الشرطتين مضافاً إليهما الحصة <sup>(٢)</sup> كذلك كان صاحب الشرطة من كثير الموظفين الذين يتولون أحياناً منصب الوزارة. <sup>(٣)</sup>

والحسبية هي وظيفة أصلها ديني تأتي في المرتبة الثانية بعد القضاء أي أنها تتوسط بين القضاء والمظالم. وهي أشبه بالحسبة الاجتماعية لأنها تتفق ومظاهر الحياة الداخلية للمدينة <sup>(٤)</sup>، وهي في معده أمر بالمعروف إذا ظهر تركه ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله وإصلاح بين الناس. <sup>(٥)</sup> لذلك كان من شروط اختيار المحتسب للعم بالشريعة بالإضافة إلى الثقة والأمانة والعدل والصرامة والحسونة في الدين <sup>(٦)</sup> كان يخرج للمحتسب عند تعيينه سجل من ديوان الإنشاء مثل القاضي، ويقرأ في جوامع القاهرة والقيسناط على أساس أن سلطته مستمدة من سلطة الخليفة. <sup>(٧)</sup>

(١) المسيحي : كميل مصر، ج ٤٠، ص ٤١ - ٤٧

(٢) ابن تيمية : مجموع، ج ٤، ص ٢٢٣.

(٣) إبراهيم رزق الله أيوب : التاريخ المظلمي، ص ٢٢٤

(٤) ابن خلدون ، المقدمة، ج ١، ص ٤٠٥ عن المنجم ماجد : نظم العظاميين ورسومهم، ج ١، ص ١٦٦ إبراهيم طهناي الكردي : بيت الشواب شرف السنين، المراجع في الحضارة العربية الإسلامية، دار الملائك، الكويت، ١٩٤٤ هـ - ١٩٨١ م، ص ٩٧.

(٥) ابن الأثير ، معالم شريعة في تعاليم شريعة، مطبعة دار كنوز، كوبرج، ١٩٣٧، ص ١٧ الملوري ، الأحكام السلطانية، ص ٢٢٧ بين تيمية : الحسبة في الإسلام، مطبعة القويد، ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠ م، ١٢ المثيري ، نهاية الورثة هي طلب الحسبة، نشر سيد شهاب الماريني، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦ م، ص ٩

(٦) ابن الطوير : قرعة المفتين، ص ١١٦ الملوري : المصنوع السابق، ص ٢١١ - ٢٢١.

(٧) ابن الطوير : المصنوع السابق، ص ١١٧ عبد الحميد ماجد، المراجع السابق،

وكان المحتسب يملك سلطة تنفيذية كقاضي القضاة وكانت العقوبات التي يصدرها تسمى "بالتعزير"<sup>(١)</sup>، تختلف على حسب جس النب، وتشمل اردع والجلد والتشهير والتوبيخ والفني والضرب، وقد كانت أعمال المحتسب تتضمن مراقبة الأسواق وأرباب الحرف والمعاش والطبحين، كما تقوم بمراقبة الأخلاق العامة ويمنع تبصر من أسباب لدماء، أو اختلاله وجل بملوثة ليس لها محرم<sup>(٢)</sup>، كذلك كان يشرف على مطافة الأسواق والمطرفات والماء الذي يحمله السقاؤون، بالإضادة إلى مراقبة المكابيل والموازين وضبط عيارها منعاً للغش، كما كان يشرف على دار العيار، أي أنه كان يختص بكل ما يتعلق بالحياة المدنية<sup>(٣)</sup> أي أن عمله في الأساس هو عمل أخلاقي يشمل في ذاته النهي عن المنكرات<sup>(٤)</sup>، لذلك فقد كان من حق المحتسب معاقبة المخطئ سواء كانت هذه العقوبة "مادية" تشمل الغرامة أو المصادرة، أو الضرب، أو الحبس أحياناً، أو تكون العقوبة معنوية وهي تعني التشهير.<sup>(٥)</sup> كما كان للمحتسب أعوان معاونوه في عمله على رأسهم "العريف"، الذي اشتهر بالتقوى والصلاح، والثقة والأمانة يقف على كل صغيرة وكبيرة يختص بأمور الحسبة.<sup>(٦)</sup>

#### ١٦٣-

- (١) ابن تيمية : المصدر السابق، ص٣٨، قشيري : المصدر السابق، ص١٠٨.
- (٢) القلشندي : صبح الأضي، ج ١، ص٣٥٥.
- (٣) المغربي : المصطلح، ج ١، ص٤٦٣، ٤٦٤.
- (٤) القشيري : المصدر السابق، ص٦.
- (٥) التشهير : يكرر بوضع المخطئ على جبل ويمنى له جرس يوده ويضرب من المدينة وهو يدق الجرس ويلاقي قتلاً : قد كُتبت بها أنا أعاليه، وكل من يجر الكذب لجر لولا العقاب. وكان هذا لمن يكتب من القتل على مشعر. راجع بصرخسرو : مغرلة، ص٦١.
- (٦) ابن الأحرار : معجم القرية في أحكام الصيد، ص٣٣٨، قشيري : نهية الربية، ص١٣، القشيري : إغاثة الأمة، ص٥٣.

وعلى الرغم من المكانة الرفيعة التي كانت للعرفاء والتي أشارت إليها كتب الحسبة، فإن مظاهر الفساد في العصر الفاطمي قد امتدت بعضهم، فأصبحت من أصحاب الأهم للخزينة، مما كان له عظيم الأثر في صرهم عن العرفاء. <sup>(١)</sup> ويذكر المقرئ: «أن أحد العرفاء قد حقق على حابر كان يبيع الحبز بأسعار أقل مما يبيع به العريف، فأوكل العريف اثنين من المعنويين في الحسبة غرامة بعشرة دراهم ظلماً، فسبوا الحابر بمضي القضاء الذي أحضر المحتسب وأذكر عليه ما فعله العريف بالعبير ثم أحضر العريف الذي تسبب في تضارر وحرقه عن الغرامة بعد أن عوض الحابر نفوقه». <sup>(٢)</sup>

كذلك أمر الحاكم بأمر الله بقتل ابن أبي نجدة متولي الحسبة الذي أساء معاملة الناس وتدخل فيما لا يعنيه من الشؤون واعتقل وقطعت يده ونسائه وصربت عنقه. <sup>(٣)</sup>

لقد حرص الفاطميون على توجيه المناصب المهمة في الدولة كالتقضاء والحسبة إلى الشيعة وخدمهم <sup>(٤)</sup> وكانت هذه هي سياستهم المتبعة من قبل في بلاد المغرب <sup>(٥)</sup>، وقد حرصوا على تنفيذها في مصر، وذلك حرصاً منهم على تطبيق مبادئ المذهب الشيعي، لذلك فقد أصبح عمل المحتسب في الدولة الفاطمية ذات طابع خاص اعتمد تماماً عن عمل أي محتسب آخر، فكان المحتسب في الدولة الفاطمية لا يحكم إلا وفق المذهب الشيعي حتى ولو كان سنياً، وذلك بهمل المبادئ الشيعية جزءاً من قواعد الحسبة، ويتجلى هذا في تطبيق الأوامر والمراسيم الشيعية في مختلف المجالات التي تقع تحت اختصاصه. <sup>(٦)</sup> والتي اختلفت على منع بعض

(١) المقرئ: إغلة الأمم، ص ١٩.

(٢) بعض، ص ٥٢ - ٥٥.

(٣) محمد عبد الله علي: الحاكم بأمر الله، ص ١٠٧.

(٤) المقرئ: قسطنطين، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٥) ابن عذاري: البيل للمغرب، ص ٢٢٠.

(٦) عبد المعصم ملج: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٦٣ - ١٦٥، سهام

المأكولات المحببة لأعداء الدولة من وجهة نظرهم كالملوخيا، التي كان يحبها معاوية - رضي الله عنه - والجرجير المنسوب لإخلائه في الصمم لعائشة رضي الله عنها<sup>(٢)</sup>، وازداد الأمر سوءاً عندما أمر فاطميون ٣٩٥ هـ / ١٠٠٤م بفتح لأصحابية وهم عائشة زوج الرسول (ﷺ)، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والحليفة معاوية، وعمر بن العاص. وقد كُتِبَ هذا قسب بقرأ في الجوامع وعلى المقابر، وكُتِبَ على الجيطان<sup>(٣)</sup>. مما أدى إلى إصابتهم المصريين المعطين بالأذى والضرر، كما ضيق على النساء<sup>(٤)</sup>.

نرى هذا التحمس البالغ للمذهب قد بلغ أشده في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، الذي اعتنق العقيدة التشيعية المتطرفة - فقد أراد هذا الخليفة أن يخصص أسوار الحياة للنفس الحرة للقرآن، والحديث الشيعي، فكانت المراسيم والأوامر التي تصدرت في عهده تتفق جميعها ولإعادة الحسبة، وهي التي حاول المؤرخون المصريون الفخرية منها، وكان للفرط تعصب الحاكم الذي يقوم بنفسه بتنفيذ أوامر الحسبة ونوحيه لاعتقاده بفرضها الواجب على الفاتمين بأمر المسلمين<sup>(٥)</sup>.

وكان للحاكم بأمر الله عيوباً خاصة، غير تلك العقوبات التي يستخدمها المحتجب، فكان الحاكم بأمر الله يطوف في أسواق المدينة بصحبة رجل طويل أسود حريمي، يقال له مسعود فإذا وجد أحداً يخالف أوامر الحسبة ويخالف في بضاعته، أمر ذلك العبد "مسعود" بفعل الدخلة معه أمام العامة - اللواط - والحاكم بأمر الله واقفاً على رأسه، حتى إن

مصطفى أبو زيد : الحسبة في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية العصر المملوكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٧٣.

(١) المقريزي : تعاليف الخلفاء ص ٣٩٧؛ ابن فارس : معجم ألفاظهم، ج ١، ص ١٥٩؛ عبد المنعم منجد : المرجع السابق، ص ٩٥.

(٢) المقريزي : الخلفاء، ج ١، ص ٤٣٢.

(٣) نفسه، ص ٤٨٧.

(٤) عبد المنعم منجد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٦٥.

العامة قد اتحنوا من هذه العلة للشنعاء لمروحة يسخر منها بعضهم على بعض فإذا سخر أحدهم من الآخر، يقول له : احصر يا مسعود (١) هكذا كان للحاكم بأمر الله يطبق أصول الشريعة بمخالفة الشريعة.

وعلى الحكيم كانت الحسبة تستلزم لتحقيق أغراض الدولة السياسية وعلى الرغم من مذهبية الدولة وتعصبها لمذهب الشيعي، فإنها غالباً ما تركت للمصريين حرية شرب الخمر، واللهو دون قيد حتى شاركهم الخلفاء في ذلك، هذا الأمر الذي ترتب عليه المبالغة في مظاهر الفساد والافتقار في المعون، غير أن هذا كان وسيلة من وسائل الخلفاء انباطمين للقرب من المصريين. فقد منع الظاهر لدين الله العديد من المهرجات التي منعها الحاكم بأمر الله، كما سمح بشرب الخمر. (٢) هكذا كان تمسك المعتصم بقوة ويضعف حسب تجمع الخلفاء أو تعصبهم للمذهب الشيعي، ويبدو أن هذا اقتصر على العصر الفاطمي الأول وأن حالة التشدد والتعصب كانت في عصر الحاكم بأمر الله. (٣)

---

(١) ابن يونس : بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٢ - ٥٣.

(٢) التقريري : الخطط ج ١، ص ١٤٩٢ تحت المعجم ماجد المرجع السابق.

ص ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠ : القصيدة في مصر، ص ٧٨.

(٣) مهام أبو زيد : المرجع السابق، ص ٨٦.



## الفصل الرابع

### مظاهر الفساد الاجتماعي في العصر الفاطمي

أولاً: التمييز العنصري وأثره في فساد المجتمع المصري في العصر الفاطمي

- أ- المقالات في مظاهر البذخ والترف
- ب- قصور القضاة.
- ج- ثروات الخلفاء.
- د- الأمراء، والأمراء.
- هـ- الوزراء، وإحداث خلل اجتماعي.
- و- الخدم والجواري.
- ز - الأعيان، والاحتفالات، وما يصاحبها من مظاهر البذخ، والترف.

ثانياً: مظاهر الفساد الاجتماعي بين طوائف الجند، وأثره على المجتمع المصري

- ١- الصراع بين المغاربة والأتراك.
- ٢- الصراع بين الأتراك والعبيد.
- ٣- صراع الأتراك فيما بينهم.
- ٤- ظهور الأرمن وأثرهم في فساد المجتمع.
- ٥- تجمد الصراع بين العبيد والأتراك.
- ٦- ظهور الأكراد والفرنجة.

ثالثاً: انتشار الأمراض الاجتماعية بين طبقات المجتمع

- ١- انتشار شرب الخمر.
- ٢- نراه للدولة ونفسي الفلحة والبقاء.
- ٣- أعمال السرقة والمصومية.

رابعاً: سيطرة الدولة الدينية وأثرها في فساد العلاقة الاجتماعية بين المسلمين وأهل الذمة.

- ١- فساد العلاقة بين الشيعة والسنة.
- ٢- تمييز أهل الذمة وأثر ذلك في فساد المجتمع.





لقد أتى الإسلام بنظم اجتماعية ليربي مجتمعاً منحرراً من عبودية  
إلا له وحده، ومن الخوف إلا لذاته سبحانه، وتعالى. ومن ثم تختلف البيئة  
الاجتماعية للمجتمع الإسلامي عن غيره من المجتمعات من حيث القيم،  
والمفاهيم التي تقوم عليها هذا المجتمع.

ونتجلى عقيدة الإسلام في نظريته الاجتماعية التي دججت على  
مواجهة تلك النظم والأعراف والتقاليد المتورثة، فتعكس وتغير إلى  
مركزها، ما لم يتوافق مع أنظمة الإسلام، ليرتفع نهائياً ما عرس به  
الشرع الحنيف، ولتطهير مجتمع شبه الجزيرة العربية من الفساد الذي  
امتشرى بنشأته، وترسخ الدعائم الاجتماعية للعبدية جذور الأمة  
الإسلامية.<sup>(١)</sup>

والنظرية الاجتماعية الإسلامية تقوم على أسس يظم العلاقة بين  
الفرد، والدولة بما يكفل العدالة الاجتماعية، وبما يضمن مصالح الفرد  
ومصالح الجماعة، وهي في تنظيم العلاقة تبدأ بالفرد بوصفه عضواً في  
الأمة الإسلامية، تحترم حقه، وتقدر الجوانب المادية والروحية له، ومن  
ثم تضع الضمانات التي يتفق بها لبناء الاجتماعي للأمة الإسلامية.<sup>(٢)</sup>  
وسيحاول الباحث إلقاء الضوء على النواحي الاجتماعية بمصر  
الإسلامية في عصر الدولة الفاطمية، وما طرأ عليها من فساد بحال  
النظرية الاجتماعية الإسلامية.

#### أولاً. التمايز الطبقي، وأثره في فساد المعتقد المصوري في العصر الفاطمي:

##### ١. التفاوت في مظاهر البذخ والترف:

يذكر ابن خلدون أن الدولة في بدايتها تكون بدوية، فيكون الرفق  
بالرهايا، والقتصاد في النفقات، والتخفيف من الأموال، والتمسك عس  
الإسراف، ثم يحصل الاستيلاء، وعظم، ويستحل الملك، فيعظم الإسراف،

(١) فتحة عبد الفتاح التبرلي: تاريخ النظم والحضرة الإسلامية، ص ١٦٦.

(٢) ابن عديم (توفي القرن ١٠ هـ): السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية،

رابعة وعلق عليه: محمد عبد الله قسطن، الرياض، السعودية، ١٩٥٦م،

ص ١١٢، فتحة التبرلي: المرجع السابق، ص ١٦٦.

ويكثر الإسراف في النفقات، ثم ينتشر ذلك في القرية؛ لأن الناس على دين ملوكها، وعوائلها، ثم يستقل أمرها، وتقصر على رعاياها، تستطوع من حاجتها حتى ينقضي أمرها بسبب ترفها، ونفخها. (١)

وهن كان هذا هو حال الدولة في بدايتها - على حد قول ابن خلدون - فإن مصر لم تشهد تلك الفترة الأولى من عصر الدولة الفاطمية. فقد ظهرت الدولة الفاطمية منذ بدايتها في مصر بقلوب شتى من مذهب الهدى والثروة والمغالاة التي أكتبت بعقول الجميع، والتي قل أثر جده في عصر من عصور مصر الإسلامية السابقة. (٢) ولعل الدولة الفاطمية قد عاشت تلك الفترة الأولى من حياتها في بلاد المغرب.

غير أن الدولة الفاطمية التي احتلت المنطقة في مصر باسم المعارضة الشعبية والتي تميزت في بدايتها - في بلاد المغرب - بالبساطة، والتقشف، كبدل لأبهة العباسية والتي مثلت الانحطاط حسب دعايتهم، (٣) وقد انغمسوا بسرعة في بذخ لا مثيل له داخل إمبراطوريتهم الواسعة، ولعل الانتقال من التقيص إلى التقيص بذلك الصورة المتأججة أدى إلى ظهور العديد من مظاهر الفساد المختلفة التي أثرت على المجتمع المصري باختلاف طبقاته (٤) مما انعكس بأثره السلبي على السواد الأعظم للمجتمع المصري حيث عانى المجتمع معظمه من الفقر والبؤس وتضييق الأهرال المعيشية، لسوء توزيع ثروات البلاد على السكان بشكل يصمن للجميع أن يحيا حياة كريمة، فصارت الطبقة العليا تنعم بكل المزايا، بينما حرمت الطبقات الدنيا من شتى النعم، والمرأيا.

(١) ابن خلدون : المقدمة، ج٢، ص٢٢١.

Lane - Poole Stanley : *Saladin and the Fall of Kingdom of Jerusalem*, London, 1983, pp. 88 - 89.

(٢) ابن خلدون : تاريخ مصر، ص١٥٨، محمد عبد الله حنّان : المسلمون بسائر بلاد، ص١٦٩.

٢٤٩ : محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر، ص١٦٩.

(٣) المقرئ، الخطوط، ج١، ص٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥

وإن كان هذا مترف، ولندخ في ظاهره مظهر<sup>٢</sup> من مظاهر القوة،  
والخدمة والتقدير، والرهنة التي حررها الفاطميون على أن يحبسوا  
أنفسهم بها،<sup>(١)</sup> فإنه قد اقتصر على الخليفة، وحاشيته والمقربين منهم،  
دون بقية المجتمع المصري<sup>(٣)</sup>، ولعل هذا وحده يعد مظهرًا من مظاهر  
الفساد التي ظهرت في عصر الفاطمية. فسرعا ما تغيرت للدولة  
الفاطمية التي بُنيت في البدء حسب احتياجاتها من أجل إصلاح الأمور  
الفسدة في إدارة البلاد، وإرجاع الخلافة إلى أصحابها، والتبرع على هدي  
الشريعة الإسلامية، والسنة النبوية الكريمة، فأصبحت في ثبات من البناء،  
والترف، وطلب الشهرة، والمجد بعد أن تكاثرت الأموال بين أيديهم<sup>(٤)</sup>  
والأموال في عصر الفاطمية - كما في غيرها من الجهود - كانت  
تتجمع بين أيدي الحكام من الولاة، والوفاء، وأهلهم، ومساعدتهم من  
الوزراء، وسائر رجال الدولة - الطبقة الخاصة - فينفقون منه بسطاء،  
في الوقت الذي كان يتخبط فيه الشعب المصري - طبقة العامة -  
بصعقات مالية، واقتصادية واجتماعية، كانت تصيب البلاد من وقت لآخر  
بسبب هلاك الإدارة، وسوء توزيع الثروة وعدم درء الخطر قبل حدوثه؛  
لذلك كان لابد من معرفة الجهات التي استلكت الثروة في المجتمع  
المصري في العصر الفاطمي، ووجوه إنفاقها.  
وقد تعددت، وتباينت مظاهر التفاوت في الترف، والهدخ داخل  
الدولة الفاطمية مما أهدت لهيبة الاجتماعية بشكل كبير، ومن هذه  
المظاهر:

(١) ابن حنكلى: وثائق الأعيان، ج ٢، ص ١٥٣؛ محمد عبد الله حسنى: المرجع

السبق، ص ٣٤٩.

(٢) ابن حنكلى: المصدر السابق، ص ١٥٣.

(٣) إبراهيم رزق الله أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ط ١، المكتبة العلمية

للكتاب، لبنان، ص ١١٧.

## ١. القصور الفخمة:

لقد ألفق القاطمون الأموال بسخاء على بناء القصور، والمسار، والبساتين، مقتنيات القصور من أثاث، وفرش، وتحف كانت تنطق بشرة كبيرة جمعها القاطمون، وأمرؤوا فيها يبيذخ...

لأفص المورجون، ولأسيما المقريزي في ذكر قصور هؤلاء الحنفاء، ومساكنهم في عاصمتهم الجديدة للقاهرة التي اتخذوها مدينة منكبة تنكون مرآة لسكانهم، ويلاحظهم<sup>(١)</sup> حيث لم يكن مسموحاً للعامة بالإقامة فيها إقامة دائمة، فكان عليهم أن يخلدوها قبل دخول الليل، أي بصوت العشاء الأخير فيها، ثم يتوجهون إلى منازلهم بمصر.<sup>(٢)</sup> وفي القاهرة بُنيت المباني الضخمة ولأسيما القصور المصممة بالقصور الزاهرة.<sup>(٣)</sup> وإن أطلق على مجموعها القصر.<sup>(٤)</sup> وقد كثرت تلك القصور حتى عُرِبت دولتهم بالدولة العلوية القصرية.<sup>(٥)</sup>

كانت هذه القصور اتى عشر قصراً متصلاً بعضها ببعض، اتخذت شكل الجبل لكثرة ما فيها من الأبنية المرتفعة.<sup>(٦)</sup> ومنها القصر الشرقي الكبير الذي بناه جوهر الصقلي، والذي شغل خمس مساحة

(١) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٢٦٤، تاملت تحفا، ج ٢، ص ٢٩٩

(٢) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٢٠.

Heyd, W : Histoire du Commerce du Levant au Moyen - Age 2, Vols, Tarnel, Leipzig, 1925, p. 391.

(٣) المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٢١٤؛ ناصر خسرو (أبو معين) الفقيه ناصر خسرو عربي، مخرنبة، ترجمة: يحيى الفخلف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤٨.

(٤) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٣٦٣؛ ناصر خسرو: المعجم في المساق، ص ٤٨؛ لريمان عبد الكريم: القرية في مصر، ص ٣٤، ٣٥.

(٥) عبد المنعم مازد: ظهور الخلافة القاطمية، ص ٢٥٦.

(٦) عبد المنعم مازد: ظهور الخلافة القاطمية، ص ١٢٥٦، Heyd, W op. cit., pp. 391 - 392.

القاهرة - حيث بُني على سبعين هكتاراً - <sup>(١)</sup> وتقدر المساحة الغربية، أو البحري الذي بناه العزيز بالله، وأتمه المستنصر بالله. وقد اتصل القصر الشرقي بالقصر الغربي عن طريق عدد من الأبواب، والمراديب الممتدة تحت الأرض، والذي كان الخلفاء ينقلون فيها للانتقال بين القصرين - أو يراهم أحد.

بالإضافة إلى الكثير من القصور التي لا تقل أهمية عن هذين القصرين، منها قصر القاضي، وقصر الذهب، وقصر الإقبال، وقصر الظفر، وقصر الشجرة، وقصر الشوك - تسميه العامة قصر تشوك <sup>(٢)</sup> - وقصر الرمادة، وقصر النسيم، وقصر الحريم، والبحر. <sup>(٣)</sup>  
فضلاً عن المناظر والدور <sup>(٤)</sup> السلطانية الجميلة التي استخدموها لإقامتهم أثناء خروجهم للترعة أو الاحتفالات، وقد ظل الخلفاء الفاطميون، ووزرائهم، وحاشيتهم ينزلون في تلك القصور حتى نهاية دولتهم. <sup>(٥)</sup>  
بدلاً من الخلفاء:

لقد تضمنت ثروات الفاطميين إلى حد جعل مؤرخي تلك الفترة يحدوهم من أغنى أشراف العالم الإسلامي على الإطلاق، وقد تجلت مظهر هذا الثراء فيما رواه المؤرخون من حياة الترف، والرغابة التي كانت من أهم سمات العصر الفاطمي. <sup>(٦)</sup> حتى إن بلاطهم في القاهرة قد

(١) المقريزي: القبط ج ٢، ص ٦٤، ٦٨. وقد سمي أيضاً بالقصر الغربي.

(٢) نفسه.

(٣) نفسه، ص ٣٦٢، ٣٧٩؛ عبد المنعم مكي: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٥٧.

(٤) مثل دار الصيافة، دار الوزارة، دار الوزارة القديمة، دار الدنيا، دار القصر،

منظر الزلا، وغيرها. للمزيد راجع: المقريزي: القبط ج ١، ص ٣٦٢.

ناصر خسرو: مفرغ، ص ١١٢.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ص ٦٢؛ محمد عبد الله علق: الحكام بامر الله،

ص ٣٤٧.

(٦) أسيرة الأوروبي: رؤية قرطبة، ص ١٤٤٩؛ أمين فؤاد سيد: الدولة الفاطمية،

ص ١٤٠.

قد ناس بلط بغداد وزود بكل ما يحتاج إليه من قاعفت واسعة وخسران حوت بدخلها الكثير من الكنوز الثمينة<sup>(١)</sup> التي جليت من جميع أنحاء الدنيا، ولم ينف هذا العنى عند الخلفاء وهدمهم بل تصادم إلى سائر أهلهم من رجاله ونساء على السواء كذلك إلى رجال دولتهم<sup>(٢)</sup>.

على الرغم من أن المعز لدين الله الفاطمي لم يكن مثيلاً لحياة القرب، وكان مثل سلفه يقيم في حجرة واحدة فرشت بالمصروف، ويأمر الواحدة من النساء<sup>(٣)</sup> فإنه بعد أول من استن الغلظة، والأبهة في حياة الخلافة<sup>(٤)</sup>، فيمجرد قدومه إلى قصره بالقاهرة، جلس على سرير من ذهب خالص، ونثر الدقيق بين الناس قائلا: "هذا حسبي" بعد أن مل نصف سيفه، وقال: "هذا نسبي" فخشيته الجميع، وقالوا: "سمعنا وأطعنا"، واستقبل الناس، وبعد أن أكرمهم قال لهم: "هل بقي منكم أحد؟ قالوا: [لم يبق معتر]، فمل [بعد ذلك] نصف سيفه قائلا: "هذا نسبي"، ونثر الدنانير، وقال: "هذا حسبي"، فقال له الجميع: "سمعنا وأطعنا"<sup>(٥)</sup>.

ثم يكن رد المعز المتوقع في تعريف حسبه ونسبه، ولاسيب بعد رحلة للمعائن، والتشرف التي عاشها هو، ومن سبقوه من الخلفاء الفاطميين لكي يصلوا إلى الخلافة التي أسسها - حسب قولهم - نبي، ولكن عبارات المعز على الرغم من إيجازها فقد حملت بين طياتها السياسة

---

Heyd, W. : op. cit., p. 391.

(١) المقرئ: المصدر السابق، ص ٢٥٢؛ عبد المنعم ماجة: قيام الدولة الفاطمية، ص ٢٠٨.

(٢) ابن ميمر: تاريخ مصر، ص ٥٨؛ عبد المنعم ماجة: قيام الدولة الفاطمية، ص ٢٠٨.

(٣) المقرئ: الخطب ج ١، ص ٢٦٤.

(٤) نفسه، ج ١، ص ٧٧؛ قلعظ الخطب، ج ١، ص ١٣٧؛ ابن تقي بري: النجوم، ج ٤، ص ٣٣.

(٥) ابن عبد الظاهر: الروضة البهية، ص ١٤؛ ابن حنكل: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٨٢؛ ابن تقي بري: المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٧.

التي سر عليها الفاطميون منذ ظهورهم في مصر وحتى انتهاء دولتهم، والتي اعتمدت على قوتين: قوة السيف وقوة المال. لذلك كان تبذخ، والمعالجة فيه سمة أساسية أحاط الفاطميون أنفسهم بها طيلة وجودهم في مصر.

لما دُمر حُصرو فقد عجز عن وصف ما رآه من مظاهر البذخ، والثرف، والإسراف، عندما زار مصر، وخشي أن يتهمه البعض بكذب ما يرويه، حيث يقول: ويصف ما تجلّى من مظاهر احتفال الخليفة المستنصر بمولوده الجنود، حيث قال: "ففي عام ٤٣٩هـ/١٠٤٧م، وكذا للسلطان ولد، فأمر الناس بإقامة الأكراج، فزُيّنت المدينة والأسواق ربة لو وصفتها لما اعتقد بعض الناس صحة ما أقول، ولما صدقوني، فقد كانت بكاكين البزازين والنصراني وغيرهم مملوءة بالذهب، والجواهر، والنقد، والأمتعة المختلفة، والملابس المذهبة، والمتكسبة، بحيث لا يوجد منها متسع لمن يجلس".<sup>(١)</sup>

لم يكن ناصر خسرو وحده هو الذي ذهب عظه لما رآه من مظاهر البذخ، والثرف التي ظل الخلفاء الفاطميون يحرصون عليها حتى نهايتهم، فقد وصف لنا غايوم وليس أسقف صور عن زيارة رسولي الملوك ملك بيت المقدس للقصر الفاطمي في عهد الخليفة العاضد، وما وجدته من مظاهر العظمة، والأبهة التي فاقت كل ما رآه من قبل حتى ظهر لهم الخليفة العاضد على عرش من ذهب مُرصع بالجواهر، والأحجار الكريمة الثمينة، وعلى وجهه نقاب يغطيه، وهو جالس.<sup>(٢)</sup>

#### ج. الأعيان والأمراء:

بقي بعد الخليفة أمته الذين يُعدون من أرفع الناس قدرًا، وأعضهم شأنًا، يعيشون عيشًا على الدولة دون أن يتحملوا أوزار الحكم، وأعباءه. تُصرف لهم الرواتب من بيت المال، وتورع عليهم الرسوم،

(١) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١٢١.

(٢) محمد جمال الدين سري: فتوة الفاطمية في مصر، ص ١٦١، ١٦٢.

O'Leary A Short History of Fatimid Khalifate, London, 1923, pp 49-50.



والهدايا والكسوة، والمواد الغذائية، عدا بعض الإقتضاعات التي يقصونها. لذا كان بعضهم ينصرف إلى حياة اللهو، والمجون بمعاقبته للخمر، ومعدناته للتمتع،<sup>(١)</sup> أو إنفاق المبالغ الكبيرة على شراء الجوارح والمعدات من المجسمين.<sup>(٢)</sup>

وقد نصحت تلك الثروات<sup>(٣)</sup> إلى حد يفوق التوصل، فالأميرة رشيدة ابنة المعز لدين الله قد تركت بعد موتها ما قيمته ألف ألف دينار، وسبعمائة ألف دينار.<sup>(٤)</sup> بالإصافة إلى ما وجد في حرائر كسوبي من الملابس، والجواهر، والنفخ البادرة. كما خلفت لأختها الأميرة عبدة التي توفيت بعدها بثلاثة أيام ما لا يحصى، يكفي أن يذكر أنه قد استخدم الختم على صناديقها، وخرقتها أربعون رطلا من الشمع، كما لم البضائع التي درست فيها متاعها بلغت ثلاثين رزمة ورق.<sup>(٥)</sup> ومن لطريف أن خلفاء الدولة الفاطمية بعد المعز - العزيز، والحاكم، والظاهر - كانوا ينظرون وفاة هاتين الأميرتين حتى يرثوا تلك الثروة الضخمة التي امتلاكها، إلا أن المنية لم توافيهما إلا في عصر المستنصر بالله ٤٤٢ هـ / ١٠٥٠ م أي بعد وفاة الخلفاء الثلاثة المذكورين.<sup>(٦)</sup>

(١) المقريزي: لمناقب الخلفاء، ج ٢، ص ٢٦٥.

(٢) إبراهيم روى الله أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٢٠.

(٣) كانت تلك الثروات تأتي عن طريق الهدايا أو عن طريق الورثة، فمن المعروف أن البهت في المذهب الشيعي قوت كل ما يتركه أبوها، إذا لم يكن لها أخ أو أخت، وكانت تلك الأموال تنقل بالكامل للخطبة في حالة وفاة البهت، وقد انطلق هؤلاء الأميرات تلك الثروات بأمرهم من هبم ورثتهن لها. للمزيد راجع: القاضي النعمان: دعائم الإسلام، ص ٣٧٩ - ٣٨٠، عبد المستنصر ماجد: للسجلات للمستنصرية، سجل رقم (٣٥)، ص ١٠٩، ١١١.

(٤) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٤٤١٥، ابن تقي برقي: الفهوم، ج ١، ص ١٩٣، تاريخ عبد الكريم: المرأة في مصر، ص ٥٦.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، ص ٤٤١٥، ابن تقي برقي: المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٦) المقريزي: الخطط، ج ١، ص ٤٤١٥، ابن تقي برقي: بدائع الزهور، ج ١، ص ٤٧، أمانة الشؤون: رؤية الرحلة، ص ٤٥١ - ٤٥٢.

لما العزيز بالله قد كان رجلاً يميل إلى الأبهة بطبعه؛ حيث ورث عن أبيه للمعز أموالاً طائلة، وقد تجلت تلك الأموال في كثير من مظاهر العرف التي عاشها هذا الخليفة ورجال تولته، وكثير من رجال مجتمعه - الفامري - فقد كان العزيز خبيراً بالجواهر<sup>(١)</sup>، محباً لاقتناء النادر منها، وابتدع نوعاً من المعائم المخلقة بالذهب، وعلى الحرائن بالنحف المادية، وشعباً - كخماروية بن أحمد بن طولون - يجول رح الطير الغربية، فيفق عليها أموالاً كثيرة، وقد كان يستوردها من بلاد إفريقية، حتى إنه قد أورد لها ذهباً خاصاً ينفق على تلك الحيوانات عُرف بـ «الكرع»<sup>(٢)</sup> وجاء الحاكم بأمر الله فورث أموال أبيه، وجمده على الرعم من الاضطرابات التي عمت عصر الحاكم فإن عصره لم يحل من السطوة، والمشاهد شديدة البذخ، ولا سيما في بذلتها - قبل مراسيم التحريم التي أصدرها - فقد بدأ الحاكم عهده بإقامة الحياة الليلية، فقد كانت القاهرة تبدو في تلك الفترة بتليل، وكأنها شطة مضيئة، وتصطرم جنباتها بحياة الممر، والنهر في كل ضرب. وقد أورد لنا أبو المحاسن وصفاً بوضوح لمدى الترف، والبذخ، والترف الذي كان عصر هذا الخليفة وذلك عند الحديث عن الإعداد لمراسم استقبال رسول ملك الروم، فيذكر أنه 'أمر بزيئة القصر، وأخرج أعداداً، وفرشاً من التيجاج المطرز بالذهب، وورش الإيوان المعد لاستقبال هذا الرسول، كما علق على جدرانها منار مذهب، أما عن صدر الإيوان فقد علق فيه لكجدة، وهي ورقة من ذهب مرسعة بالجواهر بحيث تظهر للناظر، وكأنها أشعة الشمس تنعكس على الإيوان طوال الوقت.<sup>(٣)</sup>

(١) ابن خللكي: وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٣٧٢.

(٢) حمر إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السليبي والسديني، ج ٣، ص ١٥٩، أنيسة تشوريجي: المرجع السابق، ص ٤٥٢-٤٥٣.

(٣) محمد عبد الله عزال: الحاكم بأمر الله، ص ٣٥٠.

(٤) المقرئ: فتاوى الخطاء، ج ١، ص ١١١٥، ابن تيمزي بردي: النجوم، ج ١، ص ١٩٦، أنيسة تشوريجي: المرجع السابق، ص ٤٥٤.

على الرغم من الشدة التي اجتاحت مصر في عهد المستنصر حين  
 نصره لم يخل من الذخائر، والكنوز، ويصف المقرئ في نقلاً عن صاحب  
 الدخائر تلك الكنوز التي خرجت من القصر في غضون الشدة  
 المستنصرية مما يعدّ كبير دليل على الثروة المطلقة التي كان يمتلكها هذا  
 الخليفة. <sup>(١)</sup> ويوضح ابن ميسر أن تلك الثروة قد دوت في نحو عشرين  
 كرماً، وأن هذه الكنوز قد اشتملت على أشياء عظيمة، وتحف قيمة، <sup>(٢)</sup>  
 والمثير للانتباه أيضاً أنه قد وجد ضمن ثروة الأمير عبد  
 أربعمائة سيف من الذهب. <sup>(٣)</sup> ولكن لم يحرف على وجه التحديد ما  
 كانت تفعل تلك الأميرات بهذه السيوف، أما الأميرة بنت الملك أخت  
 الخليفة المعز، والتي توفيت في خلافة أخيها، فوجد لها من الذهب ثلاثمائة  
 صندوق من الفصوص، والياقوت الملوّن، واللؤلؤ، كما وجد لها من  
 الشفق الحرير الأحمر ثلاثون ألف شقة <sup>(٤)</sup>، وقال بعض المؤرخين: <sup>(٥)</sup> إنها  
 على الرغم من هذه الثروة كانت أرعد الناس في الدنيا، وكانت لا تأكل إلا  
 من ثمن غزلها حتى ماتت. <sup>(٦)</sup> على ما يبدو أن بنت الملك كانت لا تزال  
 متأثرة بحياتها للزهد، والتقشف التي تعودت عليها في بلاد المغرب، حتى  
 إن كثرة الأموال لم تدفع فيها طبعا، أو عادة.

كذلك كانت بنت مصر ابنة الحاكم بأمر الله التي تركت بعد وفاتها  
 شيئا كثيرا يطول الشرح في ذكره، من ذلك ثمانية آلاف جارية، وصال  
 المقرئ، وخيروه: ونيف وثمانون زيرا صينيا مملوفا جميعها مسك،  
 ووجد لها جواهر نفيس، من جملته قطعة ياقوت ورنها عشرة مثاقيل، كما

(١) المقرئ: المخطوط ج ١، ص ٤١٤.

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٣٧؛ أسيرة الشوريحي: روية الرحالة، ص ٥١.

(٣) تاريخ ابن عبد الكريم: المرأة في مصر، ص ٥٧.

(٤) ابن أبي شامة: مناقب الزهور، ج ١، ص ٤٧.

(٥) نصه.

(٦) ابن قنبري يردى: النجوم، ج ٢، ص ١٩٣؛ ابن أبي شامة: المعصر السابق، ص ١٧.

O'Leary : op. cit., p. 50

كن لها إقطاع يصل لها في السنة خمسين ألف دينار - ربما قد ملحه بها الخليفة الحاكم - (١).

ومن مظاهر الترف في عصر الحاكم أيضًا تلكثرة لشهوة للمسحمة التي امتلكتها أخته بنت الملك، وكانت بنت الملك إحدى أجمل الفتيات، وكان زواجها مزيين بكنس الجواهر، وجسمها كان معطرًا ومهرب من كل البست من الجوارح للوقت لا هم لهم سوى جعلها أكثر جمالًا، كما كانت تلبس الجلابيب التي لا مثيل لها، والمصممة من قبل مسعدة لا تخدم إلا لسلطنة إقطاعية. (٢) وكانت بنت الملك تعيش - في حياة أبيها - عزب - في قصر خاص بها، وهو تقصر العربي، وقد حصص الخليفة لخدمتها، والسهر على راحتها طائفة خاصة بقبول بالقصرية. (٣) وقد بلغ سهل ست ألف من صياعها، وأملكتها في عام واحد مئة ألف دينار. (٤) وخلفت عند وفاتها ثمانية آلاف جارية كن يقمن بخدمتها، ما بين خمس، وسود، ومولات منهن ألف وخمسة مائة أكرارًا وثبقة ثوبت. (٥) بالإضافة إلى ثروة ضخمة يصعب الحديث عنها.

ويلاحظ الفارق الكبير بين ما كانت تعيشه بنت الملك أخت المعز لدين الله من حياة زهد وتشف، وبين ما كانت عليه بنت الملك أخت الحاكم بأمر الله من بذخ وترف وإسراف، كما يلاحظ أن تلك الثروات كانت تأتيهن دون مُعانة، ودون تفريق بين أفراد، والمُحب لها.

(١) الخطط، ج ١، ص ٤١٤ + ابن تلي بردي، شمسستر السابق، ص ١٩٧ +  
بريمان عبد الكريم المرجع السابق، ص ٥٨.

(٢) ابن الأثير: تكملة، ج ٨، ص ١٢١ ابن خلكان: وفيت الأعيان، ج ٣، ص ٤٦ -  
٤٧

(٣) المغيرة: الخطط، ج ١، ص ٤٥٧

(٤) المغيرة: الخطط، ج ٢، ص ٣٣

(٥) المغيرة: الخطط، ج ١، ص ٤٥٨ + ابن خلكان: بذخ الملوك، ج ١، ص ٨ -  
ويذكر لهم أربعة آلاف فقط بريمير عبد تركة - المرأة في مصر - ص ٥١

كذلك كانت السيدة رصيدة لم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، والتي تخصصت ثروتها أيضاً، ولم تستصر بالله التي كان لها ثروات ضخمة. وبخلاف تنبيه حرائق الحفّاء، كما كان لها عشارى دامن شحلى بالسب غرور بالقصى، وكذلك أربعة آلاف سرجه كذلك الكثير من الألائ العسية.<sup>(١)</sup> مما يدل على تمتعهن بالرقص، والغناء أيضاً.

ويلاحظ أيضاً أنه كان لكل زوجة من زوجات الخليفة موظف خاص يطلق عليه لقب أستاذ، وكانت الإشارة لزوجة معينة ذكرى مؤثره باسم الأستاذ الذي يقوم بخدمتها مثل: جهة مكنون، جهة جواهر، جهة ظن.<sup>(٢)</sup> ... وغير ذلك.

إلى جانب عدد من الموظفين الأقل رتبة من الأستاذ تولكهم المرأة لإشراف على بعض أعمالها، وكان يطلق عليه وكيل،<sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى عدد من المستخدمات اللاتي يقمن بالأعمال العادية عند كل جهة، ومن المؤكد أن عدد هؤلاء الموظفين كان يختلف من أميرة إلى أخرى حسب المكانة التي تشغلها في القصر.<sup>(٤)</sup> ولكن لم تذكر المصادر طريقة التعامل بين سيدات القصر، وهؤلاء من المعالين لها مسواة كان الأستاذ أو الوكيل، وهل كان ذلك في وجود الخليفة أم من وراء ستار.

كما كان بعض الأمراء أيضاً يتمتعون بثروات هائلة، كانوا يلقون منها بغير حساب على ملذاتهم، وليس أن على ذلك مما حدث للأمير تميم بن المعز لدين الله الذي اشترى له جارية من بغداد بمبلغ جليل، وعندما غنّت، وطرب هو، وأصحابه، فتمتعت عليه أن تعني ما غنّت هي مجلس

(١) باريس عبد الكريم: المرجع السابق، ص ٥٨، ٥٩.

(٢) نفسه، ص ٣٧، ٣٨.

Marr (J) The Jewry Egypt and Palestine Under the Fatimid Caliphs "2 vols" Oxford, v.1, 1920, p. 8.

(٣) المقرري: المصدر السابق، ص ٤١١ حسن إبراهيم حسن - المعاصرون في

مصر وأعمالهم السياسية والفنية بوجه خاص، القاهرة، ١٩٢٢م، ص ٢١٠

(٤) المقرري: المخطوط ج ٧، ص ٤٤٨

بعاد، فاصطر إلى إرسائها إلى بغداد لتعطي بركة جريئين، غافلتهم قيل الوصول بقليل، وهربت فدم تميم عليها كثيرًا.<sup>(١)</sup>

وكان الأمير حسن بن الخليفة الحافظ نثين الله يمتنع شروعات هائلة فانت الحد، وكذلك قطاعات هائلة واسعة، وكان ممن كثره الأموال، والحشية بحيث كان له ديوان خاص تُفرد لإدارة أملاكه، والإشراف على شؤون أتباعه.<sup>(٢)</sup>

يلاحظ هذا أن تلك الثروات التي ذكرها المؤرخون من الفاطميين، وأهلبيهم لا يصنفها عقل ولاسيما أنهم أملاكهم دون وراثته، وربما دون وجه حق، ولعل كثرة الأموال في حد ذاتها ليست بالشئ السيئ. ولكن المبالاة في إنفاقها في مظاهر التذخ، والترف هو الذي جعل منها مظهرًا من مظاهر الفساد، ولاسيما في ظل حاجة الشعب المصري إلى تلك الأموال، وهذا لا يمنع أن بعض أفراد البيت الحاكم لم يذثروا بهذا الثراء، ذلك التأثير السلبي الذي أصاب البعض الآخر، مثل السيدة عبدة كمت تسم ذكره، وكذلك السيدة رصيد أم نظام التي وجهت ثروتها للأعمال الخيرية، والمشات النبوية.<sup>(٣)</sup>

نثين مما سبق أن المجتمع المصري ثابت عنه العدالة الاجتماعية في ظل الحكم الفاطمي، حيث رأى الحلفاء الفاطميون، وأتباعهم كل الثروات والمزايا، وبدلاً من الإنفاق على الشعب، وتلبية مكتباته، والحرص على الخدمات العامة، انشغلوا في البهجة والإسراف على أنفسهم، والاحتفالات، والولائم، دون النظر لمصالح الفرد ومصالح الجماعة، وهذا بمثابة البداية لتفلسد الاجتماعي لغياب تعظيم العلاقة بين الفرد والمولة.

(١) بن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٩٢-٢٩١.

(٢) عمري: فتاوى الحنفية، ج ٢، ص ١٢٢: حين الحنف سطلان. المجتمع المصري،

ص ٢٢، ٢١، (J) Mam.

(٣) عمري: الخطط، ج ١، ص ٤٥٧

## في الوزراء وإحداث الغفل الاجتماعي:

كان الوزراء في عصر الدولة الفاطمية نوحه عام يعيشون حياة تنقسم بالبذخ، والترف، وهي سمة للحياة في المجتمع الفاطمي، وكس الوير يتقاضى أكبر المرتبات بين موظفي الدولة الفاطمية، فكان راتبه الشهري خمسة آلاف دينار، بالإضافة إلى ما يُمنح لأولاده، وإخوانه، وحاشيته من ممتلكات تتراوح قيمتها بين خمسمائة ومائتي دينار<sup>(١)</sup>

على الرغم من هذا المرتب قبل الوزير كانت تصرف له من مطابخ القصر وحراته جاريًا من الطعام في كل شهر تكفي مذبذبه، وحاشيته والقاتين على حتمه من الضعاف، والشراب، ومن أمثلة ذلك ما كان يصرف للوزير ابن عمار، الذي وزير للخليفة الحاكم بأمر الله، فكان يصرف له ما قيمته خمسمائة دينار كل شهر عن اللحم، والحيوان، والتوابل، والفاكهة، بالإضافة إلى سلة من الفاكهة، وعشر أرطال شمع كل يوم، وحنّ عج كل يومين، والظريف أن هذا الجاري ظل يحتفظ به ابن عصر حتى بعد عزله من الوزارة<sup>(٢)</sup>

بالإضافة إلى توفير الملابس والعلاج، وتوفير الدواب التي يستخدمونها في تنقلاتهم، وكذلك تصرف لهم حاجتها من الخلف والصنم، كذلك أكلان من يموتون منهم، بالإضافة إلى ما يحصلون عليه في الموسم ولأعواد من المنح والكساء له ونزوجه وأولاده<sup>(٣)</sup>

وكان الخلفاء يدفعون على وزرائهم الهدايا السخية، والإطاعات التي تُدر عليهم دخلًا كبيرًا، جعلهم يعيشون في ثراء شديد، مما جعلهم يُنفقون ببذخ أبعد، ومن أمثلة ذلك: يعقوب بن كُنتس وزير الخليفة العزيز بالله. كان يعقوب يعيش حياة تنقسم بالبذخ، والإسراف، وقد صور هذا جنبًا

(١) للقاتسي، صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٢٠: المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٤٠١

١ عبد الصمد سلطان: المجتمع المصري، ص ٣٠.

(٢) ابن الصبري: الإمارة، ص ٢٠، ٢٧: المقريزي: المعتمد السابق، ج ٢، ص

٣: Heyd, W.: op. cit., p. 45.

(٣) المقريزي: المعتمد السابق، ج ١، ص ٣٩٩، ٤٠٠.

بعد أنفق في إعداد جيلز ليجته، فقد بلغت النفقة في إعداد هذا الجهاز مائتي ألف دينار، وقد بلغ ثراه ابن كلث ما جعل البعض يحدن عليه، ويدول الإيقاع بينه وبين الخليفة، واتهامه بأنه يحور من كل شيء أعلاه، ويترك للخليفة ما دون ذلك، فقد كتبوا إلى العزيز أنه اختار من كل صنف أعلاه، ثم يبق منه إلا أفناء حتى الحمام، وعندما بلغ الوزير ابن كلث هذه الوشاية كتب إلى الخليفة:

قل لأمر المؤمنين الذي له الكلال والنميب الشاقب  
طائر ك السابق لكنه جاء في خدمته الحجب

فأعجب الخليفة بتلك الأبيات، ولحق ما يقصده البعض لمحاولة الوالعة بينهما. (١)

وكان إقطاعه في مصر، والشام يصل له مائتي ألف دينار في السنة، وقد أهدى إليه العزيز بأحد سنة ٣٧٣ هـ / ٩٨٤ م ألف وخمسمائة غلام، وهم الملققة المعروفة بالـ"الوريرية". وقد ترك ابن كلث عند وفاته ثروة تقدر بخمسمائة ألف دينار ذهباً، ومن الجواهر، والتحف ما تقدر قيمته بأربعمائة ألف دينار، غير الملبوس والمركوب، كما وجد له من العبيد، والمماليك أربعة آلاف غلام<sup>(٢)</sup>، وثمانمائة محظية، غير الجارري الخاصة بالخدمة. (٣) وعلى الرغم من هذه الثروة الضخمة كان ابن الصيرفي يذكر أن ابن كلث قد مات، وعليه للتجار سنة عشر ألف دينار، فتحملها العزيز عنه من بيت المال<sup>(٤)</sup>، مما يوحي بأن ثروته لم تكن لشيء معظمها من مصادر شريفة.

وقد تمتع الوزير ابن عثمان وزير الخليفة الحاكم - الذي سبق ذكره - بالسيطرة على أمور الدولة دون الحاكم، لصخر منه، فسيطر على أموال البلاد، وبسط يده في الإقطاع، والمطاء، والصلوات، والأموال، وقد

(١) أسبحة الشوريجي: رؤية الرحمة، ص ٤٥٦، ٤٥٧.

(٢) ابن الصيرفي: الإمارة، ص ٥٢.

(٣) الدوقاري: كنز الدرر، ج ٦، ص ٢٦٦.

(٤) ابن الصيرفي: المصدر السابق، ص ٥٢.



جمع ابن عسار هذا لنفسه ثروة طائلة، قلم يذهبها في وقت الاصطراب الذي حدثت بين المغاربة، والأتراك كما سبق ذكره. (١)

أما الوزير برجوان الخادم وزير الحاكم أيضاً، فقد ترك بعد قتله سنة ٣٩٠ هـ / ٩٩٩ م ثروة ضخمة تقدر بثلاثين ألف دينار، وعسلاً لا يحصى من السراويل، والألات، والطيب، والقرش، والكتب، والطرثاف. (٢) وكان برجوان مثلاً للهو مُحِباً للغناء يجمع حوله شُعبي، والمغنيات، وقد ساعدته ثروته على ذلك.

وقد بلغ الإثراء ببعض الوزراء أن يقرضوا الخليفة أسلحة لإلحاق على الجند وقت الأزمات الاقتصادية، فعندما توفي الخليفة الضاهر لأعزاز دين الله ١٥ شعبان ٤٢١ هـ / ١٠٣٥ م كانت الحرافة في حالة اليأس نتيجة لإسراف هذا الخليفة، وبذخه، فعجز ابنه الخليفة المستعصر عن الوفاء بأرزاق الجند؛ مما دفع أبا القاسم الجرجاني الوزير إلى إحضار الأموال من قصره، لتوزيعها على الجند حتى يقضي على شرهم، وهذا في حد ذاته دليل على ما كان لهذا الوزير من ثروة ضخمة بحيث استطاع أن ينفق على الجند، وعندما توفي هذا الوزير وجد له سبعمائة جنية ذهب، وفضة، ومائة منقال من الذهب، وغير ذلك الكثير. (٣)

وعلى الرغم من هذا الثراء الهائل في الخزائنة كانت فارغة، والجند لا يتقاضون أجورهم وأصبح هناك فوضى وغسل بدأ سباسباً متملاً في عدم قدرة الخليفة على التوازن في إسرافه، وبذخه، وتحول إلى ساد اجتماعي عَمَّ الشعب، والرحمة.

وإذا كانت هذه هي الحال بالنسبة لوزراء المعمر الفاطمي الأول، فلما أن تصور مقدار الثراء الذي تمتع به الوزراء في العصر الثاني، ولا سيما بعد أن استقرت الأمور على يد بدر الجمالي، وأخذت مطهر

(١) نفسه: أمينة الشورجبي : المرجع السابق، ص ٤٥٧.

(٢) ابن الجوزي : المصدر السابق، ص ٢٨، ابن خلكان : وقيل الأعيان، ج ١،

ص ٨٨.

(٣) أمينة الشورجبي، رؤية الرحلة، ص ٥٩.

لازدهار عطل من جنيد على الأجواء المصرية، فيذكر المؤرخون أن بدرًا جمع ثروة طائلة خلال سنوات حكمه لا يستطيع أحد تقديرها، ولكن البعض يحاول أن يتكهن بعظمة هذه الثروة خلال مظاهر الترف، والبدخ التي عاشها بدر، وحاشيته خلال تلك الفترة فيذكر البعض أن أحد كبه اشترى سمكة من عتير بألف دينار، حرقها في النار في جلسة واحدة، كما أن أحد لشعراء مدح بدرًا، وأجازته بدر من ماله بشرة آلات دينار<sup>(١)</sup>.

مما سبق يتضح لنا مدى الثراء، والبدخ، والإسراف الذي عمى الوزير، وكذلك حاشيته لدرجة أنهم أصبحوا لا يسألون بسلامات، ويحرقونها دون أدنى مسؤولية، كذلك أصبحت الأموال وسيلة للإسفاف، والربح من الرعية للوزير، ولا عجب في تلك طائفة المقابل المادي موجود.

ومن مظاهر ثروته أيضًا الإتفاق على مطالبه فصره، وقد شغف بدر باقتناء الجواهر الثمينة، وقد خلف بعد وفاته من الجواهر، والياقوت أربعة صناديق، ومن القصص، والفضة، والذهب، والمراكب، والأسروج العجلة ما يعجز عن وصفه، فقد خلف ألف قصبة زمردة، لأنه كان مغرمًا بالاحتفاظ بها، فكان يجمعها من جميع بقاع العالم.<sup>(٢)</sup>

أما عن ثروة الأفضل بن بدر الجمالي فقد أطلب مؤرخو مصر الفاطمية في وصفها، حتى إن الخليفة الأمر بأحكام الله استمر أربعين يومًا بدر الأفضل، أو دار الوزارة بالقاهرة وفي غيرها من قصور الأمصار يُشرف بنفسه على تدوين ما تم نقله من الخزائن، والتفت النفيسة إلى القصر الشرقي<sup>(٣)</sup> هذا بجانب ثمانمائة جارية منها خمسون جارية لكل واحدة منهن حجرة، وحزائن مملوءة بالكسوك، والآلات. كما عثر عليه على سبعمائة طبق من الفضة، والذهب، ومن الآلات كالأسطال والصحان، والمرايات، والأباريق، والقصور، والزناري، والقطع من الذهب، والفضة المختلفة الأجناس، ما لا يستطيع أحد أن يحصيه.<sup>(٤)</sup>

(١) القفطندي : صبح الأضي، ج ٣، من ٥٢٢ - ٥٢٤.

(٢) حس إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر، من ٢٢٢.

(٣) النويري: بهجة الأريب، ج ٢٦، من ٨٢ : المقرئ، تعلل الحقاء، ج ٣، من ٧٠.

(٤) النويري: المصدر السابق، ص ٨٤.

تصخمت ثروة الأفضل، فزاد بخته، وإسرافه، وكذلك صده، فقد كان للأفضل مجلس شراب به ثمانية تماثيل جوارس متقلبات، أربعة منهن بهن من كافور، وأربع سود من عطر، وضع عليهن قفص الثياب، وريهن بأعلى المجوهرات، فإذا دخل من باب مجلس الشراب انجحت تلك الصور إجلالاً له، فإذا جلس استوت قائمت. (١) ومن الطريف أنه كان يملك تماثلاً من العنبر على قدر جسده، إذا نزع الثياب وضعت تسمى التمثال فكأنه راحة طيبة. (٢)

يحل حجم الفركة التي خلفها الأفضل، والتي أنصفت للظلمة لأمر في حصرها، ونقلها مدة شهرين، وأياماً على مدى قراء الذي كان يمنع به هذا الوزير القوي الذي كان في واقع الأمر هو الحاكم الحقيقي للبلاد، وقد وصف لنا ابن ميسر، وابن خلكان تفصيل ما وجد في دار الأفضل من ذخائره، وتحف، وأمتعة. ليزوي ابن ميسر عن مسؤولي الخزائنة بالقصر أنه وجد بها ستة آلاف، وأربعمئة ألف دينار، وورقاً قيمته مائتان ألف وعشرون ألف دينار، وسبعمائة طبق فضة، وذهب، ما لا يحصى من الأسطى، والصحاف، والمضارب، والأباريق، والقخور، والربادي، والقطع من الذهب، والفضة المختلفة الأجناس، وكذلك شيء كثير من براني النسيبي الكبار المملوءة بالجواهر التي بعضها منظم كالسبح، وبعضها منثور. (٣)

ووجد من أصناف الدباج، وما يجري مجراه من قناني وشعره تسعون ألف ثوب في ثلاث خزان كبار مملوءة صناديق كلها سبكي، وشرب خيل تيمم، ودمياط على كل صندوق شرح ما فيه، وجنسه، وخزانة للطبيب مملوءة بالأسفاط من المواد، وغيره مكتوب عليها أوزانها، وأجاسها بالإضافة إلى براني المملوك، وبراني الكافور، وما لا يحصى من العنبر. ووجد له من المقاطع، والثور، والفرش، والمطبخ، والمساند،

(١) أسيرة الشورججي: رؤية لرحلته ص ٤٦١؛ ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٥٨.

محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٦٢.

(٢) ابن خلدون: أخبار الدول، ص ١٧٩؛ التويري: المحرر السابق، ص ٨٢.

(٣) ابن نولد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٢٣٠.

والذهب، والديبقي الحرير، والمذهب على اختلاف أجناسها أربع حجرة، كل حجرة مملوءة من هذا الجنس، وكذلك حزالة بها عدة صنابير تحوي اختلاف ذهب عراقي يرسم الاستعمال. (١)

وكان له مجلس يجلس فيه للشراب فيه صور ثماني جوار متقابلين، أربع منهم بيض من كافور، وأربع من غير قيام في المجلس عليهم ألحاح الثياب، وأمن الحلي، ويأيدون أحسن الجواهر، فإذا حل من باب المجلس وطئ العتبة نكس برؤوسهم خدمة له، فإذا جلس في صدر المجلس استويين قدامات، بالإضافة إلى خرائن من كتب كانت تشتمل على نحو خمسمائة ألف مجلد. وكذلك هذه الخرائن على أن خسران القصور الفاطمية عاد إليها قسط وفر من عمارها الذي كان قبل الشدة العظمى. (٢)

هكذا وعلى الرغم مما تعرضت له الدولة الفاطمية من شدائد، وكبات في العصر الفاطمي الثاني، فإن هذا الزراء، والترف ظل حتى نهاية الدولة الفاطمية، فقد وجد بالقصر الفاطمي عند اعتلاء صلاح الدين مجلسه ٥٦٧هـ/١١٧١م من التحف، والنفائس النادرة ما تظلو الدنيا من مثله، ومن الجواهر التي لم توجد عند غيرهم، وروى ابن الأثير أنه رأى الجمل الباقوت الذي كان من تحف الفاطميين، ووزنه بنفسه، ولم يزل ذلك لما صدق ما قيل له عن جماله وبخامة حجمه. (٣)

ويعجب المقرئ من كميات التحف، والنفائس، والأموال التي أخرجت من القصر على يد صلاح الدين " ما بين دينار، ودرهم، ومصدغ، وجوهر، ونحاس، ولبون، وأثلث، وقماش، وملاح، ما لا يلي به ملك الأكابر، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة... ولا يحدر على حسابه إلا من يندر على حساب الخلف في الآخرة. (٤)

(١) ابن خلدون: سيرة الدولة الفاطمية، ص ٢٣١.

(٢) القلندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٥١١؛ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٦٢.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ١٢٨.

(٤) المقرئ: القطر، ج ١، ص ٤٩٦؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري،

لم يُحرم الإسلام للضي، ولكنه دعا إلى التكافل الاجتماعي؛ أما الخلل الاجتماعي الذي أحدثه الوزراء فلأنهم انشغلوا بتجميع الثروات، والتحصن، والنفاس، وتركوا الرعية للذين هم مسؤولون عنهم؛ نتج عن الفقر، والمجاعات، ولم يخططوا لإعانة الشعب من الفقر، أو يُحدثوا مآغا من التكافل الاجتماعي، فصار للوزراء هم الآخرون ضمن عوامل فساد المجتمع بتخليهم عن الدور المنوط بهم لقيام به، وتقديم مصالحهم على غيرها.

هو لخدم والجواري:

كان القصر الفاطمي يكتظ بعدد كبير من الجواري، والعيبة لتقديم بالوظائف المختلفة، وقد بلغ عدد هؤلاء حدًا عجز للمؤرخون عن تحديده، حيث كان لكل فرد من أفراد الأسرة الحكمة، وكبار رجال الدولة من الوزراء، والكتاب وأرباب الرتب عدد من الجواري، والخدم<sup>(١)</sup>، رائد متمن بنصيب والفر من الامتيازات التي لم تُمنح لغيرهن حتى أصبحن بالثراء الفاحش، فعاشوا عيشة ثرف، وبخ، وتركبن العديد من الثروات التي أسهب المؤرخون في ذكرها.<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من أن العبيد لا يحق لهم الميراث، ولا يجوز لهم الوصية شرعًا؛ لأن أموالهم لمولاهم لا يرثهم أحد، فإن الدولة الفاطمية كانت تعد العبيد المناسرين للدعوة الإسلامية، حتى وإن لم يحصلوا على حريتهم، من حقهم الإرث، كذلك كانت تقبل شهادتهم، كما كانت تسمح لهم بالبيع، والشراء، والتصرف في ممتلكاتهم.<sup>(٣)</sup>

لذلك فقد كان الجواري في الدولة الفاطمية يحفظون بأمانهم خاصة، وثروات كبيرة، نتيجة لما يُمنح لهن من عطايا وهبات، يسروى المعريزي في حوادث سنة ٤١٥ هـ/١٠٢٤ م، توفيت عائشة جارية

(١) عبد الملعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٨٦.

(٢) ابن قري بردي: التاج، ج ٥، ص ١٢ الفشلي: صديق الأعشى، ج ٣،

ص ٥١١.

(٣) القاضي التتمل: المجالس والمسلمات، ص ٣٩٢، ٣٩٤.

الأمير عبد الله بن المعز، وكانت من وجوه عجائز القصر، وحُفَّتْ أربعمائة ألف دينار. <sup>(١)</sup> كما كان بعضهن يملكن العفارات، والبور وإقطاعات، وكانت هذه الأملاك تُؤجر لصلابهن، ويحصلن على ريعها. <sup>(٢)</sup> كما ينكر المقرئ أنه من كثرة ثروات العبيد والبساري أصبح لهم شرفه يُشرفون على مصالحهم مثلهم في ذلك مثل كثير رجال الدولة، والفراد الأسرة الحاكمة. <sup>(٣)</sup>

كما كان يُمنح للعبيد بعض الوظائف المهمة في الدولة الفاطمية، وكان ذلك يتوقف على ما يظهره العبد من نشاط، وبجاعة، ومن أمثلة ذلك زيد بن 'صاحب المظلة' الذي أعقته الخليفة الحاكم سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٤ م، ومن المعروف أن حامل المظلة كان من كبار موظفي الدولة بحمله ما يعلو رأس الخليفة، وهذا شرف ما يناله إلا من كان يتمتع بثقة الخليفة، وتقديره. <sup>(٤)</sup>

زادت مكانة الخدم حتى أصبح لهم خطط تحمل أسماءهم داخل القاهرة، حيث كان هناك حارة العطوفية نسبة إلى الخادم 'عطوف' أحد خدام القصر الفاطمي، الذي كان مُختصاً بخدمة السيدة 'ست الملك' أخت الخليفة الحاكم بأمر الله، وينكر المقرئ أن العطوفية كانت من أهل مساكن القاهرة، وفيها من الدور العظيمة، والحمامات، والأسواق، والمساجد ما لا يدخل تحت حصر. <sup>(٥)</sup> وكذلك حارة ملوخيا التي كانت

(١) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٧٣ حسن إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر، ص ٤٦٢.

(٢) المقرئ: خطط الحفاد، ج ٢، ص ٤٣٦، نوري عبد الكريم: المرأة في مصر، ص ١٠٧ عبد السلام سلطان: المرجع السابق، ص ١١٦.

(٣) المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٦٩.

(٤) المقرئ: الخطط، ج ٣، ص ٨٩.

(٥) المقرئ: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤.

Atiya (A.S) - The Crusade in the Latter Middle Ages, London, 1938, p. 4 - 5.

تُعرف في بدايتها بحارة قائد القواد نسبة إلى حسين بن جوهري في عهد من  
 عهد الخليفة الحاكم بأمر الله. <sup>(١)</sup> كذلك كان للخليفة العزيز بالله خدام يُدعى  
 ريدان الصقلي، عُمُرٌ بُسُفًا سُمي باسمه "بستان ريدان" ثم تحول إلى  
 حي الزيدانية، وهو مشهور في التاريخ بأنه أول محطة للعمل للفريد <sup>(٢)</sup>  
 لم يقتصر الأمر عند هذا الحد من وصول الخدم والجواري إلى  
 أعلى المناصب في الدولة، ولامتلاك الثروات الضخمة بما كان يُبذل إليهم  
 من هدايا، وعطاءات مُبالغ فيها من قبل الخلفاء، وكبار رجال الدولة. فقد  
 كانت من الأمور المعتادة في الدولة الفاطمية أن يتزوج الخليفة الدطمي  
 من إحدى الجواري، فتصل الجواري بذلك إلى مرتبة الصبوة، حيث  
 تصبح زوجة خليفة أو أم الخليفة، وبالتالي تتدخل في شؤون الدولة -إنها-،  
 فالمعروف أن زوجة الخليفة العزيز، وأم الحاكم بأمر الله كانت جارية  
 رومية مسيحية. <sup>(٣)</sup>

كما تزوج الحاكم من إحدى جواري أخته ست الملك. <sup>(٤)</sup> وتزوج  
 الظاهر من جارية سودانية وأنت له ابنه المستنصر بالله، <sup>(٥)</sup> وقد تدخلت  
 هؤلاء في شؤون الحكم مما تسبب في ظهور الفساد، ووقوع الفتنة بين  
 طوائف الجند، حيث كانت كل منهم تميل إلى بني جنسها. ومن ملاحظ  
 أيضًا أننا لم نسمع بأن خليفة من الخلفاء الفاطميين قد تزوج من مصرية،  
 على الرغم من أن فترة الطويلة التي قضاها في مصر.

كما كان الخلفاء يقومون بعتق العبيد في المناسبات المختلفة، وقد  
 أكثر الحاكم من ذلك حتى أنه اعتق سنة ٤١٤ هـ/١٠٢٣ م جميع من

(١) أنطوني 'المصر السابقه ج٢، ص ٩٠ و٩٢. ane - Poole : op. cit., p. 90-92.

(٢) عبد السلام مطران. المجتمع المصري، ص ١١٦ و١١٧. Atiya (A.S) op. cit., p. 54-55.

(٣) سايروس بن المقفع: سر القبيصة المقسمة، ج ٣، ص ٢٠، ص ٥؛ الأنطلي - تاريخ  
 الأنطلي، ص ١٦٤؛ عبد السلام مطران: المرجع السابق، ص ٨٧.

(٤) الدواليبي: كثر القدر، ج ٦، ص ٢٦٥.

(٥) الدواليبي: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٦٤.

كان يمتلكه من العبيد، والإماء، وملكهم ما تحت يدهم في حلة الرز مس  
لأموال. (١)

وردت ثروات العبيد، وازداد جشعهم، وطمعهم، وازداد مساهمهم،  
وصبحوا يمثلون مصدر قلق في الدولة، ولاسيما في أوقات المجاعات،  
فكان العبيد لا يتوزعون في تلك الظروف عن مهاجمة الدور والحواسن  
لنهب ما فيها، ويشتبكون مع العامة من أجل سلب أموالهم، وممتلكاتهم،  
حتى في الخفاء لم يجدوا أمامهم سوى إصدار الأمر بقتلهم إذا أصرو  
على فعلهم. (٢)

وعلى الرغم من ثراء الدولة الفلحس، وبذخها، وترفها الذي وصل  
إلى خدعها، فقد كان ذلك قاصراً فقط على رجالها، وحاشيتها، أما عامة  
الشعب، والأذن سكوا القسطاط، فكانوا يعيشون عيشة الكفاف، ولا  
يستطيعون سد حاجاتهم الضرورية، اللهم إلا النذر القليل الذي كان الخلفاء  
يعدونه عليهم أثناء التولع، والأعياد، أو عند ركوبهم للفرجة يومي  
السبت، والثلثاء، غير أن سياسة العطف هذه لم تكن حلاً لمشكلاتهم  
اليومية، مما اضطر بعضهم للحصول على الأموال بطرق غير مشروع.  
فبروي المسيحي: أنه سرق قنديلًا من الفضة من جامع عمرو بن  
العاص، ورفع القاضي الأمر إلى خليفة الحاكم بأمر الله، فقال الحاكم  
للرجل: "أولئك، سرقت فضة الجامع، فقال: إنما سرقت مال ربي، وإني  
فقير ولي بنت جبان، والإنفاق طويهن أفصل من تعليق هذا في الجامع.  
لدمعت عيناه .. وأمر بيزحضر بنته فحضرت، فأمر القاضي أن يجهرن  
بثلاث آلاف دينار، ويزوجن، وأعاد القنديل إلى الجامع". (٣)

---

(١) لأطباكي تاريخ الأنطاكي، من ٢٠٦ : السوادسري : نشر المنصر . ج ٦ ،  
ص ٢٨٨

(٢) المقرري : المخط ج ٢ ، ص ٣٦٦-٣٦٧ : Hcyd, W op. cit, p. 391

(٣) الكندي : الولاء وكتب القضاء من ١٢٧ : عبد السلام سلطان : المجتمع المصري ،  
ص ٧٩ ، ٨٠ .



إن كاتب هذه الرواية توضح لنا حالة العنفة البائسة على الرغم من ثراء الدولة واهتمامها بالمظاهر، تظهر لنا أيضاً أن ثلاثة آلاف دينار قد تم بحل مشكلة ثلاث قتيات، وأتمت زواجهن، في حين أن الراتب الشهري للوزير القاطمي وحده يصل إلى خمسة آلاف دينار كما ذكرنا، هذا غير ما كان يحصل عليه من طعام، وشراب، وكموة، وهدايا، وغير ذلك الكثير.

و. الأعياد والاحتفالات وما يُصاحبها من مظاهر البذخ والإسراف:

تميز البلاط القاطمي في مصر بحفلاته الباذخة التي انتشرت بشكل لم يُعرف في أي بلاط إسلامي سابق، أو لاحق، وكانت تلك الاحتفالات تتألف من رسوم معينة تتبع بدقة في الأعياد الرسمية للدولة، وكان الفيلسوف يشترك في تلك الاحتفالات، ويشهد هذه الرسوم هو ورجال دولته وجيشه، وذلك في أيام مشهودة من العام. (١) وقد صاحب هذه الاحتفالات العديد من مظاهر البذخ، والترف، والإسراف التي مالت للحد. (٢)

لم يُعرف على وجه التحديد أصل هذه الاحتفالات، حيث إنها لم توجد في بلاط الفاطميين في إفريقية، وكانوا يعيشون حياة تقسم بالزهد، والكثف. (٣) ولكن بمجرد وصولهم إلى مصر تبدلت الأحوال وتحولوا من التقى إلى التقيض، فمالوا إلى الإسراف، والحياة المرفهة، وكان ذلك منذ اللحظة الأولى من وجودهم في مصر، فالمعروف أن أول من استقر تلك الرسوم، وأكد على العمل بها هو المميز لدين الله الفاطمي، أول الخلفاء الفاطميين في مصر. (٤) والذي أكد المقريري أنه كان في بلاد المغرب بمقت حياة الترف، والبذخ، ويميش حياة متواضعة، يدعو رجائه إلى ذلك. (٥)

(١) عهد النعمان ملحد: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ٢، ص ١٦٢٧، قيام الدولة الفاطمية، ص ٢٥٨.

(٢) المقريري: الخطط، ج ٧، ص ٤٤٥، ابن خلدون: المقدمة، ج ٢، ص ١٢، ١٣.

(٣) المقريري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٤.

(٤) ابن تقي الدين: التجويد، ج ٤، ص ٧٩.

(٥) المقريري: الخطط، ص ١٦٤، الخطط الحفلة، ج ١، ص ٥٢.

وفي مصر بالغ الفاطميون في مظاهر الاحتفالات، وفي الاتفاق  
عليها، وقد شملت تلك الاحتفالات الأعياد الخاصة بالمسلمين، وكذلك  
الخاصة بأهل الذمة، فجمعت بين الأعياد المصرية القومية<sup>(١)</sup>  
والأعياد القبطية<sup>(٢)</sup> وكذلك المذهبية<sup>(٣)</sup> فقد كانت تلك الأعياد

(١) الأعياد المصرية القومية: كان المسلمون يحتفلون بعيد القطر والأمحر، وهما  
العيان الثاني يحتفل بهما المسلمون في كل مكان، وإلى جانب هذين العيدين كانت  
المادة في مصر الفاطمية أن يحتفل كذلك بعيد رأس السنة الهجرية (أول محرم)  
والمويد القوي (١٢ ربيع الأول)، وقائلة الحج، وكذلك ينال الوفود الأربع، وهي  
أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه، وكذلك صوم رمضان. وما يصاحبه من  
مظاهر احتفال كال يقوم بها الفاطميون وقت الإططار وتسجور... راجع:  
المقري: الخطبة ج ١، ص ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦١، ٤٩٢؛ ج ٢، ص ٣٤٥-٣٤٨  
عيد المنعم مانج: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ٢، ص ١٢٩-١٤٥، قيام الدولة  
الفاطمية ص ٢٦٤.

(٢) الأعياد القبطية: كان للبط لريمة عشر عيدا في كل سنة قبطية، سبعة كبار  
وسبعة صغار، أما الأعياد الكبار فكانت: عيد البشارة، وعيد الزينونة، وعيد  
القيص، وعيد خميس الأربعين، وعيد الخميس، وعيد الميلاد، وعيد القساس، أما  
الأعياد الصغار فهي: عيد الختان، وعيد الأربعين، وعيد خميس العهد، وعيد  
سبت النور، وعيد أحد الحور، وعيد القبطي، وعيد الصليب. كذلك كان للبط  
أعياد غير ذرية، ولكنها ورثت من أجدادهم مثل: يوم القيور الذي ينال  
لنومه مع أقصى ارتفاع للفيض، وكان لفقاه الفاطميون يرون بحضورهم  
بعض تلك الأعياد كقمة لها، مثل (القيص، والميلاد، وخميس العهد)،  
وكانت توزع فيها قذحية صغيرة تعرف بقراريب...، ولجمع ابن المأثور:  
أخبار مصر، ص ٩٥؛ أيس قوليد: الدولة الفاطمية، ص ٥٦٠، ٥٦١؛ عيد  
المنعم مانج: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ٢، ص ١٣١-١٣٦؛ عيد المنعم  
ملطس: المجتمع المصري، ص ١٦٢، ١٧٧.

(٣) الاحتفالات المذهبية الشيعية: وهي أعياد خلصة بالمذهب الشيعي، لم يبع الاحتفال  
بها في المغرب، وإنما ظهرت في مصر، وهي لإحياء ذكرى أحداث حسنة -

بمناقب الدعاية والإعلان عن عظمة الدولة الفاطمية، وغناها، كذلك كانت فرصة لنشر المذهب الشيعي في مصر. <sup>(١)</sup>

أدت كثرة هذه الاحتفالات، والتي بلغت سبعة وأربعين احتفالاً تقريباً، إلى إرهاق ميزانية الدولة، وذلك لما كان يتم في تلك الاحتفالات من عداوات للهوى، وللعجب، والزينة، وكذلك إعداد المُنحَنِ، والمعبيات، وكافة أنواع الأطعمة وما يلزمها من أنواع الشراب المختلفة. <sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى ما كان يورع من هبات، وعطايا، وكسوات، وأموال يسمحها الخليفة لرعاباء المقربين. <sup>(٣)</sup> بالإضافة إلى الخدم التي كانت تقصب لتلك الاحتفالات والتي بذلوا فيها بمغاه كبير، حتى إن أحدها، ويعرف

---

= جرت في تاريخ الحركة الشيعية وتطورها، نذكر منها، الاحتفال بيوم عاشوراء (١٠ محرم) مقتل الحسين في كربلاء ٦١ هـ / ومولد الحسين (٥ ربيع الأول) ومولد السيدة فاطمة (٢٠ جمادى الآخر). ومولد الإمام علي (١٢ رجب)، ومولد الحسن (١٤ رمضان) ومولد الإمام المعاصر ويُطلق على هذه المولدات "المولد الخمسة"، بالإضافة إلى "المولد النبوي"، كذلك الاحتفال بعيد الخدير (٨ ذي الحجة) وهو عيد الذي يؤكد أخوية علي رضي الله عنه في الخلافة، وبالتالي الفاطميين، إنَّه كل من أهم أعيادهم، بالإضافة إلى عيد النصر، وعيد تمصيب رلي العهد. راجع: ابن الملقون: أخبار مصر، ص ٨٢، ٨٣، القلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٢٠، ٤٢٢، عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٥٣-١٦٢، أبو فؤاد سيد الدولة الفاطمية، ص ٥٦٠.

(١) القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ٥١٢ - ٥١٣، ٢. عيد المصمم ماجد، شرح السابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٢) المقريزي: قسطنط ج ٢، ص ٣٦٣؛ ابن الملقون: أخبار مصر، ص ٩٥، أمية الشوربجي. رؤية للحقبة، ص ٤٦٢؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص

١٥٣

(٣) المقريزي: المصدر السابق، ص ٣٦٣

بالقاتول<sup>(١)</sup> كان يتكلف صنعه أكثر من ثلاثين ألف دينار (٣٠.٠٠٠)؛ لأن ورن صفرنية القفصة ققطاران.<sup>(٢)</sup>

بالإنصاف إلى ما عُرف في الدولة الفاطمية بسماط الحليف، والذي كان ملزماً لتلك الاحتفالات، والذي كان يصمم العديد من أنواع الطعوم المختلفة التي يعبر العقل عن وصفها، أو للتحدث عنها، ولعل خير شاهد على ذلك هو الرحالة ناصر خسرو الذي اشتاق لرؤية هذا السماط - ولو عن بُعد - وقد تمكن من ذلك بمساعدة أحد الخدم، وكان ناصر خسرو من أدهشة، ولعجب لما رآه على تلك السماط، وعندما أراد وصفه، حشى أن لا يصدق أحد، أو أن يتهمه ببعض بالمبالغة أو الحزن.<sup>(٣)</sup>

أما ابن المأمون فيوضح في تاريخه مدى إسراف الدولة الفاطمية، وبذعها على مثل تلك الاحتفالات، فيذكر أن قيمة المصرف عيناً من بيت المال في مدة خمسة عشر شهراً تلت توليته للوزارة - أول محرم ٥١٧ هـ/ أول مارس ١١٢٣ م - هي أربعمائة وسبعة وستين ألفاً ومائة وأربعين دينار ونصف<sup>(٤)</sup> (٤٦٧.١٤٠.٥)، وما تم توفيره هو ٩٨.٣٩٧ دينار جمعت إلى الصندوق الخاصة برسم المهمات العسكرية الاستثنائية.<sup>(٥)</sup> أي ما يقرب من ثلاثة أرباع إيرانية للدولة صرخت على تلك المظاهر. أما الربع الباقي من مجموع نفقات الدولة فقد خصص لمرثبات الوزراء، وإخوانه، ولولادهم، وما يحمل مشاهرة إلى موظفي الدولة.<sup>(٦)</sup>

---

(١) عرب بالقاتول لأنه ما نصب قط إلا وقتل رجلاً أو رجلين ممن تولى قتاله من شرار وغيره. (المقريزي: الخطط، ج ٢، ص ٣١٣).

(٢) للمقريزي: المصدر السابق، ج ١، ص ٤١٩.

(٣) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ١١٧.

(٤) ابن حجر: أخبار مصر، ص ٩٥.

(٥) ابن المأمون: أخبار مصر، ص ٧٠، ٧١؛ المقريزي: المصدر السابق، ج ١، ص

٣٩٩.

لم يقتصر الإسراف، والبلذخ، والمغالة فيه إلى حد تلك الاحتلات التي كانت تقترن بالعديد من مظاهر التصق والفجور والفساد.<sup>(١)</sup> فحسب، بل تحطت ذلك في نعمت الفاطميين في مناصرة أعتابهم العباسيين في جميع أمور حياتهم، بل عمدوا إلى التفوق عليهم، وكان من ضمن هذه الأمور المعدل، والبلذخ في المواعد التي كانت تقدم إليهم.

لذلك فقد تفتن الفاطميون في إعداد أنواع الأطعمة، والأشربة، وحرصوا على إحضارها من مصانعها حتى ولو كانت بعيدة، فتمسرت مرادهم بالتنوع، والكثرة، حتى إن المطبوخ من كل ضمام لهم كانوا يجعلونه أضغاث ما يحتاجون إليه؛ لذلك كانت الأطعمة تزيّن بكميات كبيرة عن الحاجة المطلوبة، فكان الخدم يصنعونها ويبيعونها في الأسواق، وينفقون بأثمانها.<sup>(٢)</sup>

لم يقتصر هذا الأمر على اختلاف فحسب، بل اشتمل وررهم للمقربين منهم، فقد كان لوزير العزيز بالله الفاطمي - يعقوب بن كلثوم - في قصره مطابخ خاصة له، ولصديقه، وأخرى لحاشيته، وعلمائه، تمتد يومًا لخاصته يأكل هو، وحواسه من أهل العلم ووجود الكتاب والعلماء ومن يستدعي إليهم، وتمتد موايد أخرى لبقيّة حجاب، وحاشيته.<sup>(٣)</sup> ويذكر المقرئ أن الدولة كانت تنفق على خزانة التوابل فقط سنويًا ما يصل إلى خمسين ألف دينار.<sup>(٤)</sup>

انعكس شدة إسراف الدولة الفاطمية ويذخها في هذا المجال على من حولها من الخدم والفلمن، فعلى الرغم مما فتمته الدولة الفاطمية لموظفيها ورعاياها من كافة أصناف الطعام والشراب إلى رعاياها عسرين أو حد منهم كان يمرر عشرة والعشرين دينارًا على طعامه، وذلك كما يقول المقرئ بسعة أحوالهم وشدة بنفهم.<sup>(٥)</sup>

(١) ابن أبي عمير: بنقح الزهور، ج ١، ص ٤٦.

(٢) إبراهيم زروق: تاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١١٨، ١١٩.

(٣) ابن حلكان: وقفات الأعيان، ج ٢، ص ٢٩؛ المقرئ: الفسطح، ج ٢، ص ٦.

(٤) ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٥٨؛ المقرئ: المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢٠.

(٥) المقرئ: انكشاف الحقائق، ج ٢، ص ٣٤٣.

تجلت مظاهر الترف والابذخ في الشراب أيضاً، فأعد له العظميون خزائن خصصت لحفظ العديد منه وصنعه، حتى إلى بعض الحلفاء منهم من قد تناول المشروبات المسكرة، وأدمنوا على تعاطيها في مجالسهم، وكذلك فعل ورثاؤهم، وقد ارتفعت قيمة اللقمة على تلك الحرائر - حراة الشراب - حتى بلغت مئة ألف وخمسمائة دينار في السنة.<sup>(١)</sup>

ثم يكن للعالميون يبالغون فقط في أنواع الأطعمة والأشربة، بل بأنما أيضاً في الأواني المعدة لحمل تلك الأطعمة، فوصلوا من الإسراف إلى حد الذروة، واستغنوا الأواني الذهبية لهذا الغرض - على الرغم من تحريم الإسلام لذلك<sup>(٢)</sup> - فكانت الجواهر تحيط بأنوار المطبخ، التي تُعمل على صواني ذهبية، عليها صور آدمية<sup>(٣)</sup>، وصور لبعض الحيوانات، فكانت بعض الصواني تحمل صور الفيلة التي استعاض عن عيليس بجوهرتين كهرتتين، وكلت أنيابها بالفضة، كذلك اتخذوا لزيارات من البلور المرصع بالجواهر، واكلوا العزير بحب اللؤلؤ النفيس.<sup>(٤)</sup>

أدى هذا الإسراف المبالغ فيه في الطعام والشراب إلى زيادة مظاهر الفساد التي استطاعت أن تتسرب لتصل إلى جسد الخلفاء، فقد اشتهر الفاطميون بملازمة الأطباء لهم أثناء تناول الطعام الذي تكثر من ألوانه، واتعمسوا فيه، حتى أدى بهم إلى الكثير من علل الجهاز الهضمي، حتى أصيب أكثرهم بمرض القولنج (القولون)، وهلك بعضهم به، الداء. فما كان من الخليفة الحافظ لدين الله إلا أن أمر بصنع المشهور الذي بقي حتى الدولة الفاطمية، حيث كسره لحد الأمراء الأكراد.<sup>(٥)</sup>

(١) المقرري: الخطوط ج ١، ص ٤٢٠.

(2) Stanley - Lane Poole : op. cit., p. 86.

(٣) المقرري: الخطوط ج ١، ص ٤٧٢؛ فين حكايا : المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٤.

(٤) برنارد رزق الله أوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٢١.

(٥) المقرري: الخطوط ج ٣، ص ٢٢٠، ٢٢١.

كذلك على الفاطميون بملابسهم، وبنوا بسخاء في سبيلها. ومن أجل ذلك بنى المؤمن لدين الله داراً للكمونة كان يتصل فيها جميع أنواع الثياب من كمونات الصيف والشتاء، وقد درج الفاطميون على توزيع تلك الكمونات على جميع خدمهم وحواشيهم، وقد بلغ مقدارها في العام ستمائة ألف دينار (٦٠٠.٠٠٠) بالإضافة إلى ما كان يرتديه الخلفاء من ملابس كانت غالباً موشاة بالذهب، أو الفضة، والديباج الموشى بالقصب، والعمائم التي تتلألأ بالجواهر، والياقوت. (١) وقد هذا الوزراء، وكبار رجال الدولة حدو الخلفاء، حتى في الوزير الأفضل بن بدر الجمالي قد ترك تسعين ألف ثوب طاهي من الديباج، وثلاث خزانة كبيرة ملأى بالثياب الزرقاء من صبيع دماط، يصل ثمن القميص الدبقي منها إلى عشرة آلاف دينار. (٢)

بلغ التبذخ بالفاطميين إلى حد كموا فيه دولهم بالمنسوجات الحريرية الموشاة، وألبسوا القيلة الطلي، والسروج المنحبة، أو المحلاة بالفضة، وكذلك كانت نجاسهم. (٣)

هذه كانت لمحات من حياة أهل الحكم، التي اقتصرت بأموال البلاد، لتنفقها على بناء القصور، وتأمينها، وإقامة المآدب، والملاهي، والافتخار في مظاهر التبذخ، والترف، والإسراف، الذي لم يزل معه، لا المقربون منهم، أما بقية الشعب فكان يتخبط في ضيق على الرغم من سر الدولة، لتبقى الفوارق الاجتماعية الكبيرة مستمرة بين أهل الحكم، والرعاة يصل بينها سور عظيم أحاط به الفاطميون أنفسهم، فحجب عنهم معالاة الشعب الذي ظل مغلوباً على أمره، يحمل في قلبه الخوف، والرهبة من الخلفاء، والجور، والثورة عندما يشتد الحرمان.

ليذكر المسيحي: أنه في عام ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م هجم المسلمة على القصر، وكان ذلك يوم عيد النحر، صائحين بأعلى أصواتهم: "انحور

(١) المغربي: القبط ج ١، ص ٤١٠.

(٢) ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٩٩.

(٣) المغربي: القبط ج ١، ص ٤١٨.

الجوع، نحن أحق بمعاملة مولانا، وذلك بعد أن رأوا السعاط يسرف في الشارع الأعظم نهائياً إلى قصر الخليفة، ولم يدرك الناس بضرب الصقالية نيم، ونهاقوا على الطعاع، وصرب بعضهم بعضاً، وتهبوا جميع ما أصلح من الأحبار، والأشوية، والطوى. (١)

### ثانياً مظاهر الفساد الاجتماعي بين طوائف الجنج وأثره على المجتمع المصري

لقد عرف المجتمع المصري أوضاعاً سياسية متغيرة، يتقلب الخلفاء والوزراء، ويسيطرون على الأحكام في البلاد من مركز قوة أو ضعف، ورافق هذه التقلبات السياسية اختلاط عناصر بشرية متعددة الأصول، لا تربط بينها أية روابط يمكن أن تشدها إلى بعض فتتألف من بعدها تتآحر، وتتقابل فيما بينها محدثة الفتن، والاضطرابات داخل المجتمع المصري.

فقد شهد المجتمع المصري على مر تاريخه أوضاعاً سياسية متغيرة ساد فيها من ساء، وحكم فيها من حكم، وظهورت فترات قوة، وازدهار، أعقبها حالات من الضعف، والاضمحلال، والظلم والفساد. كل هذا أفرز هجرات، وقوطن، واستيطان بشري أدى إلى الاختلاط، وتعدد الأصول والأجناس، والقوميات، مما أحدث كثيراً من الفتن، والاضطرابات داخل المجتمع المصري ولاسيما في مراحل الضعف مما كان له أثره السلبي على مظاهر الحياة الاجتماعية.

لما اتخذ الفاطميون مصر مقراً لحلافهم، ساروا على طريقة العباسيين في الاعتماد على غير أبناء جنسهم، فصار جيشهم في عهد المعز لدين الله الفاطمي يتألف من قبائل كتلمة، وزويلة، وبعض طوائف البربر، ومن الصقالية. (٢) ثم جاء العزيز بالله الفاطمي، واستخدم السديلم، والأتركة، (٣) وظل الحال على ذلك إلى أن ولي الحاكم بأمر الله الخلافة

(١) تميمي: أخبار مصر، ص ١٨٢، Heyd: op. cit., p. 390.

(٢) ابن ميسر: تاريخ مصر، ص ٥٩ - ٦٠، ابن كثير: يردى. الفجور، ج ١، ص ٩٠.

(٣) تميمي: الفسطاط، ج ٢، ص ١٢؛ علي باشا مبارك: الضبط لتوثيقية، ص ١٢؛ ابن فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٦٦٤.



لـاعتماد في جيشه على الجنود المرتقة من الأتراك والسودانيين الذين علا شأنهم في عهد المستنصر بالله، حيث استكثرت أمة منهم حتى بلغ عددهم خمسين ألفاً. <sup>(١)</sup> وقد ظل للتفاعل بين الأتراك والسودانيين مما كان له أسوأ الأثر في حاقه مصر الداخلية. <sup>(٢)</sup> هذه الأمور الذي أدى إلى استعانة المستنصر بالله بقوى خارجية تمثلت في بدر الجمالي وجنده الأرمن <sup>(٣)</sup> وعج المجتمع بعديد من العناصر السكانية، والطوائف مختلفة الانتماءات، والثقافات، والقطاعات.

ولقد كان يعقب ظهور فرقة عسكرية من طائفة بعينها حالة من الصراع؛ حيث كانت الفرقة تقوى على حساب الفرق الأخرى، ويحدث التباعد، والتناقص، والبحث عن المصلحة، وفي ظل هذه الأوضاع كانت مصر تتعرض للتفكك من الاضطرابات، والفتن، ويتعرض أهلها للفساد

(١) المقريزي: المصدر السابق، ص ٢٣-٢٤.

(٢) نفسه: محمد جمال الدين سور؛ الفتوة القاطمية في مصر، ص ٩٣.

(٣) الأرمن: يذهب بعض المؤرخين إلى أن وجود الأرمن في مصر يعود إلى عصر الأسرات المصرية القديمة، ثم تزايد عددهم خلال الحكم البيزنطي (٥٢٧ - ٦٤١هـ)، وكذلك مع الفتح الإسلامي لمصر؛ وقد اشترك بعضهم في فتح مصر، مثل القائد (ثارتان) (وردان) مولى "صبرو بن الملمن" الذي كُتب بأبي عبيدة، وهو من روم أرمينية، كانت له دار بالقسطنطين تعرف بدار "الحنس"، جعلت ديواناً في إمارة مسلمة بن سعد أمير مصر، وقد شيد "وردان" سوقاً في القسطنطين عرفت بعرق وردان، وبني في هذا السوق دارين وحمام عرف بصمام "الرجاجي"، كذلك تولى بعض الأرمن المسلمين في أثناء الحكم العباسي إمارة مصر، مثل الأمير علي بن يحيى الأرمني في عام (٢٢٦هـ / ٨٤٠م) وقد تزايد عند الأرمن بدخول بدر الجمالي مصر.

للمزيد راجع: ابن دقاق: الاتصال الوسيطية عند الأمصار، ص ٦، ١٢٢.

- Mahe. Jean- Pierre Les Armeniens et l'Egypte, Le Monde Copt, No 9, 1980, Paris, pp. 25 - 26.  
- Armenians in Egypt, Contripation of Armenians to Medieval and Modern Egypt, 2006, p. 36.

بشئى أنواعه، هذا الأمر الذي عده بعض المؤرخين<sup>(١)</sup> سبباً من أسباب سقوط الدولة الفاطمية في مصر، ومن أجل ذلك كان ولا بد من التعرف على تلك الفترات، وطبيعة التناقض بينها حتى يتسنى معرفة الآثار الاجتماعية الناتجة عن ذلك لتقتض، والتي بدورها أضحت شئى الوحي الاجتماعية دلتل المجتمع.

١. الصراع بين المظربة والأتراك<sup>(٢)</sup> وأثره في عقد المجتمع.

قامت فئة المغاربة من كتل القبائل المغربية التي رافقت القائد جوهر الصقلي عند دخوله مصر، ومن قبله أثناء الصلات التي وجهت

(١) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠١-١١٠، أمينة الطيريجي: رؤية الرحالة، ص ٤٨٢.

(٢) تواجد الأتراك في منطقة التركستان Turkestan وهو اسم جامع لجميع بلاد الترك، وهي موطن الأتراك في آسيا الوسطى وتمتد من بحر الخزر (بحر قزوين) غرباً إلى حدود التبت ومنغوليا شرقاً وتشتمل على أقاليم ما وراء النهر وغرغاشة والسند وغوارم من غرلس، وفتتد الإسلام بينهم من خلال فتوحات قليلة بن مسلم في تلك الدولة الأموية (٤١-١٣٢هـ / ٦٦١-٧٤٩م) ومن أسباب التشار الإسلام بينهم أيضاً : انسجام هذا القيس مع العرب التركماني والقو عند الأخلاقية المتعارف عليها في المجتمع التركماني هذا بجانب السماحة واحترام الأعر وأقوله ومبدأ المساواة وفتحاح من الحقوق لكل هذه الأسباب مجتمعة دعت الأتراك إلى إشهار إسلامهم وبسير لهم شئى في ظل الدولة الفاطمية.

راجع : النرخشي (أبي بكر محمد بن جعفر) : تاريخ بخاري (٢٨٩-٣٤٨هـ / ٨٩٩-٩٥٩م)، الطبعة الثالثة، ترجمة د/ أمين عبد السجود بدوي، صدر الله مبشر الحزاري، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٩؛ كويولي زاده غزاة : نوركيا تاريخي، استنبول، ١٩٩٣م، ص ١٤٦-١٤٧ د. سعد رطلول عبد الحميد : الإسلام والترك في العصر الإسلامي والوسيط، بحث منشور في علم الفكر (١) دراسات إسلامية، تصدر من مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤، ص ١٨١ ركي وليدي طوغان : عمومي تورك تاريخية كير شى المدخل إلى التاريخ التركي العام، ج ١، مطبعة إسكندر، استنبول، ١٩١٩م، ص ١٨٦-١٨٧.

إلى مصر في عهد الإخشيديين، وتلك التي جاءت مع الخليفة المعز بسبي  
الله الفاطمي، كانت هذه الفئة عصب لدولة الفاطمية، والبناء التي تجري  
في عروقها. <sup>(١)</sup> إذ قامت على أكتافهم الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، ثم  
في مصر، وكانوا يدينون بطق المذهب الفاطمي. <sup>(٢)</sup>

وبنظرنا تلك المكلفة فقد تعالت هذه الفئة على أهل البلاد، فدخلوا  
في أول عهدهم نهب للمواضع في مصر اعتماداً على قوتهم العسكرية،  
فثار المصريون في وجوههم نقاعاً عن مواضعهم، مما اضطر جواهر  
الصقلي إلى كف يد المغاربة عنهم، وتعويضهم عما نهب منهم. <sup>(٣)</sup> وفي  
عهد المعز ندب الله ثلثاً مرة أخرى في صحراء العقابر، وأحسوا في  
نهب للناس، غير أن المعز قد فكر ذلك، وقبض على جماعة منهم. <sup>(٤)</sup>  
وبالتطبع أثر ذلك على المجتمع سلباً، وساعد على بدأ تفشي الفساد  
الاجتماعي.

وعلى الرغم من ذلك فقد اعتمد الفاطميون عليهم اعتماداً كلياً،  
ولم يهتموا على المناصب في الدولة، فاندفعوا إلى طلب المزيد من  
التدخلات التي أجبر الحلفاء على تقديمها بفضل الضغوط التي مارسوها  
عليهم. <sup>(٥)</sup> فلما تسلم العزيز بالله الخلافة غشى غشى نفسه من نموذج  
المغاربة، فاصطنع الأكراد، والدينم، وجعل منهم القواد تقديماً بالعباسيين،  
فحرك هذا الشعور المغاربة، ولأسماء الكتابيين منهم، وبدأ التماسد بعمل

(١) علي بن إسماعيل: الخطبة التوفيقية، ص ٤٣، محمد جمال الدين سرور: الدولة  
فاطمية في مصر، ص ٩٣، إبراهيم رزق الله ليوب: التاريخ الفاطمي  
الاجتماعي، ص ١٧.

(٢) المقريري: تاملت الحقائق، ج ١، ص ٩٣ - ٩٥.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٩، ابن يونس: بدائع الزهور، ج ١، ص  
٥٢، ٥٣.

(٤) المقريري: تاملت الحقائق، ج ١، ص ١٤٨.

(٥) إبراهيم رزق الله ليوب: المرجع السابق، ص ١٧.

وعله بينهم. <sup>(١)</sup> ولا سيما أن العزيز بالله قد اختار عند منعه لمناصب النبذة  
والثقة، هولي بنجوتكين للتركي القيدى وولاية دمشق، ووليا الصنلي حكم  
عكا، وبشارة الإصديدي حكم طبرية، ورياحا حكم عرق وولى برجوان  
إمارة القصر. <sup>(٢)</sup>

وعندما توفي العزيز بالله وخلفه ابنه للحكم بأمر الله تبارك وتعالى  
محتجب، ومطالبيين بإبعاد الأتراك، وتسلمهم الوساطة - الوزارة - نسي  
للحليمة الجديد رغبتهم، ونزل عند إرادتهم، فقلد الوساطة إلى أبي محمد  
الحسن بن عمار الكناشي، فاستبد بأمر الدولة، وقدم المغاربة على سائر  
الناس، ووزع عليهم العطاء، وحط من قدر الأتراك، والذين، وحرهم من  
العطاء. <sup>(٣)</sup> وزداد فساد المغاربة وزعمهم ابن عمار الذي بلغ من فساد  
أن ألزم سائر الناس بالترجل له. <sup>(٤)</sup> واستغل سلطته في تحقيق أطماع  
الكتابيين لفصهم ببعض الوظائف العامة في الدولة. <sup>(٥)</sup>

كانت نتيجة تلك السياسة زدياد جراءة المغاربة، فعاثوا فسادا في  
القاهرة، ونهبوا المتاجر، واشتبكوا مع الأتراك في بعض المعارك. <sup>(٦)</sup>  
التي أدت إلى حدوث فتنة كبيرة عمت مصر كلها، وذلك بعد أن كثر عبث  
المغاربة باستناد أبيدهم إلى غطف النساء من الطرقات، وشرية لرجال  
من ثيابه، وتطور الأمر بينهم، وبين الأتراك حتى دخل الفريقان في قتال  
شديد، انتهى بهزيمة المغاربة، وهروب ابن عمار من القاهرة إلى  
الفسطاط تاركاً داره، واصطبلاته غرضة لأعمال السلب والنهب. <sup>(٧)</sup>

(١) علي بكنا مبارك: المرجع السابق، من ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩،

تغيرت أحوال المغاربة بعد فضل بن عمار، وتولية برجوان الصقلي زعيم الأتراك للوساطة، حيث عمل برجوان على إقناع الحاكم بامر الله على التخلص من المغاربة، والاعتماد على الأتراك، فترك لبرجوان مآزدا، فقم القبض على ابن عمار، وقتله، وعقل كثيرا من المغاربة، فانحط قدرهم إلى زمن الظاهر لإعزاز دين الله، فزيت سوكة الأتراك<sup>(١)</sup>.

نخرج مما سبق بقية مهم، وهو أن الضعف السياسي، وعدم بحكام قبضة الحاكم على زمام الأمور يؤدي إلى تداعيات خطيرة على شتى المستويات ولأسيما الحياة الاجتماعية، حيث تحدث حالة من الفوضى، والفساد، غياب الرقابة وللتمييز لفئة على حساب الأخرى فتظهر الأحقاد، والأمراض الاجتماعية، وتكسب الهوية بين الطبقات، ويكون ذلك بمثابة بداية النهاية لمعظم الدول؛ لأن الأتوية يحطون عن العدالة الاجتماعية، ويصير عناصر المجتمع يكمله في بوتقة واحدة، وبكسر إذا غاب الرؤية ضاع الهدف.

وعلى الرغم من الآثار السلبية لتلك الفترة القسرية دارت بين الأتراك، والمغاربة والتي عانى منها شعب مصر فإن هناك عاملاً إيجابياً قد نتج عن تلك الفترة، حيث اجتمع كل من المسلمين وأهل الذمة - على الرغم من الاختلاف الديني - لمواجهة المغاربة، وإبعادهم عن الإدارة، هذا الأمر الذي أدى إلى ازدياد دور المصريين في الشؤون القاضية ولاسيما بعد أن حلوا محل المغاربة في الإدارة.

---

- قسم الخداس بالقاهرة من مكتب المغرب في جنى المغرب، تحقيق، حسين

بصار، مركز تحقيق لقرائش، القاهرة، ١٩٧٢، ج٢، ص ٥٨، ٥٩

(١) ابن الصيرفي: نفسه، ص ٥٧؛ ابن الأثير: الكامل، مصدر سابق، ج٩، ص

١٨٨؛ ابن حنكل، وفيل الأعيان، ج١، ص ٢٧١؛ المقرئ: نفسه، تحفة،

ج٢، ص ١٣، ١٤؛ المقرئ: نفسه، ج٢، ص ٣، ٤؛ ابن جرير: برد

النجوم، ج٤، ص ٤٨.

## ٢. الصراع بين الأتراك والعبيد .

لما العبيد السودانيون قد ظهروا في مصر منذ أيام كسندر الإخشيد الذي استكثر من أبناء جلدته، وكانوا يُطَبِّحون من الجوس كجود مرتزقة، استعان بهم الحاكم بأمر الله للتحصن من سيطرة الأتراك والتخفيف من وطأتهم، فبدأوا يتكاثرون، وشكوا نواة تكتل تسند الطليعة الحاكم بأمر الله. <sup>(١)</sup>

وقد علا شأن العبيد عندما غضب الحاكم بأمر الله على أهل مصر الذين صعدوا له تمثالاً على هيئة امرأة، وفي يدها رقعة، وأسموه فيها كلاماً مكروهاً، فعرض العبيد، والأتراك على إحراق مصر - السطاط - ودار قتال شديد في بداية الأمر بين أهل مصر من جهة، والعبيد، والأتراك من جهة أخرى، ثم احتز الأتراك، والمغاربة إلى أهل مصر ضد العبيد عندما تحققوا من مساعدة الحاكم للعبيد في إشعال الحريق. <sup>(٢)</sup> انثار الأتراك على الحاكم، وهندوه بإحراق القاهرة إن لم يكف عن ذلك. <sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من تصدي المصريين، والأتراك، والمغاربة للعبيد فإن أهل مصر قد هانوا للكثير من جراء تلك الفعلة، وذهب منهم الكثير، كما ذهب حوائجهم، وبيوتهم طعماً لأكلة للبيران التي أحرقت السطاط. <sup>(٤)</sup>

زداد نفوذ العبيد في عهد المستنصر بالله الذي كانت أمه سودانية، فاستكثر من العبيد - أبناء جلدتها - في جنود إبداء، وبسطت بهم الرق، وأهرفقتهم بالنعم، حتى صار العبيد بمصر يحكم الولايات، وتلالم خطرهم ولاسيما بعدما بلغ عندهم خمسين ألفاً، في الوقت نفسه يستكثر الخيفة من الأتراك، فأصبح الجند الفاطمي حائذين كيوسوقين، تتنافسان

(١) إبراهيم رزق الله أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٨.

(٢) ابن تيمري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٢٠، حسن إبراهيم حسن : تاريخ الدولة الفاطمية، ص ٢٥.

(٣) ابن تيمري بردي: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨١، ١٨٢.

(٤) نفسه، ص ١٨٢، ١٨٤.

وتتسارعان في الاستئثار بالنفوذ، فوقع الخلاف بينهما، وكثرت معسدهما. (١)

لقد تأججت نيران التنازع بين الأتراك، والعبيد مرة أخرى على إثر مقتل أحد الأتراك على أيدي العبيد، بعدما جرد سيفه على بعض عبيد الشرع أثناء فرقة للخليفة المستنصر بالله، فاجتمع عليه العبيد، وقتلوه، فعصب جماعة الأتراك، ودارت الحرب بينهم، وفتنصر الأتراك، وقبض نذر كبير من السودانيين. (٢) فتويع شوكة الأتراك مرة أخرى حتى جرد على الخليفة نفسه بعدما تنامي إلى أسماعهم أن لم الخليفة كانت سنان العبيد في حربهم ضد الأتراك، فاستعظمو ذلك عليها، واجتمعوا في مواجهته المستنصر بالله، وأسمعوه كلاماً قاسياً. (٣) ولم يجد المستنصر بالله بداً إلا أن يستنكر تلك الفعلة، فعادت الحرب مرة أخرى، ووقف المغاربة بجانب الأتراك حتى نهزم العبيد، وتقتلوا في صعيد مصر. وقد بلغ عندهم خمسة عشر ألفاً، عاثوا في الصعيد فساداً، وأخذوا يشنون هجمات متتالية عن طريق البر والنهر على القاهرة؛ رغبة في الاستيلاء عليها، وطرد الأتراك منها. (٤)

زاد نفوذ الأتراك بعد طرد السودانيين إلى الصعيد، واستنحل أمرهم، وعظم أمر زعيمهم ناصر الدولة بن حيدان الذي استبد بالأمور، وعالبا الخليفة بالأموال، ثم ألقى القبض على أم المستنصر بالله، وصادر أموالها في الوقت الذي ترك فيه الخليفة جميع أهلها، وسائر أكرامه، وأولاده، وحواشيته متفرقين في المغرب، والعراق، وبقي وحيداً يترقب الأمور. (٥)

(١) ناصر خسرو، جردانة، ص ١١٠؛ المقرئ: قتل الخليفة، ج ٢، ص ٢١٧؛ ابن ميم روى الله: لتاريخ القلطي الاجتماعي، ص ٤٨.

(٢) ابن ميم: أخبار مصر، ص ٢٤، ١٢٥؛ المقرئ: المعصر السابق، ص ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٣؛ ابن توري يروي: القجوم، ج ١، ص ١٧ - ١٩.

(٣) ابن ميم: المعصر السابق، ص ٥٥؛ المقرئ: قتل الخليفة، ج ١، ص ١٨١.

(4) Stanley Lane - Poole op. cit., pp. 132 - 133.

(٥) المقرئ: قتل الخليفة، ج ٢، ص ٣٠٦، ٣٠٧.

هكذا صارت فئات المجتمع تحت مبدأ الحكم لمن غلب، وبالتالي عم الفساد، والاضطراب، وحتى العوالم فيران هذه الصراعات، وغابت الهيكلة الطبيعية المنطقية لطبقات المجتمع، مما أثر هذا بالسلب على الهوية الواحدة للمجتمع، وصارت كل فئة تعترف منعزلة بعينه عن الأخرى.

٢٠ صراع الأتراك فيما بينهم :

أحد ناصر الدولة ابن حمدان وعيم الأتراك يستند بالأمور دون الأتراك، وسرعان ما كثف عن عرضه الأصلي، فاستأثر بأموالهم. هذا الأمر الذي جعلهم يسعون للخلاص منه. فتوجهوا للمستكبر بالله وأظهروا استياءهم من ناصر الدولة، كما طلبوا منه أن يخرجهم من الديار المصرية، وبالفعل أرسل إليه المستكبر بأمره بالرحيل عن مصر، ويهدده بإلحاق الأذى به إن امتنع عن الخروج منها، فاستعان ناصر الدولة بالثاند تاج الملوك شادي بالقاهرة، وقدم له فروع الطاعة، وطلب منه أن يعاونه على التخلص من الوزير خطير الملك، ولذلك أهد أمراء الأتراك لاعتقاده أنهم كانوا السبب في حمل الأتراك على مناهضته، وأعطاه المستكبر له. (١) -

استجاب تاج الملوك شادي لرغبة ابن حمدان، وما لبث أن تمكن من قتل الوزير خطير الملك، أما تركيز فقد اتجا إلى قصر ابن طنبو، واستجار به، وأخذ يحرمه على قتل ناصر الدولة، فلقى ذلك قهراً عند الخليفة، وخرج على رأس فريق كبير من جنده، ونفق بناصر الدولة، وهزمه هزيمة ساحقة، فمضى منهزماً في نفر قليل من أصحابه إلى البحيرة حيث انضم إليه فريق من الأعراب. (٢) وكان لهذا التحالف أثره في قيام هذه القبائل بهجمات على الريف المصري، وسائر الخوف، وبنيت فيما قاموا من تخريب البلاد التي استولوا عليها، وملكوا بلاد الريف كلها الشرقية والغربية، وذهبوا وخربوا، وقتلوا أهلها، ونهبوا الأولاد في

(١) ابن مؤسر: أخبار مصر، ص ١٩.

(٢) نفسه، ص ١٩٩ محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٩٦.



بطون أسهلهم<sup>(١)</sup> وحطموا الجصور، والقنوت؛ مما ترتب عليه انقطاع  
المؤن، والإمدادات عن القاهرة، والفسطاط<sup>(٢)</sup> وكذلك حتى لا يقطع انماء  
على أرض أحد، فلا يزرع منهم أحد، ويبيعون غلاتهم التي حصلوها بما  
يريدون، ويهلكون من بقي من الناس، وذلك بعد أن ملكوا الأرض بل  
مسحة وبلا حراج<sup>(٣)</sup>.

في الوقت نفسه ازداد فساد الأتراك في القاهرة، واستفحل أمرهم،  
وأعدوا يطالبون بحقيقة بزيادة مرتباتهم ٤٦٠ هـ، فراد في أعينهم  
حتى بلغت أربع مائة ألف دينار في كل شهر بعد أن كانت ثمانية وعشرين  
ألف دينار<sup>(٤)</sup>. ولم يفتح الأتراك بالمقررات التي قررها لهم المستنصر، بل  
ألحوا في زيادة منخصصاتهم، ولما أظهر المستنصر عجزه عن تلبية  
طلباتهم لقللة إيرادات الدولة ألزموه ببيع ذخائره، فأخرجها إليهم، وقسمها  
على أنفسهم بأخص الأتشان<sup>(٥)</sup>.

فرجعوا إلى قوزراه بالمطالبة، وكانوا كل يوم يقتلون وزيراً، أو  
يعزلونه، وقد انتهت فيهم طائفة تُعرف بالملحية، فتظلموا على طائفة  
للمستنصر، وتظلموا على بيوت الأمراء، واستأصلوها، وملكوا القاهرة،  
ومصر، وامتدت أعينهم إلى ما في القصور فنهبوا حتى لم يبق لخليفة  
المستنصر إلا يُسَاط بجلس عليه، دخلوا إليه، وجذبوه من تحته<sup>(٦)</sup>.

(١) سويرس بن المقفع : مير شيمة المقصدة، ج ٢، ص ٣، من Samley Lane ١٢١٤

— Poole : op. cit., p. 133

(٢) تاريخ ابن الأثير : مصر الإسلامية، ص ٤٩، ٥٠.

(٣) ابن نوري يردى : الهجوم، ج ٥، ص ١٥ - ١٧.

(٤) التويري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٢٧ محمد جمال الدين مسرور، القصة

القاضية في مصر، ص ٩٤ : إبراهيم رزق الله : التاريخ القبطي الاجتماعي، ص

١٨.

(٥) ابن ميسرة : أخبار مصر، ص ١٧ : التويري : المصدر السابق، ص ٢٢٧

(٦) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٧٤.

ورأى الجند الأكراد يحرقونهم، ويأخذونهم المستعصر من الشدائد أن يصلحوا ابن حمدان على أن يظل مقيماً في البحيرة، ويحمل إليه مبلغاً من المال، ويكون تاج الملوك شاذي نائباً عنه، مرضي بذلك، وأرسل العلال إلى القاهرة ومصر، مما أدى إلى توافر القوات للصوري للأهالي.<sup>(١)</sup> على أن تاج للملوك شاذي مرعان ما نقص هذا المصلح، واستند بالأموال في القاهرة، وصار لا يرسل لابن حمدان إلا القليل من الأموال، فاستاء حمدان من ذلك، ودار في جموع العريى إلى البحيرة حيث تمكن من انقبض على شاذي، وأطلق لجنده العنان لسي الفسطاط فلهزم، وأشعلوا النيران فيها، فأرسل لهم الخليفة جيشاً استطاع هزيمتهم، ففروا إلى البحيرة مرة أخرى.<sup>(٢)</sup>

لم يبق الأمر عند هذا الحد من الفساد والاضطراب الذي عم البلاد، بل وصل الأمر إلى أن بعث ناصر الدولة إلى سلطان السلجوق بالعراق رسالاً من قبله - فقد استعان ناصر الدولة ببني جنمه من الأكراد على الرغم من مخالفتهم للمذهب الشيعي الذي ظل مخلصاً له أبداً سبق - بسائله أن يرسل إليه عسكرياً ليهزم الدعوة العباسية على أن يزول إليه السيادة على مصر، فرحب بالرسائل بذلك، غير أنه ما لبث أن شغل بمحاربة الروم عن المسير إلى دمشق ثم مصر.<sup>(٣)</sup> وعندما علم المنتصرون بذلك جهز جيشه لمحاربتهم بالبحيرة، غير أن ناصر الدولة قد أوقع بهم الهزيمة، وغنم مغانم كثيرة، وأقام الخطبة للخليفة القائم بأمر الله الشهابي في الإسكندرية ودمياط، وجميع أنحاء الوجه البحري، وحل دون وصول الأكراد إلى القاهرة ومصر.<sup>(٤)</sup>

(١) ابن ميسر: المصدر السابق، ص ٢١؛ المقريزي: قضاة الحنفية، ج ٢، ص ٣٠٦.

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق، ص ٢٨؛ المقريزي: المصدر السابق، ص ٢٣١، ٢٣٢.

Stanley Lane - Poole: A History of Egypt in the Middle Ages, pp. 146 - 147.

(٣) ابن ميسر: المصدر السابق، ص ١٩ - ٢٠؛ ابن قتيبي يردى: النجاشي، ج ١، ص ١٧.

(٤) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٢٠؛ المقريزي: الخطبة، ج ١، ص ٣٣٦.

ظل ناصر الدولة ابن حمدان يعمل على إضعاف الخليفة الفاطمي، والاستئثار بالحكم، فبعث إلى الخليفة القائم العباسي ببغداد يطلب الحسم، ثم قدم إلى السلطان على رأس جيش كبير، وتولى الحكم فيها. (١) حشى الأتراك على أنفسهم من جراء استيلاء ناصر الدولة بالأمور، فالتفتوا على تكبير مؤامرة لقتله، فركب إلى داره غريق من الملحقة، والأتراك، (٢) وانقضوا عليه بسيفهم، ولم يكتفوا بذلك، بل تتبعوا كل الفراد أسرته، وتمسكوا بهم. (٣) فعاثوا في القاهرة تباها، ولا سيما أن الخليفة كان به ذلك قد امتنع بقصره. (٤)

هكذا تقلص نفوذ الخليفة، وانصر دخل قصره، بينما تباست فرق الجند لقاليم الدولة، فاستولى اللوثيون على البحيرة، والإسكندرية، وماكوا معظم الأراضي، واستقر الصعدي في أيدي المغاربة والسرديين، بينما تحكم الأتراك في القاهرة، والقبضات وعانى شعب مصر بشدة من جراء تلك الحروب، والصراعات، والفتن، والثورات. في ظهور الأرمن، وأثرهم في حياة المجتمع:

مما لا شك فيه أن الجيش الفاطمي بتعدد عناصره وفنائه، وطوائفه صار ضعيفا جدا، وانتابته حادة من التوهم، وانصرف معظم العلماء عن الاهتمام به وبإعادته، ومما زاد انطوائه الحالة التي عاشتها مصر في تلك الآونة من صراعات، وثورات، وحروب أهلية، مما سطر الخليفة الفاطمي المستنصر بالله إلى الاستعانة بوالي عكا الأرمني بدر الجمالي، حتى يحقق استتباب الأمن، والأمان بدخل البلاد.

ثم يكن من المعروف على وجه الثقة عند القوات المتصاحبة لبدر الجمالي الذي لم شكوه المصالح، كما أن نسبة الأرمن بين هذه القوات

(١) المقريري: المصدر السابق، ص ٣٣٧

(٢) ساريس بن المقفع: سير النبوة المقتمة، ج ٣، ص ٧٤، ص ٢٠٤

(٣) ابن عسك - المصدر السابق، ص ٢٢٢، Stanley Lane - Poole: A History,

op, cit, p. 147

(٤) المقريري: المصدر السابق، ص ٣٣٧.

غير مُحدد، غير أن ما ذكره المقريزي يؤكد أن غالبية القوات للمصاحبة ليدر كانت من الأرمن، حيث يذكر أن معظم الجيش صار من الأرمن، وذلك بعد أن هبت كتلة - المعلوية - وثارت من جملة الرعية بعد أن كانوا من وجود الدولة، ولكثير أهلها.<sup>(١)</sup> وأقيمت دولة الأرمن بسير مصر.<sup>(٢)</sup>

عرف الأرمن بالمشاركة تمييزاً لهم عن الأتراك، والبربر، والموذان.<sup>(٣)</sup> وللاوضح أن الأرمن كانوا نصاري، فبعد وصولهم بفيل، وصل بطريكمهم، واسمه أغريغوريوس الذي أحسن أمير الجيوش استقباله، وألزمه في كنيسة مار مريم للنصاري الملكانيين بأرض القهري - المسودة لينتج الآن.<sup>(٤)</sup>

ثم يكن خطر الأرمن يكمن في صراعهم مع غيرهم من الجند كباقي العناصر سابقة الذكر؛ حيث قام الأرمن بانقضاء على البقية الباقية من الجند الذين أقصدوا في مصر، وذلك بمجرد هجبتهم إليها، ولكن الخطر لا تمثل في كونهم نصاري سيطروا سيطرة كاملة على الأمور في مصر الإسلامية، فزاد نفوذهم وقويت شوكتهم، ووصلوا إلى أعلى مناصب الدولة، مزاد نصالهم، وظلمهم للمسلمين، وكانت مصر في عهدهم تتحول إلى دولة نصرانية.

فبعدما فرغ بدر الجمالي وجنده من إعادة الأمور إلى نصابها في العاصمة والقسطنطين، واستعاد ما قد نهب من كنوز الخليفة، توجه إلى الأقاليم، فأتته إلى الوجه البحري، وقضى على جماعة المتكسدين له، ثم توجه إلى الصعيد، وقضى على ما فيه من ثورة، وأبقى كثيراً من جند السودان، وضم منهم كثيراً من المقاتل،<sup>(٥)</sup> وأعاد نفوذ الخليفة على جميع

(١) المقريزي . الخطط ، ج ٢ ، ص ١٢ .

(٢) المقريزي . المعنى الكبير ، ص ٤٠٢ .

(٣) ابن ميسر - أخبار مصر ، ص ١٢١ التقرير : الخطط ج ١ ، ص ٣٣٧ .

(٤) سويرس بن الصنع : سير فيضة القسمة ، ج ٣ ، م ٢ ، ص ٢١٩ .

(٥) المقريزي : الخطط ج ١ ، ص ٢٨٢ ، حسن إبراهيم حسن . الفاطميون في مصر ،

بلاد الوجه القبلي حتى أسوان، ومن ثم علا شأن الأرمين، وراى  
يعودهم. (١)

زاد عدد الأرمين في مصر ولاسيما بعد أن تولى بهرام الأرميني  
الوزارة، وذلك في عهد الخليفة لدين الله، حيث سأل الخليفة أن يأسر به  
بإحصار إخوانه وأقاربه وأهله من الأرمين من أرمينية، فسمح له. بدأ  
الأرمين يتوفضون إلى مصر حتى بلغوا ثلاثين ألفاً في زمن قصير، وعمل  
جزء كبير منهم في الزراعة، وآخر في التجارة، فجمعوا ثروة كبيرة،  
وتولوا المناصب المهمة في الدولة، مما أدى إلى تضرر المسلمين منهم،  
ولا سيما بعد أن عاثوا ضللاً في أرض مصر. (٢)

كان بهرام قد ولي أخاه البساسك الأرميني ولاية قوس، فظلم الناس،  
واستباح أموالهم، وأهلكهم، ونثر عليهم هو، وقوته من الأرمين، ظم ضاق  
بهم استجار بالخليفة، وطلبوا إبعاد بهرام وقوته، ولكن الخليفة لم يستجب  
لهم، مما جعلهم يستجدون بروضون فولخش والي الغربية، ليخلصهم من  
ظلم الأرمين، وإهانتهم. (٣) فجاء روضون على رأس جيش كبير، ودارت  
بينه وبين الأرمين المعارك التي انتهت بتولي روضون الوزارة، وغرب  
بهرام، وقتل بالبساسك أخوه وقتل الكثير من أعوان بهرام، وصودرت  
أموالهم. (٤)

هكذا وكما نلاحظ أن الخلفاء كانوا يستعينون بقوة جديدة لتخلص  
من اللوذ وسيطرة قوة عسكرية أخرى، إلى أن وصل الحال إلى استئجار

---

(١) إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٤٤.

Stanley Lane - Poole - A History, op. cit., p. 147

(٢) إبراهيم رزق الله، التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ٤٤، ٤٥. Heyd op. cit., p. 391

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٨٠؛ سلويمان بن المقفع: سير البيعة شقيقة، ج ١، ص ٣١؛ O'Leary, op. cit., p. 50

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٥٦؛ إبراهيم رزق الله: المرجع السابق، ص ٤٥، ٤٦.

الشعب بوال آخر يُخلصهم من ظلم، وفساد قوة عسكرية لم يكن في متناول  
الخلافة حماية شعبه منها، بل لم يكن في مقدوره حماية نفسه منها، وبعد  
أن كان الجيش هو وسيلة الحماية للدولة أصبح هو وسيلة التفتت،  
والفساد في ظل ضعف الخلافة وفضله سياسيًا مما كان له أعظم الأثر  
على المجتمع المصري بأكمله.

فقد دفعت الشعوب الفتوة في حالات الفساد والصراعات بين  
الطوائف، وانشغل الحكام بأنفسهم، وصار القوي أمانى عامة المجتمع  
المصري في تلك الفترة أن يشعر بالأمن، والأمان، ولكن كان هذا حُلمًا  
بعيد المثل في كثير من الأحيان.  
فنهال الصراع بين العبيد والأحرار .

عاد للأحرار قوتهم، ونفوذهم مرة أخرى، وذلك بانتصار الوليخي  
الذي كان قوام جيشه من الأحرار، وعندما أدرك الخلافة الحافظ لدين الله  
الفاطمي رغبة رضوان الوليخي في الاستقلال بالبلاد عزم على التخلص  
منه ؛ لذلك استعان بالمبيد الذين كانوا دائمًا يُسارعون إلى تنفيذ أوامر  
الخلافة؛ لذلك عاد الصراع مرة أخرى بين العبيد والأحرار، ودخلوا في  
حرب كانت النتيجة فيها للعبيد وهزيمة الوليخي، وتفرق جيشه. (١)

---

(١) الخريزي: تعطل الحقائق، ج٣، ص ١٨٢، ١٨٤؛ Mann (J) . op. cit., p. 10

## ٦- ظهور الأكراد<sup>(١)</sup> والفرنجية -

ضعفت سلطة الخلافة الفاطمية، وأصبح حكم مصر في أيدي الورراء ؛ لذلك كان النزاع مستمرا بين الولاة من أجل الوصول إلى ذلك المنصب، وفي أواخر الدولة الفاطمية، ولقاء النزاع بين شاور، وصراغ على منصب الوزارة ثم يتكرر شاور في الاستعانة بقوة خارجية حتى إلى كانت محالفة لمذهب الدولة الفاطمية التي دأب ولاؤه لها من قبل، من أجل الوصول للمنصب، فاستعان بنور الدين محمود حاكم دمشق العربي الذي أرسل معه جيشا كبيرا من الأكراد، والتكرد، وكان على رأسهم أسد الدين شيركوه<sup>(٢)</sup> وابن أخيه يوسف بن أيوب المعروف بصلاح الدين.

(١) الأكراد : قبل أن كلمة كرد تعني القذبة وهي تدل على طبيعة بلاد الأكراد الجبلية والتي كانت مأوى للقذبة وبدنية ظهور الأكراد كالي في إقليم الجبال واستوطنوا في الأجزاء الجبلية منه وفي بدنية أرهم كفوا قوما لا يبدأ لهم عشوا على السلب والنهب من القوافل التجارية وسكن الأكراد فارس وأرمينية وأذربيجان والعراق القديم والأهواز وهران النوبة واعتمد الأكراد على الزرع بشكل أساسي ورئيسي، ويذكر ماويرس أن الأكراد في مصر أثناء الحرب التي دوت بين الأتراك والناصر النول بن حمدان وكان يخدم خمسة آلاف كردي. لمزيد من التفاصيل راجع :

- ماركو بولو : رحلات ماركو بولو، ط١، ترجمته إلى الإنجليزية وليام مارسين، ترجمتها إلى العربية عبد العزيز جابري، ط٢، القاهرة، ١٩٩٠، ص٥٦ - ٥٧.
- الاصطغري (أبو إسحق إبراهيم بن محمد قنبرسي) : المسالك والممالك تحقيق : محمد جابر عبد القادر، مراجعة محمد شفيق هرياق، ورز، القاهرة، الجمهورية العربية المتحدة، ١٩٦٦م، ص١١٥
- إبراهيم محمد مرجوة : تاريخ الأكراد دراسة تاريخية حضارية في ظل الخلافة الفاطمية، تقديم سحر السيد سالم، مؤسسة شهاب الجامعة، الإسكندرية، ٢٠١٠م، ص٤٠ - ٤٢.

(٢) أبو شامة : الروصنين، ص٣٣٦، ٣٣٧؛ ماويرس بن المقفع : مسير قبيلة المقسة، ج ١، م ٣، ص ٥٩؛ ابن حنك : أخبار بني عبيد، ص ١٠٨.

لنقلت جيوش أسد الدين شيركوه بجيوش ضرغام، ولمسرت الحرب دائمة إلى أن قيل ضرغام، وتم للنصر، غير أن شاور قد عذر بأسد الدين شيركوه، وحلف ما قد عاهده عليه، وأغلق أبواب القاهرة في وجهه، فتقدم إليه شيركوه، وجند وقائمه، وحاصروا القاهرة، مما كان له أسوأ لأثر على مصر، وأهلها، حيث استكت أن يفتح إلى مكان مصر من البصريين، ومن بقي من الأرمن، والأتركة، والمصريين، وكانوا يفتلون منهم، ويبيعونهم، فلن وجنوا من يشتري منهم، وإلا قتلوا بسلك الشخص، ونهبوا أموالهم، وأخذوا نساءهم، وكانوا ينادون على النصراني من يشتري كافرًا، وعلى التركي المصري من يشتري تركيًا خليعًا في الصنيع، وعلى الأسود من يشتري سوداني، وكانوا يبيعونهم بشئ بفس! عشرين درهما للنصراني، وعشرة دراهم للتركي، وخمسة درهم للأسود.<sup>(١)</sup>

كما قاموا بهدم الكثير من الكنائس بعد أن نهبوا ما فيها، فهدموا العديد من الكنائس في ضواحي القاهرة، وهدموا كنيسة الحمراء بحارة الروم النيرانية، وكنيسة الزهري، ظل هذا الحصار حتى لجأ شاور إلى الاستعانة بالمسيحيين (الإفرنج) بعد أن أغرامهم بمال عظيم، فجاءه بجيش عظيم<sup>(٢)</sup>، ودارت بينهم وبين أسد الدين شيركوه معارك كثيرة كانت مصر مسرحًا لها، وكان شعب مصر، وأهلها تملأ لها.

إلى أن استقر الأمر لأسد الدين شيركوه، ولابن أخيه صلاح الدين الأيوبي الذي تولى أمر الوزارة في مصر - على الرغم من كونه سني للمذهب - وسارت له السلطة مما جعل الخليفة المعاضد يتوجس منه خيفة، فاستعان بالعبيد - الذين يرهتوا على مؤازرتهم للخلفاء - للتخلص منه، فدم منهم السودان مؤتمن الخلافة بقتال الترك، والغز، وقد ألف حول

(١) مايريس بن المقفع - سيرة الخليفة، ج ١، م ٣، ص ١٥٢

Heyd op. cit., p. 388

(٢) مايريس بن المقفع : المعاصر السابق، ص ١٥٢، ١٥٣

O'Leary, op, cit., p. 60



مؤتمن للخلافة بقية قتلت الفسك المصري، فآثرين على صلاح الدين، وجماعته، وتمكوا منهم في البداية، وقتلوا جماعة كبيرة منهم، ولكن صلاح الدين شدد من عزمة الأتراك، والغز، وقاتل إلى جانبهم، فدارت الدائرة على المعيد، وقتل مؤتمن الخلافة الخاتم وجماعة كثيرة منهم<sup>(١)</sup>، وحلت الساحة للأتراك، والغز.<sup>(٢)</sup>

هكذا كالى الناس فى مصر يعيشون حياة قلقة مليئة بالآخوف والرهبة من المجهول، ولأهمها عندما تضطرب الأمور، وتزداد الفلال بين طوائف الجنء.<sup>(٣)</sup> ولم يجد الشعب المصري من يمتحن به لآمائه، مما اضطره لآماية نفسه بنفسه، فأكثروا من إآفاء السيوف، والسكاكين، بآخاصة العوام منهم، والصناع فاعا عن أنفسهم، وأملكهم.<sup>(٤)</sup>

كان تلك الاضطرابات أثر آطير على حياة الناس، ومعاشهم اليومي، فإن الاضطرابات والفلال التي تصاحب المعارك غالبًا ما كانت تؤثر على حركة التجارة الداخلية، والآارجية، مما أثر بالتالى على أسعار الضروريات، بآخاصة الخبز، بالإصابة إلى الفخوف من بطش الفسك المعادي، ولأسيما إذا كانت تلك الحرب على لآسواب الفسك المكتظة بالسكان، فلم يخل هذا من موت عزيز أو قريب.<sup>(٥)</sup> ولقد ظل الحال فى مصر يسير من سيئ لآسوء، وظل الناس فيها يمانون من الظلم، والفساد، حتى سلطت الخلافة الفاطمية، وأقيمت الخلافة السنية على يد صلاح الدين الأيوبي.<sup>(٦)</sup>

(١) لآلفندي : صبح الأضى، ج٢، ص٥١١ - ٥١٢ ابن فوري برقي : النجوم، ج٥، ص٤٥٤.

(٢) إبراهيم رزق الله أيوب: فتاريخ الفاطمي الآجمعي، ص٤٨.

(٣) Mann (J) op, cit., p. 15.

(٤) المقريزي : تعالظ الفخفاء، ج٢، ص٩٧.

(٥) نفسه، ص١٩٢ حص إبراهيم حص : الفاطميون فى مصر، ص٢٦٢ - ١١٢.

(٥) عبد المنعم سائون. الفمجم المصري، ص٧١، ٨٠.

(٦) ابن حماد: أخبار بني عبيد، ص١٠٩.

### ثالثاً انتشار الأمراض الاجتماعية بين طبقات المجتمع .

#### ١- انتشار شرب الخمر:

ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّا لَنَنَزِّلُ لَكُمْ وَالتَّبِيرُ وَالْأَهْبَابُ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا يَدْعُونَ لَكُمْ قِيلَاسًا ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ أَن يَرِيعَ يَكُنْ لَكُمْ الْغَدَاةُ وَالْآخِرَةُ فِي الْغَيْبِ وَالْغَيْبِ وَصَلَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الْقُدُوسِ الشَّكُورِ هَؤُلَاءِ هُنَّ هُنَّ ۖ﴾ (١)

كان شرب الخمر من ضمن الأمراض الاجتماعية التي أصابت المجتمع المصري في العصر الفاطمي، حيث انتشرت فيه صناعة الخمر بشكل كبير، وكان الأطباء يختصون بصناعتها. (٢) في الوقت نفسه لم يكن هناك رقابة كافية، أو عقوبة محددة تفرض من جانب الخلفاء الفاطميين للحد من تعاطيها، فكان ذلك تصريحاً غير مباشر من الدولة بشرحها؛ لذلك فلم يقتصر الأمر على مجالس الشرب التي شارك فيها بعض العلماء، وأكابر الدولة، بل وصل إلى عامة الشعب أيضاً، فبدأ الناس بجاهرون بشرب الخمر حتى في الأشهر التي كانت تحرم فيها شربه إجلالاً للشهيرة. (٣) ولقد لها أدميتها، وروحانياتها في نفوس المسلمين، ولاسيما شهر رجب، وشهر شعبان، وشهر رمضان، فترك معظم الناس الإكثار من العبادات في هذه الأشهر، وانصرفوا إلى شرب الخمر، والاستمتاع بالملاذات. فبلغ الفساد من الدولة مبلغاً استحال معه العلاج.

صاحب اختلالات الدولة الفاطمية تنجاهرة بشرب الخمر، وانتشار العديد من مظاهر الفسق، والفساد. فيذكر المقرئ: أن الأطباء مصر كانوا يحتفلون بعيد الشهيد (٤) من كل عام، وفي هذا اليوم كانت

(١) سورة المائدة: الآية (٩٠-٩١).

(٢) القفندي: مسيح الأعشى، ج ٣، ص ٥١١؛ المقرئ: فصول، ج ١، ص ٢٧٢.

(٣) المقرئ: مصدر الملقب، ص ٤٩١؛ عيد المسمم ملوح: نظم الفاسمين ورومهم، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٤) عيد الشهيد: من الأعياد القبطية، يحتفل به الأقباط في قنات من شهر "شيس"، ويرتبط الاحتفال به بمرور الليل، محذر التماء، ويعتقد أن قنات لا يبلغ ريادة في كل عام إلا إذا اقرا تابوتاً خشب فيه يسبع من أسفح أسلافهم الموتى. لتعريف راجع: عيد المعلم سلطان: المجتمع المصري، ص ١٧٦ - ١٧٧.

تحشد على ضفتي النيل أعداد كثيرة من أهل مصر، وكان النصراني يرحلون من جميع القرى، ويركبون الخيل، ويلعبون عليها، ويخرج عامة أهل القاهرة، والقساط على اختلاف طبقاتهم، وينصبون الخيام على شاطئ النيل، وفي الجزائر وسط مجراها حيث يجتمع المشرك، والمغنيات، وأرباب الملاهي، والألعاب المختلفة، وكان يتسلى بين هذه الجموع أهل الخلاعة، والفسق، مما يتسبب في إثارة الفتن، ويرهق لأرواح، لأن معظم الناس في هذا اليوم يكونون متكلي.<sup>(١)</sup>

وكان يُباع في هذا العيد من الخمر ما يريد على مائة ألف درهم فضة، ويذكر أن نصرانياً قد باع في يوم واحد ما قيمته اثنا عشر ألف درهم من الخمر، حيث كان الناس يقبلون على شراء الخمر في ذلك اليوم، حيث يجتمعون في ضاحية شبرا التي اشتهرت في ذلك الوقت بصناعة التبغ، وبزراعة الكروم، حتى أهل شبرا كانوا يعتمدون في وفاء خراجهم على ما يُباع من الخمر في هذا العيد.<sup>(٢)</sup>

لم يكن للدولة الفاطمية موقف واضح من هذا العيد، وما يحدث فيه من مظاهر الفسق، والتهتك، وإقبال الناس على الخمر، وربما يعود ذلك إلى أن عيد الشهيد كان في مظهره يوماً شعبياً يخرج فيه الناس على اختلاف دياناتهم، وطبقاتهم، أي أنه لم يكن يخص ديناً، أو عقيدة بعينها.<sup>(٣)</sup>

(١) المقرئ: الخطوط ج، ١، ص ٦٩؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص ١٧٧.

(٢) المقرئ: المصدر السابق، ص ١٦٩؛ حسن إبراهيم حسن: القبط في مصر، ص ١٦٧، ١١ - ١٠، op. cit., Mann (J).

(٣) عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، ص ١٧٧.

أما في عيد الصليب<sup>(١)</sup> فكان النصارى يحتفلون به احتفالاً كبيراً، ويخرجون فيه عن الحد في الإقبال على شرب الخمر، وأنواع المحرمات، والفسق<sup>(٢)</sup>، مما دفع الخليفة العزيز بالله إلى إصدار أوامر بمنع الاحتفال بهذا العيد ٣٨٠ هـ / ٩٩١ م، وحرم على النصارى الخروج من صوحى العسك<sup>(٣)</sup> غير أن ما عُرِفَ عن لطيفة العزيز من تسرع مع أمر التمهيد أدى إلى عدوله عن هذا الأمر في العام التالي له، فجرى للناس شيء لاجتماع فيه للبهو، وانفق علي ما كثروا عليه من قبل<sup>(٤)</sup>.

كذلك كان عيد الفطاس، وهو من أعياد النصارى أيضاً، وقد كان منهم من للمع لدين الله الفاطمي يشاركهم فيه، وقد ظهر هذا جلياً فيما قاله من أبيات شعرية في هذا العيد، حيث كان يعضي إلى ملابته، ومسهوته، ويستبدل الفطاس في الماء بتعطاس في الشراب، وهو يقول :

خَلَّ من يَأْتُم بالصَّبَّان يَغْدُو لاختِلاط  
واغْدُو للصَّبَّاء تَسْقَاهَا وَنَمَقِي وَنَعْلَقِي  
خَطَسُوا في الماء جَهلاً وَخَطَسْنَا في البَوَاطِي  
وَشَرَبْنَاها عَقراً خَنْدَرِيساً بِنَخْطِطِ<sup>(٥)</sup>

(١) عيد الصليب: يحتفل فيه النصارى في السابع عشر من ثوت<sup>(٦)</sup> الموافق الرابع عشر من يوليو، ويعتقدون أن في هذا اليوم سنة ٣٢٨ هـ حرث الملكة هبلانة أم الإمبراطور قسطنطين على الصليب الذي ملأه عليه السيد المسيح هبه السلام، فسلمت الملكة له خلافاً من ذهب وأمرت ببناء كنيسة لتيبة في بيت المقدس وأودعت فيها الصليب. للمريد راجع : المقرئ : الخطط ج ١، ص ٢٦٧، عبد المنعم مطلق : المجتمع المصري، ص ١٧٥ - ١٧٦.

(٢) المقرئ : المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٣) Welhausen, J. Arabkingdom and its fell, Beirut, 1963, p. 31.

(٤) المقرئ : المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦٢.

(٥) المقرئ : كتاب الخطط، ج ١، ص ٢٧٥-٢٧٦ : الخطط ج ١، ص ٢٦٧.

(٥) رباح معد انجالي : لم تكن التتزه ومظاهر تنهو والنسبة في العصر الفاطمي خلال شعر شعرائهم، المجلة القومية لكلية الآداب بسوهاج، دورية أكاديمية محكمة، ج ١، العدد (٢٦)، ٢٠٠٣ م، ص ١٤٦.

فقد كان تميم بن الحمز يرى أنه لا قيمة للحياة بدون لهو، وضاء،  
وشرب خمر، حيث يقول: خليلي : لا عيش سوى اللهو والصبأ  
ولا لهو إلا في سماع وخمر. (١)

وكان يوم النيروز من الأيام التي تكثر فيها الإباحية، والعجس،  
والفسوق، فكانت المنكرات ظاهرة، والقولش صريحة، حيث يجتمع  
العاسفون، والفلسفات تحت قصر اللؤلؤ بحيث يشاهدهم الخليفة، وبأسبغهم  
الملامي وترفع أصواتهم، ويقومون بشرب الخمر ويترأسون بالماء،  
والخمر، وكذلك الماء النجس الممزوج بالأفكار، فإنما خرج أحد أسس من  
بنته مستورا، لقي من يرثه، وبغض ثيابه، ويستحف بحرمة، فلم ترض  
نفسه، وإنما انتضج. (٢)

لم يمتنع هذا الأمر في زمن الحاكم بأمر الله بما عُرِفَ عنه من  
قرارات مشددة لمنع الفساد، فأصدر ضمن ما أصدر عدة مجلات، وأوامر  
منظمة لمنع شرب الخمر، والمنكرات بأنواعها، وكذلك المواد التي تصنع  
منها، ففي عام ٣٩٩ هـ أصدر مجلاً باليمن من عمل البيهز والمرر (٣)،  
وحذر من التظاهر بشيء منها. (٤)

وفي العام التالي ٤٠٠ هـ أصدر مجلاً آخر بالتشدد في حظر  
الخمر، وبيعها، وبيع آلة التبيد، وجميع أنواع السكر، كما منع شربه سرا،

(١) تميم بن الحمز لعين الله الفاطمي : ديوان تميم بن الحمز لعين الله الفاطمي، دار  
الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٧ م،  
ص ٢٠٥.

(٢) المقرئ : الخط ج ١، ص ٢٢٥.

(٣) التمر : بغير شكور، وهو ضرب من الأثرية، قال ابن عمر رضي الله عنهما،  
هو من الأثر، وهو في القلوب المعلى التبيد، إذا شرب قليلاً قليلاً، للعزلة راجع،  
مجنز الصماح باب : (م ز ر)، ص ٩١١.

(٤) الأنطاكي : تاريخ الأنطاكي، ص ٣٦٨.

غير أن الأنطاكي يذكر أن تلك كان في ٣٩٧ هـ (محمد عبد الله علي - الحاكم  
بأمر الله، ص ١٣٠).

كذلك أمر بكسر ألواني للحمور، فأُريقَت في كل مكان. كما شُند على الحمارين فتحت كل ما في نورهم، ومجالتهم، وقد امتدحت هذه الشدة، وتآخت في العلم التالي ٤٠٦ هـ وفي سنة ٤٠٧ هـ حيث صدرت الأوامر لصنحب الشرطة بتحريم بيع النبيب إطلاقاً، ومصادرتة، فأُلقيست في النيس مقدير كبيرة منه، وأُحرقت مقادير أخرى.<sup>(١)</sup> وتوالى هـ الإحراق أينما أمام المشهود.<sup>(٢)</sup>

ولما كانت الحمور تصنع من تكرور المصبي إليه العسل<sup>(٣)</sup>، ملك فقد صدرت الأوامر بتحديد ما يُباع من العسل بما لا يزيد على ثلاثة أرطال، ولا يتجاوز ما يُباع من العنب عن أربعة أرطال كما حذر من اضطراره.<sup>(٤)</sup> كما نُقِم مع البائعين لهما مُدَّة لمراعاة تنفيذ ذلك الأوامر، فانتهى إليه فهم يتناحس ويصل منهما المسكر المبيي عنه، فزاد نسي التحذير عليهما، ومنع بيعهما جملة.<sup>(٥)</sup> ثم أمر بحرق النبيب، فأُحرق منه بمصر زهاء خمسة آلاف قنطرة، كما عطل، وأُغرق العسل أيضاً، ومنع من جيبهما، وعندما علم بأن الناس يقومون باحضار العنب مراراً، أُمر بتفريقه في النيل، ومنع بيعه، وأُكله.<sup>(٦)</sup> فامتنع الناس حتى عن تعفيف العنب في بيوتهم.<sup>(٧)</sup>

(١) الأنطاكي: المصدر السابق، ص ٢٨٩؛ محمد عبد الله علق: المرجع السابق، ص

(٢) محمد عبد الله علق: المرجع السابق، ص ١٢٠؛ Mann (J) : op. cit., p. 45.

(٣) المقرري: تحفظ ج ١، ص ٤٤.

(٤) المقرري: تحفظ الحنفية ج ٢، ص ٩١.

(٥) الأنطاكي: المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٦) الأنطاكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٩٢؛ المقرري: تحفظ حنفية ج ٢، ص ٩١.

O'Leary : op. cit., p. 50.

(٧) باسرخسرو: سفرنامه، ص ١٠٥.

كذلك أصدر مجلاً بمنع شرب النقاغ، وكلز شراب النقاغ<sup>(١)</sup> من المشروبات المنتشرة في العصر قناتمي، ويبدو أن بعض أنواعه كانت مسكرة، لذلك حُرِّم شربه. <sup>(٢)</sup> هكذا خضعت للحمر ومصانرها طوال عهد الحاكم بأمر الله لأقصى المطالبات وأعتقها. <sup>(٣)</sup>

وعلى الرغم من قرارات الحاكم بأمر الله الشديدة الحزم، وللجرائع والقسوة، فإن الشعب المصري كان يتحايل عليها في بعض الأحيان بوع من الذعابة، أو المغرية التي كان يقابلها الحاكم نفسه في بعض الأحيان بوع من المروية، ومن أمثلة ذلك: أن الحاكم بأمر الله قد أصدر في ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م قراراً بأن الشيء المنطوق لا يكشف، فسكن رجل على الرغم من أوامر الحاكم بأمر الله الممنونة بمنع المسكرات، وتغيبه، وأكّاه توجهه إلى داره صلاف أحد رجال الشرطة، فخلع عاملته، وغطى بها نفسه، ونام وسط لطريق، وسار الناس يمرون به، ولا يجرؤ أحد أن يكشف عنه، فمر الحليفة الحاكم بأمر الله، وهو على هذه الحالة، فوقف، وماله من أفت ؟ فقال: أنا مغطى، وقد لمر أمير المؤمنين ألا يكشف مغطى، فضحك الحاكم، فبقي إليه بعض ثماله، وتصرف. <sup>(٤)</sup>

(١) شراب النقاغ: هو شراب من الشجر سمي بذلك لما يحلو من الزبد، وقد تعددت أنواعه التي منها: "الكلكاب" الذي كان منتشر في المدن الساحلية، وهو يصنع من دقيق ومراد أخرى، وشراب "الاقصا" وكان يصنع من السكر الأبيض المنصف إليه الماء وماء الورد ويخلط بالسك، ويؤخذ بلقح، كما كان يخلط عنه "المرجي"، وكان يصنع من شجر بل حتى يبدأ في الإنبات، ثم يجفف، ويسحق، ويضاف إليه دقيق الحنطة، ثم يسكب عليه ماء مطي، ويترك الشراب حتى يخمّر، ثم يؤخذ ما يبقى منه، ويحلى بالسكر. للمزيد راجع: الأملاني: تزيين الأنطاكي، ص ٢٦٨؛ ابن الأثير: معالم التنوير، ص ١٩٧؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق، المصري، ص ٢٥٧، ٢٥٨.

(٢) ناصر حمود: المصدر السابق، ص ٤٩؛ المقرئ: المصدر السابق، ص ٧٧.

(٣) ابن خلكان: وفوت الأعيان، ج ٢، ص ١٦٦؛ المقرئ: الخطوط، ج ٤، ص ٧٢.

(٤) المقرئ: تماثل الضياء، ج ٢، ص ١٩٩؛ عبد المنعم سلطان: المرجع السابق،

ص ٢٥٨، ٣٩٢-٣٩١. Heyd, W.: op. cit., pp. 391 - 392.

وعندما أصدر حجة بمنع النبيذ، وإتلافه، وأمر رجاله يتبع من بيع، أو يقتني شيئاً منه، فلتقق أن رجلاً حمل خمراً له على حمار، وهرب به، فتصالح أن قابله الحاكم بأمر الله، أثناء مروره على جسر صيق، سأله الحاكم من أين أتيت ؟ قال الرجل: من أرض الله الصعبة فقال له الحاكم بأمر الله: يا شيخ أرض الله الضيقة ؟ قال الرجل: لو لم تكن صيقة ما جمعتني، وإياك على هذا الجسر. فضبطك الحاكم منه، وتركه. (١)

ووسط هذا، وذلك، ووسط هذا التشدد استطاع أبو يعقوب بن سنان بن سعد بن النصراني، طبيب الحاكم بأمر الله الذي كان محباً للخمر أن يجعل الحاكم يعدل عن قراراته القاسية ضد الخمر والخمارين، فبس هذا الحسب؛ بل استطاع أن يجعل الحاكم شارباً له، حيث قلعه بأهمية شرب النبيذ، وعذره له ما فيه من المنافع، فاستدعى الحاكم بأمر الله جماعة من العلين، وأصحاب الملاهي إلى مجلسه، وشرب على غنائهم، وأحسن إليهم، وعند الحال بالناس في مصر-لقاهرة، إلى ما كانوا عليه في السالف من بيع الخمر، والفقاع. (٢)

فلما الحال على هذا الموال حتى توفي أبو يعقوب بن سنان، وهو مكران في بركة ماء. (٣) فعاد الحاكم بأمر الله إلى سيرته الأولى، ومنع الناس من شرب النبيذ أشد منع، وتشدد فيه وقتاً بعد وقت، وحذر على الضمور، والمسكرات حذراً تليماً. (٤) حتى قال ناصر خسرو في ذلك: إنه لم يجر أحد على شرب الخمر، أو الفقاع أيام الحاكم بأمر الله. (٥) ولم يحدث هذا، إلا في عصر الحاكم بأمر الله. (٦)

(١) المقرري: الخطب المقتطف ج ٢، ص ٩١.

(٢) الأطنكي: تاريخ الأنطاكي، ص ٢٦٩.

(٣) المقرري: المصدر السابق، ص ٢٠. يذكر أن اسمه يعقوب وليس أبا يعقوب.

(٤) المقرري: الخطب ج ٦، ص ٤٩١.

(٥) مصرخسرو: مغتربة، ص ١٠٥.

(٦) المقرري: المصدر السابق، ص ٤٩١.



وإذا كان الحاكم يأمر الله قد اتجه إلى شرب الخمر بإيعاز من طبيبه للتصدي في ضارياً بكل قراراته السابقة عرص الحادث فإن هناك من الحلفاء القاطنين، ووزرائهم من لشهد بالانغماس فيها، ولا سيما سعم الظاهر لإعزاز دين الله، والمستنصر بالله والأمر بالله.<sup>(١)</sup>

لقد جاء الظاهر لإعزاز دين الله مُحِباً للخمر متعمداً في اللهو، والثرف.<sup>(٢)</sup> فترجع عن قرارات والده الحاكم بأمر الله، فعادت الأمور كما كانت عليهما من قبل، وعاد الناس إلى شرب الخمر مرة أخرى، فيذكر المقرئ في أنه في عهده قد خرج الناس بمذنبية عيد الفصح إلى قنطرة المقص؛ حيث أمضوا نهارهم في اللهو، وشرب الخمر، رجلاً، ولداً، وهم يُعقرون الخمر، حتى حملت النساء في قناب الحمالين من شدة السكر.<sup>(٣)</sup>

أما للمستنصر بالله فكان يركب في كل منة، وعصر النساء، والحشم إلى جب عميرة - ركن الحاج - الذي كان يتجمع فيه الحجاج قبل سفرهم إلى الحج، وعند عودتهم.<sup>(٤)</sup> وهو مقرئ بري الحج، معه الخمر محمولاً في الروايا بدلاً من الماء، ينور به سفاته عليه، وعلى من معه في مجلسه، حتى شبهه المقرئ بقوله: 'كأنه ماء زمزم'.<sup>(٥)</sup> وقد تغلى المستنصر بالله ذلك، وبغى، وتمرد على خالفه عندما نصب خزكاه بالقصور التي يحين شمس، وإلى فسقية عظيمة، وحمل إليها

(١) البندادي (أبو منصور عبد القاهر بن طاهر) ت ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م؛ عرق بن

القري، مطبعة المعارف، القاهرة، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م، ص ٣٠، ح ١٠٠٠

حسن؛ القاطنين في مصر، ص ٣١ - ٣٦.

(٢) ابن قنري بردي؛ النجوم، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٣) المقرئ؛ قنطرة المقص، ج ٢، ص ١٢٧.

(٤) المقرئ؛ الحطك، ج ١، ص ١١٦٣ Stanley Lane - Poole : A History of Egypt in the Middle Ages, p 133

(٥) المقرئ؛ قنطرة المقص، ج ٢، ص ٢٦٥؛ إبراهيم رزق الله ليوب. التاريخ الاجتماعي القاطني، ص ٣٦٥.

رواها الخمر حتى مَلَّت، وأخرج بجميع ما في قصره من العلاف،  
والأغاني إلى الحركاء التي هو بها، وهم ينهون بأصوات القيان، والأوتار،  
ويعتقون من ضيقة الخمر، يضاهي بذلك البيت المعظم، ورمرد...  
ويقول: 'هذا أغيب من زيارة حجارة، وسماع صوت كريمة، وشرب ماء  
أسن بغياء، وعلوا'.<sup>(١)</sup>

كذلك كل شويرير يرجوان عاشقاً للخمر، فقد كان يكثّر من  
حضور مجالس الشرب، والمناظرات التي كانت تطول حتى صباح اليوم  
التالي.<sup>(٢)</sup> كما كان الأفضل بن بدر الجمالي مجلس للشرب، ربه بشامية  
شاميل لثماني جوار مقابلات، كانت منهن أربع بيص من الكافور، وأربع  
سود من العبر، وكن مرتبات لغير الثياب، ومزجيات بأنس الحسي،  
وتمسك بأيديهن الأحجار الكريمة.<sup>(٣)</sup> فرأجت على أيامه الخمر، وكثّر  
شربها. فكان الأفضل يقتصر في غلق الحانات، ومنع بيع المسكرات لسي  
آخر جمادى الآخرة فقط، لذلك عندما توفي الأفضل، أصدر السورير  
المأمون البطاحي أمراً بخلق جميع قاعات الخمارين في سائر الأعمال،  
وأن يذوّب بأنه لا يتعرض لبيع شيء من المسكرات، أو لشراؤها من أو  
جهراً في آخر جمادى الآخرة من كل عام.<sup>(٤)</sup>

وإن كان ما فعله المأمون البطاحي، وما فعله الخليفة الحاكم بأمر  
له من قبل يدل على أن المنع، أو التشديد في شرب الخمر كان يتم  
بصورة استثنائية يُراعى فيها مزاج الخليفة، أو السورير.

كذلك كان الأمير المظفر بن أمير الجيوش بدر الجمالي، وأخوه  
الأفضل شاهنشاه، الذي كان يمضي في كل ليلة إلى الخليفة الأمر بأحكام

(١) ابن ظفر: أخبار قنوق، ص ٧٣، ٧٤.

(٢) المغربي: تاملط الحظاء، ج ٢، ص ٢٥، ٢٦.

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢، ص ٥٨.

Stan. ey Lane – Poole op. cit., p. 134

(٤) المغربي: الخطط، ج ١، ص ٤٩١، لإبراهيم رزق الله أيوب: المرجع السابق،  
ص ٢٦٦.

الله، ويشرب عنده ويخرج في السحر، ومعه غلامان، أو ثلاثة، حتى إلى  
بواب حارة يرجوان كان عند عودة المظفر سحراً يثبت عليه، وبشتم  
الغلمان، ويذكر عليهم، ويرجمونه، ويصرخون، حتى وقعت صريرة في  
جنب المظفر أمهاتها، ولم يذكرها على استحياء، قالت له إلى الموت،  
فتوفي، وعمره دون الثلاثين.<sup>(١)</sup>

٢. ثراء الدولة ونمى القاحلة والبهمة.

أدت مظاهر الحياة المترفة التي عمت المجتمع المصري في  
العصر الفاطمي إلى ظهور العديد من الأمراض الاجتماعية التي أهدت  
للرجال، والنساء على السواء، فقد كثرت الاحتفالات الإسلامية،  
والمسحبة التي شاركت فيها الدولة بشكل مبالغ فيه، وأصبحت الفهرة  
تحيا ليلاً ونهاراً، فكثر حفلات الغناء، والسمر، والخمر، والميسر سرّاً،  
وعلانية.

ومع كثرة الغناء، والمنعنين، والمغنيات انتشرت الملاهي،  
والعادات على الخلوخ ما بين مصر (فلسطين)، والقاهرة، حتى أصبحت  
تلك المنطقة بؤرة للفساد، والرديلة بما يرتكب فيها من مخالفات على أثر  
شرب المسكرات، وتعلّط المخدرات (الضبضة)، والإفراط في الاستماع  
إلى المغنيات، وحضور حفلات المجون، والفحالة التي كانت تحيا هناك  
وسط أنوار المتلألئة ليلاً، على جانبي الشارع الضيق، حتى أصبح  
مقصداً لأهل السر والتفرج.<sup>(٢)</sup> ولم يقتصر الغناء على أماكن الفرح،  
والمتكرهات، والملاهي، والحفلات، بل عرف الغناء طريقته إلى السور  
خلال الجوارى، والجاريات المغنيات.<sup>(٣)</sup>

(١) المعري: المقطع ج ١، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٢) نفسه، ص ٢٨٧؛ إبراهيم رزق الله أيوب: التاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص

(٣) إبراهيم رزق الله أيوب: المرجع السابق، ص ٥٢؛ Same Lane Poole :

بالإضافة إلى المُغنين، والمغنيات فقد كثر عند الجوالي في القصور الفاطمية حتى عجز المؤرخون عن حصرهن، وقد شاعت صفة السري. فأصبح الناس على دين ملوكهم، فأصبح الرجل في الدولة الفاطمية يمتلك العديد من النساء دون عناء، أما المرأة المصرية فتمرت بالحسرة والتفكير بعد أن شعرت بأن عولطف زوجها قد قلت بعدما نورعت بين عدة نساء، وأصبحت شبه عسيرة في المجتمع، ونظراً إليها عسيرة متدنية، وفُهمت بكل موبقة، وعانت الكثير من الظلم، والجور، ولاسيما في عهد الحاكم بأمر الله.

ووجدت بعض النساء اللاتي خطن بهن الرقابة، وسدائر الأخلاق، فخرجن عن الملوك، فأسرفن في اللهو، وخرجن إلى أسوار مزارع بدون حجاب، ومتبرجات، كما أكلن على شرب الخمر، وأكثرن من الخروج، واختطن بالرجال، فظهرت مظاهر الفسق، والافتحاش<sup>(١)</sup> في كانت الرقابة سبباً من أسباب ظهور الفسق، والفساد، فكد كن الفقر، والجوع، والحاجة سبباً آخر من أسبابه، حيث ضسفت عامة للشعب الذين ضاق بهم الحال، وعجزوا عن تكبير قوت يومهم لعدم إغراء بعض اللواتي لهم بطيب العيش بتعاضد النساء واحتماء العسكرات، والافتحاش في الفسق والرفقة، فاجتروا بأجساد الفتيات اللاتي سقطن من حيث لا يدركن في الإثم.<sup>(٢)</sup> فكثر اللغو، وكثر الدهار، وأصبح لذلك الرذائل مأساة يتفنن في ترويح بضائمين.<sup>(٣)</sup> وما كان من الدولة الفاطمية التي قامت على أسس ديني إلا أن تستفيد من ذلك، وتتدخل مع البغاء كحرفة، وتقرض عليها ضريبة محددة كماتر التجارات.<sup>(٤)</sup>

(١) المقرري: اتحاف الحنفاء، ج ١، ص ١٣٧، فريمل: حد الفكر: المرأة في مصر، ص ٨٤.

(٢) آدم مثر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقل إلى العربية: محمد عبد الهادي أبو زيد، ج ٢، تونس، ١٩٨٠م، ص ٣٥١، O'Leary: op. cit., p. 55.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٩٢، ٢٩٤.

(٤) المقرري: الخطط، ج ١، ص ٨٩.

خشي الحاكم بأمر الله الفاطمي الذي اتسم بميله للزهد، والتشفيق  
 أن يصبح هذا السلوك ظاهرة عامة بين جميع الناس، فحاول في أول  
 الأمر أن ينظم المظهر العام لسلوك المرأة الاجتماعي، فلما كان نجس  
 النساء يأتي في الذهاب إلى الحمامات بطريقة منظمة، والاجتماع في  
 المقابر أيام الزينات، والخروج إلى الأسواق، هذا فضلاً عن تجمهر  
 على شاطئ النيل في الأعياد والميل إلى اللهو<sup>(١)</sup>؛ فقد أصدر عدة مرسوم  
 للحد من ذلك، وقد صدرت أول مطابقة من تلك المراسيم في المحرم سنة  
 ٣٩٥ هـ<sup>(٢)</sup> فصدر سجل يحرم على النساء أن يكتفن وجوههن في  
 الطريق، أو حلف الجسز، وحرم عليهن التبرج، كما حرم عليهن العويل،  
 والصياح وراء الموتى.<sup>(٣)</sup> كما أصدر أوامره بتنظيم دخول الحمامات.<sup>(٤)</sup>  
 كما أصدر الحاكم عدة فرائد بمنع خروج النساء مع الرجال  
 على شاطئ النيل للتبرج، ومن ركوب الحبل، ومواضع التبرج.<sup>(٥)</sup> كما  
 منع الناس من الغناء، أو الاستماع إليه، وأمر بكسر ساكن ما يُحظر عليه  
 من آلات موسيقية، وإحراقها، كما نهى عن بيع المغنيات، ثم صدر  
 أوامره بنفي سائر المغنيات، وأصحاب الملاهي.<sup>(٦)</sup>  
 على الرغم من أن تلك الأوامر التي كان يصدرها الحاكم بأمر الله  
 لم تكن تصدر كثرة واحدة، ولكن الحاكم بأمر الله قد تدرج في إصداره  
 - ولعل ذلك كان رغبة منه في إصلاح المظاهر العامة لسلوك النساء  
 والارتفاع بهن إلى مستوى الفصيلة - في حولاء النساء لم يمثلن لمشل

(١) دارمي عبد الكريم. المرجع السابق، ص ١٨٤ : ٣٩٥ : Heyd : op. cit., p. 395

(٢) محمد عبد الله حنق: الحاكم بأمر الله ص ١٢٩.

(٣) المقرئ. الخطوط ج ٢، ص ٢٨٦ : محمد عبد الله حنق: الحاكم بأمر الله، ص ١٢٩.

(٤) المقرئ. الخطوط ج ٢، ص ٥٢.

(٥) المقرئ. الخطوط ج ١، ص ١٢٨٧ : Mann (J) : op. cit., p. 12

(٦) الأسطى: تاريخ الأسطى، ص ٢٠٠، ٢٠٢.

هذه الأمور. <sup>(١)</sup> وظلت مظاهر الفسك موجودة لم يقصر عليها بعد ، مما اضطرت للحاكم بأمر الله لانتاج القسوة، والتسدة مع هؤلاء النساء.

فقد قيل إنه سمع يوماً أثناء سيره صجيج النساء، وصباحهن وأصوات غنائهن بحمام الذهب، فأمر بأن يُسد الحمام بالحجر على من بداخله حتى متن جميعاً. <sup>(٢)</sup> كذلك أمر بهدم بعض الحمامات على من فيها من النساء، ثم أمر بمنع دخول الحمامات العامة حتى المخصصة للنساء <sup>(٣)</sup>، كذلك أمر بإغلاق جميع الحمامات، ويذكر المقرري أنه كان يهصر انقطاع ألف ومائة وسبعون حماماً. <sup>(٤)</sup>

وعلى الرغم من ذلك فقد كثرت المفاسد، وانتشرت بيوت البغاء، واستطاع النساء أن يهجن من بيوتهن دون رغبة أزواجهن، أو من يعولهن، هذا الأمر الذي جعل بعض الرجال يشكون في زوجاتهم، ومن ثم في نسب أولادهم، فعرف من بعض القضايا التي تقدم بها بعض الأزواج إلى القاضي؛ لأنه يشك في أن زوجته قد حادت عن الصواب، وبالتالي فإنه يُنكر أولاده منها؛ وبطراً لصعوبة تلك القضايا، فقد كان القاضي يتحرى النقطة في مثل تلك الأمور، وفي حالة ثبوت براءة الزوجة، كان يُشهر بالرجل في أسواق المدينة، وينادي ببراءة الزوجة. <sup>(٥)</sup>

وصل الفسك إلى عصر الحاكم بأمر الله نفسه، وذلك عندما خرج من قصره جماعة من خطابه، وأسبلت أولاده ووضعين في سناديق مثقلة بالحجارة أغلقت عليهن، وأمر بإلقائهن في النيل بعد أن تأكد من

(١) المقرري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٥٢.

(٢) فتاوى: كثر القدر، ج ٦، ص ٢٥٨.

(٣) ابن حنبل: أخبار بني عبيد، ص ١٠ النسخة: حسن المحاضرة، ج ٢، ص

١٠٣، آدم متر: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ج ٢، ص ٢٣٣

(٤) المقرري: الخطط، ج ٢، ص ٢٠٤، ٢٠٥.

(٥) الكندي: قولا وكتبا، ص ٥٨٦-٥٩٣، فاروق عبد الكريم: الأمر، ص ١٠٦.

هسقيين. (١) كما مد على بعض الجولري والمحظيات حجرة في القصر ،  
وتركهن حتى مئن. (٢)

يبدو أن الحاكم بأمر الله كان مدفوعاً إلى ذلك بشدة الغيرة على  
سائيه، أو عدم تحته بالمرأة بوجه عام، وتوقعه الخيانة منها؛ ولم يكن  
يتجنس على النساء لكشف أسرارهن، ومن أجل ذلك جهز نساء عجائز  
كثيرة يستعلن أحوال النساء لمن يشق أو يشفقهن وأسماء عن يعسر من  
لهن فمن وجبت منهن كذلك قتلها، وأخفاها، ولم يكتف الحاكم بأمر الله  
بذلك بل شك حتى في جليوساته العجائز فلجأ للتأكد بنفسه من عدم  
مخالفتهم، فأكثر من التجول ليلاً، ونهاراً في المدينة. (٣)

ورغبة منه في القضاء على الفسق، والفساد نهائياً، فقد أمر الحاكم  
بأمر الله بمهاجمة أماكن البغاء، فأُزيلت دورها، وأوكارها، وطهرت منها  
أحياء المدينة، وكانوا ينشئون في معظم جناباتها. (٤) ثم أمر بمنع النساء  
من الخروج نهائياً ليلاً، أو نهاراً، وتأكيداً لذلك فقد منع الأساكنة من عمل  
أخفاف لهن، كما أمر بمنع التطلع من الطرقات أو الأسطح، فاحتجب  
النساء في ظلام دورهن، ولم تر امرأة واحدة في الطريق، وقد شدد الحاكم  
بأمر الله في تكثيف تلك الأوامر، فموقف كثير من المخالفين بالجلد  
والشهير والإعدام. (٥)

---

(١) ابن الخلكان : وليات الأعيان، ج ٢، ص ١٦٦ Stanley A History of Egypt, p. 126.

(٢) ابن سبويه، المغرب في حلى المغرب، تحقيق : حسن نصر، مطبعة دار الكتب،  
قاهرة، ١٩٧٢م، ص ٦٣.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ٢٥٢.

(٤) الأتطاكي: تاريخ الأتطاكي، ص ١٨٦ محمد عبد الله علقم: الحاكم بأمر الله،  
١٣٩.

(٥) الأتطاكي: المصدر السابق، ص ٢٠٨ ابن الأثير: الكامل، ج ٩، ص ٩١  
القريري: الخطوط، ج ٢، ص ٧٣ محمد عبد الله طه: المرجع السابق،  
ص ٧٩.

شملت قرارات الحاكم بأمر الله جميع النساء سواء في مصر أو القاهرة، ولم يستثن من تلك القرارات سوى النساء المنتظمات للشرع، والحارجات للحج، أو المسافرات لظروف طارئة أو قهرية، بالإصحة إلى غاسبات الموتى، والأرامل اللاتي يبعن الفزل، على أن يكون خروج هؤلاء لمرئولة شؤوبين يرقاع حاصلة ترفع إلى القصر، وتصدر بها تقارير يقوم بتفريدها متولي الشرطة.<sup>(١)</sup>

لم تكن تلك الأوامر حائلًا دون ممارسة القمع، والبطش، فقد نجأت بعض الفاسقات إلى الحيلة والاحتيايل لممارسة فسقهن؛ حيث اذهبت إحدى هن بأن أخذها الوحيد بنزارع سكرات الموت، ووقفت بطريق القاضي مالك بن سعيد الفارقي، فتأثده بالله أن يوصلها إليه، لفرق قلبه، وأمر برجلين أوصلاهما إليه، فوصلت دار الرجل الذي يهرأها، ونهوا، ولما طأب الزوج المغدوع بامرأته، وقد عرف قصتها مع القاضي من جارثها، قتل؛ إنها ليس لها إخوة، وألقى القبض على المرأة، وثرجل، وهما داسان في إزار واحد، وقد ثملا من السكر، وصنرت بحفهما العقوبة، فأجرت المرأة، وقتل الرجل.<sup>(٢)</sup>

ومن اللات للخطر أن المتابعة في العدة، وتضييق الخناق على المرأة لم يكن يضمنها من ارتكاب الإثم، أو الخروج من البيت، كذلك نزع العقوبة التي كانت تستخدمها الدولة الفاطمية في جريمة الزنا، والمعروف بالجلد في الشريعة الإسلامية، فخرى أن الخلوة الحاكم أمر بقتل الرجل وحرق المرأة.

كذلك وصل التهلك في العصر الفاطمي إلى حد التكتلن الجواني في القصور، ففنن في أساليب الفحشاء، فالتحدث الجارية عصبًا لها

(١) القلقسدي: صبح الأعشى، ج ٢٦، ص ١٥٧؛ المقرزي: الخطيب ج ٢، ص ٨٠، ١٠٨.

محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٩٢.

(٢) عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين، ط ٢، دار الفكر العربي، ١٩٤٨م، ص ٢٤؛ إبراهيم رزق الله أبووب: التاريخ الفاطمي لاجتماعي، ص ٥٥.



كالزوج، كما فعلت جوارى خساروية صاحب مصر.<sup>(١)</sup> كما جرت عادة  
 لفتاء الجوارى من قبل النساء، وأدى هذا الأمر إلى بقاء العديد منهن  
 بدون رواج، مما أدى إلى ارتكابهن الفحشاء أو اتهامن به، فاتهم الحاكم  
 بأمر الله أحته "مت لملك" والتي كانت تملك أربعة آلاف جيرة، منها  
 ألف وخمسمائة غزاة - بارتكاب الفلحشة، كما اتهمها بأنها تنزل الرجال  
 إلى مخدعها، وتمكن من نفسها. ويحقد أنها قد زالت عذريتها، مما  
 جعلها تتعول بتكبير مؤامرة للتخلص منه.<sup>(٢)</sup> وقيل إنه أرسل أبو الحسن -  
 جمع قبلة - للتأكد من براءتها.<sup>(٣)</sup>

ومن الغريب أن الحاكم بأمر الله بما أصدره من أوامر، ومراسيم  
 تعد من ضامرة الفسق، والفجور، والذي يميز بها دون غيره من الخلفاء  
 الفاطميين، كان يستخدم الفاحشة في عقاب من يخالف أوامره، أو على  
 سبيل المزاح، والسخرية التي تتنافى مع ما تظاهره به من زهد، فكان  
 للحاكم ينحول بالأسواق بخادم ضخم الجثة يقال له "مسعود" بأمره  
 بارتكاب الفاحشة مع صاحب المغلفة أمام الجميع.<sup>(٤)</sup>

ويروي الأقطاني أن الحاكم بأمر الله قد قصد أحد أسواق مصر  
 أولاً، وتقدم إلى شيخ حليع يُمرَّب بالرجاء، فيقول له الحاكم: اكتشف/أرني  
 قسرك، فيكشف الرجل عن فحشته، والحاكم لبعض ركبائه من السود أن  
 يبل إحليله، ويأكله بمشهد منه، ومن الجمع الحاضرين، ويقولون إليه ذات  
 المجري من الأكم الذي يزعم أنه ينقله، ويتولى إليه الرجل أن يأمر  
 الأسود العنلي عليه، بالرفق، وتركه نصف له، فيضطك الحاكم من  
 ضججه، ويضرب له.<sup>(٥)</sup>

(١) ابن الأثير: الكامل، ج ٧، ص ١٨٨.

(٢) المقرئ: لمالك الحنف، ج ٢، ص ١١٠ ابن تقي يدي: التلويح، ج ١، ص

١٨٥؛ السيوطي: حسن المصنف، ج ١، ص ٦٠٢.

(٣) ابن طاهر: أخبار الدول، ص ٦٤؛ ابن الأثير: الكامل، ج ٢٧، ص ١٣٠٥.

المقرئ: لمالك الحنف، ج ٢، ص ١٠٧؛ ابن تقي يدي: التلويح، ج ١، ص ١٨٥.

(٤) ابن أبي عمير: بدائع الزهور، ج ١، ص ٢٠١.

(٥) الأقطاني: ترويح الأطلسي، ص ٣٧٩.

كذلك عندما غصب من شعب مصر اثنين صحرًا منه، ومن  
أو مرة، وصنعوا له تمثالاً على هيئة امرأة تمسك بيديها رقعة تحمل في  
مباينها مكروه القول، فقام جنوده العبيد بحرق مصر وعقاب أهلها، وكان  
نتيجة ذلك أن، قبل العبيد الفاضلة بفساد مصر،<sup>(١)</sup> مما اضطر بعضهم  
بفعل أنفسهم خشية العار.<sup>(٢)</sup>

وفعل ذلك القصة مرة أخرى عندما شكك أن أهل مصر هم السب  
في حمل جنود الأتراك على مواجهته، ومطالبته بتعليم الفردي<sup>(٣)</sup> في شر  
سوء التوفية للحاكم، والتي لاقت قبولاً لديه، فبسط عليهم طوائف الرجفة  
من السودان (العبيد)، وقرر معهم ما يتطو به، فكانوا يزلزون إلى  
مصر مجتمعين على هيئة الفدر، فيكبسون على التحاملات، رياحسون  
بانت أهل مصر نهراً جهاراً. فأصبحت الفضة على عين، وسرى من  
الجميع دون تدخل الشرطة لمنع هؤلاء الرجال. وعندما اجتمع الناس،  
وتصرعوا، له بمنع هؤلاء الجنود، وأمر أصحاب الشرطة بحملتهم، لم  
يرد عليهم جواباً.<sup>(٤)</sup>

ظلت المرأة تعاني من مرزوم الحاكم بأمر الله، ويتجهل بعضهم  
عليه زهاء سبع سنوات،<sup>(٥)</sup> حتى توفي الحاكم بأمر الله ٤١١ هـ / ١٠٢٠  
م، فتحول للمجتمع المصري مرة أخرى من التعبد للنقيض فجأة، حيث  
أباح الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله كل ما معه والده الحاكم بأمر الله،  
فأقبل الناس على الحياة المرحية، ونهر النيل بصورة أكثر وضوحاً،  
وأشد وطأة، ولا سيما بعد أن سمح الظاهر لإعزاز دين الله بالإفراج عن  
النساء،<sup>(٦)</sup> فأقبل الناس على شرب الخمر، والنيس، وسماع الأغاني،  
ولاستغراق في ملذاتهم.<sup>(٧)</sup>

(١) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٣٠ - ٣٦؛ قميوني: حسن المعاضير، ج ١،  
ص ٦٠٣.

(٢) ابن ميسر: المصدر السابق، ص ٦٠ - ٦٢.

(٣) ابن ميسر: أخبار الدول، ص ٥٤، ٥٥.

(٤) ابن خلدون: أخبار بني عبيد، ص ١٠٠.

(٥) البكري: تعاقب الخلفاء، ج ٢، ص ١٣٥؛ تزيير عبد الكريم: المرأة في مصر،  
ص ٩٦.

(٦) المعري: المصدر السابق، ص ١٧٩؛ الأتلي: تاريخ الأتلي، ص ٢٣٨.

وقالوا: إن الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله نفسه قد قضى مدة حكمه مشغولاً بملذاته، مقللاً على مجالس القضاء والطبيب، وقد سدد الدين في أيامه بمصر، واتخذوا للمغنيات، والراقصات، وبلغوا من ذلك مبلغاً عظيماً. <sup>(١)</sup> ولم يتورع البعض عن إظهار تلك الأمور حتى في الشهور التي اعتلت الدولة الفاطمية أن تتزهد عن مظاهر الحلاعة، والإثم - رجب، وشعبان، ورمضان - ضاعت أمور الدولة، وكثر الشعار للدين كانوا يكبون على الحارات؛ مما دفع الظاهر لإعزاز دين الله إلى المحافظة على مظهر الدولة الرسمي، فأصدر مرسلاً برفع المنابر، وترك الظاهر بشيء منها، كما أمر بحم خروج النساء بعد العصر للمسابر؛ كذلك منع القضاء. <sup>(٢)</sup>

ولما كانت هذه الأوامر قد صدرت في بداية حكم الظاهر لإعزاز دين الله ٤١٣ هـ / ١٠٢٢ م، فهذا يجعلنا نعتقد أن "سنة الملك" هي التي أصدرت تلك الأوامر، ولأنها الأمر الخاص بالإفراج عن النساء. وكذلك الأمر الخاص بحم خروجهن، وذلك لكونها المسيطرة على شؤون الحياة الذي تولي الخلافة صغيراً. <sup>(٣)</sup> كنوع من أنواع المحافظة على سياسة الحاكم السابقة تجاه النساء، وحتى لا تعود الحالة الاجتماعية مرة أخرى كما كانت عليه.

مما يؤكد لنا استقرار الأمور بعض الشيء في عصر الحكم بأمر الله على الرغم من تسوته، وشدة التبايع هيباء، وعلى الرغم من اتهام البعض له بالتشدد، والجنون، فإذا كان القرار الأول الخاص بالإفراج عن النساء كان تعويضاً لست الملك لما قد أصابها من شخصياً من بدء أيام الحكم بأمر الله، ولتهدئتها بتقصاء، فهي أيضاً صاحبة القرار الثاني بمنعهن عن الخروج، ولعل هذا الفكر دليل على انتشار الفساد بأمره في تلك الفترة.

(١) المقرئري: القبط ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) المقرئري: انماط القضاء ج ٢، ص ١١٣٥ القبط ج ١، ص ٣٥٥ نريمن عبد

فكريم، المرجع السابق، ص ٩٢.

(٣) من حماد: المصدر السابق، ص ١٠٣.

استمرت مظاهر الفساد، والفسوق في عهد المستعصر بالله، ولاسيب فترة المجاعة - الشدة العظمى - حيث انتشرت البيوت قصيرة الموقوف التي سكنها أهل الفساد، تعرضت لنيهم النساء دون تغيير بين الصالحين، والفساد، فكانوا يأخذون إلى تلك البيوت، ويفعلون جهنم العاجلة، وقد تمكنت إحدى النساء من الهروب من إحدى هذه البيوت، وأبلغت الولي بما حدث، فكتب على تلك الدار، وأمر بقتل من فيها<sup>(١)</sup>، ولم يحل العصر الفاطمي الثاني من المبالغة في مظاهر الباطن، والفرف، والإسراف، وكذلك الأعياد، والاحتفالات، ومن ثم فقد ظهرت مظاهر الفساد، والفجور التي عمت النساء، والرجال على السواء، ويعبر المقرئ عن أسفه لما كان يحدث في تلك الفترة قائلا: إن لنهج ما ظهر في مصر - القاهرة حب العلمان، وتغرل الشعراء بهم، حتى طارت النساء من ذلك، وتعمدت إلى تشبه بالعلماء في اللباس، والقبعة ليستمر قلب للرجال.<sup>(٢)</sup>

وانتشرت ظاهرة لشذوذ الجنسي بين الرجال أيضا مطلقا كانت من قبل بين النساء، هذا الأمر الذي وصل إلى حد اتهام الخليفة الطاهر بممارسة الفحشاء مع نصر بن عباس ابن وزيره.<sup>(٣)</sup> والذي كان حسن المنظر بديع الجمال.<sup>(٤)</sup> فكثر الشائعات والغمز واللمز، فعمد عباس بمطالبة ابنه إلى الذهاب من قصر الخليفة، والابتعاد عنه، بل قتله لمحو ما تناقلته ألسن الناس.<sup>(٥)</sup>

(١) ابن كثير: تاريخ، الجزء ٥، ص ٤٧؛ التومس: عبد الكريم، المرأة في مصر، ص ٩٣.

(٢) المقرئ: تماط الحفل، ج ٢، ص ١١٠.

(٣) ساويرس بن المنيق: سير اليمامة المفسدة، ج ١، ص ٣٢، ص ٤٥؛ ابن حنبل: أخبار بني سعيد، ص ١٠٦؛ ابن يونس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٢.

(٤) ابن حنبل: المصدر السابق، ص ١٠٦.

Stanley - History of Egypt, p. 126

(٥) ساويرس بن المنيق: المصدر السابق، ص ٤٥؛ ابن يونس: المصدر السابق، ص ١٥٢؛ إبراهيم رزق: تاريخ الفاطمي الاجتماعي، ص ١٢٨.

أما ساويرس بن المقفع فيخبرنا بأن المنتخب نصر الملك أبي علي  
الذي تولى ولاية الإسكندرية بعد عزل ابن ميروان قد فعل قلة كانت سببا  
في موته، وهي أنه بات في بيعة للقيس ماري جرجس الشهيد دحل  
للمنيح الذي قهره تنكحه مع غلام لمرد، فكان عقابه شديدا، ظهر له شهيد  
ماري جرجس في صورة مارد، وأخذ يضربه حتى مات، لم يستطع  
علماته إنقاذه. (١)

ولما كان مدى صديق هذه الرواية من علمه، فليس سؤالا  
الفاطمية التي قامت على أسس ديني، وصلت إلى درجة كبيرة من العناد،  
جعل بعض حناكها يمارسون الفحشاء، والبعض الآخر يحلقون به على  
غير، ويرأى من الجميع، هذا الأمر الذي كان نديرا باليهلارها مثل كان  
الأمر مع سابقها، فقد كان من الأسباب الثانوية التي حفزت الفاطميين  
على فتح مصر علمون بأن إحدى أهمرات البهت الإخشيدى قد خرجت  
بنفسها لتشتري جارية تتمتع بها، وعد الخليفة المعز لدين الله أن ذلك دليل  
على مدى الفرفر، والضعف الذي حل بال دولة الإخشيدية، وأمرهم بالذهاب  
لمصر، وبشرهم بالنصر. (٢)

## ٢. أعمال الحرق والصوبية

كانت مصر - القاهرة طوال العصر الفاطمي تقريبا - كم سبق  
ذكره - مسرحا للأحداث المنمصرة أو المذهبية، ومشارا لتلك  
الاضطرابات التي وقعت بين المتسلطين على منصب الورثة ومن  
يأولهم، ولا سيما في المرحلة الثانية من العصر الفاطمي. (٣) بالإضافة إلى  
الكوارث الطبيعية التي كانت تصوب البلاد، وتصل بها أحيانا إلى هذه  
للمجاعة، وقد انعكست هذه الأحداث، وتلك الفتن على الحالة الاقتصادية

(١) ساويرس بن المقفع: المصدر السابق، ص ١٨٦.

(٢) للمقريزي: اتعاظ الحنفا: ج ١، ص ١٠٠؛ الخطط: ج ١، ص ٢٥٢؛ لريمان عبد  
الكريم: المرأة في مصر، ص ٨٥.

(٣) البندلي: الفرق بين الفرق، ص ٤٣٠، ص إبراهيم حسن: الفاطميون في مصر،  
ص ٣٦ - ٣٧.

في البلاد، وبالتالي على المجتمع المصري، فلزادت حالة الفقر، فقرأ، وكثرت الاضطرابات، واضطر بعض الناس إلى أعمال السرقة والنهب، للحصول على قوت يومهم.

هذا بالإضافة إلى تلك السياسة الخاطئة التي كانت تتبعها الدولة العظمية مع من يقومون بختمتها من الوزراء، والقواد، والظم من كثرة إغراقهم بالمال، والهدايا، والهيئات، هذا الأمر الذي أدى إلى تقسّي روح الصمغ، والتشبع لديهم، ودعا إلى طلب المزيد عن طريق الاحتلاس، أو طلب الرشوة، وعلى التنبّض كانت سياستها في معاقبة المخطئ منهم، أو من لا يرضى منهم، فكان الفاطميون يقومون بعصاة جميع أملاكهم دون أن يتركوا لهم شيئاً، حيث إن الفاطميين كانوا يحرقون هذا المال مكاراً لهم،<sup>(١)</sup> مما جعلهم فريسة للجوع، والمرض، فيضطر بعضهم مكرهاً إلى سلب الناس جهرا، والتجرو عليهم. هكذا كان كل من كثرة المال والحاجة له سبباً من أسباب أعمال السرقة، والنهب، والصوصية في مصر الفاطمية.

ومع غياب الرقابة كثر الفساد للنم، ولجأ بعض الناس، سواء من الخاصة، أو العامة، إلى خيانة الأمانة، أو اختلاس الأموال طمعاً في المزيد، فيذكر ابن كثير أن روجة الإخشيد كانت قد أودعت قباه من اللؤلؤ المنسوج بالذهب عند رجل من اليهود الصاعقة، فسلمت نفسه، وأسأه الأمانة، وعندما طالبت به، أنكره، فشكت أمرها إلى الضيفة المعز لدين الله الفاطمي الذي طلب إحصال الرجل لسماعه، غير أن الصانع قد أسمر على إنكاره، فأمر المعز لدين الله بتفتيش داره فاستخرج كل ما بهاء، لوجنو، القباه، قد وضعه الصانع في جره، وخباها في موضع من مواضع داره، برده الخليفة إلى روجة الإخشيد، التي حاولت تقديمه للمعز لدين الله، غير أنه أبى ذلك،<sup>(٢)</sup>

(١) ابن الصيرفي : الإشارة، من ٢٧ - ٢٨؛ ابن ميسر : أخبار مصر، من ٣٥ -

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١١، من ٢٧٤؛ السيوطي: حسن المحاضرة، ج ١،

وفي ليل الحاكم بأمر الله أودع رجل مغربي - من سلجقنة - ماله عند رجل في مصر، قد قابله في السوق، وتوسم فيه خيراً، وكان هذا المال على سبيل الأمانة إلى حين عودته من الحج، فلما علا الرجل من الحج، طلب ماله من التاجر؛ ليعود به إلى بلده، غير أن هذا للتاجر قد أنكره عليه، فثار ثائرة المغربي، وشكا أمره إلى الحاكم بأمر الله، وقد استعاض الحاكم بأمر الله إيجاب التاجر ربه المال بالحوالة، حيث اتفق مع المغربي أن ينتظره في السوق عند دكان أليم دكان التاجر الذي أحت ماله، وإذا من الحاكم بأمر الله وقف معه، ويطول وقفته، حتى يراه التاجر، وقد تم ذلك، فلما انصرف الحاكم بأمر الله جاء الرجل بالمال للمغربي هائلاً الصفيح. (١)

وعلى الرغم من أن القاضي في الدولة الفاطمية كان يتدعى مرتباً ضخماً، يصل إلى ما يقرب من ألفي دينار تقريباً في العام،<sup>(٢)</sup> لأن مظاهر الفساد قد تسربت إلى نفوس بعض هؤلاء القضاة، فامتدت أيديهم إلى مال اليتامى، فقد تقدم أحد اليتامى برفعة إلى الحاكم بأمر الله، يذكر فيها أن أباه قد توفي، وترك له عشرين ألف دينار، وإنما مودعة في ديوان القاضي حسين بن اللعان، غير أن القاضي قد أخبره أن ماله قد لُذ، فاستدعاه الحاكم بأمر الله، وأخذه على الرفعة، فقال القاضي للحاكم بأمر الله كما قال اليتيم، من أن اليتيم قد استوفى ماله عن أخيه، فأمر الحاكم بزمصار كشف الحساب من ديوان القاضي، فتبين أن الذي رسل للرجل اليتيم أكل مما له، فطلب القاضي للمعوز، والثوبة، غير أن الحاكم بأمر الله أمر بمسرب عنقه، وحرق جثته. (٣)

كذلك كانت أعمال السرقة والمصومية تظهر بشكل واضح في المجتمع المصري عندما تقوم الدولة بمحاياة ثمة من ضلت المجتمع نون

(١) ابن سعد: المغرب في حلى المغرب، الجزء الخامس بمصر، ج ٢، ص ٧٥

(٢) ماصر خسرو: مغرلة، ص ١٢٥.

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢، ص ٥١؛ ابن سعدة: المغرب في حلى المغرب،

(الجزء الخامس بمصر)، ص ٧١.

الغنة الأخرى، وتترك لها إعلان دون حساب أو مراقبة، فتتجبر تلك الغنة، وتتجرأ على إعمال الفساد بين الناس، وربما يصل فسادها هذا إلى حد الحليفة نفسه الذي عجز عن الحد من هذا الفساد، أو حتى حماية نفسه لند بال المعاربية مكانة عالية، فقد اعتمد الفاطميون عليهم في دحورهم بمصر، لذلك فقد تعالت الغنة، وتجبرت، ولاسيما بعد أن حارت كل المميزات، لذلك فقد حاولت في بداية عهدها نهب المواضع الدامية بالمصريين أصحاب البلاد، محتدين في ذلك على قوتهم العسكرية، ومكانتهم في الدولة، غير أن المصريين قد ثاروا، ووقفوا في وجوههم دفاعاً عن مواسمهم. <sup>(١)</sup> وتكرر هذا الأمر في عهد التمرتين لله، حيث قاموا بنهب الناس، والاعتداء عليهم، هذا الأمر الذي أنكره المعز لدين الله. <sup>(٢)</sup>

وفي بداية عهد الحاكم بأمر الله طغى المعارضة مرة أخرى، حيث ظلوا أنهم قد امتلكوا زمام الأمور، وسارت لهم البلاد بما فيها، فخرجوا إلى الشوارع، وتعرضوا للعامة بالسلب والنهب، ولتمتكت أيديهم إلى عطف النساء من الطرقات، وتعربة الرجال من ثيابهم، فضلق الناس من أعمالهم، وكثرت الشكايات في حقهم، فدخلوا في حرب مع الجند لأثر ذلك الذين انضموا إليهم، وعندما هرب زعيمهم بن عمار من القاهرة إلى المسمطاط سارع العامة الذين علوا من فساد جنده، ونهب داره، وسبوا. <sup>(٣)</sup>

وعندما اعتمد الحاكم بأمر الله على العبيد، طمعوا في الحكم، وعاثوا في مصر فساداً، حيث قاموا بالسطور على العوائيت، ولتأسر. وفسدوا مآحل مصر، ونهبوا الدور، وأشعلوا فيها النيران، بعدما أخذوا ما في العوائيت من قمح، وشعير وغلل، فجمع الناس من ذلك، وأعلنوا نوره، وحفروا حولها الخنادق لبرقعة وصول العبيد إليها، وهب الجميع

(١) القرطبي: معاني الحقائق ج ١، ص ١٤٨.

(٢) نفسه، ص ١٤٨.

(٣) ابن مسعود: المعبر السابق، ص ٥٨، ٥٩.



لحمل السلاح لمقاتلتهم، وردهم عن المدينة، حتى إن النوبة قد شارك في الدفاع عن الدور، بضربين العبيد بالحجارة والطوب من أعلى الدور<sup>(١)</sup>

وفي عهد المستنصر بالله، تميز الأتراك، وقويت شوكتهم، فطمعوا في المزيد، حتى تجرؤوا على الخليفة نفسه، فدخلوا قصره، وذهبوا كل ما به من ثروته، ثم طالبوا بالمزيد، ولم يكن من الخليفة للمستنصر بالله، إلا أن يعرض ممتلكاته للبيع بأخص الأتكان؛ ليلبي مطالبهم، حتى أن مصيره بعد ذلك إلى أن يجلس على حصيره وبأية لايتأ قبيحا<sup>(٢)</sup>. هذا الأمر حتى جاء بنو الجمالي ٤٤٦ هـ/ ١٠٧٤ م، وأعاد ما نهب من الخليفة، وصار ممتلكات الأتراك الذين سلبوها بوز وجه حق<sup>(٣)</sup>.

أدت هذه الفوضى التي عمت البلاد مع استمرار الفقر والجوع، إلى اضطراب الأمن، وحوار وذعر الناس، فكثر العيارون، والفسطاط، وأصحاب الفيل في المدن، وتزايد عدد اللصوص في القرى، وانتشر الزعر في الطرقات، فامتدت أيديهم إلى مهاجمة الحارات، ونهب البيوت، ولجأ البعض الآخر إلى مهاجمة قوافل الحجاج لسلب أموالهم، كذلك قاموا بالسطو على قوافل التجار، وأخذوا أموالهم، بوصفها حقا لهم، لأن أصحابها لم يودوا زكاتها لبيت المال، وقد منعوها، وتجردوا فتركوا عليهم، فصارت أموالهم بذلك مستهكة وهم في حاجة إليها بسبب فقرهم<sup>(٤)</sup>.

وعندما تآزمت الأمور، وبلغت الروح الحلقوم، بدخول البلاد في مجاعة، ظهرت مرقعة من نوع آخر، لجأ إليها بعض الناس ليسدوا جوعهم، ولكنها كانت مظهرًا قويًا من مظاهر الفساد التي عمت مصر في

(١) المغربي: المعاد المنها، ج ٢، ص ١٧٠، ٥٢-٤٩ O'Leery op. cit., p.

(٢) المغربي: المصدر السابق، ص ٢٠١، Stanley. Saladin and the Fall, p. 89.

(٣) المغربي: الخطب ج ١، ص ٤١٦؛ Heyd: op. cit., p. 391.

(٤) إبراهيم رزق الله أيوب: لتاريخ السلطنة الاجتماعية، ص ٢٠٣، جرجي زيدان: القطن الإسلامي، ج ٤، ص ١٩١، ١٩٢.

ذلك الوقت، حيث انتشرت سرقة البشر، وأكل الناس بعضهم بعضاً، يذكر المقرري أن الناس كانوا يطعمون بأعلى بيوتهم، ومعهم سلب، وحال بها كلاب، فإذا مر بهم أحد لفقوا عليه، ونشروه في أسرع وقت، وشروا لحمه، وأكلوه.<sup>(١)</sup>

ويذكر المؤرخون في الأمر قد وصل إلى حد اختطاف النساء من الطرقات، وأكل نوحسهن، وهن أحياء، فعندما كانت امرأة مسمية بجنسن رفاق القبول بمصر، علقها أحد العبيد السود بالكلاب، ثم سحبها إلى داره، ويطحها أرضاً على وجهها، وأوتق رباطها بأذنيها، وأرجلها إلى أوتاد حديدية، ثم عراها من ثوبها، وأخذ يقطع من جرعها شرائح، وهي تستغيث وتصرخ، ولا من يجيب، ثم جلس يأكل موهماً أنها لا تستطيع الإفلات من وثاقها، ولكنها أخذت تناد في نفسها حتى استطاعت الخروج من داره رحفاً، وعندما وصلت إلى الخارج صرخت طالبة المساعدة، وعندما جاء الوالي ففتش الدار، أخرج منها ألوف القتلى، فأمر بصرب عنقه.<sup>(٢)</sup>

والإصلاح سياسة الدولة الدينية، وأثرها في هذه العلاقة الاجتماعية بين المسلمين والأهل

#### ١- إفساد العلاقة بين الشيعة والسنة:

لم تكن الخلافة الفاطمية خلافة ثيوقراطية أساسها الدين فقط، ولكنها كانت أيضاً خلافة مذهبية لها صفاتها الخاصة التي تطلعت في كل مظاهر حياتها، حيث كانت العقائد في ذلك الوقت هي التي تسيطر السياسة والنظم، وليست الآراء الاقتصادية، أو غيرها، لذلك فقد كان من أهداف ظهور هذه الخلافة نشر عقائدها الشيعية - بحكم أن الدين الإسلامي الصحيح قائم على هذا المذهب - لا في البلاد التي تسيطر عليها محسب، إنما أيضاً في بلاد أعدائها السنة، أو غيرهم، غير أن اهتمام الخلافة الفاطمية بتحويل أهل مصر إلى المذهب الشيعي كان كبيراً، وذلك لأن مصر هي مقر خلافتهم الشيعية.<sup>(٣)</sup>

(١) المقرري: إغالة الأمة، ص ٦٠، ١٤٧ Stanley - History of Egypt, p. 147

(٢) المقرري: القبط ج ١، ص ٢٢٧ ابن تقي يدي: النجوم ج ٥، ص ١٧٥

(٣) عبد السم موجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٦٦.

وكان لدى الشعب المصري السني مخاوف قوية من أن يعرض عليهم الفاطميون مذهبهم الشيعي بالقوة ؛ لذلك فقد كان ضمن بنود عهد الأمان الذي طالبوه من جوهر الصقلي عند دخوله مصر هو أن يظل المصريون على مذهبهم السني، ولا يكرهوا بالدخول في المذهب الرسمي للدولة الفاطمية (المذهب الشيعي)، وقد أمتهم جوهر على ذلك فيما عرف بكتاب الأمان.

إلا أن الفاطميين أوقفوا العمل بكتاب الأمان بعد أن انتقل الحنبلة المعز لدين الله الفاطمي إلى القاهرة سنة ٣٦٢ هـ، وقد كان هذا الكتاب ينص على إطلاق الحرية للمصريين في المعتقدات الدينية، وهذا لم يحدث، بل تركز اهتمامهم على تحويل المصريين إلى المذهب الشيعي<sup>(١)</sup>، وعلى الرغم من عدم وجود محاولات صريحة - في أغلب الأحيان - من جانب الفاطميين لثت الشعب المصري على اعتناق مذهبهم الشيعي لإسماعيليين، فإنهم قد لجأوا إلى بعض الوسائل الأخرى لإجبار الشعب المصري على اعتناق مذهبهم، هذا الأمر الذي كان سبباً من أسباب استياء المسلمين السنة، ووقوع الفساد بينهم، وبين المخالفة الشيعية.

وكذلك عمل الفاطميون على إسناد المناصب العليا في الدولة إلى الشيعة منهم، أو ممن يعتنق مذهبهم.<sup>(٢)</sup> فتحول جهاز الدولة الرسمي إلى المذهب الشيعي، ولا سيما بعد أن عملوا على إحلال التشريع الشيعي محل التشريع السني في القضاء، والفتوى، ولذكروا ما يخالف ذلك،<sup>(٣)</sup> كذلك

---

(١) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧٩، أمين عزازي سيد، الدولة الفاطمية، ص ١٥٤.

Rabie (H) • The Financial System of Egypt Oxford University, Press 1972, p. 127.

(٢) المعري: تحفة الحقائق، ج ١، ص ١٤٥ محمد جمال الدين سرور - المراجع السابق، ص ٧٦.

(٣) المعري: الحظوظ، ج ٢، ص ١٤٦.

غبروا من نظام المواريث، وجعلوه أساس رأي أهل البيت. <sup>(١)</sup> فلما نشر فقهاء السنة ضد هذا التغيير في التشريع وقعت العقوبات ضدهم. <sup>(٢)</sup> كما عملوا على اتخاذ المساجد الكبيرة مراكز للتحلية الفاطمية، وهي وقت ذلك مسجد عمرو بن العاص، ومسجد أحمد بن طولون، والجامع الأزهر. كما قاموا بتعيين أحد كبار المتفهمين في مذهب الشيعة لقيام بشهر دعوتهم، وكان يعرف بداعي الدعوة <sup>(٣)</sup> يعلوه اثنا عشر نقيب، ويواب من مائز البلاد، فمضطروا فيه أن يكون عالماً بجميع مذاهب أهل البيت. <sup>(٤)</sup> ثم عملوا على إدخال خصائص المذهب الفاطمي في تلك المساجد، فعملوا الأذان فيها بـ "حي على خير العمل". بدلاً من حي على الصلاة، <sup>(٥)</sup> وجهررا بالبسملة بصوت عالٍ في صلاة الجمعة، وردوا صيغة القنوت في الركعة الثانية، والتي مؤداها: " اللهم نحن إليك قائلون"، وعلى النقيض أزلوا ما رآه المسلمون في هذه الصلاة من قراءة " سبح اسم ربك " والتكبير بعد الصلاة. <sup>(٦)</sup>

(١) نفسه، ص ١٥٦.

(٢) هذا القسم ماجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٦٩.

(٣) دامي لدهاء: هو لقب لم يكن موجود في مصر قبل مجيء الفاطميين، كذلك لم يظهر مع ظهورها في مصر، ولكنه ظهر في عهد الخليفة الفاطمي الثالث الحاكم بأمر الله الفاطمي في عام ٣٩٣ هـ / ١٠٠٣ م، ولول من لقب بهذا اللقب هو القاضي الحسين بن النعمان. راجع: فتاوى: الفلانة وكتاب القصائد، ص ٥٨٧ عهد المنعم ماجد. نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٨٢

(٤) محمد جمال الدين مرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧٦.

(٥) وثقته أنهم يرون أن مصر بين الخطاب قد غير في الصيغة لقرى نكثت عن النبي، فقد كل عمر يرى أن القنوت إنما سبحوا أن الصلاة خير من العمل فمسلون نبي فجهاد وهو أهم عمل في وقته. (عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص ١٨٢)

(٦) التقرير ي: تعاطي الحقائق، ج ٢، ص ١٦٨.

Bosworth (C.E) : "Christian and Jewish Religious Dignitaries in Mamluk Egypt and Syria" Reprinted from "Journal of Middle East Studies", vol.3, January, 1972, p. 66.

وقد أصبحت هذه الأفعال، والتصرفات المذهب السني في مصر، وقبضت حريته، وأدى ذلك إلى فساد العلاقة بين المذهب السني، والشيعي بدخل مصر، وصار الشيعة هم أصحاب الظهور البارز، والاميز، وكذلك السطوة، والسيطرة.

كما عمل الفاطميون على الاحتفال بأعياد تتعلق بالمذهب الشيعي نشر مذهبهم، والدعاية له، غير أن بعض هذه الأعياد، وطريقة الاحتفال به، أدى إلى استياء المصريين السنة، وذلك لما كان يقتصر بها من اعتكافات الشيعة، والمغاربة عليهم. فقد حدث عن الاحتفال بعد غدیر لم<sup>(١)</sup> سنة ٣٦٢ هـ/٩٧٢م أن قام المغاربة بارتداء الثياب، والاضطرابات، فخرج جوهر الصقلي ليحول دون ثمانتهم في الاعتداء على أموال الأهالي.<sup>(٢)</sup> كذلك أصاب المصريين السنة كثرة من الضرر، والذي بسبب إرغام الشيعة لهم على مشاركتهم في إظهار شعائهم.<sup>(٣)</sup>

كذلك كانت الحال في الاحتفال بيوم عاشوراء - ذكرى مقتل الحسين بن علي بكر بلاء ٦٠ هـ - هي العاشر من محرم سنة ٣٦٣ هـ/٩٧٣م صار جماعة من المصريين الشيعة، والمغاربة في موكبهم يلهون، ويهجون على الحسين، وصاروا يعدون على كل من لم يشاركهم مظاهر الأسى والحزن، فتمطلت الأسواق، وزدادت اللذائل، واضطرابات، ولا سيما بعد أن قامت جماعة من المغاربة، ورجالهم بكسر أواني القائمين في الأسواق، وشق الروايا، وسب كل من ينفق<sup>(٤)</sup> في

(١) المقرئ: الخط، ج ٣، ٢٢٢. عبد المنعم ملحد: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ٢، ص ١٢٦-١٢٨.

(٢) المقرئ: الخط، ج ٣، ص ١٩٥.

(٣) نفسه، ص ١٩٨. Bosworth: op. cit., p. 67.

(٤) كان الشيعة يزعمون في هذا اليوم، فيقومون بعمل المملوك يسمى سماء الحبر، يقدم عليه خمس أموال، ويخز مخبر لونه، وجين ومخللات وتغلى، وكان الحبر يظهر على وجود كل الحاضرين، وكان الخليفة يحضره، وهو مائة مرتبة ثيابا قديمة (الفتنخي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٥٢٠: المقرئ: الخط، ج ١، ص ٤٣١).

في هذا اليوم. <sup>(١)</sup> وقد ظل الفاطميون يحتفلون بهذا العيد حتى وقت  
انقراض دولتهم. <sup>(٢)</sup>

لم يقتصر أعمال الفاطميين في نشر دعوتهم على الإقناعات بمحمد  
آل البيت في كل مناسبة من مناسبتهم، بل عملوا على الخط من شأن  
الحلفاء لثلاثين (الثلاثة)، وهم أبو بكر، وعمر، وعثمان. كذلك حرصوا من  
شأن حلفاء بني أمية، وبني العباس، والصحابية الذين لم ينصروا عليًا. ولم  
يقبلوا بأحقينهم في الخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام. بل  
عنهم خارجين عن الدين والدولة؛ لذلك كان الخطباء يلغون الصحابة  
على الملأ. <sup>(٣)</sup>

لم يكن فساد العلاقة بين المصريين، والمغاربة للشبهة وقف عند  
هذا الحد من الإساءة للمصريين، بل كانت السياسة التي تتبعها الفاطميون  
من احتيازهم للمغاربة، واعتمادهم عليهم في إدارة شؤون دولتهم سببًا في  
تسلط المغاربة، واستغلال نفوذهم في إلحاق الأذى بالمصريين السنة،  
والاعتداء عليهم، فقاموا بنهب ممتلكاتهم، واحتصنوا دورهم بعد أن  
أخرجوهم منها. فما كان من المصريين إلا أن استغلوا بالخليفة الفاطمي  
المعز لدين الله الذي أمرهم بإغلاء الدور، والانتقال إلى موضع آخر. <sup>(٤)</sup>  
إلى أن أنشئت لهم أحياء خاصة بهم في القاهرة. <sup>(٥)</sup>

وعندما آلت الخلافة للمعز بالله ٣٦٥ هـ عني كتابيه بشهر  
المذهب الشيعي، فحتم على القضاء أن يصدروا أحكامهم وفق هذا  
المذهب، كما قصر المناصب المهمة على الشيعة، وألزم الموظفين

(١) التبريزي: المصدر السابق، ص ١٤٦، ١٤٧؛ تعاضد الحنفاء، ج ١، ص ١٣١

(٢) ابن جرير يروي: التبريزي، ج ٥، ص ١١٠؛ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الدولة  
الفاطمية، ص ٢٢٥.

(٣) القلقشندي: المصدر السابق، ص ٤٨٢.

(٤) القلقشندي: صحيح الأعشي، ج ٢، ص ٤٨٢ - ٤٨٣؛ التبريزي: تعاضد الحنفاء،  
ج ١، ص ١٤٥.

(٥) التبريزي: المصدر السابق، ص ٢٠٣.

النصارى الذين تقلدوا بعض المناصب الصغيرة أن يسيروا طبقاً لأحكام المذهب الإسماعيلي، وإذا ما ثبت على أحدهم التقصير في مزاعيتها عُزل من وظيفته، مما دفع تكثيرين من الموظفين المُنتمين إلى اعتناق مبادئ المذهب القبطي. (١) حتى استطاعوا تعريض، كما أمر بسب نصحية (٢) وحدا لحاكم يأمر الله حدو أبيه العزيز وجده قمعاً، فعمد إلى إصدار كثير من الأوامر، والقوانين المبنية على التعصب الشديد للمذهب الشيعي، فأمر في سنة ٣٩٥هـ بسب الصحابة، وكتب تلك على أبواب ودران المساجد، وفي الأسواق، والقناري، والدرج (٣) وعلى أبواب الحوانيت، والمقابر، وأرغم الناس على تعذرة به، ونقشه في سائر الأماكن. (٤) وصدرت الأوامر إلى أعمال في البلاد المصرية بضرورة تعبد ذلك. (٥)

غير أن المسلمين استاءوا مما فعله الحاكم بأمر الله، وضجوا بالشكوى، مما اضطر الحاكم بأمر الله للحد من هذا التعصب، فأمر سنة ٣٩٧هـ بإلغاء المرسوم، وأمر بمحو كل ما كتب على المساجد، والدرج، وغيرها، وكانت الشرطة بمختلف الأحياء، والأماكن تنفذ لأمر الجديد. (٦) كما منع المؤذنين من إضافة عبارة "حي على خير العمل" إلى

(١) المقرري: الخطوط، ج ١، ص ١٢٨٦ محمد جمال الدين سرور: الدولة القبطية في مصر، ص ٧٨.

(٢) علي حسني القريبوطي: مصر تحريرة الإسلامية، ص ١٨٧، ص ١٨٧م حسن اللاطيون في مصر، ص ١٨٧.

(٣) المقرري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٥٩، ١٦٠: القرماني: أخبار السلاطين والفر الأول، ص ٣٣٧.

(٤) محمد عبد الله علق: الحاكم بأمر الله، ص ١٤٦.

(٥) ابن حنك: ولغات الأعراق، ج ٧، ص ٢٨٦: المقرري: المصدر السابق، ص ١٦٠.

(٦) المقرري: الخطوط، ج ١، ص ٣٤٢: القرماني: المصدر السابق، ص ٢٣٧، محمد عبد الله علق: المرجع السابق، ص ١٤٦: محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ٧٨.

الأذان، وأجاز لهم أن يقولوا في أذان الفجر " الصلاة خير من النوم"، كما سمح لهم بإقامة صلاة الضحى، وصلاة القراويج بعد أن أبطلت بأمره بصدقه سنين. (١)

طُلت مديانة اللين التي سار عليها الحاكم بأمر الله رهساء ثلاث سنوات، ثم ما لبثت أن تبدلت على حين غفلة، ففي ٤٠١ هـ أمر الحاكم بأمر الله بإقامة الأذان بـ "هي على خير اتوصل"، كما أبطل صلاة الضحى، والقراويج. ثم عاد، وأمر بسب الصحابة مما أثار السبيل، ففي سنة ٤٠٣ هـ تارت بين الناس فتنة عظيمة من جراء سب السلف، وهرع جماعة منهم إلى القصر، وهم يستغيثون، ويصيحون: لا طاعة لنا ولا صبر على ما يجري، فصرقهم ذلك القول "عين"، فصاروا في الصرلات يستغيثون مما أصابهم من أذى. وعلى إثر ذلك أصدر الحاكم سجلاً جديداً بالترحم على السلف من الصحابة، وأنهى عن الخوص في ذلك، وشدد في محو السب أينما وجد. (٢)

عاش المصريون السنة كثيرًا من تعصب الحاكم بأمر الله المذهبي، والذي بلغ إلى حد تدخله في تناولهم طاعناً من عدمه، فقد قام الحاكم بأمر الله بإصدار سجل يمنع فيه الناس من تناول الملوخية، والقرع<sup>(٣)</sup>، والجرجير<sup>(٤)</sup> وقد علل الحاكم بأمر الله تحريم الملوخية بأن أبي بكر الصديق كان يميل إليها، كما علل تحريم القرع بأن عائشة بنت أبي بكر كأتى تميل له. (٥) كذلك الجرجير لانتسابه لعائشة. (٦) وقيل إنه

(١) محمد جمال الدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٧٨. Bosworth : op. cit., p. 70.

(٢) المقريزي: الخطط ج ٤، ص ١٥٨-١٩٠، محمد عبد الله عيان. الحاكم بأمر الله ص ١٤٩.

(٣) ابن يونس: دقاق الزهور، ج ١، ص ٤٤١. Rabie (H) . op. cit., p. 128.

(٤) القرماني: أخبار الدول وأثر الأول، ص ٢٣٨.

(٥) ابن يونس: المصدر السابق، ص ٤١؛ القرماني: المصدر السابق، ص ٢٣٨.

(٦) Stanley : A History, p. 147. غير أن القرماني يذكر أنه حرم الملوخية لميل معاوية إليها وليس أبي بكر.



تطلع يوماً على جماعة يتكلمون ملوخية وكانت طعام العامة - فصرهم بالمسيح، وطلق بهم في القاهرة، ثم أمر بصرب أعناقهم عند بلاد رويلة.<sup>(١)</sup> فعابت الحرية للمزحومة التي أتت بها كتاب الأمان، وعاشت السنة حالة من الاضطهاد وعدم القدرة على ممارسة شعائرهم بحرية.

وفي زمن الخليفتين الظاهر، والمستنصر فتجعت قسيسة الفاطمية إلى عدم إثارة السنين، فتمتعوا بالحرية في أداء شعائرهم، كما أمكنت بعض المظاهر الشيعية - ربما يعود ذلك إلى الشدة التي عانى منها المصريون، ولا سيما في عهد المستنصر - غير أن الأمور قد عادت مرة أخرى، بتولي بدر الجمالي الوزارة في أواخر عهد المستنصر، وكان بدر مغالياً في مذهب الشيعة، فأظهر روح الحياء، والكرامية لزاء أهل السنة، ففي عام ٤٧٨ هـ أمر بإضافة "حي على خير العمل" إلى الأذان، كذلك أمر بنقل عبارات تتضمن لمن الصعابة على الجدران، كما أصدر أوامره بأن يكون التكبير على الميت خمسيناً طبقاً للمذهب الشيعي.<sup>(٢)</sup>

ظلّت سياسة التعصب للمذهب الشيعي من جانب الخلفاء الفاطميين تشد أحياناً كثيرة، وتلين أمام تورات المصريين السنين، غير أنها استمرت حتى نهاية الدولة الفاطمية. فيذكر القزويني أن الخليفة الفاطمي العاضد لدين الله كان شديد التعصب، مبالغاً في تدب الصعابة، وكان إذا رأى شيئاً يستعمل دمه.<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من ذلك فإن العلاقة الفاطمية قد عجزت عن نشر مذهبها الشيعي بين المصريين، وظل المذهب السني محتفظاً بقوة على الرغم من تحول بعض المصريين إلى المذهب الفاطمي خوفاً من تطبيق القوانين الجائرة التي فرضها الفاطميون على

(١) القزويني: المصدر السابق، ص ٢٢٨.

(٢) ابن يونس: المصدر السابق، ص ٤١.

(٣) ابن قزويني: المجموع، ج ٥، ص ١٢٠؛ محمد جمال الدين مروري: الدولة

الفاطمية في مصر، ص ١٢٩-٦٨ Bosworth: op. cit., pp. 66

(٤) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٣، ص ١١٠؛ القزويني: أخبار الدول ووقار الأول،

ص ٢٤٩.

مخالفيهم في المذهب فيما يتعلق بالأعمال التي كانوا يقومون بها، لذلك فإنه بعد أكثر من مائتي عام من الحكم الفاطمي في مصر لم يكرس بها اسم علي ولده سوى من ارتبط بالسلطة.<sup>(١)</sup>

وربما يعود ذلك إلى أنهم انعزلوا بأنفسهم عن إجماع المسلمين، فالتحدوا حاضرة جديدة بعيدة عن التقاليد - حاضرة العبيد - وبشأوا لهم مسجداً خاصاً بهم، وتركوا المذاهب السنية - مالك، والشافعي، والحنبل - تدرس في دولتهم؛ ولذلك ألحقوا الهزيمة بأنفسهم قبل أن يهزم بها أحد. كذلك فلم تكن مصر بما فيها من ذميين ومسلمين مخالفين لهم في المذهب بتلك الأرض الخصبة الصالحة للتشديد.

٣. تمييز أهل الذمة وأهل ذلك في فساد المجتمع:

كان موقف المصريين السنيين من الخلفاء الفاطميين مبدئياً لاعتماد كثير منهم على أهل الذمة، فقد شعر الخلفاء الفاطميون منذ دخولهم مصر، أنهم بحاجة إلى من يعاونهم في تثبيت سلطانهم فيها، غير أنهم أيقنوا أنه من المنعذر طلبهم الاعتماد على السنيين - أنصار الدعوة الجبائية - ففربوا إليهم أهل الذمة.<sup>(٢)</sup> لأنهم يعيثون عن التصصب لمذهبهم، أو غيرهم، فأظهروا لهم كثيراً من التسامح، واستخدموهم في أهم شؤون الدولة، فارتفع شأنهم، وتمكنوا من البلاد، وسار لهم - في معظم الأحيان - السيادة على المسلمين، وكذلك الإساءة إليهم، مما كلن سبباً في تذمر المسلمين، وإثارة مشاعرهم،<sup>(٣)</sup> وفساد العلاقة بينهم وبين أهل الذمة.

(١) أيمن تواد سويد، الدولة الفاطمية، ص ١٥٤.

(٢) السخري، الحسن الدين محمود بن عبد الرحمن بن أبي بكر حشاش، ص ٩٠٣. نشر المصوكة في ذيل الملوك، بولاق، القاهرة، ١٣٥٤ هـ، ص ٣٦ - ٤٨، مصدر جميل للدين سرور: الدولة الفاطمية في مصر، ص ٧٩ - ٨٠، فاسم عبده فاسم، اليهود في مصر من فتح العربي حتى الغزو العثماني، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ م، ص ٩٠.

(٣) فاطمة مصطفى علفر - تاريخ أهل الذمة في مصر من الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، ج ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٠٠ -

وجد المسلمون أنفسهم في موقف لا يُصدون عليه، فمعظم الإدارة العليا في الدولة كالوزارة، والوساطة، ورئاسة الدواوين، وولاية الأقاليم، وأطباء الخاصة، في يد أهل الذمة، الذين تصحبوا إليهم ملتهم من اليهود، والنصارى، وعينهم في كثير من فروع الإدارة، ومنعوا المسلمين أصحاب الأغلبية العظمى في البلاد من تولي تلك المنصب. وقد ترتب على (ريانة بمود) الموظفين النعميين، وإغراق الدوليين بهم ظهور الكرمية بينهم وبين الموظفين المسلمين. <sup>(١)</sup> كما أتاح الفرصة لإظهار ما في نفوس أهل الذمة تجاه المسلمين. <sup>(٢)</sup>

بدأت سياسة التسامح التي اتبعها الفاطميون منذ وصول الحنفية المعز إلى مصر، فقد طلب إليه إفرهام السرياني، البطريرك الثاني، والستين، أن يكتسب من بناء كنيسة أبي مرقورة بالنسطاط، وكذلك الكنيسة المغلفة بقصر الشمع، فكتب له سجلاً يمكنه من ذلك، وأطلق له من بيت المال ما يصرفه على هذه العمارة، فتصدى الناس للأقباط، ومنعهم من البدء في عملية البناء، فجاء المعز، وأشرف بنفسه على بناء الكنيستين، ثم أمر ببناء كل الكنائس التي تحتاج إلى عمارة دون أن يعترضه أحد في ذلك. <sup>(٣)</sup> ولم يزل المسلمون هذه الحرية أو التسامح من قبل الفاطميين.

بدأت سياسة التسامح التي اتبعها الفاطميون تجاه أهل الذمة واضحة منذ وصول الخليفة المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، حيث أسند

---

= من ١٧٤ هـ إفرام حن: تاريخ فتوة الفاطمية، من ١٢٠٢. Mann.

The Jews in Egypt and Palestine under the Fatimid Caliphs, 2 vols, Oxford, 1920, vol. 1, p. 242.

(١) سلام شاهي محمود: أهل الذمة في مصر في العصر الفاطمي الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٨٧.

(٢) عبد السمع سلطان. المجتمع المصري، ص ٩٠.

(٣) سوير من بن المقفع: سير الائمة المقدسة، ج ٢، ص ٢٠٠، ١٩٧، ١٩٦، أبو ممالح الأرمي: كتابات وأخبار مصر، ص ٤٥؛ المقريزي: تعاليف الخصا، ج ١، ص ٢٢٥.

إليهم بعض المناصب المهمة في الدولة. <sup>(١)</sup> ولعل أبا الفرج يعقوب بن داود بن كلث<sup>(٢)</sup> الذي عهد إليه للمعز لدين الله سنة ٣٦٣ هـ - بولاية الحراج، وجميع وجوه الأعمال، والخصبة، والمواجل، والأعشار، والجنائي، والأحباش، والموارث، والشرطية، <sup>(٣)</sup> وجميع ما يريد على ذلك في مصر من سائر الأعمال بالاشتراك مع علوج بن الصل<sup>(٤)</sup> نخبه سليم عني تسامح القاطنين مع أهل الذمة.

وجاء الأمير بالله متخلياً في هذا التسميح، حيث وصل أهل الذمة في عهده إلى قمة النفوذ، والسلطة فقد أطلق يد النصارى في تجديد كنائسهم، وإعادة بناء ما تهدم منها، غرر مبالغ بمشاعر المؤمنين، وعصبهم، فكثرت إهدى الكنائس في القسطنطينية وهي كنيسة أبي مرقورة قد تهدمت، والندثر، وأصبحت مخزناً للقصب بملكه أحد تجار المسلمين، وقد طلب ألفرام المرواني - بطريرك الثاني، والستين - من الخليفة العزيز بالله أن يملكه من بناتها، فكتب له سجلاً يملكه من نزع مكية هذا المخزن من صاحبه المسلم، وإعادة بناء الكنيسة من بيت مال الدولة، وعندما احترض المسلمون على هذا العمل، وتصدوا للتغطاط أصدر العزيز أوامره إلى جماعة من جنده ومماليكه أن يخرجوا ويقضوا على من يعارض عمارة الكنيسة، وعقاب من يتدخل من المسلمين، فلما رأى العوام ذلك كفوا عن التداخل. <sup>(٥)</sup>

(١) ساويرس بن المتق: سير أئمة القسطنطينية، ج ٢، م ١، ص ٤١.

(٢) بن كلث: هو أبا الفرج يعقوب بن يوسف بن طروى بن داود بن كلث، الشهير في أسلم في آخر عهد الإخشيديين، ثم هرب إلى إفريقية، ودعا للمعز نغزو مصر، ونداهم للقائمين ذلك جزاء لهم، ولعقد عليه في تغيير أمور الدولة. راجع: ساويرس بن المتق: المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٣) نفسه، ص ١٥٦، المرقري: تعلق الطما، ج ٢، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٤) المرقري: المصدر السابق، ص ١٩٧؛ فاطمة مصطفى عمر: تاريخ أهل الذمة، ج ١، ص ١٧٥؛ قاسم عتة قاسم: أهل الذمة في مصر في القصور الوسطى (دراسة وثائقية)، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩ م، ص ١٥٢؛ اليهود في مصر، ص ٩١.

(٥) أبو صليح الأرمني: كتابات ولادة مصر، ص ٤٣، ٤٥، ٤٦؛ المرقري -

مما سبق يتضح أن دلالات الفصل بدلت تظهر من خلال مُحاسبه أهل النعمة، وتفضيلهم عن سواهم، وفي ذلك حال في بنية المجتمع، ولا يؤدي إلى كصهر المجتمع لأن تفضيل فئة على أخرى، وإعطاء المرايا عن غيرها يثير الحقد والصغائن، والكرهية؛ لأن العدل أساس الملك.

لذلك نعود أهل النعمة، وكويت شوكتهم بروج للخطبة العرير من جارية مسيحية رومية الأصل ملكية المذهب. <sup>(١)</sup> وقد تمتعت هذه الحارية بنعود كبير على الخليفة، واستطاعت أن تولي أخوها مناصب كسبية مهمة، فتولى الأول، وهو أرمستي Aureste بطريركا على بيت المقدس سنة ٣٧٥ هـ/٩٨٦م. وتولى الثاني وهو أرسينوس Arsenius بطريرك للملكية بمصر القاهرة. <sup>(٢)</sup> وكانت له مكانة عظيمة لدى العرير، لامتاع للقب في عهده بكامل حرياتهم على حساب المسلمين. <sup>(٣)</sup>

بالإضافة إلى تسلط اليهود الذين زاد نفوذهم، وسيطروا على أمور الدولة، بغض تمييز ابن كل نهم في كل شيء، ولأسمها بعد في أصبح وزير <sup>(٤)</sup> العزيز بالله، وقد أبت هذه المحابة المرفوعة التي حظي بها أهل النعمة في عهد العزيز إلى استياء المسلمين، وشعورهم بالظلم، وقد لاحظ

---

« المصدر السابق، ج ١، ص ٢٢٥؛ عبد المنعم سلطان: المجتمع المصري، ص ٩٧.

(١) الأطنكي: تاريخ الأطنكي، ص ١٦٤، ١٦٥، فاطمة مصطفى حابر تاريخ أهل النعمة، ج ١، ص ١٨٢.

(٢) الأطنكي: المصدر السابق، ص ١٦٥؛ ملووس بن المقفع: سير اليمه المنسية، ج ٢، ص ١١٣؛ ابن قلاسي: ذيل تاريخ دمشق، ص ١٢٢؛ فاطمة مصطفى حابر: المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٣) الأطنكي: المصدر السابق، ص ١٦٤، ١٦٥.

(٤) بالرغم من اعتناقه الإسلام، إلا أنه كان يخدم اليهود؛ لأنه كل يهوديًا، ولم يكن وحده هو الذي تحول إلى الإسلام من أجل منصب الوزرة، فهناك كصا الوزير صدقة الفلاح من المستصر، وكذلك أبو سعيد التصري زمن المنصور أيضا... (فاطمة مصطفى حابر: المرجع السابق، ص ١٧٩).

العرير بالله هذا الأمر، فأراد امتصاص غضب المسلمين، فأصدر أوامره في شوال ٢٧٣ هـ/ ٩٨٤م بملقبض علي وزيره ابن كلثوم، ومحاكمة أمواله. <sup>(١)</sup> ولكن ابن كلثوم لم يلبث طويلاً في الاعتقال حيث أفرج عنه الخليفة، ورد إليه أمواله، كما رد إليه ما كان بيده من مهام، وشؤون الدولة. <sup>(٢)</sup> وكتب له سجلاً بذلك، إلى جانب منحه ألفاً وخمسمائة غلام يقيمون في خدمته. <sup>(٣)</sup> وليس هناك من شك من أن العرير بالله كان متأثراً متأثراً بمدوله عن قرار اعتقال ابن كلثوم بعود زوجته المسيحية وابنته منها - ست الملك - التي كانت أليفة لدى والدها، ولا يرد لها أمر. <sup>(٤)</sup>

ظل ابن كلثوم وزيراً حتى توفي عام ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م، فلم يستد العرير بالله للوزارة ابن عيسى بن بسطور من النصارى، الذي مثل إلى النصارى، فقلدهم الوظائف المهمة في الدواوين، وطرد الكتاب المسلمين من وظائفهم. <sup>(٥)</sup> كما استناب العرير بالله بالشام يهودياً يسمى مفتش بن الغرار، فسلك مع اليهود مسلك عيسى بن بسطور مع النصارى ليصر. <sup>(٦)</sup> فأصبح أهل هاتين المملكتين يحملان الدولة. <sup>(٧)</sup> وقد لحق بالبيعة بالبيعة من جراء تنصير الدواوين في مصر، وتحويلها في الشام الصرير البالغ، مما دفع المسلمين للتصير، والاحتجاج إزاء طين السرجين اللذان أساءا للبيعة، وجاءها بروح العداء للمسلمين. <sup>(٨)</sup>

(١) المبريزي: تعاضد الخلفاء، ج ١، ص ٢٦٢.

(٢) فاطمة مصطفى عمر: المرجع السابق، ص ١٧٦.

(٣) القويوني: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٤٨.

(٤) سويريس بن المقفع: المصدر السابق، ص ٥١؛ ابن القاسمي: المصدر السابق، السابق، ص ٦٧.

(٥) سويريس بن المقفع: المصدر السابق، ص ١٢١.

(٦) فاطمة مصطفى عمر: تاريخ أهل الفتن، ج ١، ص ١٨٣.

(٧) ابن طاهر: أخبار الدول، ص ١١١.

(٨) سويريس بن المقفع: سير أئمة القضاة، ج ٢، ص ١٢١؛ ابن تيمر: بدائع فرهور، ج ١، ص ٤٨؛ سلام شافعي محمود: أهل الفتن في مصر، ص ٨٨؛ فاطمة مصطفى عمر: المرجع السابق، ج ١، ص ١٨٣.

ويروي لنا الفويري رواية خطيرة تكشف عن مشاعر أهل السنة تجاه المسلمين في ذلك الوقت، وتؤكد مدى ما وصلوا إليه من سيطرة، وبغداد، وعداء المسلمين، فقد بحث أحد رؤساء المصريين إلى ابن سطورس بعلقيه على سوء معاملته للمسلمين، فأجابته عيسى قائلًا: 'إن شريعتنا منعمة، والدولة كانت لنا ثم صارت إليكم، فجزئنا علينا بالجرية، والبلية، فمتى كان منكم إلينا إحصاء، حتى تطلبونا بمثلها، إن مدعاكم فتلتنبوا، وإن سلمتكم أمتعتوا، فإذا وجئنا لكم فرصة، فما تتوقعون أن نصنع بكم' ثم تمت في آخر كتابه بيئتين قال:

بنت كرم غضبوا منها      ثم داسوها هولاء بالقدم  
ثم هادوا ولعكوها قههم      ولناهاك بخصم قد حكم

ونقل هذه الرواية لخبر شاهد على ما كان يُضمره أهل السنة، ولاسيما النصارى: - في تلك الآونة - تجاه المسلمين، مما جعلهم يتهزون الفرصة للانتقام منهم، والتكبد بهم.

ولقد راد هذا بالطبع من الاحتقان، ولدى بدورهم إلى فساد العلاقة بين المسلمين، وأهل السنة؛ لاثميار الفاضلين الواضح تجاه أهل السنة، وتجاهل المسلمين السنة تجاهلاً تاماً، أفقد المجتمع التوازن السياسي المطلوب. فلم يطق المسلمون الصبر على تلك الأوضاع، وارتفعت أصواتهم بالشكوى للخليفة العزيز، غير أن شكواهم لم تلق صدًى يُذكر، اللجأوا إلى استقدام الحول لإيصال مشاعرهم وغضبهم للخليفة، فدعوا في طريق موكب العزيز اسراء، تحمل في يدها ضلّامة، تتضمن شكواهم من تسلط النعميين، وبغداد أمرهم في شؤونهم<sup>(١)</sup>، وقد استمات المسلمون بالحليفة بالمهينة في ظلماتهم قائلين:

- 
- (١) للفويري: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٤١؛ سلام شافعي محمود، المرجع السابق، ص ٨٩.  
(٢) ابن ظافر: أخبار الحول، ص ٥٥؛ أتم مئذ: الحضرة الإسلامية، ج ١، ص ٨٦.

ي أمير المؤمنين: بالذي أعز النصراني يحيى بن سطورس، واليهود بشا بن إبراهيم، وأهل المسلمين بك ألا نظرت في أمري؟<sup>(١)</sup>

على الرغم من قسوة تلك العبارات فإن العزيز بالله قد أدرك بعد قراءتها ما وصلت إليه حال المسلمين من غضب لتحكم أهل اللذنة في شؤونهم، وما في هذا الأمر من إضعاف لهيبة الخلافة فأصدر العزيز بالله أوامره على الفور، بالقيض على يحيى بن سطورس، ومشتبه اليهودي، وسائر الموظفين، والكتّاب من اليهود، والنصارى في مصر، والشام، على أن ترد وظائف الدولوين، وسائر المناصب التي كان يشغلها أهل اللذنة إلى الكتّاب المسلمين.<sup>(٢)</sup>

غير أن ابن سطورس قد استغل النفوذ القوي لست الملك، ابنه العزيز بالله، لتوسل إليها أن تتدخل بالشفاعة لدى الخليفة للصفح عنه، فقبلت ست الملك، وعرضت عليه التماساً يتقدم به للخليفة، ويحذر فيه صمد بدر منه، لقبل الخليفة تسحل ابنه، وأعادته للوزلة مرة أخرى بعد أن دفع غرامة قدرها ثلاثمائة ألف دينار إلى خزينة الدولة، وبعد أن شرط عليه العزيز بالله استخدام الموظفين المسلمين في دولوين الدولة، وأعمالها، وأن لا يعين نصرانياً، ولا يهودياً بهذه الدولوين.<sup>(٣)</sup> غير أن قرار عودة ابن سطورس كان تحدياً سافراً لمشاعر المسلمين.

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج٧، دقرة المعارف العشانية، ١٣٥٩هـ - ص ١٩٠، النويري: فہیلة الأرب، ج٢٦، ص ٤٩٩ ابن تغري بردي: النجوم، ج٤، ص ١١٥، ١١٦، ابن إلیس: بدیع الزہور، ج١، ص ١٩٦، سلام شافعی: أهل الذمة في مصر، ص ٨٩.

(٢) سیریس بن العقیق: سیر البیعة المقتبة، ج٧، م٢، ص ٨٧، ابن ظافر: اہل البیت، ص ٥٥، فتویری: المصدر السابق، ص ٤٩.

(٣) النويري: المصدر السابق، ص ٤٩٦، أبو صالح الأرمني: کتابس ولیدرة مصر، ص ٤٤٢، ابن تغري بردي: المصدر السابق، ص ١٧٥، قديم عبده قسم: هل الذمة هي مصر، ص ٥٢، اليهود في مصر، ص ٩١، سلام شافعی: أهل الذمة في مصر، ص ٩٠.



يبدو من سير الأحداث أن الخليفة العزيز بالله لم يكن راضياً عن آل إليه المسلمين في مصر من سيطرة أهل الذمة وتسلطهم على مزارعهم، غير أنه كان واقعاً تحت سيطرة وتفوذ المُحيطين به الذين وحطوا مع أهل الذمة، وعملوا لحسابهم وعلى رأسهم زوجته، وابنته.

ويبدو أيضاً أن قيمة الثلاثة آلاف دينار كانت غرامة ثابتة، أو فدية يقبض بها الخلفاء الفاطميون في حالة رغبته في العفو عن أحد رعاياهم، فذكر المقرئ في خطبته أن سهل بن كلثوم أخا السورير يعقوب بن كلثوم، الذي قتله الحاكم بأمر الله لشراسته، ولمعه قد حاول أن يقتدي نفسه بثلاثة آلاف دينار فلم يستجب له. <sup>(١)</sup> فضلاً عن هذا المبلغ سيدفع للفتنة من القبل، فهو مبلغ كبير في تلك الأونة، وهو مناسب جداً لإعادة الوظيفة المسلوقة من قبل الخليفة.

كان القرار الذي اتخذته العزيز بالله في عودة ابن فسطون تهدئة سائر المشاعر المسلمين، ومظهر جديداً من مظاهر التسامح التي بدأت، ولم تنته بينهم وبين أهل الذمة، وقد استمر هذا الأمر حتى وفاة العربسز ٣٨٦ هـ / ٩٧٥ م. ولقد ظن أهل الذمة أن هذا الأمر سيستمر لهم زمن الحاكم بأمر الله فجزوا على رسمهم. <sup>(٢)</sup> غير أن القرارات التي اتخذها الحاكم بأمر الله، والتي كانت امتكناً لما ساد في عصر أبيه العزيز بالله من تسلط وسيطرة أهل الذمة، وقعت كالصاعقة التي لم يحسب أهل الذمة حسابها.

نجح الحاكم بأمر الله في التخلص من سيطرة والدته المسيحية، وأخته بنت الملك، التي كانت تظهر عنفاً، وتأييداً للصنوي، وبدأ قراراته للحد من نفوذ أهل الذمة، ولاسيما بعد أن اختلط بالناس في الأسواق، وتأثر بما وصل إليه حال المسلمين زمن والده العزيز. <sup>(٣)</sup> وكانت أولى هذه

(١) المقرئ: الخطب، ج ١، ص ١٠٩ : Dopp (P.H) : L'Egypt au

.Commencement du quinziesme, Lecarre, 1950, p 51

(٢) المقرئ: تلحق الحفاه ج ٢، ص ١٢٢

(٣) نفسه، ص ١٠١، ١٠٢.

القرارات في سنة ٣٩٠ هـ/١٠٠٠ م، وهي نفس السنة التي تخصص فيها من نفود وصحية، ومربية يرجوان، وسيطر بنفسه على مقاليد للدولة، فأصدر قراراً بالقبض على كتّاب الدوليين من أهل الذمة واعتقالهم<sup>(١)</sup>، ولكنه أعادهم إلى مناصبهم بعد أيام قليلة.

كُلف الحكم معاونه بعمل إحصاء لجميع الكتّاب للمسلمين الذين لا يشعرون مناصب في الدولة، ويصلحون للخدمة في الدوليين والأعمال؛ لتبحث منهم من يصلح بدلاً من النصاري<sup>(٢)</sup>. ثم أصدر عدة قرارات متتالية ضد أهل الذمة، تميزهم في لباسهم<sup>(٣)</sup> ومنعهم من دخول حمامات المسلمين بعد أن ألغى لهم حمامات خاصة بهم، ثم أصدر عدة قرارات هدفها التحط من شأنهم. ففي ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م أُلجبر النصاري واليهود بشد الزنابير، وليس الغنار، ومنع تزيينهم من أملاك العبيد، واستخدام المسلمين في أعمالهم، ونورهم، كما حرم عليهم ركوب الخيل، ومسمعهم من شراء العبيد، والإماء<sup>(٤)</sup>. كما سمح للعلماء تتبع من يُخالِف منهم هذه التعليمات، والإرشاد عنه، فانكشف معظمهم وقل ظهورهم في الأسواق، والطرفات<sup>(٥)</sup>. كما ألزمه نساء القبط لبس ذات لونين، أي تلبيس المرأة ثوباً أحمر اللون في فئتها اليمنى، وثوباً أسود اللون في شئنها اليسرى<sup>(٦)</sup>.

(١) الأنطكي: تاريخ الأنطكي، ص ١٨٥.

(٢) نفسه، ص ٢٠٣.

(٣) سويرس بن المقفع: سير فيمة المقدسة، ج ٢، م ٧، ص ٥٤؛ ابن حنك: أخبار بني عبيد، ص ٩٩؛ Heyd: op. cit., p. 395.

(٤) سويرس بن المقفع: سير فيمة المقدسة، ج ٢، م ٧، ص ٥٤؛ ابن حنك: أخبار بني عبيد، ص ٩٤؛ المقريري: تعاليف الصفاء، ج ٢، ص ٩٣، ٩٤؛ ابن يونس: بدائع الزهور، ج ١، ص ٤١.

(٥) ابن حنك: المصدر السابق، ص ٥٤.

(٦) فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة، ج ١، ص ٤٢٣.

Dopp: op. cit., p. 55.

وفي عام ٤٠٢ هـ/ ١٠١١ م والعام التالي له بالغ الحاكم بأمر الله في قراراته، فأمر بإلغاء أعبد أهل الذمة، ولا سيما الشيعية منها - مثل الغساس، والصليب - والتي كانت تقترن بكثير من مظاهر الفساد، كما أمر بمصالحة أوقاف الكتائف، والأديرة لصواب بيت المال، ثم أمر بجمع عدد من الكتائف والأديرة في أنحاء دولته، ومنح ما فيها إلى بعض رجال دولته. <sup>(١)</sup> ثم استند عليهم، وخيرهم بين الإسلام، أو القتل، فهجر البعض إلى خارج الديار المصرية، وأسلم البعض كارهين. <sup>(٢)</sup>

وبروي بن المقفع أن عامة الناس من المسلمين الذين عانو كثير من ظلم أهل الذمة، قد نهجوا نهج الخليفة في إيذاء النذبيين، فيقول: 'إن النصراني عاشوا في هذه القمع سنين في ضيق عظيم، وطرد، وسب، ولعن من المسلمين، ويصفون في وجوههم، وإذا جاء نصراني عليهم يشتمون، ويقولون له: اكسر هذا الصليب، وادخل الدين الواسع، وإن نسي نصراني صليبه، ومشى بلا صليب لقي هواناً كثيراً'. <sup>(٣)</sup>

وأسلم قرارات الحاكم بأمر الله، ورذا على ما وصل إليه أهل الذمة من المهانة بعد السيادة، فقد لجأ بعضهم إلى الرد غير المباشر على ذلك، فقاموا بأعمال التخريب تحت جنح الظلام، وأسطوا القنارات في الأسواق، والحوافيت التي يمتلكها المسلمون، مما دفع الحاكم لاتخاذ بعض القرارات لحد من تلك الأعمال، فيحذر المقريري: أنه في عام ٤٠٥ هـ/ ١٠١٤ م، وبعد تزايد وقوع قتار، وكثرة الحرق، أمر بالس باتخاذ القناديل على الحوافيت، وأمر بأن تكون أزيار الماء مملوءة بالماء،

(١) المقريري: المصدر السابق، ج ٢، ص ٧١؛ ابن خلد: المصدر السابق، ص ٩٩

١: محمد إسماعيل كاتيف: مصر الإسلامية وأهل الذمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١٥٠.

(٢) سوريوس بن المقفع: المصدر السابق، ص ١٢٥، ١٢٦؛ قمبيجي: كبر مصر، ص ٩٧؛ الأنطكي: تاريخ الأنطكي، ص ١٩٤-٢٠٧؛ القزويني: أخبار الدول وتلك الأولى، ص ٢٩٩؛ نصر خسرو: مغرانية، ص ٩٥.

(٣) سوريوس: المصدر السابق، ص ٧٧.

كما أمر بأن يدخل الناس دورهم من بعد صلاة العشاء، كما منع التجول بعد العشاء. (١)

كما اضطُر البعض الآخر منهم إلى كتابة الرقاع التي تحصل في طبائنها السب للخطيئة والسلافة، فوضعوا في طريقه تمثالاً لامرأة من ورق، والنسوها خفاء وإزاراً، ووضعوها في الطريق، ووضعوا في يدها رقعة فيها شتم قبيح للحاكم بأمر الله، فلما قرأها غر وغضب، ولمس بحرق مصر، وفانق من فيها نون تمييز بين مسلمين أو أهل ذمة. (٢)

على الرغم من موقف الحاكم بأمر الله العدائي تجاه أهل الذمة، والذي كان مدفوعاً بصعقته لرأي العام الإسلامي الذي اتهمه مُحاباة الداعيين أسلاف الحاكم لأهل الذمة، واستخدامهم في شؤون الإدارة، والحكم، حتى اتسدت بأسهم، وتزايد ضررهم، ومكائبتهم للمسلمين. (٣) غير أنه كان من الصعب طرده، بل من المستحيل الاستغناء نهائياً عن أهل الذمة في دولته، وذلك لتميزهم ببعض الأعمال الهامة التي لا يجردها غيرهم، بحاصة وظائف النوليين، والمالية، والطب لذلك فإنه بعد وصول البعض منهم إلى مناصب كبرى في الدولة في عهده كسل شيد بنديته. (٤)

(١) المازري: تعاط الخفا: ج ٢، ص ١٠٥؛ المغلط: ج ٢، ص ١٠٨.

(٢) أبو صالح الأرمي: كنز وكبر مصر، ص ٣٠.

(٣) المازري: المغلط: ج ٢، ص ٤٩٥؛ فطمة مصطفى حليم: تاريخ أهل الذمة، ج ١، ص ٢٠٢.

(٤) فقد أسند منصب الوسطة بعد بروجون إلى فهد بن إبراهيم النصراني، كما أسند منصب الوزارة إلى الكاتب النصراني أبي نصر بن حنون. ثم استخدم في الوسطة ٤٠١ هـ/ ١٠١٠ م كتاب النصراني أبا الفير زوعة بن عيسى بن سطورس، كما تولى صاعد بن سطورس الوزارة ٤٠٩ هـ/ ١٠١٨ م، كما كل هو أبو الفتح منصور بن مشر، ثم يعقوب بن شطرنج النصراني. صقر اليهودي: (الأطلسي: تاريخ الأطلسي، ص ١٨٤؛ المقريزي: تعاط الخفا، ج ٢، ص ٧٣، ٨٢).

لذلك فقد ترجع للحاكم بأمر الله عن تلك القرارات العبيقة التي اتبعتها مع أهل الذمة، والتي أدت إلى فساد العلاقة بين مصر، والسلطة البيزنطية أيضاً، فقد قام البيزنطيون بخلق جامع القسطنطينية كرسد على تكبير كنيسة القيامة التي أمر الحاكم بهدمها، كذلك قام بإزيل الثاني بقطع جميع العلاقات التجارية مع الدولة القاطمية، هذا الأمر الذي أثر بشكل، أو بآخر على الحياة الاجتماعية في مصر. <sup>(١)</sup>

لذلك فقد أصدر الحاكم بأمر الله مرسلاً في سنة ٤١١هـ/ ١٠٢٠م سمح فيه لأهل الذمة بحملارة كنائسهم، كما أعادهم من ليس العيز، كذلك أمر النصارى لميزوا على اعتناق الإسلام بالعودة إلى دينهم، فعاد أكثر من سبعة آلاف يهودي إلى دينهم، كما ارتد قبط كانوا قد تظاهروا بالإسلام منذ سنين، كذلك عاد إلى مصر عدد كبير ممن كانوا قد هاجروا منها. <sup>(٢)</sup> كما أصدر مرسلاً آخر منحهم فيه الأمان. <sup>(٣)</sup>

على الرغم من أن قرارات الحاكم بأمر الله قد شملت كلاً من المسلمين، والفرسيين، فإلى المسلمين قد وجدوا في تلك الأوامر فرصة للتعبير عن سخطهم، ورضيتهم من سلطة أهل الذمة عليهم، وقد ساعدتهم على ذلك كراهية الحاكم بأمر الله لأهل الذمة، وانقلابه عليهم، كما يتضح جلياً أن هذا السخط لم يكن بدافع ديني، وإنما هو رد فعل لما فعله أهل الذمة.

(١) الأنطاكي: المصدر السابق، ص ١٩٥، ١٩٦؛ نصر وخصرو: معرانية، ص ١٧٥

المباري: القبط، ج ٢، ص ٧٠٤، ٧٠٥.

(٢) ساويرس بن المقيص: مير البيعة المقتمة، ج ١، ص ٢٠، ١٣٥، ١٣٧؛ الأنطاكي:

تاريخ الأنطاكي، ص ١٣٦، ١٣٧؛ عبد المقدم ملحد: ظهور الخلافة القاطمية في مصر، ص ٢٩٧.

(٣) الذمة مصطفى علمر: تاريخ أهل الذمة، ج ١، ص ٢٣٧؛ سلام شافعي: أهل

الذمة في مصر، ص ٢٩٧؛ محمد عبد العظيم ملحد: الحاكم بأمر الله، ص ١٠٣،

وعلى أية حال فقد انتهت تلك الفترة بوفاء الحاكم بأمر الله ٤١١ هـ / ١٠٢٠ م - في نفس العام الذي أصدر فيه العفو عنهم - وسرعان ما عاد إليهم نفوذهم، وسيطرتهم مرة أخرى، بعد أن ألغيت ست الملك جميع قرارات الحاكم بأمر الله ضد أهل الذمة، فعادوا إلى عمارة كنائسهم، وممارسة أعيادهم التي شاركهم فيها الخليفة الظاهر نفسه. <sup>(١)</sup>

عند تسلط أهل الذمة مرة أخرى في عهد المستنصر بالله، حيث برز في عهده أبو سعيد التمتري اليهودي الذي كان يتولى شؤون أم المستنصر منذ أن كانت جارية عنده وباعها إلى الخليفة الظاهر بالله، فأجبت منه المستنصر، فلما تولى ابنها الخلافة، فوضعت أيا سعيد هذا، أمر ديوانها، فترفع شأنه حتى أصبح يتحكم في أمور الدولة، وفاق سلطانه الوزير والخليفة نصه، <sup>(٢)</sup> واستغل نفوذه، وألحق بمناصب الدولة الكثير من اليهود، وولاهم الوظائف الكبرى، فغال المسلمون منه الكثير من الأذى، بحيث إنهم كانوا يحتفلون بحق القنعة على بني إسرائيل، مما دفع أحد الشعراء المعاصرين ويدعى الرضي بن البواب بالتميز عن الممارسة التي شعر بها المصريون قائلا:

يهود هذا الزمان قد بلغوا	خفية آمالهم، وقد مكروا،
أعز فيهم، وأعمل عندهم	ومنهم الممشتر، والملك
يا أهل مصر إني قد نصحت لكم	تهودوا قد فهو الفلك. <sup>(٣)</sup>

في نظرة تأملية لهذه الأبيات يتضح ما آلت إليه الأوضاع من سوء معاملة، وحظ غير المسلمين القصة، ومدى ما حققه اليهود من مكاسب، وإنجازات، وسيطرة، وسلطة.

(١) الأنطاكي: المصدر السابق، ص ٢٣٧؛ قنوي: نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٦٤.

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٢٠.

(٣) ابن ميسر: أخبار مصر، ص ٢٠؛ المقرئ: تصانيفه، ج ٣، ص ١٩٧؛ للسيوطي: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١١٦؛ سلام الشافعي: أهل الذمة في مصر، ص ٩١.

وتؤكد إحدى وثلاثين الجند التي تعود إلى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بأن اليهود الذين كانوا يلحقون بخدمة الدولة، كانوا يستلمون بعودهم، ومناصبهم لخدمة إخوانهم من اليهود، فتذكر تلك الوثيقة أن أحد اليهود كان مسجوناً بمصر، وكان يحاول إثبات براءته قسراً، إن ما معنته من أجل لليهود جميعاً معلوم جيداً، وإني قد انخفت بخدمة الحكومة، لكي أكسب عيشاً، وأفعل خيراً لإخواني في العبيد. (١)

لم يتردد المستنصر بالله في أن يفعل مثلاً فعل الحاكم بأمر الله من قبل، في التصديق على أهل الذمة، وذلك عندما تأكد من تسليطهم، وتعاليتهم على المسلمين، ففي سنة ٤٨٤ هـ / ١٠٩٩ م، وصلت إلى المستنصر بعض الشكاوى التي يستغوث فيها المسلمون من تسلط أهل الذمة، وتجاوزهم عليهم، فأصدر المستنصر تعليماته بإلزامهم لبس الغبار، والربانير، وأمرهم بتعليق الدراهم الرصاص في أعناقهم مكتوب عليها "نمي"، كذلك جعل تلك الدراهم في أعناق نسائهم في الحمامات، ليعرفن به، وإن لبسن الخفاف: فرداً أسود، وفرداً أحمر، وجنبلاً نسي أرجلهم. (٢)

يبدو أن فترات التصديق التي كانت تمر على أهل الذمة كانت فترات قصيرة، تأتي في نهاية حكم كل خليفة، كرد فعل على مبالغتهم في النفوذ، والسيطرة، ولكنها سرعان ما تنتهي، وتبدأ فترة أخرى من المضايقة، والتسامح الذي يأتي بنتائج سلبية على المسلمين المسلمين.

وفي عهد الأمر بأحكام الله ٤٩٥ هـ - ٥٢٤ هـ / ١١٠١ - ١١٣٠ تمتع أهل الذمة بالعديد من المميزات، ووصلوا إلى أعلى مناصب الدولة، فراد نفوذهم، وكذلك طفيلتهم، وقد برز من بينهم الراسب أبو ساج بن ميناء الذي ولاه الخليفة الأمر بأحكام الله رئاسة السخاوين ٥١٩ هـ / ١١٢٥ م، وقد أساء هذا الرجل لسيرة، وأخذ في مضايقة مسوأل

(١) Mann, The Jews in Egypt and Palestine, I, p.219.

(٢) ابن تيمية: المجموع، ج ٥، ص ١٣١.

للناس، والاستيلاء على أموالهم<sup>(١)</sup>، ولحق بهم كثيرًا من ألوان الأذى<sup>(٢)</sup> ولم يسلم منه زعماء مصر، وأعدائهم<sup>(٣)</sup>.

استطاع هذا الراهب أن يحوز ثروة ضخمة، وأن يتفق بسخ، وإسراف، فقد كانت تصنع له ملابس خاصة بتتيسر وتعايط من القصر، لأبيض المحلى بالذهب، وكان يركب السروج المخللة بالذهب، والنصبة، ويجلس في مسجد عمرو بن العاص، ويستدعي الناس للمصاهرة<sup>(٤)</sup>، ومن الغريب أن هذا الراهب قد لقب بالأب المقدس والروحاني النفس، رب الآباء وسيد الرؤساء، مقدم دير النصرانية، وسيد البطريركية، صفى الرب، ومفتكروه، وثلاث عشر الحوزيين<sup>(٥)</sup>.

ثم أدى هذا الراهب في استبداده وظلمه، حتى نصحه أحد الشيوخ الكتاب بالعدول عن تلك السياسة التي ستكون من أسباب هلاكه<sup>(٦)</sup>، غير أن الراهب قد أجابهم بكلمات لم تختلف كثيرًا عن تلك التي ذكرها ابن بطرس عندما كان في نفس موقفه، والتي تدل على مدى تعمق أهل الذمة لبني ملتهم، وكذلك مدى كراهتهم للمسلمين الذين عدوهم منتصبين ملكهم، فقال الراهب: نحن نملك هذه الديار حرًا وأخرًا، ملكنا منكم، فقلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوه بنا، ولا يكون له نسبة إلى من

---

(١) نهر صلاح الأرمني: كنائس وأديرة مصر، من ٥٤٠، عهد المنعم سلطان المجتمع المصري، من ١٠٦.

(٢) ابن فؤاد جيد: الدولة الفاطمية، من ٢٤٠، فاطمة مصطفى علم: تاريخ أهل الذمة، ج ١، من ١٩٨.

(٣) للكنائس: صبح الأعيان، ج ١٧، من ٣٦٩، ٣٧٠.

(٤) ابن طاهر: أخبار الدول، من ٧٧، ٧٨، المقريزي: تكملة الحقائق، ج ٣، من ١٢٧؛ عهد المنعم سلطان: المرجع السابق، من ١٠٦.

(٥) نهر صلاح الأرمني: المصدر السابق، من ٥٤٠، فاطمة مصطفى علم: المرجع السابق، ج ١، من ١٩٤؛ ابن فؤاد جيد: المرجع السابق، من ٢٤٠.

(٦) كنزني: قواعد وكتف القضاء، من ٤٢٤.



فُيْل من رؤسائنا، وملوكنا في أيام الفتح، فجميع ما تأخذه من أموال المسلمين وأموال ملوكهم وخلتفهم حل لنا، وهو بعض ما نستحقه عليهم، وإذا حملنا منهم مالا كانت الفنة منا عليهم\*<sup>(١)</sup> ثم استشهد الراهب بسنن البينين الذين قد أُنشدهما ابن مسطورس من قبل مع بعض التعميل.<sup>(٢)</sup>

وعندما سمع الخليفة الأمر بما قاله الراهب، غصب أشد الغضب، وقرر الانتقام منه، ومن غيره من التميمين، وأمر بحكم استخدامهم في شؤون الدولة والتشديد عليهم، أما الراهب أبو نجاح فقد قُسم عليه، وضُرب بالعمال حتى مات.<sup>(٣)</sup>

على أن سياسة عدم استخدام التميمين في شؤون الحكم، والإدارة لم تدم طويلاً، بل وصلت إلى قمتها في عهد الخليفة الحافظ لدين الله الذي استوزر لأول مرة في تاريخ مصر الإسلامية وزيراً ذمياً أرمينياً، وذلك بعد أن كان بعض التميمين يلجأون إلى اعتناق الإسلام للوصول لهذا المنصب، ولم يرض المسلمون عن تلك الوزارة، وانكروا ذلك على الخليفة،<sup>(٤)</sup> ولكن دون جدوى، فقد تسلم بهزلم الأرمني الوزارة ٥٢٩ هـ/ ١١٦٣ م، وتبعث على مقاليد الأمور، واستقطب حوله أبناء جنسه من النصاري الأرمن.<sup>(٥)</sup>

(١) ساويرس بن المتقي: سير القيمة المقدسة، ج ١، ص ٢٠٤، من ١٥٠٤ فاطمة مسمل.

خبر: تاريخ أهل السنة، ج ١، ص ١١٧؛ O'Leary: op. cit., p. 49.

(٢) المقرئ: تلخيص الحقائق، ج ١، ص ١٣٢، قال:

بنت كرم بنتوها لها	وأموها فبست بالخدم
ثم حابوا حكموا بينهم	ويلهم من فعل مظلوم حكم

(٣) ساويرس بن المتقي: سير القيمة المقدسة، ج ٣، ص ٢٠٤، ص ٢١٨.

(٤) المقرئ: تلخيص الحقائق، ج ٣، ص ١٥٦.

(٥) محمد ماهر حمادة: الوثائق السياسية والإدارية، ص ٤٤.

Mann: op. cit., pp. 8-9.

يذكر أبو صالح الأرمني أن الأرمن قد تجاوزوا مكانة عالية رمت  
الحافظ حتى إن ديوان التحقيق قد تولاه للشيخ أبو ركريا يحيى بن بولس  
الكاتب النصراني الذي كان له موضع خاص لفرده للخدمة له دحر  
القصر، وقد استخدم معه ثلثي عشر تقريباً يعاينوه في عمله، فأصبح لهم  
الدور، والسيادة على المسلمين.<sup>(١)</sup>

سيعلم الأرم عن على مقتيد الأمور في مصر، وكما هو بيناء العديد  
من الكنائس، والأديرة،<sup>(٢)</sup> وبسطوا أيديهم في جميع شؤون الدولة،  
ولاسيما بعد أن ولاهم بهرام، وعزل المسلمين، فأصبح منهم النصر،  
والعشرعين، وحكام الأقاليم.<sup>(٣)</sup> فأهانوا المسلمين، وأساءوا السيرة بهم،  
وظلموهم. فيذكر المقرئ أن أحد النصارى الأرمن الذي كان يتولى  
تقدير الضرائب رمن الخليفة الحفظ تظاهر مع صاحب مدينة ألساء  
مروره لمسح أرض بعض النواحي، لرفضه دفع أجر المدينة، فأرغمه  
صاحب المدينة على الدفع، فحنق عليه النصراني، وادعى أنه يملك أرضاً  
من الدوحة، مساحتها عشرون فداناً تعرف بـ"أرض اللجام"،<sup>(٤)</sup> وأرغمه  
على دفع الضرائب المقررة عليها بعد أن ضربته، وأهين، ورفض شهادة  
أهل الناحية بعدم ملكيته لأي شيء فيها، مما اضطر الرجل لبيع مدينته  
لمداد قيمة الضرائب.<sup>(٥)</sup>

استطاع الرجل أن يصل إلى القاهرة، ويتظلم للخليفة الذي تحقق  
من عدله، فقبض على الكاتب النصراني، وشهر به، وعزل على

(١) أبو صالح الأرمني: كنائس وأديرة مصر، ص ٣٩.

(٢) ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢، ص ١٧٩ Heyd, W op. cit., p. 45

(٣) ابن ميسر، المصدر السابق، ص ٧٨، ٧٩؛ سلاويش بن المقفع، المحضر  
السابق، ج ١، م ٢، ص ٢٨، ٣٠.

(٤) سلاويش بن المقفع: المحضر السابق، ص ٤٦.

(٥) المقرئ: القطط ج ١، ص ٨٨، القسم جده قسم: تزيح أهل القضاة، ص ٥٣.

فعلته،<sup>(١)</sup> حيث سُفِّر في موكب، وطيف به في سائر الأعصا. وإلى كس هذا للرجل قد نجح في إيصال صوته، ومظلمته فخليفة، فمن المؤكد أن هناك الكثيرين من الذين لم يتمكنوا من ذلك.

ففي ولاية قوص كان يتولى نحو دهرام هذا، وقد عم ظلمه الناس فيها، وقام بمصادرة أملاكهم، وأساء السيرة فيهم، مما لَوَّع الحصب، والرع هي ثوبهم، هذا الأمر الذي جعلهم يستجئون بسولي العربية رصوان للولعش، حتى ينقذهم من إهانة الأرمين لهم، ويمسحون به على إنقاذهم،<sup>(٢)</sup> فاستجاب رصوان، وحشد جيشاً كبيراً، واتجه إلى القاهرة، رافعاً المصالح على أسنة الرماح.<sup>(٣)</sup>

وعندما علم بهرام قرَّ هرباً من القاهرة، وعندما وصل الخبر إلى قوص، تَجَرَأ أهلها، وانجموا لها بهرام، وقتلوه.<sup>(٤)</sup> كذلك كان الحال في القاهرة التي انطلق أهلها مهاجمين دار الوزارة باهين لكل ما فيه، كما قاموا بنهب الكنائس، وإحراق دور الأرمين، وكنائسهم.<sup>(٥)</sup>

وعندما شعر الحافظ بخطورة الموقف، وشعور الغضب، والثورة التي انتاب للمسلمين أمر بطرد النصارى من الوظائف في جميع أنحاء الدولة، غير أن النصارى قد احتلوا على هذا الأمر، مستغلين تعلق الخليفة بطم الجوع، فقد دسوا إليه أحد المرافقين الذي ألقى الخليفة في

(١) المقريزي: المصدر السابق، ص ٨٨؛ قسم عبده قسم: المرجع السابق،

من ١٥٢، *op. cit.*, p. 5.

(٢) المقريزي: أعمال الخلفاء، ج ٢، ص ١٥٩؛ محمد ماهر حمادة: الوثائق المسيحية،

السياسة، ص ٤٤.

(٣) مازين بن المقفع: سر القصة المقدسة، ج ٢، م ١٠، ص ١٢٦، ١٢٤، مخطوطة

فاطمة مصطفى جابر: تاريخ أهل السنة، ج ١، ص ١٩٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل، ج ١، ص ١٩٨، ١٩٩؛ المقريزي: المصدر السابق،

ص ١٦٠، ١٦١.

(٥) مازين بن المقفع: المصدر السابق، ج ١، م ٢، ص ٤٧-٤٩؛ المقريزي:

المصدر السابق، ص ١٦١.

صلاح البلاد أن يتأني إلا بتولي الدواوين لرجل حدد له أوصافه، التي كانت تنطبق بالقطر على أحد النصارى، ويدعى الأخرم بن زكريا، وقد جحت تلك الحيلة، وتولى هذا الرجل رئاسة الدواوين، فأعسدا ككتاب النصارى إلى الوظائف المهمة في الدولة، وقويت شوكتهم مرة أخرى، فأخذوا في التسييق على المسلمين، فاستولوا على الأقباس، والأوقاف الشرعية، واتخذوا العبيد، والمماليك، والجواري من المسلمين، والمسلمين، وصودر بعض كتاب المسلمين فلجأته الضرورة إلى بيع أولاده، وبناؤه فاستأجرهم أحد النصارى. <sup>(١)</sup>

ويؤرد المقرئى أبينا نذل على استياء المسلمين من نوصاع أهل الدمة، وسطهم، وفزعاجهم في ظل سياسة الأخرم النصارى - وكان أعور - تقول تلك الآيات:

إذا حكم النصارى الفروج	وخالوا بالبنغال وبالسروج
وذلت دولة الإسلام طرا	وصار الأمر في أيدي الخسوج
لقل لأعور المجال هذا	زمانك إن عزمت على الخروج <sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من الحد من استخدام أهل الدمة منذ عهد الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله فإنه لم يتم الاستثناء عنهم في الدولة الفاطمية، وظلت رغبتهم في التسلط، والإساءة للمصريين يقابلها أحكام وتشريعات من جانب الخلفاء الفاطميين. في عهد الخليفة الظافر شدد أوامره بضرورة لبس الزيار لأهل الدمة، وعدم لبس الطيالة. <sup>(٣)</sup> وفي عهد الناصر أمر الوزير طلائع بن رزيق بالألا تكون لمعاتهم ذواتب. <sup>(٤)</sup> أما العاضد آخر خلفاء الدولة الفاطمية في مصر فقد أمر وزيره أسد الدين شيركوه ٥٦٤ هـ بأن يرفع القبط غضب - طرف - عاقبتهم، وأن يشد الثياب في

(١) المقرئى: الخطط ج ١، ص ٤٠٦؛ عهد المنعم سلطان: المجتمع المصري،

من ١٠٨؛ قلم عهد قلم: تاريخ أهل الدمة، ص ٥٢.

(٢) المقرئى: مصر السبق، ص ٤٥.

(٣) ساريس بن المقفع: سيرة قيصة الفتنة، ج ٣، م ٧، ص ٤٤.

(٤) نفسه، ص ٤٦.

أوساطهم. <sup>(١)</sup> وعندهما وإلى صلاح الدين الأيوبي الوزارة جند هذه الأمور، وقد استمرت هذه السياسة حتى سقوط الدولة الفاطمية ٥٦٧ هـ. وكذلك في الدولة الأيوبية.

لم تكن تلك التشريعات التي تصدرها الدولة الفاطمية ضد أهل الذمة، بشريعات إسلامية، ولكنها كانت تشريعات مدنية مؤقتة، تنتهي بانتهاء الموقف، كانت الدولة تصدر تلك التشريعات - أحياناً - للحد من ثورة الشعب المصري المنفي الذي امتد من منطوة، وتسلط أهل الذمة عليه، والذي تمتع في ظل الدولة الفاطمية بما لم يتمتع به الشعب المصري معه، حتى قبل أن تعصر الفاطمي بعد العصر الذهبي لأهل الذمة - باستثناء عصر الحاكم بأمر الله الذي عمت تشريعاته السني، والمسلم على السواء <sup>(٢)</sup> - هذا الأمر الذي كان سبباً من أسباب التفرقة، والفساد الذي ساد بين السنيين، وأهل الذمة.

هكذا هيأت السياسة التي تتبعها الخلافة الفاطمية الظروف لظهور الفساد بين كل من المسلمين، والذمية من جهة - وذلك عندما أخلت بعهد الأمان الذي قد قطعته على نفسها منذ دخولها مصر - وبين المسلمين، وأهل الذمة - من جهة أخرى - عندما اعتدت على أهل الذمة، وأهملت بهم في كل شيء، فأساءوا للمصريين السنيين، ففسدت العلاقة بينهم.

لم تقتصر السياسة الفاطمية على الاعتماد على أهل الذمة دون المسلمين السنيين في أعمال الحكومة فصب، بل وصل تسلط أهل الذمة إلى التجزؤ الفاطمية بمشاه، فتدخل في جيباتها الوراثية، فتزوج بعض الخلفاء الفاطميين من الذميات، مثل العزيز بالله، والظاهر، والقاسم، وولد بعضهم لدميات، كالحاكم بأمر الله وأخته بنت الملك، مما كان له عظيم الأثر في أهواء الخلفاء، وتحيرهم لأهل الذمة دون المسلمين.

(١) دسمة مصطفى عيسى: تاريخ أهل الذمة، ج ١، ص ٢٢٠؛

Bosworth : op. cit., pp. 66 - 70

(٢) دسمة عيسى عيسى: تاريخ أهل الذمة، ص ٢٥٨

Ahya op. cit., p. 6; Mann : op. cit., p. 9

ومن الملاحظ هنا أن السيدات التميميات قد وصفتن إلى مكانة عاتية في ذلك العصر (العصر الفاطمي الأول) عصر انحطاط، يسزرن لجهن من طيبة، أو بلخذهن لقب لم تقابله، ولكن لا نعرف حتى الآن لماذا حصل انحداء التميميات على المسلمين ؟ ربما يكون ذلك لشهرتهن بجمال، وكاء لهنال الحذ، وربما يكون لسبب آخر، ولكن على أية حال فقد اختلف الدماء الدطمية الشيعية بنماء نمية، ولكن دور أن يتتصر، أو يتهود أحد خلقاتها، ولكن تتصرفت، وتهودت قراراتهم لمتلج أهل انظمة صمد المسلمين السنيين، وأصبح العصر الفاطمي هو العصر الذهبي لأهل الدمة. كما بعته د، قاسم عبده قاسم. (١)

(١) قاسم عبد قاسم : المرجع السابق، ص ٣٩٥

.Dopp op. cit., p.54 Heyd . op. cit., p. 395



## الفصل الخامس

### الفساد الاقتصادي ومدى تأثيره بالنواحي السياسية والإدارية والاجتماعية

#### أولاً أسباب الانهيار الاقتصادي :

١- الأسباب الإدارية والسياسية.

٢- الأسباب الدينية والاجتماعية.

#### ثانياً مظاهر الانهيار الاقتصادي في عصر الفاطمية :

١- فرض الضرائب غير الشرعية (المكوس).

٢- المصادرات.

٣- القرض والاستدانة.

٤- السلف.

٥- ارتفاع الأسعار، واحتكار السلع.

٦- انخفاض قيمة العملة.

#### ثالثاً النتائج التي ترقبت على الفساد والانهيار الاقتصادي :

١- خراب مدينة الفسطاط، وتدميرها.

٢- ضياع ممتلكات الدولة للفاطمية، وأثر ذلك على الاقتصاد.

٣- الانهيار الاقتصادي التام، وزوال الدولة الفاطمية.





إن الدروس لأحوال مصر الماثلة، والاقتصادية في العصر  
الفاطمي، لا يستطيع أن يضع حدوداً فاصلة بين سنوات الإزدهار  
الاقتصادي، وسنوات انهيار هذا الاقتصاد، فقد يصل الإزدهار الاقتصادي  
إلى أعلى درجاته، حتى يظن البعض أن هذه البلاد تعيش حياة من  
الرفاء، والرخاء الذي لا يملكه غيره، ورخاء في أي مكان آخر، ثم يعقبه  
مباشرة انهيار يشعر الدارس خلاله أن البلاد لم تحظ بشيء من الإزدهار  
فعله إلا في الأمور لا تثبت أن تعود إلى تصاياها من جديد في وقت قصير،  
بتلك يمكن القول إن الحياة المثالية، والاقتصادية في مصر خلال العصر  
الفاطمي كانت تتأرجح بين الإزدهار تارة، وبين الانهيار، أو التناحر،  
والاحتطاط تارة أخرى.<sup>(١)</sup>

فعلى الرغم مما كانت تتمتع به مصر طوال العصر الفاطمي  
عامة من ازدهار للحياة الاقتصادية، وظهور للترف، والبذخ، والرفاهية،  
لبن عوامل الانهيار، والاضمحلال كانت تطل برأسها من وقت لآخر،  
معلنة عن وجودها وسط هذا الرخاء، والازدهار، وإن كانت العوامل  
الطبيعية قد لعبت دوراً مهماً في ظهور هذا الانهيار. وذلك مثلاً كان  
يحدث عند نقص هيسان النيل، أو زيانته.<sup>(٢)</sup> إلا أن العامل البشري  
المتدخل في إفساد المسألة، والصكريين، والإدريين كل أكثر فاعلية في  
حدوث تلك الانهيار الاقتصادي.<sup>(٣)</sup>

وعندما وصل الفاطميون إلى المنطقة في مصر، حصلوا على  
استغلال مواردها إلى أقصى درجة ممكنة؛ للحصول على أقصى عائد  
مالي يستطيعون خلاله تلبية احتياجاتهم الخاصة، ومواجهة النفقات الباهظة  
لبلائهم الفخم، ولاحتياجاتهم الباهظة.<sup>(٤)</sup> هذا الأمر الذي أدى إلى تراخ

(١) لمبة التوريجي : رؤية الرحلة، ص ٣١٧.

(٢) الفريزي : إغاة الأمة، ص ٨.

(٣) ساريس بن المقفع : سيرة النعمة المقننة ، ج ٢، ص ٧٠، ص ٢٠٢ - ٢٠٤،  
النوري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٢٤ الفريزي : تصايف الحفا، ج ٢،  
ص ٢٦٢ - ٢٦٣ الفريزي : المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٣.

(٤) لمبة فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٠٢ لجنة التوريجي : رؤية  
الرحلة، ص ٣٩٧، راشد أيرلوي : حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين،  
ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٣٦٧.

الحرارة المصرية من الأموال، ومن ثم كان لابد من تعويض هذا الفراغ بشكل أو بآخر، فجلّت التولية إلى العديد من الإجراءات المشروعة وغير المشروعة، التي شاركت في ظهور العديد من المظاهر المسلمية على المجتمع المصري في شتى جوانبه، هذا الأمر الذي أدى بدوره إلى صعود الدولة الفاطمية نفسها. وعلى هذا الأساس سيتم تناول هذا الموضوع خلال ثلاثة محاور، هي : أسباب الانهيار الاقتصادي في مصر الفاطمية، مصدر هذا الانهيار وكذلك نتائجه.

#### أولاً أسباب الانهيار الاقتصادي في مصر الفاطمية

##### [١] الأسباب السياسية، والإدارية :

- ١- تولي الخلفاء في من مكررة.
- ٢- كثرة الصراعات بين الجند.
- ٣- إهمال شؤون الدولة في ظل التغيير المستمر للوزراء، وتصارعهم من أجل الوزارة.
- ٤- انقسام الدعوة الفاطمية على نفسها.
- ٥- عجز الخلفاء عن التصدي للمجاعات، والأزمات التي واجهت البلاد. (١)

##### [٢] الأسباب الدينية والاجتماعية

- ١- كثرة الإنفاق على الأعياد، والاحتفالات. (٢)
  - ٢- التمايز الطبقي بين المسلمين، وأهل الذمة.
  - ٣- إهمال الطبقة الوسطى.
- كما كان هناك بعض الأسباب العامة التي ساهمت في الانهيار الاقتصادي، مثل : نقص ميزان النقد، أو زيادته. (٣)

(١) ملحق رقم (٤).

(٢) ملحق رقم (٤).

(٣) ملحق رقم (٤).

## ثانياً مظاهر الانهيار الاقتصادي في مصر الفاطمية -

### [١] فرض الضرائب غير الشرعية

(أ) المكوس<sup>(١)</sup> -

يرتكز الاقتصاد في أي دولة على نظامها المالي، الذي ينعش في إيرادات الحكومة ومصرفاتها، وطرق الموازنة بينهما، وكان المورد الرئيس لإيرادات مصر بشكل عام يتمثل في الجزية، والخراج (مصرية لأرض الزراعية)، ثم الضرائب الشرعية<sup>(٢)</sup> التي أقرها فقهاء المسلمين، غير أن ولاية مصر قد استحدثت مصائد أخرى للدخل غير تلك الضرائب، وكانت هذه الضرائب ترتبط عادة بأوساط التجار، وأحدث هذه

(١) المكوس : كلمة تعني ضريبة الأسواق، وكانت معروفة من قبل في العصر الجاهلي، ولعل اسم قرية "مكس" الموجودة على النيل في شمال القاهرة، والتي كانت تعرف باسم قرية أم دنون، هي تعريف لكلمة "مكس" لأن المكس كان يأخذ بها لاستخراج المكس.

ومكس : كلمة انتهت مشتقة من اللفظ السرياني "مكسو" وكانت تعرف عند العرب قديماً، وكانت تطلق على الضرائب التي تجبى على التجارة وتصناعة والضرائب التي تجبى من ماعى السلع في الأسواق، كذلك كانت تطلق على الجبة التي تجبى فيها الضرائب. الفيلسفي، ج٣، ص١٤٧ المقريفي المخطوط ج٧، ص١٢١ ج٣، ص١٦٩ مهدي إسماعيل كاشف : مصر في فجر الإسلام، ص١٤٠ عبد المصم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٢٤٧

(٢) الضرائب الشرعية : هي الضرائب التي تستلبي منها الدولة مواردها وهي نسي نظير الفقهاء : الفقه، وهو ما يؤخذ من الشرعيين من قتال، وشحن على أخراج والجزية والضرائب المفروضة على تجار أهل الدمة وعلى التجار المسلمين القادمين من خارج دار الإسلام. والقسم على ما يستخرج من الممان والزكوات والنفقات. وخمس سبب الفهر مما يتخف به البصر ويستخرج منه. والزكاة أو الصدقة وسبب على المواتي والزرور والثمار والذهب وعلى بضاعة التجار المسلمين. فيما عدا ذلك يد ضرائب غير شرعية.

راجع : ابن سعد (محمد بن سعد بن مطيع البصري القرطبي) ت ٢٣٠هـ / ٨٤١م : الطبقات الكبرى، تحقيق إسماعيل جليل، ج٧، بيروت، ص٣٥٥، أم متر - الحضارة الإسلامية، ج٣، ص١٩٤، ٢١٠هـ عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، بيروت، دار المشرق، ١٩٧٤، ص١٨٧ - ١٩٢.

الصرايب تزاد حينئذ، وتقل حينئذ آخر، أو تُلغى كلية في بعض العهود؛  
لأغراض سياسية، أو اقتصادية. (١)

وكان فقهاء المسلمين لا ينظرون إلى هذه الضرائب بحسب الرضا،  
لأنها في نظرهم ضرائب غير قانونية تتنافى مع الشرع، ولا سيما عندما  
كانت تحصل بطرق غير عادلة. (٢) وقد عرفت هذه الضرائب أولاً باسم  
المراقق والمعائن، ثم عرفت بتماليل الهلالي - الذي يؤدي شهرياً (٣) - ثم  
عرفت بالأموال الإسلامية. (٤)

وكان أول من أحدث مالا سوى مال الخراج بمصر أحمد بن  
محمد بن منبج لما ولي الخراج بمصر سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م فحجر على  
الطرون بعد أن كان مهتماً لجميع الدائر، وقرر على الكل الذي شرعه  
البهائم مالا أسماه (المراعي) كما قرر على ما يخرج من البحر مالا أسماه  
"المصائد" (٥)، وعلى الرغم من أن هذه تضريبة فرضت على نطاق ضيق،  
فربما أثقلت كاهل الرعية، لذلك عمل أحمد بن طولون عندما ولى (سنة  
مصر على استقلالها. (٦) وكانت تبضع مائة ألف دينار في كل سنة. (٧) وكان  
لذلك رغبة منه في التقرب إلى المصريين. (٨)

(١) يُمن فؤاد سيد : الفتوة الفاطمية في مصر، ج ١، ص ٥١١، حمدي عبد المنعم  
: تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٢) راشد قايروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٤٠، أحمد الصلوي : مجاميع  
مصر الفاطمية، ص ١٤٢.

(٣) المقرري : القبط، ج ٢، ص ١٢١، القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣،  
ص ١٤٧، عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٤٧.

(٤) بريماني عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٢١، يُمن فؤاد سيد : الدولة  
الفاطمية، ص ٥١٢، حمدي عبد المنعم : تاريخ مصر الإسلامية، ص ٢٤٢.

(٥) المقرري : القبط، ج ١، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٦) البلوي : سيرة أحمد بن طولون، ص ٧٤ - ٧٦، مجلة إسماعيل كاتيف - مصر  
في فجر الإسلام، ص ٤٠، بريماني عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٤٧.

(٧) المقرري : القبط، ج ١، ص ١٠٤، ج ٢، ص ٢٦٧.

(٨) بريماني عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٤٢، راشد قايروي : حالة مصر  
الاقتصادية، ص ٣٤١.

كذلك كانت تلك الرسوم للجائزة سبباً من أسباب سقوط الدولة الإخشيدية بمصر، لذلك عندما دخل جوهر الصقلي مصر، أشار إلى بعض هذه التجاوزات المالية التي لقيتها الدولة الإخشيدية، ولقي عانى منها المصريون، كما وعد أهل مصر في أمانة يسقط تلك الرسوم عن كلهم. <sup>(١)</sup> غير أن الفاطميين ثم بقوا بهذا الوعد، ولم يلتزموا بهذا الأمر، وأصبحوا كميرهم ممن سيطر على موارد مصر، بل تعدوا ذلك كثير.

ولما وصل الفاطميون إلى المملكة أرفلوا أن يستغلوا إمكانات مصر الزراعية والصناعية إلى أقصى درجة، وإن يأخذوا منها أقصى ما يمكن من عائدات مالية تلي احتياجاتهم الخاصة، مثلما كانوا يقومون بالعبادة في شمال إفريقيا. <sup>(٢)</sup> فأعادوا 'الأموال الهائلة' وصارت تعرف بـ 'المكوس'. وقد اتبع الفاطميون نظاماً دقيقاً في جمع تلك الضرائب بدأ هذا النظام مع بداية دولتهم في مصر. <sup>(٣)</sup> ولقدروا لها ديواناً خاصاً عُرف بـ ديوان الهالكى. <sup>(٤)</sup>

كما كانت هذه المكوس - وهي في الأصل ضريبة - تؤخذ على الرورد، والصنادير من البضائع في العوانى <sup>(٥)</sup>، ثم أصبحت تفرض على التجارة الداخلية، وبعض الأنشطة الاقتصادية غير المتوقعة بالزراعة، فكانت أيضاً تفرض على المراعي، والمصائد، والبصائع، وتجارة الثرانزيت، والذبح، وسوق الترفيق، وأنواع للصناعات كالفخار، والمزرا، والصيد. <sup>(٦)</sup> ثم أصبحت تلك الضريبة تفرض على كل شيء فلم تترك شاردة، ولا واردة إلا وكانت الدولة تنقلضي عنها ضريبة <sup>(٧)</sup>، مما أثقل كامل الرعية وأفسد الحياة الاقتصادية، ولا سيما أن عائد هذه

- 
- (١) نزيهان عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٤٣.
- Oman History of the Art of War in Middle Aget, p. 15.
- (٢) قدوسي النسان : المجالس والمسيرات، ص ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (٣) نزيهان عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٤٣.
- (٤) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤٩٦.
- (٥) المقريري : الخطوط، ج ١، ص ١٨٩ أحد الصلوي : مجلدات مصر، ص ١١٢.
- (٦) نزيهان عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٤٤، Oman, op. cit., p. 16.
- (٧) نزيهان عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٤٤.

الضريبة لم ينعكس بالإيجاب على الرعية بل استقلت منه الطبقة الحاكمة دون غيرها.

وكان "الخمس" من ضمن هذه المكوس غير الشرعية، وكانت الحكومة الفاطمية تأخذ تلك الضريبة من التجار غير المسلمين والأجانب<sup>(١)</sup>، وبخاصة الروم، لولادون إلى الثغور، وكانت هذه الضريبة تعني الخمس أحياناً والعشر أحياناً أخرى، وكانت نسبتها تتراوح بين ١٠% و ٢٠% وترفع حتى تصل إلى ٣٥% من قيمة البضائع الواردة، والصادرة، كما كانت تلك الضريبة تجبى عتياً في بعض الأحيان.<sup>(٢)</sup> ومن هنا جاءت كلمة الفمس والعشر كمترادف لكلمة مكوس.<sup>(٣)</sup>

على الرغم من أن المقريري ذكر في خطه أن تلك الضرائب غير الشرعية، قد أعيدت في لواخر أيام الدولة الفاطمية، وذلك بسبب نقص الخراج، وكثرة المنزعات بين كبار الموظفين والوزراء.<sup>(٤)</sup> لأن جميع الشواهد تؤكد أن تلك الضرائب قد بذلت مع بداية الدولة الفاطمية. ربما كان المقريري يقصد أنها قد ريدت أو كثر تنوعها في تلك الفترة، فقد عمد الفاطميون إلى توجيه اهتمامهم بتلك الضرائب غير المباشرة، ولاسيما في حالة الخراج، وقد أحدث هذه الضرائب تزايداً بمرور الوقت حتى وصلت إلى حد لا يطاق في نهاية العصر الفاطمي، ونلاحظ ذلك من الضرائب التي استقبلها صلاح الدين.

---

(١) ابن سني أبو المكارم الأسدي مذهب الفطري بن سعيد بن ميثاق، الوالدين الفولوي، تحقيق: حبيب سوريان حنية، الملكية الزراعية، القاهرة، ١٩١٣م، ص٢٢٩؛ الفقهدي: صبح الأضي، ج٣، ص٤٦٣؛ المقريري: المصدر السابق، ص١٠٩.

(٢) السخرومي إقباضي السعيد ثقة القلاب ذو القريتين الحسين علي بن أبي عمرو عثمان بن يوسف المنداج في علم خراج مصر، المعهد العلمي الفرنسي لدراسات القاهرة، ١٩٨٦م، ص٤٥.

(٣) نديم بن عبد الكريم: المرجع السابق، ص١٤٩.

وكأن هناك ما عرف بالقصص أيضاً ولكنه فرس على صلة الشعب. وكان الرجل يقطع خمس ما يزرع وما يملك، والمرأة تسبق خمس ثمرها. حمد الصلوي: مجامع مصر، ص١٤٥.

(٤) المقريري: الخطوط، ج٥، ص١١٤؛ راشد البرلوي: حالة مصر الاقتصادية، ص٣٤٠.

نقد ذكر ابن سعيد أن عيسى بن نسطورس رسم أبحام مزارته  
 صرائف، ورسوماً جائزة، وأجنت مكوس زائدة على ما جرى الرسم  
 بأحده، وحذف ابن عمار جميع ذلك ورد الأموال إلى ما كانت عليه<sup>(١)</sup>  
 هذا بالإضافة إلى أن المقرئ نصه قل : أن الحاكم بأمر الله الفاطمي قد  
 أسقط رسوماً بتسلط على أثر توليه الخلافة، وبعبارة أخرى بعد أن تحلص  
 من سيطرة برجوان، وجعل مقاليد الأمور في يده، كما أمر الحاكم بأمر  
 الله بإبطال عدد آخر من المكوس في سنوات ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م،  
 ٤٠٠هـ / ١٠٠٩م، ٤٠٣هـ / ١٠١٢م، ٤٠٤هـ / ١٠١٣م<sup>(٢)</sup>، وهذا  
 بالطبع خلاف المكوس التي سبقت لعيسى بن نسطورس، والذي أنفاه ابن  
 عمار<sup>(٣)</sup> وفي ذلك دلالة على عدم استقرار الأحوال الاقتصادية وعدم  
 وجود خطة واضحة للارتفاع بالحالة الاقتصادية.

لكن سرعان ما عادت تلك الضرائب الفاسية إلى سابق عهدها،  
 بعد مقتل الحاكم بأمر الله فعينما قبضت بيت الملك على مقاليد الأمور،  
 وأعادت المكوس إلى ما كانت عليه من قبل،<sup>(٤)</sup> وهذه كلها شواهد دامغة  
 بوجود هذه الضرائب قبل خلافة الحاكم بأمر الله، ودليل على أن  
 المدعيين بعد استيلائهم على مصر قد أنفقوا على ما وجدوه فيها، ولم  
 يحاولوا إلغائها؛ لأنها كانت بمثابة مورثاً مهماً من موارد خزينة الدولة،  
 ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلى زيادتها.<sup>(٥)</sup>

(١) يحيى بن سعيد : التاريخ المشهور على التحقيق والتصديق، بيروت، ١٩٠٨م،  
 ص ٢٢٧؛ تاريخ ابن خلدون : مصر الإسلامية، ص ١٤٢.

(٢) المقرئ : المسحور السابق، ج ٢، ص ٢٨٦، ٢٨٨؛ محمد عبد الله عيسى :  
 الحاكم بأمر الله، ص ١٥٧؛ راشد البراوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ١٣١؛  
 عبد المنعم مكي : الحاكم بأمر الله، ص ٩٢.

(٣) المقرئ : فتاوى الفقهاء، ج ٢، ص ١٧٩؛ الخطط، ج ٢، ص ٢٨٦؛ راشد البراوي  
 : المرجع السابق، ص ٢٤١.

(٤) محمد عبد الله عيسى : المرجع السابق، ص ١٥٧؛ راشد البراوي : المرجع  
 السابق، ص ٢٤١.

(٥) ليس فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص ٥١١.



وقد فرض الفاطميون هذه المكوس على كل شيء من المصنوع، والمبيع، حتى قيل إنها بلغت ثمتين نوعاً من أنواع تلك المكوس التي كانت موجودة في زمنهم والتي أسقطها الوزير صلاح الدين الأيوبي عن مصر والقاهرة، والتي كانت تفرض على كل شيء فيما عدا الهواء الذي أطلق سراحه، وترك حراً. <sup>(١)</sup> وقد بلغ عائد هذه المكوس مائة ألف دينار <sup>(٢)</sup> سنوياً، وكان أشهر هذه المكوس مكس للبحار. <sup>(٣)</sup>

ويعلم مما سبق أنه لم يسلم أي إنتاج أو أية حرفة أو مهنة من الدولة الفاطمية من فرض المكوس عليها، ولكن هناك ثمة تعجب وهي أن المقريري قد أقر أن تلك الرسوم قد بلغت - على الرغم من فسوتها - مائة ألف دينار سنوياً، وهو نفس المبلغ الذي كان يجمع زمن ابن المذبر (في الدولة الطولونية).

وكانت هذه المكوس من الكثرة والقسوة التي أرهقت الناس، وأثقلت عليهم، وقد أبدى لنا بعض الرحالة استياءهم من كثرة تلك المكوس. فيذكر المقنسي الذي زار مصر نحو ٣٧٥هـ / ٩٨٥م استغرابه من ثقل الضرائب التي كانت تفرضها الدولة الفاطمية فكانت ثقيلة، وبخاصة تلك الضرائب التي كانت تجب من تبن، ودمياط على ساحل النيل، فيذكر أن الفايك الشطرية - التي كانت تصنع بمدينة شطا - لا يمكن للقطي أن ينتج شيئاً منها إلا بعد أن يختم عليه بختم السلطان، ولا تدفع إلا على يد سمسرة قد عثقت عليهم، وصاحب السلطان يشتد بيع في جريته، ثم تحمل إلى من يطويها، ثم إلى من يشدها بالقش، ثم إلى من يشدها في السنف وإلى من يحزمها، وكل واحد منهم له رسم يأخذه، وتستمر الضرائب هكذا حتى نلقاها، وبیمها. <sup>(٤)</sup>

(١) المقريري: الخطب ج ٣، ص ١٩٦، عبد القلم منجد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٤٨.

(٢) سريوس بن المقفع: مير القيمة المنقصة، ج ٣، ص ٢٠٠، ١٩٩، أبو شامة: الروصين، ج ١، ص ٥٢٢، المقريري: المعتمد السابق، ج ١، ص ١٠٤، ١٠٥.

(٣) المقريري: المعتمد السابق، ص ١٠٥.

(٤) المقنسي: أحسن التقاليم في معرفة الأقاليم، ص ٢١٣، ناصر خسرو: سفرنامه، ص ٢٧، أمين أفاد سيد، الدولة الفاطمية، ص ٥١٤، أمينة فتوريجي: رؤية للرحالة، ص ٤١٥، عبد القلم منجد: نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١١٨.

وحصلت هدد المكوس من الصعيده، وساحل الإسكندرية، وعلى  
مراكب الشام. (١) وكانت تحصل بواسطة ديوان الهلاتي (٢)، وكانت قيمة  
المكس تتراوح ما بين ٦٠% و ٢٥% من ثمن البضاعة. (٣)

خلاصة القول : أن الحكومة الفاطمية كانت تقوم بتحصيل  
ضرائب باهظة من كل قنخور المصرية على جميع المنتجات التي تنتج،  
ولا يتم تصدير هذه المنتجات إلا بمعرفة مندوبي الخليفة. (٤) وكانت تُسلم  
مراكبها من قبل الدولة التي تشيئت في ذلك. (٥)

ويتفق الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر نحو  
(٤٤٠هـ / ١٠٤٨م) مع المندوبي في رؤيته لضريبة هذه الضرائب إذ  
يقول : "وسمعت من القنقات أنه يصل منها (يفسد تكيس) لخزينة سلطان  
مصر يومياً ألف دينار مغربي، ويصل ذلك المقدار مرة واحدة بحمله  
شخص واحد يسلمه أهل المدينة إليه في وقت محدد، وهو يسلم للمراسلة  
فلا يتأخر منه شيء". (٦)

ولعل ما قاله ناصر خسرو يوضح أن قيمة الضرائب التي كانت  
تحصل عليها الدولة الفاطمية سنوياً تزيد عما قد قاله المقريزي قبل ذلك  
بكثير، فإذ كانت تكيس وحدها ومثلها باقي المتوكل المصرية تمد الخزينة  
المصرية بألف دينار مغربي يومياً. فما بال باقي الضرائب الأخرى.

وهذه الضرائب التي كانت تتم زمس الوزير ابن بكس كانت غني  
غاية السوء وأطلق عليها "الضرائب المشرمسة" وكانت تُلزَمُ على الكثير  
من منتجات البلاد الصادرة، وعلى كل ما يدخل مصر من بضائع راردة،  
مع جعل عهد هذا الوزير يوصف بعهد "التوقسب والمصن"، حيث إن  
الوزير ابن بكس "جعل المكوس على جميع الدخلين والخارجين إلى  
تلك". (٧)

(١) أمية الشوريحي : رؤية الرحالة، ص ٤١٥.

(٢) القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٩٦.

(٣) عبد السلام حليم : نظام الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١١٨.

(٤) ناصر خسرو : مغرنامه، ص ١٧٩، أمية الشوريحي : المرجع السابق، ص ٤١٥.

(٥) داريمان عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٤٨.

(٦) أمية الشوريحي : المرجع السابق، ص ٤١٦.

(٧) نفسه.

أما الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي زار مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية بقليل فقد ذكر بشيء من المروءة والاستيلاء شناعة تلك الرسوم، كما عر عن مدى فرحته بما فعله صلاح الدين من إغاثتها وإعل ابن جبير قد أوضح أن هذه الضرائب لم تكن ثقيلة فحسب، بل كانت أيسر تجبي بطرق في غاية الشدة، والقسوة.<sup>(١)</sup>

وكانت الدولة الفاطمية تحرص على أن تصلها هذه الرسوم كاملة دون معاناة، ولما كانت هذه المكوس صرائب غير شرعية، فلم يكن لدى الحكومة الفاطمية ملاح من أن يكون تحصيلها يتم أيسر بطريق غير شرعية، فعمل الفاطميون على تحصيل تلك الضرائب بما يسمى بنظام "الضمان"<sup>(٢)</sup>، وهو أشبه بنظام الائتزام، حيث ضمموا أموال الدولة كلها دون عطاء لهم. بعض النظر عما يعانيه المجتمع المصري، وقد صيق هذا النظام على جميع الضرائب التي كانت تفرضها الدولة.<sup>(٣)</sup>

(١) ابن جبير أبو الحسن محمد بن أحمد الكلبي الأندلسي البليسي : رحلة ابن جبير، المسماة بشجرة الأخبار من الفتوحات الأمراء، تحقيق : حسين نصر، دار صادر، بيروت، ٩٦٤ لم ١١٨٣؛ ابن خلدون : المقدمة، ج ٢، ص ١٨٣؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٣٩١؛ أبو يعلى عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٥٠.

(٢) نظام الضمان . هو نظام مالي غير شرعي أشبه بنظام الائتزام، يتعهد بهرجبه الضامن أن يدفع للدولة مبلغًا متفقًا عليه من قيمة الضرائب أو المكوس على جهة معينة ثم الاتفاق عليها مقتضى في الغالب كان مبلغ الضمان يأتي أكثر من الضرائب المحصلة، فيكون الزيادة فيه لصالح الضامن فتتقوى، لذلك كسر الضمان يستحقون كل الوسائل لزيادة هذا المبلغ، وتلزم ما يأتي هذا المبلغ أقل من قيمة الضمان ولكن في هذه الحالة على الضامن دفع كل المبلغ (لا بد سامحه ولي الأمر في ذلك) ثمزيد راجع : المفردى : الأحكام المالية والام لايت الدينية، ص ١١٦؛ القلقشندي : صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٤٦٦؛ وقد التزموي - حالة مصر الاقتصادية، ص ٢٢٤.

(٣) للزوري : نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ١٤٩؛ ابن فؤاد سيد : الدولة الفاطمية، ص ٣٢٢.

ففي عام ٣٦٣هـ / ٩٧٤م، ضمن محمد القاضي أبو الطاهر  
الدُّهلي الأحياس بمبلغ ألف وخمسمائة درهم<sup>(١)</sup>، وبعد موت الوزير بن  
بن كلس، ضمن الطريقة للوزير بالله أموال الدولة بجماعة من المستغنين،  
حيث ضمن علي بن عمر القاضي مائتي الفيلة، واتفقت سنة ٣٨١هـ /  
٩٩١م ثم حوسب بعد تقضاء السنة على خطتها، وخراجها<sup>(٢)</sup>.

وكان معظم ضامني الصراف من الأثرياء أصحاب المشروعات  
الذين جمعوا ثرواتهم من النشاط الاقتصادي، أي أنها قد انحصرت في  
أيدي نفر من أعيان البلاد، والأمراء، والأجناد من لديهم القدرة على  
الوفاء بمثل هذه الالتزامات الكبيرة، وفي الغالب كانت تستند إدارة السلطة  
إلى الشخص الذي ضمن خراجها<sup>(٣)</sup>، وكان المبلغ الذي يدفعه هؤلاء  
الضماناء كان أقل بكثير من تلك الضرائب التي يحصلونها<sup>(٤)</sup>.

ونو أن الحكومة القاطمية قد اتبعت نظاماً يقوم على أساس جعل  
العلاقة مباشرة بينها وبين دفعي الضرائب لرايات إيراداتها، ولأراضيها  
هؤلاء القوم من عتق، ونصف الضمان، غير أن الحكومة القاطمية قد  
فضلت لتصر الطرق وأيسرها تجمع الأموال.

ونظراً للارتفاع الطائلة التي كان يحققها ضامنوا الضرائب، فكان  
الشخص الذي يريد الحصول على عقد ضمان لا يتردد في تقديم آلاف  
الدينارات زيادة مما دفعه سلفه، لذلك فقد كثرت الأموال المدفوعة لهذا  
الغرض (الرشوة)<sup>(٥)</sup>.

وكانت الحكومة القاطمية تدعو على انتشار هذا الفساد، بخاصة  
في الأوقات التي تصاب الإيرادات فيها بمجزء، فكانت الحكومة لا تحرم

(١) المفريزي : الخطط، ج ٢، ص ٣٩٥؛ راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٢٢.

(٢) ابن الصيرفي : الإسلام، ص ٥٤؛ أمين فؤاد سيد : المرجع السابق، ص ٥١؛  
راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٣) أمين فؤاد سيد : الدولة القاطمية، ص ٥١٦؛ راشد البروي : حالة مصر  
الاقتصادية، ص ٣٢٤.

(٤) راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٥) للمفريزي - الخطط، ج ١، ص ٨٤؛ أمين فؤاد سيد : المرجع السابق، ص ٥١٦.

عقود الضمان، وكثيراً ما تعرض الضامن لأن يلغى ضمانه إننا نخدم غيره بضع مبلغ أكبر، ويظهر أن رجال الحكومة كانوا يستفيدون من هذا العمل بغير علم إليهم من الهدايا، والرشاوى، وهذا يعني أن ضماناً للضم قد استولى على أولي الأمر فيها. (١)

ثمما علم المأمون لبططحي الوزير في خلافة الأمر بالله ما يعتمر في التوفيق من قبول تلك الزيادات، والرشاوى، وبيع عقود الضمان، وأحداهما من الضماناء، ونقلها إلى من يتعهد ببذل زيادة في قيمتها دون وجه مبدول، أمر بوضع حد لهذه السياسة الفاسدة، وحرم انتزاع الضمان من يد صاحبه مادام مراعيًا لشروطه ولما تنه القدة المبينة في عقده بعد، وأصدر مرسومًا سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م قرأ بالجامع الأزهر بالقاهرة، وجامع عمرو بن العاص بالقسطنطينية ليذكر هذا العمل ويمنعه. (٢)

وإذا كان المأمون لبططحي قد عمل جاهدًا على تطهير الإدارة للمالفة من المصاوي إلا أن الأمور سرعان ما عادت إلى ما كانت عليه، إن لم تكن قد ساءت بعد موت المأمون، فلم يمض وقت طويل حتى فرض الوزير الصالح طلائع بن زريك الأموال على من يعينهم من الأسر، والمواطنين، وجعل ولاية الأعمال سلعة ذات سعر محدد، وهؤلاء السولا كانوا يقومون للسياسة نفسها مع رؤوسهم حتى يحصلوا على ما دفعوه على الأقل، وبذلك سرى الفساد إلى جسد الإدارة الحكومية بأكملها، كما أصبح الاختلاس، والفوضى في جباية الأموال، وإنفاقها حادثة مفرغة لا رابط لها. (٣)

ثم يقتصر الأمر على هذا فحسب، بل استغل الضماناء غياب الرقابة الداخلية، وحصلوا على عقود ضمان بتقديرات قديمة لا تتوافق مع المبالغ الفعلية، فابتزوا بذلك مبالغ أكبر من المواطنين وذلك بمرضى

(١) المقرري : المصدر السابق، ص ٨٤، راجد البروي : المرجع السابق، ص ٣٢٥.

(٢) من المأمون : أخبار مصر، ص ٢٨ - ٣١، المقرري : المصدر السابق، ص ٨٢، ٨١، قلعت الحقاء، ج ٢، ص ٨١٢، راجد البروي : المرجع السابق، ص ٣٢٥.

(٣) راجد البروي : حلة مصر الاقتصادية، ص ٣٢٦.

صرائب كبير عليهم، هزانت مملعتهم، وكذلك ثرواتهم، ولا مسموم أنهم  
كنا في الغالب يقتنعون عن دفع المبالغ المستخدمة للحكومة. (١)

وقد كانت هذه الثروات تأتي حقها هؤلاء قطبماء سينا من  
أسباب كشف القستر عن الغنى الفاحش الذي تمتع به الوزراء، والأمراء  
في الدولة الفاطمية. فقد قدر المؤرخون ثروة الوزير يعقوب ابن كلس من  
أملكه، وضياع، وقيسر، ورياح، وورق، وأول ذخيرة، وقصبة، وشباب،  
ولرش، وجوهر، وعقير بأربعة ملايين دينار. (٢)

كذلك عندما تبص الخليفة العزيز بالله على الوزير عير بن  
سغورم، فقد شغفت له بيت الملك فأعاده إلى عمله بعد أن حمل إلى  
خزينة الدولة ٢٠٠.٠٠٠ دينار. (٣) هكذا كان الوزراء وكذلك القطبماء  
يستملون إشراقهم على المسائل المالية فيقتلوا الأموال، والأملك، لذلك  
كانت مصادرة الخلفاء لهؤلاء الوزراء، والأقطاء مصدراً آخر من مصادر  
الدولة تلجأ إليه في بعض الأحيان الأخرى.

(٤) ضريبة الموارث.

فلم يترك الفاطميون مصدراً من مصادر المال إلا وقد تعرضوا  
له، حتى أنهم فرصوا ضريبة الموارث، التي قد اعترض عليها جوهر  
العتيلي منذ دخوله مصر، ووعد المصريين بإسقاطها؛ لأنها تؤخذ دون  
استحقاق لخزينة الدولة، حيث كانت الدولة الإخشيدية تقوم بفرض هذه  
الضريبة على أموال من يموت ولم يترك له وريثاً من عصبه، أو على ما  
يبقى بعد إعطاء كل ذي سهم من الورثة سهمه. (٥) وقد أطلق على هذه  
الضريبة 'ضريبة الإرث' وهي ضريبة غير شرعية أيضاً. (٦)

(١) ابن ممتي : قوانين الدوليين، ص٢٩٨ - ٣٠٠.

(٢) ابن خلدون : أخبار الدول، ص١٠٩، المقريزي : الخطط، ج٢، ص٢٠٠، ابن  
نعمان : تاريخ، ج٤، ص١١٦.

(٣) البرقي : نهاية الأربع، ج٢٦، ص٤٦، ٤٩.

(٤) راشد البرقي : المرجع السابق، ص١٢٤.

(٥) ابن ممتي : قوانين الدوليين ص٣١٩، ٣٢٥؛ القوي : نولمة الأرب، ج٢٨،  
ص٣٢٥؛ القلقلندي : صبح الأضنى، ج٢، ص٤٦٤؛ المقريزي : الخطط

الصفا، ج٢، ص٢٤٤؛ راشد البرقي : حالة مصر الاقتصادية، ص٣٥٠.

(٦) ابن حنبل : أخبار بني عير، ص٥١؛ ابن الطوير : نزهة العقير، ص١٩٢؛ آدم  
مقر : الحضرة الإسلامية، ج١، ص١٩٥.

غير أن الدولة الفاطمية لم تلتزم بما قد وعظت به، وأعانت  
تحصيل تلك الضريبة، وكان جوهر الصقلي نفسه ممن اعترض على هذه  
الضريبة، وكان ذلك في وقت مبكر من عمر الدولة الفاطمية، هي خلافة  
الطاهر لدين الله الفاطمي، حصنت الدولة على تلك تركة إحدى الميراثات  
الثلاثي تمت بصلة قرابة لجوهر، وكان ذلك بحجة أن جوهر كان عبداً  
للمسلطان. (١)

كذلك فقد تضمن لسان جوهر بأن تكون الموارث على كتاب الله  
ومنة نبيه (ﷺ)، ولكن جوهر ومن جاء بعده من الخلفاء قد أخذوا بذلك  
أيضاً، ولزموا المصريين على اتباع المذهب الشيعي الفاطمي في  
الميراث. (٢) على الرغم من الاختلاف الواضح في تنفيذ الميراث بين أهل  
السنة، وأهل الشيعة. إلا أن القضاء وكذلك الشهود قد أُجبروا على سد ملي  
الفصل في القضايا الخاصة بالموارث مع الفاطميين تبعاً لمذهبهم، حتى  
ولو كان القاضي سنياً في بعض الأحيان. (٣)

وعلى الرغم من ذلك فلم يستطع الفاطميون الحفاظ على ذلك  
طوال عهدهم، فقد تراجعت الدولة في ظل حاجتها إلى الأموال عن هذا  
المبدأ، وأقر الوزير بدر الجمالي - رغم تشييعه الشديد - نظاماً جديداً،  
يقوم على أن كل من مات يعمل في ميراثه على حكم مذهبه، وليس مذهب  
أهل الشيعة (٤)، وقد أدى ذلك إلى أن تكون الكثير من الأموال المدفوعة  
بالموارث إلى الدولة، وذلك من أموال القتل، وربع العشر أو صريفة  
للتركات (٥)، مما أدى إلى حاجة الدولة إلى ديون لجمع تلك الأموال  
ولاسيما في أيام الحاجات التي توفي على خزانة الكثير من أهل  
مصر (٦)، فكان ديوان الموارث المشربة. (٧)

(١) المسبحي : أخبار مصر، ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) المقريزي : المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٩.

(٣) المصدر : أيام إمام الدولة الفاطمية، ص ٥٤ - ٥٤٦.

(٤) المقريزي : المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٩.

(٥) نفسه، ص ٨٩، ٩١ تاريخ ابن عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٥٨.

(٦) رشيد البربري : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٥.

(٧) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٨٣، ٨٤ الفقهاني : صبح الأضنى، ج ٢،

وإن كان الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي قد اتبع سياسة متغيرة  
 لسياسة أبيه، وأخذ مال المواريت، ولم يمنع أحد شيء من التركات،<sup>(١)</sup>  
 فإن بعض الناس قد تحابلوا على مثل هذه الصرافة، وتهربوا من أرائهم،  
 فعسروا إلى التنازل مما يمكن من عتار ثابت أو أموال متقولة، بمختلف  
 الطرق المبروعة التي تضمن لهم بقاءها دون فرض ضرائب عليها، وبذلك  
 بطر، لأن ديوان المواريت الخيرية، كان يهمل أموال الخشدين التي لهم  
 لدى أفراد متفرقين في أقاليم الديار المصرية بحجة استحالة تحصيلها،  
 وبذلك لا تكون هذه الأموال إلى الديوان.<sup>(٢)</sup>

كذلك كن المال بالنسبة لأموال الأقباس<sup>(٣)</sup> - الأوقاف - التي  
 كانت تخصص على المصالح الخيرية وطوائف المستضعفين، وكان لا  
 دخل للدولة بها، حيث كان يتولاها ناظر الأوقاف حسب شروط الوصف<sup>(٤)</sup>،  
 غير أن الدولة الفاطمية قد أقرت لها ديواناً خاصاً عرف بـ "ديوان  
 الأقباس"<sup>(٥)</sup> وأمر الممّن الذين ائتمن أصعاب تلك الأوقاف إحصاء  
 للمواثيق لإثبات أحقيتهم في ريعها، وكان ذلك في سنة ٣٦٢هـ / ٩٧٤م،  
 كما أمر بحمل مال الأقباس من مودع الحكم إلى بيت المال، فأصبح بيت  
 المال منذ ذلك الوقت نصيب من مال الأقباس، هذا الأمر الذي لم يكن  
 موجوداً من قبل، وأصبحت أموال الأقباس تمثل مصدرًا من مصادر  
 الدولة المالية.<sup>(٦)</sup>

ص ٤٩٢.

(١) ابن ميسر، المصدر السابق، ص ٥٩؛ رشيد البروي، المرجع السابق،

ص ١٣٥١؛ تاريمان عبد الكريم: مصر الإسلامية، ص ١٥٨ - ١٥٩.

(٢) أمين فؤاد سيد: الدولة الفاطمية، ص ٥٤٣.

(٣) أمين فؤاد سيد: المرجع السابق، ص ٥٤٣؛ رشيد البروي: المرجع السابق،

ص ٣٥١.

(٤) رشيد البروي: المرجع السابق، ص ٣٥١.

(٥) المعري الصطفي ج ١، ص ١٢٩٥؛ أمين فؤاد سيد: المرجع السابق،

ص ٥٤٣.

(٦) أمين فؤاد سيد: المرجع السابق، ص ٥٤٣؛ تاريمان عبد الكريم: المرجع

السابق، ص ١٦٦.



كانت الدولة تقوم بصرف هذه الأموال على مساجد مصر؛ بذلك فقد أمر الختكم بأمر الله بصصر "المساجد" مواء التي ليس لها وقف، أو التي يكتفيها ريع ما يخرج مما هو مقرر لها<sup>(١)</sup>، وقد بلغت هذه المساجد ثمانمائة وثلاثين مسجداً، قدر لها نفقة شهرية قيمتها ٩٢٢٠ درهماً، مواقع اثني عشر درهماً لكل مسجد، وبذلك صنعت الدولة مصدراً ثابتاً بصرف على المساجد.<sup>(٢)</sup>

ولما كانت الدولة لا تستطيع للتدخل في إيطسار أو حل تلك الأوقاف، فقد شاعت ظاهرة الأحباس (الأهلية)<sup>(٣)</sup>، كنوع من أنواع "الشهرب الضريبي" من الدولة، فتحوّلت الأحباس لتحورية التي تولد على فقر الناس ومحتاجيهم، إلى أوقاف أهلية، يوقفها بعض كبار رجال الدولة على ذويهم وأقاربهم.

فقد أوقف أمير الجيوش بدر الجمالي حبساً على عقبه رقبت وزارته، ضمن عدد من التواحي عرفت بـ"الحبس الجيوش" بعضها في البر الشرقي، وبعضها في البر الغربي جهة الجزيرة، وقد ظلت جميع البساتين المختصة بهذا الحبس بأيدي ورثة أمير الجيوش، حتى انقضى عقبه ولم يبق منه سوى امرأته، فأنقضى لفتناء بطلان هذا الحبس، فصار ماله إلى بيت المال لينفق في مصالح المسلمين.<sup>(٤)</sup>

أما الوزير طلائع بن رزبك فقد وصل من تسلطه ومسيطرته على الخليفة أن أجبره على منحه أرضاً من أراضي مصر؛ ليحطه ولتأ (برحمه ريعه) بحجة أنه لأهل الخير، وقد اضطر الخليفة لفكز بطاعته ابن رزبك، فأعطاه الأرض التي أصبحت وفقاً لابن رزبك، وكتب به حجة تثبت حقه فيها.<sup>(٥)</sup>

(١) المقرري : قباط الحفظ، ج ١، ص ١٤٨.

(٢) المقرري : قباط الحفظ، ج ٢، ص ٩٦؛ لؤس فولد مسجد : الدولة الباطمية، ص ٥٤٥.

(٣) تاريخ ابن عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٦٦.

(٤) ابن مماتي : قوانين الدوليين، ص ٣٣٩ - ٣٣٩، المقرري : الخطط، ج ١، ص ١١٠؛ رشيد البرلوي : حلة مصر، ص ٣٥١؛ لؤس فولد سيد : المرجع السابق، ص ٥٤٦.

(٥) وهي أقدم وثيقة تمتلكها دار الوثائق القومية، تحمل رقم (١) في مجموعته حجج

هكذا قد حرص الثعاطميون الضرائب على احتلاكها على كل شيء، ولستعملوا ضرائب لم تكن موجودة من قبل حتى صار كل شيء يحصع للضريبة.<sup>(١)</sup> وقد بدلت هذه الضرائب مع بداية الدولة الفاطمية، ثم أخذت في الزيادة يوماً بعد يوم مع زيادة الحاجة إلى أموال، ولاسيما في أوقات الأزمات، وقلة الحراج<sup>(٢)</sup>، ويعلل ابن حنبل ذلك، ويرجعه إلى ثوب الدولة، وبدخها، ورغبتها في الإنفاق على الحفلات، والمواكب؛ مما جعل في حاجة دائمة إلى الأموال ففرضت العديد من الضرائب، وجعلت لها قدرًا معلومًا.<sup>(٣)</sup>

كما جعلت لها نظامًا خاصًا وهو نظام الضمان، على الرغم مما كان يسببه هذا النظام من ظلم للمصريين الذين دفعوا مرار تلك الضرائب، وظلم الضمان.

ولم تكن تلك الضرائب غير المباشرة في صالح الاقتصاد القومي، ولاسيما المستهلكين حيث أدت إلى ارتفاع تكاليف الإنتاج، وأسعار السلع تبعًا لذلك، كما كانت عبءًا في طريق نشاط التجارة الداخلية.<sup>(٤)</sup> وكذلك أرفقت الشعب المصري المغلوب على أمره، ومساهمت في الفساد السياسي والاجتماعي، والإثروي.<sup>(٥)</sup>

#### (ج) ضرائب متفرقة

كما كان هناك العديد من الضرائب التي فرضت على التجارة الدخيلة أحيانًا، فكانت الدولة تفرض ضرائب على عبور السلع على القناطر، والمجديات.<sup>(٦)</sup> كما كانت تفرض الضرائب على السلع ذاتها، مثل ما كان يفرض على حقول الساجل أو الغلة، وهي صريفة مقررّة على

---

الأمراء والسلاطين، وهي عبارة عن وصف للعين المبيعة والمصرف فيها وطبها لحكم وفوقهات القاضي الذي أجرى تسجيلها. ملحق رقم (٢)

(١) المقرري : الخطط، ج ١، ص ٨٩.

(٢) أحمد الصلوي : مجامع مصر، ص ١٤٣.

(٣) ابن حنبل : المقام، ج ٢، ص ٢٨٠؛ المقرري : الخطط، ج ١، ص ٤٧٠.

(٤) راشد القراوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٤.

(٥) المقرري : المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٥.

(٦) نصر، ص ١٠٤.

لتمنع المعجولوب إلى ماحل القاهرة، والنصطط<sup>(١)</sup>، كذلك فرضت مصر انب على كل ما يباع، وما يشتري. كما كانت الدولة تفرض ضرائب على لأسواق المتخصصة، مثل سوق السكر، والتقيق، والجسمال، والواب، والسك، والذبح، وغيرها.<sup>(٢)</sup> بالإضافة إلى الحوائت التي كانت بجرها الدولة في تلك الأسواق، التي كانت ملكاً للدولة.<sup>(٣)</sup>

وقد تجولت المكوس التجارة الداخلية، والخارجية، فرفضت الدولة الإسلامية على الحجيج في البحر الأحمر إلى مكة عن طريق عذاب، وكانت تقدر بسبعة دنانير، ونصف لكل حاج.<sup>(٤)</sup> وكان يمنع من الحج من لم يؤد هذه الضريبة.<sup>(٥)</sup> إلى جانب ما يدفعون عن كل حمل طعام من ضريبة معلومة.

كذلك فرضت هذه الضرائب على مياه شرب مياه النيل<sup>(٦)</sup>، وكذلك وكذلك على من يخرق في النيل، يدفع أهله مقابل إخراجهم من النيل، حتى ولو ألقاه النيل على شاطئه، كان متولي الصناعة يرفض تسليم الجسمان لأهله إلا يدفع واجب الصناعة الذي قدر بدنانيرين وقنطارين حق غرائه في قنيل.<sup>(٧)</sup>

لم يترك الفاطميون فرصة لزيادة مواردهم (إلا ولاتهرودا، حتى أن المأمون البطاحي بنى داراً واسمها ليعرج الناس منها عند كر السد<sup>(٨)</sup> بخليج القاهرة، وذلك بالكراء وكان ذلك برسم معلوم.<sup>(٩)</sup>

(١) بن جبير : رحلة بن جبير ، ج ١، ص ١٢٤.

(٢) المفريزي : المصدر السابق، ص ١٠٤.

(٣) بن جبير : المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٤.

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٨٣ : القنطاري : صبح الأعشى، ج ٣،

ص ٣٩١، ماريان عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٥٠.

(٥) بن جبير : رحلة بن جبير، ص ٧٤ : القنطاري : صبح الأعشى، ج ٣،

ص ٣٩١.

(٦) ابن جبير : المصدر السابق، ص ٥٥.

(٧) المسجي : أخبار مصر، ص ٦٠.

(٨) نفسه.

(٩) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٦٤.

إلى جانب ذلك فقد كان هناك عدة ضرائب فاضية لم تكن معروفة في الدولة الإسلامية التي سبقتها، فرصتها للدولة على الرعية، تذكر منها، ضريبة الجوى، وهي ضريبة الدعوة التي يدفعها أتباع المذهب (إسماعيلي، ومقدارها ثلاث دراهم، ونصف، تجمع من المؤمنين بالقاهرة ومصر، وأعمالها، ولاسيما الصعيد<sup>(١)</sup>، وكان اعتياد الشيعة بدفعها ثلاثة وثلاثين درهماً.<sup>(٢)</sup> كذلك فرضت عليهم الفطرة، وكسفت دفع في عيد الفطر<sup>(٣)</sup>، كما كانت هذه الضرائب فرضاً ولجئاً على كل شعبي الأقرام بها، وكانت الدولة تحصل منها على الكثير من الأموال، وعلى الرغم من سوء الأحوال الاقتصادية، فإن الحاكم بأمر الله دعى إلى إعطال هاتين الضريبتين في عام ٤٠٠هـ / ١٠١٠م؛ إلا أنه مرّحاً ما أعادها في العام نفسه.<sup>(٤)</sup>

وكذلك ضريبة الهجرة، ومقدارها دينار عن أدراك من النساء، والرجال، و"البهائم" وهي اختيارية يدفعها القادرون، ومقدارها سبعة دنانير، و"الألفة" وتجمع أموالها في موضع واحد ويكون فيه أسرة واحدة، أي يدفع كل منهم مبلغاً محدداً من المال.<sup>(٥)</sup>

وعلى الرغم من أن الزكاة كانت من الضرائب الشرعية التي فرضت على المسلمين (السنة والشيعة معاً) التي تركت الناس ليسدعوها إلى مستحقها دون تدخل الدولة<sup>(٦)</sup>، وكانت مدة معلومة ومقدرة غلب لم تأت بمال كثير، وعلى الرغم من ذلك فقد تعاليل القاطمون على هذا

(١) المغربي : الخطوط ج ١، ص ٣٩١؛ عبد المنعم ماجد : سجلات المستصرية،

المستصرية، سجل رقم (٢)، (٢٢)؛ ص ٣٢ - ٣٤، ٨٢ - ٨٥ تاريخ عبد

الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٥٦.

(٢) المغربي : الخطوط ج ١، ص ٣٩١.

(٣) نقاصي النصارى . أهمية في أدب اتباع الأئمة، تحقيق كمال حسين، ج ١، ص ٧،

ص ٧، عبد المنعم ماجد : نظم القاطمين ورسومهم، ج ١، ص ١١٦ تاريخ

عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٥٦.

(٤) المغربي : المصدر السابق، ص ٢٨٧.

(٥) أحمد الصلوي : مجامع مصر، ص ١٤٥.

(٦) المنوردي : الأحكام السلطانية، ص ١١٣.

لأمر، وعمدوا إلى جبايتها من التجار على أنها رسوم جمركية،  
 يفرصونها على المسلمين من التجار، ومن هنا نشأت فكرة أن التجار  
 يستطيع أن يطوف عامًا كاملًا أينما شاء في حدود البلاد معفي من التمسك  
 مرة واحدة، وهو العشر. (١)

لم تكف الدولة الفاطمية بفرص الضرائب الشرعية، وغير  
 الشرعية، لمد حاجتها من الأموال، والإنفاق على ملذاتها، فلما لجأ الخلفاء  
 الفاطميين إلى وسيلة أخرى ضمنت لهم وجود الأموال من حين لآخر،  
 كما ضمنت لهم أيضًا ولاء عيالهم، وكذلك كبح جماحهم، فلجأت إلى ما  
 عرف بالمصادرة. (٢)

## [٢] المصادرات

جرت عادة بعض الخلفاء الفاطميين على مصادرة ثروات مس  
 بسطون عليهم من الأمراء والوزراء، وكبار رجال الدولة، بل كثيرًا ما  
 كانوا يستولون على أملاكهم بعد موتهم أو قتلهم، حتى أصبح ذلك مصدرًا  
 مهمًا من مصادر الدولة تلجأ إليه في بعض الأمور، ولاسيما وقت تنافس

(١) ادم مقل، الحضارة الإسلامية، ج ١، ص ١٢٠٥، هشام عبد القادر عبده عطية :  
 إقليم الحوض الغربي (البحيرة حاليًا) في العصر الفاطمي، دراسة حضارية لسي  
 للفترة من ٣٥٨ - ٥١٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م، رسالة ماجستير غير منشورة،  
 إشراف د/ أحمد إسماعيل جميل، أد / علي أحمد السيد، جامعة الإسكندرية،  
 فرع فقه، كلية الأدب، ص ٢١٤.

(٢) المصادرة : تعد مصادرة أموال وممتلكات كبار رجال الدولة في أعقاب عرهم  
 أو شخص منهم موردًا من موارد الدولة غير المنتظمة، وقد عرفت المصادرات  
 في مصر قبل العصر الفاطمي، فقد اتهم الأقباطيون من قبل، وربما عد مسا  
 أشار إليه جوهري الصقلي في أمته الذي أصطفا للمصريين، كذلك عرفه  
 قبطيون في بغداد وأشكروا له ديوانًا مخصصًا عرف بـ"ديوان المصادرات"  
 كالي مسؤول عن إدارة الأملاك التي يتم مصادرتها راجع : ابن سيد أعيى بن  
 سعيد المغربي : المغرب في حكي المغرب، القسم الخاص بالفاطميين تحقيق  
 دكي محمد حسن، بنة إسماعيل كتف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد الأول،  
 ١٩٥٣م، ص ١٦٥، ١٨٧ : ألوم فؤاد سيد : الدولة الفاطمية في مصر،  
 ص ٢٣٧، عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع  
 الهجري، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م، ص ٢٥٨ - ٢٥٩، أم منز المرجع  
 السابق، ص ١٣٦، فريمان عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٩٤

الإيرادات والحاجة إلى الأموال<sup>(١)</sup>، ولكن ما لبث حتى شغل العثماني،  
والخاصة على السواء دون التفرقة بين غني، وفقير .

وكان للوزير يعقوب بن كلس، أول من تمت مصائرته مع  
القاضيين، فعندما عزله للخليفة العزيز بالله من منصبه في ثلث شوال  
سنة ٣٧٣هـ / ١٨ مارس سنة ٩٨٤م، واعتقله، حمل من ماله خمسمائة  
ألف دينار، ولكنه لم يلبث أن أفرج عنه وعاد إلى منصبه في العام التالي  
(٢) كما صودرت أملاك عمر بن الجدار، عندما اتهمه الخليفة العزيز بالله  
بتدبير أموال الدولة<sup>(٣)</sup>، كذلك عندما قبض على عيسى بن نسطورس، لم  
يعد إلى عمله إلا بعد أن حمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار<sup>(٤)</sup>.

وعلى الرغم من أن الأتراك قد شهد براءة يد الحاكم بأمر الله  
من مد يده إلى مصادر الأموال<sup>(٥)</sup>، فإن ذلك على ما يبدو كان في الفترة  
الأولى من حياة الحاكم بأمر الله أي قبل تخلصه من لوصيائه، فقد انقلب  
الحكم بأمر الله على معاونيه، وتخلص من أغلبهم بالقتل، وأخذ في  
مصادرة أموال الناس، فصادر الصفي بن جهر، والقاضي عبد العزيز  
بن العمالي، عام ٤٠٠هـ / ١٠١٠م. (٦) كما صدرت للكتاب من مسلمين،  
ولنصارى، وطالبهم بحسب ما كانوا يتولونه من مصادر أموالهم. (٧)

(١) راشد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٥٦، ٣٥٧ ناريمان عبد الكريم :  
مصر الإسلامية، ص ١٩٣، ١٩٤.

(٢) قنبري : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٥٩ ناريمان عبد الكريم : المرجع السابق،  
ص ١٩٣.

(٣) ابن الصيرفي : الإشراف، ص ٢٤ ناريمان عبد الكريم، المرجع السابق،  
ص ١٩٤.

(٤) ابن طاهر ، أخبار الدول، ص ٤١ ناريمان عبد الكريم، المرجع السابق،  
ص ١٩٤ راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٥٢ - ٣٥٧.

(٥) الأتراك : تاريخ الأتراك، ص ٢٠٦.

(٦) لافندي : صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٣ القمري : تعالط الخلفاء، ج ٢،  
ص ٨١ ناريمان عبد الكريم : دراسات في تاريخ مصر، ص ١٩٩ بين مؤاد  
ميد : الدولة الفاطمية، ص ٥٣٨.

(٧) سوريوس بن المقفع : سير البيعة الفاطمية، ج ٣، ص ٧٠ - ٧١ ناريمان عبد  
الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٩ راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٥٧.

وقد كثر الحاكم بأمر الله من مصاندة رجال الدولة، وكذلك فقد امتدت يده إلى أملاك بعض أفراد الأسرة الحاكمة، فقبض على منائر عفار والدته، وأخته، وحرمه، وعصاته، وخولاصه من النساء، وأملاكهم، وسائر أقطاعهم من الأراضي والحصانات بمصر، والقاهرة.<sup>(١)</sup> ولما بنت سياسة الاضطهاد نحو أهل القنطرة، فقد امتدت يده إلى أملاكهم وأموالهم فاستولى على أوقاف الكتائب في الديار الحثينة، والضميقة.<sup>(٢)</sup> وقد اضطرت الحاكم بأمر الله لحام كثرة المصادرات إلى إحداث ديوان جديد سماه "الديوان المفرد" يرسم من يفيض ماله من المقتولين، وغيرهم.<sup>(٣)</sup>

والثابت أن معظم هذه المصادرات كانت بدون وجه حق، ولو كانت هذه المصادرات على الأموال السلوية من قبل الخلفاء وبطش الولاة لعل شأن القاطمية بسبب تحصيلها، ولكنها أصابت الجميع دور نفقة طالما أنه لم يمد على وفاق مع الخلفاء القاطميين. وهذا الأمر بدوره أفسد الحياة الاقتصادية، وكان له أثره السيئ سياسيًا، واجتماعيًا، وإداريًا.

كذلك نجد أن السياسة القاسية التي تتبعها الحاكم بأمر الله في الانتقام من أهل مصر أدت إلى هلاك الجند من السودانيين الذين قاموا بسبب أموال الرعية، وفتح نورهم، ومحاربتهم، وأخذ أمتعتهم، كما قاموا بفتح الذكاكين، ونهبوا ما فيها، وتحتلوا إلى الأموال، وأخذوا ما نورد منها، وأفسدوا بقية ما فيها.<sup>(٤)</sup>

وعلى الرغم من اختلاف موقف المؤرخين من هذه المصادرات، فإن استمرارها بعده يوضح رغبة القاطميين في السيطرة على الأغنياء،

(١) الأملاني، تاريخ الأملاك، ص ١٩٤، ١٩٥.

(٢) نفسه، ص ١٩٣ المقرئ: الخط، ج ٢، ص ٤٩٥ تاريخ عبد الكريم مصر الإسلامية، ص ١٩٤ راشد البراوي: حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٥٢.

(٣) القنطري: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٥٣ المقرئ: قطب الحداد، ج ٢، ص ١٨١ أمين فؤاد: الدولة القاطمية، ص ٥٣٨ تاريخ عبد الكريم مرجع السابق، ص ١٩٤.

(٤) المقرئ: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١٩٣ المقرئ: الخط، ج ٢، ص ١٠٢ ص ٤١-٢ ابن تقي بري: التجوم، ج ٤، ص ١٨١.

والسيطرة على أموال مصر سواء من كبار رجال الدولة أو من رعيته بشكل مستمر.

في خلافة الظاهر لدين الله النبطي، وعندما وقع الغلاء عام ٤١٥هـ / ١٠٢٢م<sup>(١)</sup>، تعرضت البلاد للسلب والنهب، والمصادرات، وعانت الجند ضللاً في الأرض، يصدرون ما يجدونه أمامهم حتى استقل طائفة من التجار، واليزييين، وجماعة أخرى ممن تسكن بساحل الصعيد، والوجه البحري إلى وسط البلد خوفاً من النهب، والسلب، كما اضطرت الناس لنقل رعايلهم، وأموالهم من القياصر، والحواليات بمصر إلى منازلهم، وأخذوا يكتفونهم من أمتعتهم خوفاً من وقوع ضربة، أو نهب<sup>(٢)</sup>. هذا الأمر الذي أدى إلى انهيار اقتصاد مصر في ذلك الوقت.

كذلك تعرض المصريون للسلب والنهب، والمصادرة خلال فترة الجند أيام المستنصر بالله الفاطمي<sup>(٣)</sup>.

وقد قام الوزراء أيضاً بالمصادرات، فيذكر كل من : ابن الصيرفي وابن ميسر أن الوزير أبا البركات الحسين بن محمد الجرجاني ٤٣٩ - ٤٤١هـ / ١٠٤٧ - ١٠٤٩م ذكر في أولامه النبط، والمصادرات، واحتفاظ الأموال، والنفق<sup>(٤)</sup>. ومنذ العصر الفاطمي الثاني، شكلت المصادرات جزءاً مهماً من مصادر الدولة المالية، في أعقاب الشدة المستمرة قام الوزير بدر الجمالي بمصادرة أموال القادة، والأكراد وإداعيا في ميوان منفرد<sup>(٥)</sup>. ولعل هذا كان سبباً من أسباب إنقاذ الخلافة من كوارثها الاقتصادية المتلاحقة في ذلك الوقت<sup>(٦)</sup>.

(١) المقريزي : المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٥.

(٢) قسيمي : أخبار مصر، ص ٢٠٠؛ المقريزي : الخطط ج ٢، ص ٢٥١، ٢٥٥.

(٣) للمقريزي : الخطط، ج ١، ص ١٣٧؛ قسيمي : الخطط، ج ٢، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

ومنت الأجداد إلى النهب فخرج الأمر عن الحد، ولتلك خوف الناس بمصر.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٨٣.

(٥) ابن قسيمي : الإشارة، ص ٧٢؛ ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٦٠؛ المقريزي

، قسيمي : الخطط، ج ٢، ص ٢٠٨.

(٦) المقريزي : الخطط ج ٢، ص ٢٨٧؛ أحمد الصولي : مجاهد مصر،

ص ١٤٤.



وعلى ما يبدو أن الوزير بدر الجمالي كان قد عقد سياسته على المصانير، فحتما وقع الفساد بينه وبين ولاة الأوج الذي فر إلى الإسكندرية، استطاع بدر الجمالي محاصرتهم في أواخر عام ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م، وقد عمل بدر الجمالي في هذه الأثناء على إعدة بدء جمع العتارين بالإسكندرية من مال، وأمالك المصنرات، التي أحدها من السكندريين.<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من ذلك فقد أقر المؤرخون أن الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالي، وخلقته لم يصادر أحد في زمانه، سواء من رجال الدولة أو من الرعية.<sup>(٢)</sup>

وقد عمل الأمر بأحكام الله الفاطمي - الذي عرف بسوء السيرة، وكثرة انتطامر، واللهو، واللعب - على قتل الأفضل شاهنشاه، الذي حذر عليه، ومنعه من بلوغ شهوته في الظلم، والحصان<sup>(٣)</sup>؛ لذلك شهدت حالة الأمر بأحكام الله العديد من المصانير، بدأها بوزيره المأمون البطائحي، وأخيه المؤمن بن قاتك، وهما بالقصد، فصادر نورهما بعد أن قبض عليهما.<sup>(٤)</sup>

وبعد أن تخلص الخليفة الأمر بأحكام الله من المأمون البطائحي، تفرغ للهوى، واستعان بالراهب المعروف بأبي نجاح بن قناء، فكثر المصانير على يده، فصادر قوماً من النصارى، وأخذ منهم مائة ألف دينار<sup>(٥)</sup>، كما تجاوز إلى المال، والقضاء، والكتائب، والشهود، وكذلك

(١) ابن ظافر : أخبار الدول، ص ٧٧، ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٤١ المفريري : أتمام الحقائق، ج ٢، ص ٢٠٨، ترويض عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٩٩.

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٨٣، ترويض عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٦، أمين فؤاد السيد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ٥٢٨.

(٣) ابن ظافر : أخبار الدول، ص ٨٨، ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٧٣ المفريري : الخطط، ج ٢، ص ٢٩١، أحمد مختار العبادي : في التاريخ الممسي والفاطمي، ص ٣٠٨، ترويض عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٩٦.

(٤) ابن ظافر : المصدر السابق، ص ٨٨، ترويض عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٥) المفريري : الخطط، ج ٢، ص ٢٩١، ترويض عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٦.

عامة الناس، والموقفة<sup>(١)</sup>، حتى إنه لم يبق أحد في زمانه إلا وداه منه مخروء من ضرب، ونهب، ومصادرة أموال<sup>(٢)</sup>، وقيل إن الذي حصل عساه من أملاك المسلمين ٢٧٢.٠٠٠ در، وحنوت، وأرض يعطى للدولة. <sup>(٣)</sup> كانت السبيشة فتى اتبعها فرأى نوحاً سبيّاً في جمع لأمير بحكام الله إلى قتله سنة ٥٧٢هـ / ١١٧٩م، وكان ذلك لإصاة خيرة المصريين الذين نالهم ظلمه، وتعصفه، وقساوته<sup>(٤)</sup>، كما كتب السوسنة بحسبه هي السبب الأساسي لمقتل الخليفة الأمر به عام ٥٧٤هـ - ٥٧٥هـ ١١٣٠م<sup>(٥)</sup>، وبعد قتله لم يتنازع أبو علي أحمد بن الأخصب بعد تربيته الوزارة بل يرد إلى المصانير ما أخت منهم، فعدّ أسلاكاً كثيرة إلى أربابها. <sup>(٦)</sup>

ونمل ما فعله الوزير المتعاون البطاحي من حسن سيره في الرعاية، وما فعله وزير أبو علي أحمد بن الأخصب، لحير دليلاً على أن سوء الأحوال الاقتصادية لم يكن وحده هو الدافع وراء مصادرة الخلفاء، والوزراء لأموال الناس، بل كانت السياسة الفاسدة، وكذلك الأمراض الاجتماعية، ولهم شهوة إلى ثمال سبياً آخر في ذلك الأمر.

ومع عصر الوزراء القضاة، كان طبيعياً أن نسمع عن جور وعسف هؤلاء، فابن السائر، الذي ورر للخليفة تظافر لأمر الله (٤٤٠هـ / ١٠٥٠م) ذكرت عنه بعض المصنر<sup>(٧)</sup> : أنه كان ذا سيرة جائرة، وسيطرة لاطعة، دون أن تشير صراحة إلى قيامه بالمصادرات، وإن كان يهتم صنفياً بممارسته لتلك السياسة. <sup>(٨)</sup>

(١) ابن ظفر، المصدر السابق، ص ٨٨؛ ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٠٨.

الدويري : نهاية الأثر، ج ٢٨، ص ٢٩٢ - ٢٩٣؛ المقريري : تماثل الخلفاء،

ج ١، ص ١٢٥؛ تاريخ ابن عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٨٩؛ أمين قواعد سيد الدولة العثمانية،

ص ١٥٣؛ تاريخ ابن عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٣) المقريري : الخطوط، ج ٢، ص ٢٦١؛ رشيد البرلوي : حلقه بمرر الاقتصادية،

ص ٣٥٢، ٣٦٨.

(٤) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١١٧.

(٥) ابن ظفر : المصدر السابق، ص ٨٩.

(٦) المقريري : المصدر السابق، ص ٢٩١؛ Oman op. cit., p. 20.

(٧) ابن ظفر، أخبار الدول، ص ١٠٣.

(٨) نفسه، ص ١١١.

وقد عانى الشعب المصري من تلك الأفعال حتى عمل الحبيبة الحافظ على استرضائهم فعمل على إرجاع ما أخذ من أموال بعضهم .  
كما كان الوزير طلائع بن رزيق تشد الناس تعلقاً إلى ما في أيدي الناس من أموال، فقام بمصادرة الكثيرين من رجال الدولة، وكسك رعاياها، حتى إنه أنفى دوي الأراء والعزم، وتعرض إلى أقولم لم يكن بينهم وبينه معاملة ولا سبب يوجب التعرض. (٢) كذلك فمعرض الأموال على المستعدين بالدولة والأمراء، وباع ولايت الأفعال بالمسار ممررة، وجعل كل متول سنة كسور؛ مما أدى إلى انتشار الرشوة، والإتار التي عرفت بـ "البزطة". (٣)

ظلت سياسة المصادرة طيلة عصر الدولة الفاطمية، حتى إن صلاح الدين الأيوبي الذي وُزر للخليفة العاضد عام ٥٦٦هـ / ١١٦٩م، قام بمصادرة جزء من الأرض المزروعة حوالي ثلاثين فدانا كانت ملك لدير دهب بالجيزة، والتي قد منحت للزهاد من قبل الخليفة (الأمر بأحكام بشكل دائم). (٤) هكذا استمرت سياسة المصادرات بشكل متكرر حتى أواخر الدولة الفاطمية في مصر.

ولم يكن الفاطميون يحدون في تلك السياسة عداضة مادامت تحقق لهم ما أرادوا من أموال، بغض النظر عما يعانيه الشعب من سوء، وظلم، كذلك لم تكن تلك السياسة جديدة عليهم في مصر، فقد اتجهوا في بلاد المغرب من قبل، ووجدوا ما يبررها حيث قال القاضي العبد "إن لأكمة الحق في امتحان الناس في أموالهم بأخذها منهم بدون سبب". (٥)

(١) ابن ميسر . أخبار مصر، ص١١٧؛ أمين فؤاد سيد : فتونة الفاطمية في مصر، ص٥٣٨.

(٢) ابن طاهر : المصدر السابق، ص١١١؛ المقريزي : إحصاء القضاة، ج٣، ص٢٤٤.

(٣) المقريزي : إحصاء، ج١، ص١١١، ج٢، ص٢٩٤؛ فريمان عبد الكريم . مصر الإسلامية، ص١٩٧.

(٤) تاريخ عبد الكريم، المرجع السابق، ص١٩٧.

(٥) القاضي العبدان : المجالس والمسابقات، ج١، ص٢٣٠ - ٢٣٤؛ فريمان عبد الكريم : المرجع السابق، ص١٩٢.

وشمة ظل آخر قد حدث نتيجة لتلك السياسة الفاسدة حيث أنت تلك  
 السياسة بالإضافة إلى سوء الأحوال الاقتصادية، وكثرة التفتت، والتمردات،  
 إلى اضطراب الناس، وكثرة السلب، والتهب، ولاسيما من الجند، وكذلك  
 ظهور قطاع الطرق، والسارقين، مما اضطر الدولة إلى صرف المزيد  
 من أموالها لاستقرار الأمن داخل الدولة؛ مما يوضح سوء تصرف القادة  
 في الأزمات المختلفة.

وإن كل هذا هو مبرر الدولة الفاطمية في أخذ أموال الناس بحق،  
 أو بدون حق، لاحتياجهم في أموالهم، فلماذا لم يشتمل هذا الاحتياز كبار  
 التجار منهم، على الرغم مما حققه هؤلاء التجار من أموال، ولزوات  
 نفوذ العد، ولماذا علت مكائهم وشعروا بالألم، والألم دون غيرهم،  
 حتى إنهم كانوا يتركون نكائهم دون أن يعاقبوا، ويكتفون بسدال  
 الستائر عليها ولم يكن أحد يجرؤ أن يمد يده إلى شيء منها. (١)

وحتى في أوقات الأزمات الشديدة، والمجاعات، فلم يكن مسين  
 للسبل على الدولة مصادرة هؤلاء التجار، فعندما حدثت مجاعة شديدة  
 سنة (٤١٥ هـ / ١٠٢٤ م)، ونذرت الأوقات، واضطربت أحوال الناس  
 تحدث زعماء الدولة في مصادرة التجار، فاختلف بعضهم على بعض (٢)،  
 ولم تتم هذه المصادرة على الرغم من هذه الظروف الاقتصادية السيئة.

كذلك يزوي صاحب البيعة المقدسة رواية في غاية الأهمية،  
 توضح مدى ما كان يتمتع به التجار من أمن في عصر الدولة الفاطمية،  
 فعندما أصدر الحاكم بأمر الله أوامره التي تتعلق بمنع صنع الخمور،  
 وإتلاف القلع، وكسر جرار العمل، حتى لا تستخدم في صناعة الخمر،  
 لخسر أحد التجار جملة من ماله ثمن عمل، وزبيب قد أُلْفِه، فطلب هذا  
 التاجر محاكمة الحاكم بأمر الله عند قاضي القضاة بن النعمان الذي  
 استدعى الحاكم بأمر الله وسأواه بالجلوس مع التاجر، الذي طلب ألف  
 دينار تعويضاً عن مصادره، ومن لطيف أن الحاكم قد رد للتاجر ثمن  
 مصادره بعد أن أقسم على صدق قوله. (٣)

(١) بصري ص ٦٤٤.

(٢) المقريبي: الخطوط ج ١، ص ٣٥٤.

(٣) ماربريس بن المقفع: سير البيعة المقدسة، ج ٢، ص ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧.

W.B., the crusades in the east. Cambridge, 1968, p. 55

لما المُعْجِي : فيذكر قصة لا تقل أهمية عما ذكرها صاحب البيعة المقدسة، حيث قال : إنه إيلان عصر الظاهر لدين الله وفي أثناء فقر الحزبة عن تلبية احتياجات الدولة، طُلب من صاحب بيت المال أن يقرض من التجار، ويصادر من يوجب مصادرتهم. <sup>(١)</sup> ويفهم من ذلك أن التجار لم يكن ليصادروا، بل كانت الدولة تقرض منهم ...

هكذا يتضح أن سياسة المصادرة التي كانت تتبعها الدولة الفاطمية ترجع إلى عدة أسباب مختلفة، منها السياسية وهي إضعاف شوكة كبار الأمراء والوزراء وغيرهم، كما كان يفعل الحاكم بأمر الله أو ديبية للاستيلاء من أهل القمة الذين أثقروا الشعور العام للمسلمين بما يفعلونه من مخالفات. <sup>(٢)</sup> أو اقتصادية وذلك للحصول على الأموال، ولإسهما أوقاف ثروات الأموال وتدهور الاقتصاد المصري، أو بدافع الأمراض الاجتماعية التي ظهرت داخل المجتمع المصري في ذلك الوقت، وعلى رأسها الجشع والطمع وطلب الرشوة.

#### [٣] القرض والاستدانة :

وأمام سوء الحالة الاقتصادية اضطرت الدولة إلى الاستدانة، لتلبية متطلباتها، ففي الخامس والعشرين من ذي الحجة عام ٤١٥هـ - ١٠٢٢م حمل الأمير بهاء الدولة مقرر مبلغ عشرة آلاف دينار على سبيل القرض للدولة الفاطمية، كذلك طلب من أبي طالب الحسني يتولى الصدقة لقرض بنفس القيمة، فساوم أبو طالب حتى وصل القرض إلى خمسة آلاف دينار، وذلك بعد أن ضمن أبو القاسم الجرجاني أن يعاد هذا المبلغ. <sup>(٣)</sup>

#### [٤] الصنف :

وبعدنا ما يصرح به عن تاجر قبطي من ثرواء مصر، الشجأ إليه الخليفة عند انخفاض النضار؛ ليعطيه ما يستطيع من الغلة، إما نقد، وإما قرضاً، فقال له التاجر إن لديه من الغلة ما يكفي لإعطاء أهل مدينة مصر ست سنوات. <sup>(٤)</sup>

---

(١) للمعجى : أخبار مصر، ص ٧٢، تاريخ عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٩٥.

(٢) المعجى : المصدر السابق، ص ٧٢.

(٣) المقريري : ضبط، ج ١، ص ٢٥٤.

(٤) لصرح به : سفرنامه، ص ٦٢، ١٥٤.

وقد لجأ الخليفة المستنصر بالله إلى الإمبراطور (Constantine) إمبراطور الدولة البيزنطية واتفق معه أن تصدر الدولة البيزنطية إلى مصر كميات كبيرة من القمح لمواجهة الجوع، وغير أن الإمبراطور قد مات ٤٤٧هـ فحلقتة الإمبراطورة ثيودورا التي اشترطت لشترائه مصر، وبيزطة في معاهدة دفاعية هجومية، فرفض الوزير الياروي مثل هذا حيث إن هذا ميعرض مصر إلى عديد من الأمتيازات، وإزاء هذا الرعش، أصدرت الإمبراطورة أمرا بعدم إرسال القمح إلى مصر. (١)

#### [٥] ارتفاع الأسعار واحتكار السلع:

لقد أثر عطل اقتصاد مصر إلى حد كبير بقصور مياه النيل، أو رباته عن الحد المطلوب، وما يتجم عنه من القلاء، وهذا الحد يسراوح بين ستة عشر، وثمانية عشر ذراعا تكون معه الزراعة مستقرة، وببعض من القلاء ما يكفي لسنتين، فلما قصر النيل أو ردا، اضطرب اقتصاد البلاد. (٢) لأن كان الحاكم يتصف بالحمكة، والحنكة السياسية، وحسن إدارة الأمور، استطاع العبور من تلك الأزمة بأمان، وإن كان عكس ذلك، أدى إلى تفاقم الأزمة، وسار بشعبه إلى المجاعة، والهلاك.

ثم يكن النيل وحده هو المسؤول عن ارتفاع الأسعار، ونسبة الأزمات، أو تعددها من الأسواق، بل كان ضعف الحكم، وسوء تدبيرهم وعدم استقرار البلاد، وسيطرة الروراء على مقاليد الأمور، وكذلك كثرة الحروب، وولوع الفتن، والصراعات بين العسكريين، من أهم العوامل التي شجعت التجار، وغيرهم من طائفي المال، والكسب المريع بالجنس، والطمع، فزادت الأسعار، واختفى الغذاء من الأسواق، وتعرضت البلاد إلى المجاعة، ومات الشعب جوعا، ولاسيما إذا صادفت هذه العوامل نقص النيل. (٣)

(١) راشد البرلوي، حالة مصر الاقتصادية، ص ١٠١.

(٢) قبحادي [عبد الطيف موفى الدين عبد الطيف]: الإدارة والاعتبار في الأمور المتعقدة والحوادث المعقدة بأرض مصر، ط ٢، القينة المصرية العدد للكتاب،

القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٤٤٤ المرفري: لخطوط، ج ١، ص ٥٩٥ الاقتصادي

صبح الأعشى، ج ٢، ص ٢٩.

(٣) المرفري: إشقة الأمة، ص ٢٤.

كانت هذه العوامل هي السبب الرئيس لسقوط الدولة الإخشيدية، حيث إنه من الواضح أن انخفاض التلّ لم يكن مبرراً لحالة الضعف التي سادت البلاد في العلم الذي دخل فيه الفاطميون مصر، حيث إن الضعف في تلك أقاليم قد وصل في أقلّ التقديرات إلى ١٦ قرناً و ١٢٠ بصيفاً، وهو حد لا يعنى القحط ولكن كانت المجاعة والغلاء نتيجة لاضطراب الأحوال، وممازغت فرق الجند، وضعف الإدارة المركزية؛ مما أدى إلى ارتفاع الأسعار حتى وصل سعر القمح - وهو المحصول الرئيس لنفسه - شعب مصر - إلى تسعة أذراع بدينار.<sup>(١)</sup> ويتضح هذا من خطاب لأمان الذي أعطاه جواهر الصقلي للمصريين عند دخوله مصر، والذي وعد فيه باستقرار الأسعار.<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من نجاح جواهر الصقلي في إصلاح الأمور لمصر،<sup>(٣)</sup> وإقرار الأمن بها، فإن الشعب المصري قد تعرض لجشع التجار مرة أخرى في عهد المعز لدين الله الفاطمي، فارتفعت الأسعار، وعسر الطعام، حيث استغل هؤلاء التجار تشغال الخليفة المعز لدين الله بتهديد القرامطة بغزو الشام، فغفلوا معهم في حرب، كانت نتيجتها حزيمة الجيش الفاطمي بنمشوق عام ٣٦٠هـ - ٧٠ - ٩٧١م، وقد استطاع القرامطة الوصول إلى القاهرة، وحاصروها، ولكنهم هزموا عام ٣٦١هـ - ٩٧١ - ٩٧٢م وسرعان ما عادت الأمور إلى نصابها بفضل جهود المعز لدين الله الذي نجح في التصدي لهذا الخطر، فاستقرت الأمور، وانخفضت الأسعار.<sup>(٤)</sup>

(١) المقرئ: إغارة الأمة، ص ٩٣ - ٩٤، تلطاط الخطاء، ص ١٦٨، أحمد تيسري: مجاعات مصر، ص ٣٠، سيده إسماعيل كاشف: مصر في عهد الإخشيديين، ص ٣٩٢.

(٢) المقرئ: تلطاط الخطاء، ج ١، ص ١١٠، سيده إسماعيل كاشف: المرجع السابق، ص ١٧٢ - ١٧٣، تاريمان عبد الكريم: مصر الإسلامية، ص ١١٠، سيده كاشف: المرجع السابق، ص ١٧٢، أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ٣٠، عطية مصطفى مشرفة: نظم الحكم، ص ٣٩٥.

(٣) عبد المنعم مازد: ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١١٥، تاريمان عبد الكريم: المرجع السابق، ص ١٦٩، ١٧٠.

(٤) المقرئ: إغارة الأمة، ص ٩٣.

شهدت خلافة لحاكم بأمر الله سلسلة من الكوارث التي جعلت  
 لزاماً عليه أن يحارب في غير جهة، وقد استمرت هذه الكوارث نحو  
 نصف سني حكمه التي قاربت ربع القرن، فقد اعتلى الحاكم بأمر الله  
 الحكم وهو ضال في التحلية عشرة وخمسة أشهر وست أيام<sup>(١)</sup>، فأحاصت  
 به عديد من القوى التي تحاول السيطرة عليه وعلى مقاليد الأمور في  
 البلاد، ففي عهده نشبت الحرب بين البربر، والأفراك<sup>(٢)</sup>، كذلك في عليه  
 أن يولاه عزاً وخارجياً من العرب بقيادة للقائد أبو ركوة<sup>(٣)</sup>، كذلك  
 أحاصت به المذابحات، التي دارت داخل البيت الحاكم، والتي كانت تهدف  
 للحد من نفوذه المطلق<sup>(٤)</sup>، تلك المذابحات والمؤامرات التي أودت في  
 النهاية بحياته بتدبير أخفته ست الملك<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن خلكان : وفات الأعيان، ص ١١٧ المخطوطي : حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥٣.

(٢) عبد المقدم ملحد : المرجع السابق، ص ٣٧١ - ٣٧٢؛ أحمد الصوفي : المرجع السابق، ص ٣٢.

(٣) أبو ركوة . ينسب إلى بني أمية، اسمه فوليد وهو من ولد هشام بن عبد الملك بن مروان بن عبد الرحمن الداخل هرب من الأندلس زمن السورير المستررف المنصور بن أبي عامر، وزير وحاجب هشام فوليد الأموي بالأندلس، الذي هجبه المنصور من أبي عامر عن القتل وأخذ في بيع أهله ومن يصلح للحكم منهم ثلاث من قتل منهم وعرب من حرب، وكل الوليد (أبو ركوة) من استلم هو الهارب، كان عمره ٢٠ عاماً، جاء إلى مصر لبيع الحديث، ثم انتقل إلى مكة ثم اتبعه ثم عاد إلى مصر ثم الفروفي ومنها لفرقة، عرف بأبي ركوة لأنه كان يشبه الشمس ويختلف بركوة مصر وهو وهام من فلك للوضوء على عادة للصوفية، ويرجع البعض هذه التسمية إلى أهل مصر كنوع من السخر العصرية.

فخر الأنطلي : تاريخ الأنطلي، ج ١، ص ١٢٢؛ ابن الأثير : إكمال، ج ٨، ص ١٤٢؛ ابن خلكان : تاريخ بن خنوت، ج ٤، ص ١٥٢، ١٥٣؛ ابن الجوزي : المنتظم : ج ١٥، ص ٥٣؛ ابن حنبل : أخبار بني عبد، ص ١٤٩؛ ابن تليزي بردي : تنجيم، ج ٤، ص ٢١٥؛ أحمد مختار الحادي : في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٢٦ - ٢٢١؛ أمينة القزويني : رؤية الرحالة، ص ٢١٥؛ يسر القوي في نهاية الأرب، ج ٢٨، قه ليس من أصل لموي، ص ١٨٠؛ ويصف مع محمد عبد الله عتاق : الحاكم بأمر الله، ص ١٨٧.

(٤) أحمد الصوفي : مجالعت مصر، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٥) للمقري . تاملت الحفاز، ج ٢، ص ١١٥؛ عبد المقدم ملحد : المرجع السابق، ص ١١٥؛ عبد المقدم سلطان : المجتمع المصري، ص ١٠٣؛ أحمد الصوفي : المرجع السابق، ص ٣٢.



كانت أولى هذه المجاعات، في العلم التالي لتوليته الخلافة، وكانت أمير الدولة أبي الحسن محمد بن عمار، هو الذي يتولى تدبير شؤون الدولة في هذه السنة (٣٨٧هـ / ٩٩٧م)، ويذكر المقرئ في أبي سبب هذه المجاعة هي قصور النيل، حيث بلغت زيادته (١٦ ذراعاً و ٧ أصابع)، فارتفعت الأسعار، ولحق القمح، واضطرب حبل الأمن، وخطف السماء من الطرق، ووصل سعر القمح أربعة أرطال بدرهم<sup>(١)</sup>، وعطي الأمر من أن هذا القمح من الزيادة لا يباع القمح كما سبق ذكره، فإن المجاعة قد حدثت، وربما يكون ذلك ناتجاً عن تأخر تلك الزيادة، مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وتضخم تجار السلع، ولا سيما أن الفوضى، والاضطرابات كانت تعم البلاد، وذلك لتصارع المصارعة، والمعاربة على السلطة<sup>(٢)</sup>.

أدرك الحاكم بأمر الله أن تجار الغلال وسماستها هم الطبقة المسؤولة إلى حد كبير عن ارتفاع الأسعار وحدوث المجاعات، لذا لم يتوان بأخذهم بما كانوا يستحقون من العقاب الصارم<sup>(٣)</sup>، فاستخدم رسائله الخاصة في منع تخريب الأوقات، وضرب جماعة بالميوط وشهر بهم<sup>(٤)</sup>، وأمر ألا يباح القمح إلا للطحّاتين، وذلك لنقصاء على الوسطاء، كذلك كان الحاكم بأمر الله يفتحي مخازن العائز، والبيوت للبحث عن القمح، ويعرقه على الطحّاتين بالسعر الرسمي<sup>(٥)</sup>.

(١) المقرئ: (عقبة الأمة، ص ١٣)، أحمد الصولي: المرجع السابق، ص ٣٥.

(٢) أحمد الصولي: المرجع السابق، ص ٣٥.

(٣) وصل هذا العقاب إلى حد تركب القلعة العظمى بالمحلف، أمام عينه، مراً على الناس.

(٤) عملية التشهير: بأن يوضع شخص المشهور به على جمل ويعطى جرم وينادى قتلًا. قد كتبت وما أنا أعقب. راجع: ناصر خسرو: مغرلة، ص ١٢.

(٥) المقرئ: (عقبة الأمة، ص ١٦)، عبد المنعم ملحد: الحاكم بأمر الله ص ١٦٤ ص ١٦٥، رائد خير لوي: حلة مصر الاقتصادية، ص ١٠٠.

كما عهد الحاكم بأمر الله إلى تحديد سعر لكل شيء، ولا سيما الحبوب، والمبيعات<sup>(١)</sup>، على الرغم من أن مياسة التمسير<sup>(٢)</sup> كانت من الأمور التي تتعارض مع ما عرصه الفاطميون في كتب لفقه الخاصة بهم، والتي تبين رخصهم لتلك المياسة<sup>(٣)</sup>، هذا الأمر الذي رفض تعبد به جوهري الصقلي من قبل؛ حشية من معارضة الفقهاء التبعيين<sup>(٤)</sup>، وعلى الرغم من اتفاق هذا الإجراء مع شالية أهل السنة<sup>(٥)</sup> وعلى الرغم من أنه أنه عمل على الحد من الغلاء ومحاربة لحتكار للتجار، فإنه يختلف مع ما ذكره الفاطميون عن التمسير<sup>(٦)</sup>.

وفي عام ٣٩٥هـ/١٠٠٥م تعرضت مصر لثورة أبي ركرة التي بدأت في برقة باستيلاء على بعض أملاكها، تدخلت مصر في حالة من العوضى، وعدم الاستقرار، بخاصمة بعد أن تحرك أبو ركرة إلى مصر، رهند الإسكندرية، فأعمل السلب، والنهب مستعيناً في ذلك بالأعراب الذين دأبو على الإغارة على سكنى النلتا. وكان هؤلاء الأعراب قد تمردو على السلطة المركزية ورفضوا الانضمام تحت لوائها، كذلك اضطربت الأحوال في ريف مصر بسبب هؤلاء الأعراب؛ مما أدى إلى ارتفاع الأسعار، وندرة الأموال<sup>(٧)</sup>.

(١) المقرئري : إغلة الأمة، ص١٦.

(٢) التمسير : هناك فرق بين كلاً من التمسير والتمسيرة، لم يكر المسير التي يحده أبدأ الطائفة الواحدة فيما بينهم وبين المحتجب بواسطة تعريف من أنواع التمسير، بن هو أقرب إلى ما يسمى بالتمسيرة القودية التي تحاول الأقارب من السعر المتبادل، ويذكر ناصر خسرو أن التجار كانوا يبيعون بأسماء ممددة، وفي ذلك مصلحة للجمهور. راجع : ابن تيمية : حشية في الإسلام، ص١١٠ ناصر خسرو . سفرنامه، ص١٥٣؛ راشد البروي : التمرجع السابق، ص١٧٣.

(٣) ناصر خسرو : المصدر السابق، ص١٥٣.

(٤) المقرئري . تعاطي الحقا، ج١، ص٧١، ١٦٩؛ ابن تيمية : المصدر السابق، ص١٦.

(٥) ابن تيمية : الحشية ومسؤولية الحكم، تحقيق : صلاح حرلم، القاهرة، ١٩٧٢، ص٢٩.

(٦) تاريخ ابن عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص١٧١.

(٧) نفسه.

تخوف الحاكم بأمر الله من حدوث مجاعة تقضي على شعب مصر، فأشاع الرهبة بين الناس، حتى لا تسول لأحد نفسه في استغلال تلك المأساة، فأمر بعمل شئمة مكثت باليوس، والمنطق والحلفاء، حتى قويت الشائعات بأن الحاكم بأمر الله قد أعدها للكتاب وأصحاب قلوب، واجتمعوا منفردين أمام الحاكم بأمر الله، فأعطاهم أمناً، وتلا ذلك ما لم يطروا به الجند والعبيد، فخلفه التجار أن تكون تلك الشئمة قد أعدت لهم واجتمعوا على مطباتهم، والتعموا الأمان، فكتب لهم، واستقرت الأمور.<sup>(١)</sup>

وفي العام التالي ٣٩٧هـ/١٠٠٦/١٠٠٧م، انحصن النيل إلى ١٤ ذراعاً و١٦ أصبعاً، فدخلت البلاد في مجاعة كبيرة أدت بدورها إلى ارتفاع الأسعار، واضطراب الأمور<sup>(٢)</sup>، ولأسباباً أخرى مثل هذه المضائق في العام السابق لها، غير أن الحاكم بأمر الله استطاع أن يتغلب عليها، فأصدر إلى مسعود الصقلي متولي المستر، بالنظر في أمر الأسعار، فجمع خزائن الخلال، والطحانيين، والخبازين، وقبض على ما بالمنازل من غلال، وأمر ألا تباع إلا للطحانيين، ثم سر مثلث المبيعات، وهاجم عدداً من المخازن، وأفرق ما بها على الطحانيين، كما صرّب، وشهر بجماعة منهم، وعاقب كل من يخالف أو أسر به بالجلد، فتوافرت الحبوب، وهدأت الناس.<sup>(٣)</sup>

وفي عام ٣٩٨هـ/١٠٠٨م، خير أرباب الخلال في أن يبيعوا بالسعر المحدد الذي يقرره بما فيه الفائدة المعتدلة لهم، وبين أن يبيعوا فبعضهم على غلاتهم، ولا يمكنهم من بيع شيء منها إلى دخول الغلة الجديدة، فاضطروا للاستجابة إلى ما حدد من سعره.<sup>(٤)</sup>

(١) قمريري: الخطط، ج٢، ص٤٠٩؛ محمد عبد الله حنن: الحاكم بأمر الله، ص٦٤؛ أحمد الصلوي: مجاعات مصر، ص٣٦؛ أمين فؤاد سيد: الدراسة الاقتصادية في مصر، ص٥٣٨.

(٢) قمريري: إعالة الأمة، ص١٦٥؛ رشيد البرلوي: حالة مصر الاقتصادية، ص١٠٩؛ تاريخ ابن عبد الكريم: مصر الإسلامية، ص١٧٠.

(٣) قمريري: تعامل الحق، ج٢، ص١٦٩؛ راشد البرلوي: المرجع السابق، ص١٠٠.

(٤) قمريري: إعالة الأمة، ص١٨.

كان الغلاء لقن وطأة في الريف المصري، وأكثر مما يحصل في القاهرة، والفسطاط، وذلك بسبب اعتمادها على غلات الأقاليم خاصة الوجه القبلي، على أن الفسطاط ظلت أرخص في السعر بسبب قرب النيل منها، فالمركب التي تصل بالمحاصيل ترسو هناك ويبيع ما يصل فيها بالغرب منها، وليس يتفق ذلك مع ساحل لقاهرة؛ لأنه بعيد عن المدينة. أما الريف المصري فلم يكن يشعر بهذا الغلاء، إلا عند تضاعف عوامل نقص البضائع واختلال الأمن<sup>(١)</sup>؛ لذلك كان الحاكم بأمر الله يضرب بيد من حديد كل من يحالف، ولا سيما في القاهرة، والفسطاط.

ولما كان المحتسب هو ميزان الدولة ومقياس اقتصادها، قد كان الحاكم بأمر الله يتشدد مع المحتسب إذا أهمل واجبه؛ ذلك نجد عندما ولي حسيه لقاهرة، والفسطاط، والجزيرة لقائد القواد، ومتولي الشرطيين (القاهرة، ومصر) المعروف بغين، عام ٤٠٢ هـ / ١٠١٢ م، فقد تشدد في سجل تعيينه على ضرورة مراعاة واجبات وظيفته<sup>(٢)</sup>؛ لذلك فلما ارتفعت الأسعار، وتكالب الناس على التحيز، عد الحاكم بأمر الله غيباً مشرلاً عما حدث، طالما كان ذلك الأمر يدخل ضمن واجبات المحتسب، فعزل عن منصبه في العام نفسه<sup>(٣)</sup>، وأمر بقطع يده وأعقته بالأخرى ثم بسلاته حتى توفي.<sup>(٤)</sup>

(١) المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٣٦٧؛ راشد هيراي : المرجع السابق، ص ٨٦؛ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٥٧.

(٢) حبس الباقيا وآخرين : لقاهرة كبريها، شيوخها، فكرها، مؤسسة الأكرام، القاهرة، ١٩٧٠، ص ٢١٥.

(٣) للمقريزي : الخطط، ج ٢، ص ٨٧؛ تعاقب الخلفاء، ج ٢، ص ٩٣.

(٤) المقريزي : الخطط، ج ٢، ص ١٦٧؛ ابن تقي الدين : المجموع، ج ٤، ص ٢٢٣؛ محمد عبد الله عيان : الحاكم بأمر الله، ص ١١٤، ١١٥.

عد الحاكم بأمر الله الصبة من عووم واجبات الإمام<sup>(١)</sup>، فقام بنفسه  
بنفسه بنو نجيبة المصتب قدر في الأسواق منتطياً حماره، يصاحبه عبده  
الأسود مسعود، يعاقب من يخالف، أو يمش في عيشه، عن طريق ارتكاب  
العاجزة العظمى به.<sup>(٢)</sup>

وبلا ذلك عدة مجاعات، كان توقف الريادة في فيضان النيل، أو  
ريادتها عن الحد المطلوب سبباً فيها، وقد أدت هذه المجاعات، ولا ريب  
إلى ارتداد الأسعار، ونزرة الأوقات، غير أن الحاكم بأمر الله كل يصر  
بيد من حديد على من تصور إليه نفسه بذلك فكانت سياسته على الرغم من  
قسوتها، وعدم شرعيتها في بعض الأوقات فلها تأتي بشارها.

إذ كان الحاكم بأمر الله قد استطاع بقوته، وحكته أن يصدى  
لذلك الأمور، ويعالج ما أفسد البلاد من كوارث طبيعية، وبشرية تمثلت  
في جشع، وطمع التجار، فإن الظاهر لإعزاز دين الله أنهم في بلداته،  
ونزله، ولهوه، وصفته للقاء، والرفاهات<sup>(٣)</sup>، وقد حاكاه في ذلك رجال  
الدولة، وأغنياء القوم، فأصبح للزحف سمة نصره.<sup>(٤)</sup>

لذلك نضت مصر في خلافته - على الرغم من قصره - في  
مجاعة عام (٤١٤ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٥ م)<sup>(٥)</sup> بسبب نقص فيضان  
النيل، وارتفاع الأسعار، وعدم الناس الطعام، وأهل الظاهر لدى الله

(١) تعتبر الصبة عند الشيعة من عووم واجبات الإمام بسبب كونها خدمة دينية، وكان  
الإمام يمتثل فيها من يراه أهلاً لها، وذلك بناءً على ما نقل عن علي بن أبي  
طالب - رضي الله عنه - عن رسول الله (ص) : "يا علي من بالمعروف وأه  
المعكر" وكان للمصتب منزلة عظيمة في العصر الفاطمي، له الحق في تعيين  
نوابه له بالقاهرة وجميع الأقاليم، وكانت أولاده مطاعة لا يعول بيده وبين  
مصالحه أحد.

الفاطمي : صبح الأعيان، ج ٣، ص ٤٨٦؛ عبد المنعم منجد : نظم القسطين  
ورؤسهم، ج ١، ص ١٦٢، ١٦٣ عبد المنعم منجد : الحاكم بأمر الله  
ص ٨٩، ٩٠.

(٢) فيوطي : حسن المحاضرة، ج ٢، ص ٢١٢.

(٣) المغربي : القلط، ج ١، ص ٢٥٤.

(٤) نصر، ص ٣٥.

(٥) أحمد الصوري : مجاعات مصر، ص ٤١.

واجباته كمنطق السلطة المركزية، ولم يهتم يردع التجار، أو توفير ثمة دلائل، بل إنه في أوج الأزمة قام بالاستيلاء على ما ورد إلى ساحل مصر من مراكب مملوئة قمحا، ورسم بتعليمها لقصر الخلافة، ف أدى ذلك إلى زيادة جشع التجار فارتفعت الأسعار<sup>(١)</sup>، وكثر ضجيج الناس واستعانتهم، وخرج الرجال، والأطفال، ومعهم المصاحف المشورة، إلى جيب للمطمئ يستحيون، ولكم لم يقاتوا.<sup>(٢)</sup>

وتحت ضغط اثنين الشعب، وحاجتهم إلى الطعام، قام الظاهر ندين الله في محاولة شكلية للقضاء على ارتفاع الأسعار، فعزل ابن غرة متولي الحسبة، وقام بتعيين دواس بن يعقوب الكتامي بدلاً منه، فزل دواس بن يعقوب إلى القاهرة في موكب عظيم حتى انتهى إلى مجلس الحسبة، فأحضر هناك الخبازين، وتجار النقيق، وضرب بعضهم، وشهرهم، فارتد الناس، وانخفضت الأسعار، وظهرت الغلال في الأسواق.<sup>(٣)</sup>

لم يمضِ أيام قلائل حتى عادت الأمور كما كانت عليه، وذلك لأن إجراءات ابن يعقوب لم تمس اختكاراته، وغلال رجال الدولة، السنين استغلوا ذلك، وقاموا برفع الأسعار، فالتفت الخبز، وكثر الازدحام على دكاكين الخبز، وعاد الناس إلى ما كانوا عليه، وغاية ما يطمح المحتسب أن أمر بثل الخبز في الماء على أن يباع بسعر ثلاثة أرطال بدرهم، بعد أن كان يباع جالفاً أربعة أرطال بدرهم، وثمنه غير أن بثل الخبز يعني زيادة وزنه، وما فعله ابن يعقوب ما هو إلا نوع من أنواع الغش التجاري المستتر، والمنتقن، وكذلك صمن للتجار بيع الخبز بأسعار مرتفعة تضمن لهم الربح الوفير في ظل حماية المحتسب نفسه.<sup>(٤)</sup>

(١) المسحبي: أخبار مصر، ج ٤٠، ص ٣٩؛ أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ٤٦.

(٢) المسحبي: المصدر السابق، ص ١١٧؛ المقرئ: اقتطف حقا، ج ٢، ص ١٣٤، ١٣٥.

(٣) المسحبي: المصدر السابق، ص ١٢، ١٤؛ المقرئ: المصدر السابق، ص ١٣٥؛ أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ٤٣.

(٤) أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ٤٣.

وهي العام التالي ٤١٥هـ/١٠٢٣م، طلت الأزمة قاتمة، ونال ذلك على الرغم من وصول ماء النيل إلى ١٦ ذراعاً و ١٨ إصبغاً (١) وارتفعت الأمور سوءاً، ووصلت الأسعار ارتفاعها، وكان السبب في ذلك استيلاء الدولة على ما ورد إلى القصر من غلال لصالح محازن القصر الفاطمي. (٢)

وكانت هذه السياسة في صالح الضحائين، والخبازين الذين استحوذوا على السوق، وباعوا الخبز بأسعار مرتفعة بدلاً من بيعه للمحاربين، التي تشتري ويبيع الخبز بأسعار محددة، وعندما تشكك الظاهر لدين الله في أمانة المحتسب قرر عزله، في رجب ٤١٥هـ/١٠٢٣م، وحل محله بنى الحاتم الأسود غلام بدر الدولة نفسه، إصافة إلى توليه الشرطتين (القاهرة، والصلطا). (٣)

حاول المحتسب الجديد من أول يوم لتوليه الحسبة أن يصنع هذا لتدهور الأحوال، فنزل إلى الصلطا، ونظر في الحسبة، وأمر بتعويض الأسعار، على أن التجار، وأصحاب الصواحين، والخبازين الذين استغروا تساهل ابن يعقوب لم يرضوا بهذه الأسعار، فامتنعوا عن فتح الصواحين، والحوادث طيلة اليوم التالي، فلم يجد الناس خبزاً، ولا دقيقاً، ومن ثم اضطر الخليفة إلى عزل بنى من الحسبة، وأعاد حواس بن يعقوب إليها مرة أخرى. فقرر ابن يعقوب تسعير نفسه الذي قد قرر به بنى المعمول، فظهر الخبز في الأسواق مرة أخرى. (٤) خير أن هذا لم يبق إلا أياماً معدودات ثم عادت الأسعار مرة أخرى في الارتفاع. (٥) مما يدل على أن يعقوب كان متواطئاً مع تجار الفلاخ من رجال الدولة، الذين تعاونوا مع بقية تجار الفلاخ، والطحانيين، والخبازين على إحباط إجراءات المحتسب الجديد (بنى الأسود)، وإظهاره بموقف عاجز؛ ليعود ابن يعقوب ببيع

(١) المقرري : تعاقب الحفقاء ج ٢، ص ١١٤٢؛ الخطط ج ١، ص ٣٥٤

(٢) المسيحي : أخبار مصر، ص ٣٩؛ المقرري : تعاقب الحفقاء ج ٢، ص ١١٤٢

(٣) أحمد الصاوي : مجاعات مصر، ص ٤٤.

(٤) المسيحي : المستر سابق، ص ٤٨.

(٥) بنى، ص ٥٢؛ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ٤٥.

من كبار رجال الدولة المسيطرين على الخليفة، وكان لهم ما أرادوا، لأن هذا الإجراء كان في صالحهم. (١)

وفي تلك الأثناء ظهر وباء شديد أصاب الحيوانات مما أدى إلى ارتفاع سعرها هي الأخرى فوصل ثمن رأس البقر إلى خمسين ديسر (٢)، لذلك فقد أصدر الظاهر لدين الله أوامره بعدم ذبح الأبقار السليمة، وعدم من يفعل ذلك بالقتل، وذلك بفرض الحفاظ على الحيوانات التي تساعد في أعمال الزراعة من حرث، وري، وغير ذلك. (٣) وأدى نقص أعداد الحيوانات إلى ارتفاع أسعار مياه الشرب التي كانت الحيوانات تقوم بنقلها، فبلغت راتبة الماء البعل درهمين، والراتبة تجعل ثلاثة درهم. (٤) وثلا ذلك وباء انتشر وسط الناس، فارتفعت أسعار ما يحتاج إليه المرضى، حيث بلغ سعر الرمانة الواحدة ثلاثة دراهم، والبطيخة البرلس ثلاثين درهماً، والأوقية للشرب بن درهم. (٥)

وأثناء الغلاء فاردات مسغبة الناس الذين كثر الموت بينهم، لتفشي الوباء، وخاصة بين الفقراء، والمساكين، وبلغ الأمر بالناس، أن جزائرًا ملوح عظمة كلب فراء رجل شاب مستور مثقف، فطرد الكلب وأخذ للعظمة منه، ولم يزل إلى أن سل من مصه ما بلغه فرماه من يده، وذهب، ولم يجد الفقراء ما يأكلون فأطعموا أولادهم فضبان القنبيط (أغلق أنواع الكرنجب) التي كان البقانون ينتزعونها من رؤوس الكرنجب، ويرمونها، فجمعها الفقراء ليقتاتوا بها، ويلبسوا من كسب النول والسمن، وارتفعت أسعار البقول. (٦)

(١) أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٤٥.

(٢) القميري : الخطوط ج ١، ص ٣٥٤.

(٣) القميري : الخطوط ج ٢، ص ١٤٩؛ أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٤٥.

(٤) القميري : الخطوط ج ١، ص ١٥٤.

(٥) المسبحي : أخبار مصر، ج ٤٠، ص ٦٩.

(٦) المسبحي : المصدر السابق ص ٧٢ - ٧٣ أحمد الصلوي : مجامع مصر، ص ٤٧.



ولم يجد الظاهر لدين الله أي حرج في أن يحتفل مع الناس بعيد العذاس في وسط كل هذه المآسي التي يطغىها الشعب المصري، وكل ما قام بفعله هو إصدار أوامره بعدم اختلاط النصارى بالمسلمين في هذا اليوم <sup>(١)</sup> غير أن القدر أراد أن يشعره بما يعانيه الشعب من عذاب، فيذكر المسيحي أنه في اليوم نفسه توفيت للظاهر لدين الله ابنة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات وشهوراً، وعك دفنها لاحظ الظاهر كثرة الموتى من شعبه، كما لاحظ دفتهم بدون تكفن، لعل هذا ما جعله يساهب إلى قصره في آخر الليل دون أن يكمل احتفالاته.

أراد دأوس بن يعقوب أن يظهر بمظهر المعالج للأزمة، فأحضر حمالي القمح، وضربهم حتى أقروا بمخازن الدجاء، وسامسة العسل، التي يحملون فيها الخلال، فكتبوا له ١٥٠ مخزناً للقمح موضع الطوبيع عليها وهدد بقطع يد من تسول له نفسه لأخذ حبة قمح منها. <sup>(٢)</sup> وعلى الرغم من ذلك فلم يباشر المحتجب بن يعقوب على التبع من هذه التمارن عند حصوله عليها مباشرة أو حتى في اليوم التالي لها، ولعل ذلك كان رغبة منه في إعطاء الفرصة الكاملة لكثير رجال الدولة كي يبيدوا مخزونهم بأعلى سعر ممكن. <sup>(٣)</sup> وهذا ما حدث بالفعل إذ قام مسعود غلام الشيخ نقيب الدولة أبي القاسم الجرجاني، بفتح مخزن قمح له، وبيع منه بسعر ثلاثة دنانير، فزاحم الناس عليه، على الرغم من سعره الذي أصاب الناس بمصيبة على حد قول المسيحي. <sup>(٤)</sup>

وإزداد الأمر سوءاً عندما نزل الظاهر لدين الله القاهرة في نصف ذي القعدة ٤١٥هـ / ١٠٢٣م، وسط هذا الخضم من المآسي، فشق البلد بدلائين خلفه المقودون والمضطهدة، وبين يديه الرقصون <sup>(٥)</sup>، فأعترض الشعب فجاجت مسيرة الخليفة في مظاهرة ضخمة، وهم يصيحون : الجوع

(١) المقرئزي : الخطط ج ١، ص ٢٢٦؛ المسيحي : المصدر السابق، ج ٤، ص ١٩٠.

(٢) المسيحي : المصدر السابق، ج ٤، ص ٧٤.

(٣) أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٤٧.

(٤) المسيحي : أخبار مصر، ص ١٧٤.

(٥) نفسه، ص ٧٣.

يا أمير المؤمنين الجوع، لم يصنع بنا هكذا أبسوك، ولا جحدك طاب الله امرنا<sup>(١)</sup>.

صارح الظاهر لنبي الله، ولما بإحضار المحتشد نواس يسر يعقوب، واتهمه بأنه قد فتح البلاد على الخليفة، وأمره بأن يعيد الأمور إلى صوابها، وإلا ميقوم بعزله، فكان لدى بن يعقوب من الحيل الشبانية التي تثبت نواظره مع تجار الفلال من كيلر رجال الدولة؛ حيث يرل إلى القاهرة، ومعه سجل بإلغاء جميع المكوس على الشحنات الواردة على السواحل، وهذا يعني تخفيض أسعارها، غير أنه قد ألقى التفسير الذي قد فرره قبل ساعات من هذا السجل، فارتفعت الأسعار على الرغم من إلغاء المكوس.<sup>(٢)</sup> أدى ذلك إلى قيام الحيد بمهاجمة سواحل قلعة، ونهبوا وأحرقوا، فاحتكت الأخباز، والتفوق على الرغم من ارتفاع أسعارها، حتى وصل الخبز إلى رطل واحد بدرهم.<sup>(٣)</sup>

وفي عهد المستنصر بالله الفاطمي، ازدادت أحوال مصر سوءاً على سوء، حيث كان عهده مليئاً بالأحداث الجسام، فقد اجتمعت له جميع العوامل التي ساعدت على انهيار الاقتصاد المصري، وتعرضت مصر في عهده إلى أزمة شديدة، استمرت هذه الأزمة سبع سنوات، بدأت من عام ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م، عانى فيها الشعب المصري قسداً للعناء، فلم تدر مصر مثل هذه الأزمة من قبل منذ أيام يوسف - عليه السلام -، وبظرواً نفسوتها لبالغة التي كانت تقضي على الشعب المصري بأكمله، فقد أطلق عليها ما عرف باسم "الشدة العظمى".<sup>(٤)</sup>

(١) المقرئ: الخط ج ١، ص ٣٥٤.

(٢) أحمد قساري: مجاهدات مصر، ص ٤٧.

(٣) المسبحي: المصدر السابق، ج ٤٠، ص ٨٨، المقرئ: اتصال الخلف، ج ٢، ص ١٧٠.

(٤) ابن السام الحنلي: ذخرات الذهب، ج ٣، ص ٣٨٢، المقرئ: الخط، ج ١، ص ١٣٥، مجلة الأمة، ص ٢٢٢، رقد قساري: حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٨.

بدأت هذه الأزمة بقصور النيل، وكان في الإمكان أن تمر كغيره دون أن يصبحها هذا البلاد العظيم، إلا أن فساد الأحوال السياسية، والانقسامات، والفتن الداخلية كان العامل الأكبر في تفاقم الأزمة، وتوسع نطاق خطرها وطول مدتها. (١)

يرجع سبب هذه المعاناة قبل أي شيء إلى ضعف شخصية المستنصر بالله الذي ولى الخلافة وهو في السابعة من عمره. (٢) وكان قصره مليئاً بالنساء التي يحبكها الأمراء والقواد ورجسائ السلطان، والخصيان، وأهل الخليفة من الرجال والنساء، ولم يكن لهذا الخليفة من الحرم، وقوة شخصية ما يجعله قادراً على كبح جماح أصحاب الأفعار، ومديري الفتن، فقد كانت حلاقة المستنصر امتداداً لخلافة أبيه الطاهر لدين الله، وإن كان الظاهر لدين الله قد استطاع بعض الشيء أن يحافظ على سلطاته الزمنية على الرغم من نفوذ رجال دولته بإدارة معظم شؤون البلاد حين المستنصر كان من الضعف الذي يحول بينه وبين تحقيق ذلك. (٣)

حال ضعف الخليفة دور سيطرته على طموح قواد ورجال بلاطه، الذين أخذوا يحكمون النصارى على اختلافها، وقد ساعدتهم على ذلك أن المستنصر بالله كان يميل إلى ما يسدده في شكلية، فأشبهت عليه الأمور وانتقضت الأحوال. (٤) هذا الأمر الذي قاده إلى تغيير الوزراء بشكل مستمر، مما أضعف من قوتهم وعجزهم عن تدبير الأمور، بالإضافة إلى أن هذا الأمر قد أوقع الخلاف بين تلك الجند نتيجة لاختلاف سياسات هؤلاء الوزراء. (٥) مما أدى إلى انتشار الفوضى داخل البلاد، وخير دليل على ذلك أن الوزارة قد وليها أربعون وزيراً في تسع

(١) راشد البراوي : حلة مصر الاقتصادية، ص ٨٨.

(٢) المقريري : إعانة الأمة، ص ٢٢٣ راشد البراوي : المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣) المقريري : المصدر السابق، ص ٢٢٣ أحمد الصاوي : مجامع مصر، ص ٥٠.

(٤) المقريري . المصدر السابق، ص ٢١ - ٢٢ راشد البراوي : المرجع السابق، ص ٨٨ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ٥٠.

(٥) المقريري : المصدر السابق، ص ٢١ تعاليف الحفنا، ج ٢، ص ٢٦٢، ٢٦٣.

سنوات<sup>(١)</sup>، كان بعضهم يقضي في منصبه أياماً قلائل، وبعضه يصرف بعد يوم واحد من تقلده هذا المنصب.<sup>(٢)</sup>

وقد نشأ عن ضعف الخليفة، وتدهور حال الوزراء فراع سياسي لم يملكه إلا الصكر، الذين أصبحوا يحكم تنظيمهم، وقوتهم العسكرية، القوة المؤثرة في تقرير أمور البلاد.<sup>(٣)</sup> فقد أحاط المستنصر بأشبهه بحرس أسود كبير العدد، وزاد عند هؤلاء العبيد، وتواصت أسباب الترفع بينهم وبين الجند الأتراك، وتطور النزاع إلى حروب عنيفة بين الفريقين دامت سنوات، فأصبحت البلاد من أقصاها إلى أبنائها مسرحاً للفكر مما كرس وبالأعلى البلاد. وقد عجز الخليفة أن يحصل دون التدخل لهيب الفتنة، بل أنت سوء سياسته إلى استفحال نارها، فتارة يميل إلى جانب أمه، وعندها السوداني، وأخرى يهائن الأتراك ثم ينقلب عليهم.<sup>(٤)</sup>

وقد برز وسط هذا الجور القاسم شخصيتان كان لهما أثر كبير في أحداث الفتنة وتطورها، وهما، أم المستنصر التي كانت في الأصل جارية من عبيد الشراء، والتي تميزت بالعبود، ومما عذبتهم، وابن حمدان الذي ترفع لأتراك.<sup>(٥)</sup> نشأ الحقد بين الفريقين، وتوالفت عوامل التشقاق، وأصبحت البلاد أشبه بمغزل بارود تكفي شراره صغيرة لانفجاره.<sup>(٦)</sup> وكانت هذه الشرارة عام ٤٥٤هـ/١٠٦١م عندما اعتدى أحد الجند لأتراك، وهو سكران علي أحد العبيد، فحدثت معركة بين الطائفتين لم تنته إلا بهلاكه الكثير، والكثير من أهل مصر، الذين دفعوا ضريبة هذا النزاع.<sup>(٧)</sup>

(١) حسن إبراهيم حسن : الفاطميون في مصر، ص ٢٩١، راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٨٨، أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) من هؤلاء الوزراء : أبو عبد الله محمد بن أبي حنيفة، وشغرت له التوراة يونا واحداً وصرف بعضه راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٨٨.

(٣) أحمد الصاوي : مجلعت مصر، ص ٥١.

(٤) راشد البرلوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٩.

(٥) نفسه، ص ٨٩.

(٦) أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ٥٢؛ راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٨٩.

(٧) ابن مصر : أخبار مصر، ص ١٢؛ ابن قاري يردى : القجوم، ج ٥، ص ١١ - ١٨.

وفي أثناء الحرب بين الخليفة المستنصر، وعبيده، وبين ابن  
 حيدر، اضطريت أحوال مصر، وارتفعت الأسعار، وعم الغلاء، وانتشر  
 الوباء، ولاسيما بعد أن أخفقت محاولات المستنصر بإقاضي الحصول على  
 الغلال من الدولة البيزنطية؛ حيث رفضت الإمبراطورة ثيودورا  
 Theodora إرسال القمح لمصر إلا بشرط دخول مصر مع بيزنطة في  
 معاهدة دفاعية هجومية، فرفض الوزير البيزوري ذلك؛ لأن حاجة مصر  
 للغلال كانت مسألة مؤقته ستزول بالقضاء الأزمة<sup>(١)</sup>، مما كان سبباً في  
 توتر العلاقة بين الدولتين، واستمر في حالة الجوع للشعب المصري؛ لأن  
 ثيودورا رفضت إرسال القمح لمصر.<sup>(٢)</sup>

ودخلت مصر في مجاعة، وأصيب الناس بمسغبة<sup>(٣)</sup>، وصحب هذه  
 هذه المجاعة وباء انتشر بين السكان، ولم يكن في المخازن السلطانية إلا  
 جرابات من في القصور، ومطبخ السلطان، وحواليه فقط.<sup>(٤)</sup> مما أدى إلى  
 إلى زيادة جشع التجار الذين امتكروا السلع، ورفحوا الأسعار، ويعود ذلك  
 إلى تخلي الدولة عن دورها في شراء الغلال، هذا الأمر الذي رتبته  
 الوزير البيزوري إلى الخليفة بغية زيادة الربح السلطاني.<sup>(٥)</sup>

وأراد المستنصر أن يذهب ثيودورا لمنعها الغلال، فمهر جيشاً  
 بقيادة مكي الدولة الحصن بن علي بن ملهم، وتبعهم بمسكوكات، وذلك،  
 ونودي في سائر بلاد الشام بالعمز إلى بلاد الروم. وندل بن ملهم قريباً  
 من حامية فحاصرها، وحال في أعمال أنطاكية، ومسي، ونهب، فأخرج  
 البيزنطيون ثمانين قطعة بحرية حاربت ابن ملهم، وهزمته هو، وجماعة

(١) راشد البراي: المرجع السابق، ص ١٠١؛ أحمد الصاوي، المرجع السابق،  
 ص ٦٣.

(٢) راشد البراي، المرجع السابق، ص ١٠١؛ أحمد الصاوي: المرجع السابق،  
 ص ٦٣.

(٣) المقرري: تملط الحفا، ج ٢، ص ١٢٤، الخطط، ج ١، ص ٣٠٩.

(٤) المقرري: الخطط، ج ٢، ص ٢٢٦ (في حوت ٤٤٦ هـ)؛ (إعانة الأمة،  
 ص ١٩ - ٢٠).

(٥) المقرري، الخطط، ج ١، ص ١٠٩.

كثيراً<sup>(١)</sup> ولا شك أن مثل هذا الإجراء في مثل هذه الظروف لم يكن  
بإثرأي الصالحين، ولا سيما في ظل حاجة البلاد إلى الأكراد.

بالإضافة إلى فراغ خزائن القصر نتيجة للاتفاق لأجل تجهيز  
المزيد في اثنين الذي أرسل لدعم ثورة البساسيري<sup>(٢)</sup> الذي أقام دعوة  
للعظميين في بغداد.<sup>(٣)</sup>

صحب هذه المعاجلة ولاء شديد لودي بحياة الكثيرين بخاصة في  
عام ٤٤٧ هـ / ٤٤٨ هـ / ١٠٥٥ م - ١٠٥٦ م، حتى أن عطاراً<sup>(٤)</sup> دعى في  
يوم واحد ألف قارباً شرباً.<sup>(٥)</sup> ولأخذت الناس تتساقط الواحد تلو الآخر،  
حتى إنه قيل : إن عند الموتى في اليوم الواحد بلغ الألف إنسان<sup>(٦)</sup> ويذكر  
ويذكر أن ثلاثة من المصوص قبضوا بعض الدور فوجدوا عند الصبح  
موتى أحدهم على باب القبّة، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على  
الشباب التي كورها.<sup>(٧)</sup>

(١) المغربي : المصدر السابق، ص ١٣٥؛ أحمد الصلوي : معاجلات مصر،  
ص ٦٣.

(٢) البساسيري : هو أبو العزّار أرسلان أحد قادة الأكراد في الدولة العباسية وكان  
على عداء مع الخليفة العباسي القائم بأمر الله ووصل إلى الدعوة الفاطمية، وأعلن  
من رغبته في إقامة الدعوة الفاطمية في بغداد، وقد تمكن بفضل جهود أبي  
هبة الله الشهرستاني وما قام له المستنصر من مساعدات بالإضافة إلى إسهام  
أهلوق الخلافة العباسية ببغداد وكثرة الفتن والثورات بين الجند، ولاسيما لأكراد  
منهم، الذي أصبح البساسيري قائداً عليهم، فزادت قوته وقوّته، في الوقت الذي  
ضعف فيه الخليفة العباسي القائم بأمر الله، فدخل في صراع مع العباسيين،  
واتّسم عليهم، ودخل بغداد عام ٥٤٠ هـ / ١٠٥٩ م وأقام الدعوة للخليفة  
المستنصر بالله الفاطمي على منابرهما.

لنريد راجع : ابن خلّكان : وفات الأعيان، ج ٥، ص ٦٣، ٦٨؛ المغربي :  
معاجلات الصلوي، ج ٢، ص ٢٥٣، ٢٥٤؛ عبد المنعم سلطان : الفتن في مصر،  
ص ٢٣١؛ محمد جمال الدين سرور : فتوح الفاطميين في بلاد الشام، ص ٩٥ - ٩٨.

(٣) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٨؛ أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٦٤.

(٤) ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ٥٩.

(٥) أحمد الصلوي : معاجلات مصر، ص ٦٤.

(٦) ابن تغري بردي : المصدر السابق، ج ٥، ص ٥٩.

وتزدادت الأمور سوءاً، في ظل استمرار نزاعات الجند التي شلت يد الحكومة، وأخلت بالأمن، فانتشر السلب، والنهب<sup>(١)</sup>، وكذلك علبت الأسعار، واشتد الجوع بالناس<sup>(٢)</sup>، ولا سيما في ظل الحصار الاقتصادي الذي فرضه ابن حمدان على القاهرة، والقسطنطين<sup>(٣)</sup> حتى يرغم الحبيسة على الخضوع له، وسرعان ما أتى هذا الحصار بثقله فارتفعت الأسعار، وتآثر الشعب.

لشدة الأمر بالناس، ولا سيما أمام عجز الخليفة لتوفير الحساء، أو السيطرة على غلاء التجار، وانعدام الأكل، حيث أدت كثرة الحروب إلى صعوبة إرسال المال بسبب الفوضى، وأخطار الطريق، وبمخال الحكومة أمر القزع، والجور، بالإضافة إلى موت العديد من الفلاحين الذين كانوا يقومون بزراعة الأراضي<sup>(٤)</sup> نتيجة للوباء الذي اجتاحت البلاد، قبله، وأهلك نحو ثلثي أهل مصر<sup>(٥)</sup> ولحق بالوباء، والطاعون، مرض الجنري الذي انتشر في مصر، وأصاب أطفالها حتى ألقى في شهر ربيع ٢١٠٠٠ طفل<sup>(٦)</sup>.

اضطر الناس إلى لكل نحاتة النحل، وقاموا بطبخ جلود البقر وباصوها رطلاً بدهمين<sup>(٧)</sup>، ثم لكل الناس الحيوانات الأليفة، وبيع كلب ليوكل بخمسة دنانير<sup>(٨)</sup>، وألف بناتة دنانير<sup>(٩)</sup>، ولم تسلم دواب الخيلة،

(١) ابن ميسر : أخبار مصر، ج ٢، ص ٢٠٠؛ ابن تكري بريدي : المصدر السابق، ص ٨٤.

(٢) المقريزي : المعانيخ، ج ٢، ص ٢٩٧.

(٣) ابن تكري بريدي : المصدر السابق، ص ٨٤ - ٨٥.

(٤) المقريزي : إغاة الأمة، ص ٢٣.

(٥) ابن يونس : بدائع الزهور، ج ٢، ص ٩١؛ أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٦٨.

(٦) رائد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٩٥؛ أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٦٨.

(٧) المقريزي : المعانيخ، ج ٢، ص ٢٩٧ - ٣٠٧.

(٨) المقريزي : نفسه، ص ٢٩٧؛ إغاة الأمة، ص ٢٣ - ٢٤.

(٩) ابن تكري بريدي : المصدر السابق، ص ١١٦؛ أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٦٦.

حتى لم يبق له إلا ثلاثة أفراس بعد أن كانت عشرة آلاف ما بين مرس وجمل ودقة، وينكر المقرري أن وزير المستعمر ترك على باب القصر بقلته، وليس معها إلا غلام واحد، فجاء ثلاثة أشخاص، وأخذوا البعلة منه، ولم يقدروا على دفعهم لضيقه من الجوع، هبّوها وأكلوها، ولجأ بعض الناس إلى أكل جثث بعض الذين نفذ قوتهم حكم الموت. (١) فكثر أكل لحوم البشر (٢)، كذلك كثر أكل الجيف، والميتة، وربما كان هذا سبباً في انتشار الوباء، وكثرة الضحايا حتى عجز الناس عن تكفين موتاهم، فألقوهم في البحر دون أكفان، أو ألقوهم في النيل. (٣)

اختل الأمن إلى حد كبير واستكروا على الخليفة نفسه، وأنجسوه إلى بيع ممتلكات خزائنه لهم لأجل تصديق رواتبهم، وأخذوها بأبغس الأمان، ثم تمادى بهم الحال وخرجت الأجناد بدافع الجوع، ومنعت أيديها إلى النهب، والسلب بعد مقتل ابن حمدان على يد خصومه، وتبهاأت الفرصة أمام الأشرار، وقطاع الطرق، وقراء البدو، ولم يتورع أحد في الاعتداء على غيره طلباً للعداء. (٤) وإزاء هذه الكوارث، اضطر للأرياء إلى الهرب إلى الشام، والعراق، هرباً من الجوع، والفتن، والموت المحقق جوعاً، وعلى رأسهم التجار. (٥) أما الفراء فكان مصيرهم الهلاك، ولم يستقم الأمر إلا باستعانة الخليفة المستعمر بالله ببدن الجمالي من فلسطين، الذي قضى على عناصر الفساد، وفتنة، فعاد الأمن، والرخاء من جديد إلى مصر. (٦)

(١) ابن خلدون : الجوامع، ص ١٥٠، ١١٦ المقرري : إغثة الأمة، ص ٢٤٠، أحمد الصولي : معاهدات مصر، ص ٦٧.

(٢) رابع : الفصل الاجتماعي من نفس الرسالة.

(٣) المقرري : قلائد الحقائق، ج ٢، ص ٢٠٢ - ٢٠٧.

(٤) راشد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٩٥.

(٥) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٢٠، المقرري : المصدر السابق، ص ١٣٠٣، الخطط، ج ١، ص ٣٢٧.

(٦) راشد البروي : المرجع السابق، ص ٩٦، أحمد الصولي : المرجع السابق، ص ٦٥.



مما سبق يتضح أن الأزمة التي اجتاحت مصر في عهد المستنصر بالله دامت من سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م إلى ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م، وكانت مدة السنين السبع، يزيد فيها فيضان النيل، وينقص، ولم يصل النيل خلال هذه المجاعة إلى حد القحط كما أنه لم يقل عن ١٦ درعاً إلا مرتين (٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م) ويبلغ خلالها حوالي ١٥ براعاً، إلا أن انعدام الأمن والحروب القائمة بين طوائف الجند، وصعاب شخصية الخليفة، أدت بدورها إلى هلاك الفلاحين، وكال دليل إلى بيع حد الزراعة لا يجد من يزرع من الفلاحين<sup>(١)</sup>، فبارت الأرض ولم تسرع، وارتفعت الأسعار، وعز الطعام، على الرغم من وفاء النيل بالريادة، ذلك لقد كانت العوامل السياسية، وصعاب الإدارة المركزية، وكثرة الأمراض الاجتعية التي أصابت للتجار، هي السبب الرئيس لدخول مصر في مثل هذه الحالة من الفساد، والسوء، والانهيار الاقتصادي.

وقد وصف المقرئ كل ما آلت إليه الدولة في تلك الفترة من لساد، وانهيار في قوله: "لم تر الدولة صلاحاً، ولا استقام لها" أمر، وتناقصت عليها أمورها، ولم يستقر لها وزير تعمد طريقته، ولا يرضى لتبهره وكثرت السعاية فيها فما هو إلا أن يستقدم الوزير حتى يجمعوه سرلهم ويقعوا به الظن حتى ينصرف، ولم تطل مدته، وخلف السلطان الناس، ودخلوه بكثرة المكتبة فكان لا يفكر على أحد مكاتبته. فلتقدم منهم كل سائق، وحظي عنده عدة أولاد، وكثروا حتى كانت رقاعهم أربع من رقاع الرؤساء، والجلة، ونقلوا في المكتبة إلى كل من حتى إنه كان يصل إلى السلطان كل يوم ثمانمائة رقعة مخشيت عليه الأمور، وانحصرت الأحوال ... ووقع الاختلاف بين عبيد الله، وضعت قوى الوزراء عن تدبيرهم نقص مدتهم، وأن الوزير منذ يُخلع عليه إلى أن ينصرف لا يضيق من القهر من يسعى إليه عند السلطان ويقف عليه الرجال، مما يكون فيه فضل عن التنازع عن نفسه فغريت أعمال الدولة وكل ارتدعها، وتغلب الرجال على معظمتها، وتجرأوا على الوزراء، واستعصم بهم، وجعلوا هم خوضاً لمهامهم ... فتلاشت الأمور، واضمحل الملك<sup>(٢)</sup>.

(١) ابن تيمس : بتاريخ الزهور، ج ١، ص ٦١، راجد البرلوي : المرجع السابق، ص ٩٣.

(٢) المقرئ : إفقة الأمة، ص ٦١ - ٦٣.

وإن كان المقريري قد ابتعد رميًا عن تلك الفترة، ولم يعاصرها فقد خرج من رحم الدولة الفاطمية نفسها، واستطاع أن يصف كلمات بسيطة ما وصلت إليه الدولة من فساد.

وقد أوجز ابن منجب التصيرلي، وهو من موظفي الدولة الفاطمية ما آلت إليه الدولة من فساد واضمحلال، في عبارة وجيزة واضحة حيث قال: "أم للعزائم فقد وفتت، وأسباب الفساد قد بلغت العلية، وانتهت، والمراقبة قد نذرت وقتت، والمهابة قد تلاشت واضمحلت".<sup>(١)</sup> ولا ريب أن الرجل قد صدق في وصفه دون استطراد، أو مبالغة.

ظل ارتفاع الأسعار، واحتكار السلع الغذائية ممة من سمات العصر الفاطمي الثاني (عصر الوزراء)، مثلما كان الحال في العصر الفاطمي الأول (عصر الخلفاء)، سواء كانت هذه الزيادة بسبب نقص فيضان النيل مثلما حدث في عهد المستعلي بالله<sup>(٢)</sup>، والأمر بأحكام الله<sup>(٣)</sup>، أو بسبب اللزاعات والخلافات التي دارت بين الوزراء.

ففي عهد الخافض لدين الله بلغت زيادة النيل إلى (١٧) نرطف و(٣) أصابع حسب تقدير ابن أبيك، و(١٨) ذراعاً و(١٢) بصيفاً حسب تقدير أبي المعاسين، وعلى الرغم من ذلك فقد ارتفعت الأسعار، واحتكر التجار السلع، ولعل ذلك كان بسبب الخلاف بين الخليفة، ووزيره رضوان بن ولخس الذي حاول النيل من مركز الخلافة<sup>(٤)</sup>، مما شجع التجار على ذلك، وقد أورد رضوان علاج هذه المجاعة عن طريق تأنيب محتكري

(١) ابن الصيرلي : الإنباء، ص ٥٠.

(٢) في عهد المستعلي بالله حدثت مجاعات خطيرة، كانت الأولى صم ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦ - ١٠٩٧م وانتشر معها الوباء، لم تكن المصادر مسية بهذه المجاعة، ربما كان ذلك بسبب نقص فيضان النيل، وكثفت الخليفة سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩ - ١١٠٠م، وانتشر معها الوباء أيضاً وفت غلطي كنسري، وكان السبب أيضاً هو نقص فيضان النيل. راجع : ابن ميسر : أخبار مصر، ص ٣٧، المقريري : تلمظ لطفاء، ج ٢، ص ١٩، ٢٥، ١٦٥.

(٣) ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ٢٢٠، أحمد الصلوي : مجاعات مصر، ص ٧.

(٤) المقريري : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٦، أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٧.

العمال الذين يرفضون الأسعار، فأمرهم بتوريد ما يحتاج إليه كل يوم من العلال، وأشرف على نفاذ ذلك بنفسه حتى انخفضت الأسعار. (١) غير أن الصراع ظل مستمراً بين ابن ولخش، والخليفة الحافظ اثنين (الله معات الأسعار في الارتفاع مرة أخرى، ونظمت مصر في المجاعة، مد دعاء إلى السعي في قتله. (٢)

وفي عام ٥٣٨هـ/٤٢ - ١١٤٤م، عانت الأسعار في الارتفاع، وكان السبب في ذلك هو خروج محمد بن رافع اللواتي بالبحيرة على سلطنة الخلافة؛ مما أدى إلى قتله بعد عدة مواقع دارت بينه، وبين والي البحيرة طائع بن رريك، إلا أن الأسعار قد ارتفعت في ذلك الوقت. (٣) وفي خلافة الفاتر بنصر الله، ووزارة تصالح طائع بن رريك عام ٥٥١هـ/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧م حدثت مجاعة أخرى، وانهار على إثرها اقتصاد مصر، وارتفعت الأسعار، ولم يكن النيل سبباً في ذلك، إذ بلغت الزيادة (١٧) ذراعاً و(٨) أصابع، ولكن سياسة الاحتكار التي لجأ إليها للتجار في ظل الحكومة المنهارة، أدت إلى ذلك. (٤)

لقد كان التجار يقومون بشراء الحبوب، وهي بعد لا تزال محصولاً في الأرض عن طريق تمديد ثمنها أو جزء منها مقدماً للفلاح حتى يتسنى له شراء البذور، وتلح الضرائب المقررة عليه، ويقوم هؤلاء التجار بتخزين الفلال حتى إذا ما ارتفعت الأسعار قاموا ببيعهم. (٥) ولأسيما أن إنتاج مصر من الحبوب في حالة وفاء النيل كان يكفي مدة عامين. (٦) وكان التجار يقومون بتخزين تلك الفلال بمجرد سماعهم بخبر توقف النيل عن الزيادة ثوبها بحوث المجاعة، وطلباً في مريد من

(١) أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ٧٠.

(٢) المقرري : الخطط ج ١، ص ٣٥٧.

(٣) في ميسر : أخير مصر، ج ٢، ص ٨٦.

(٤) المقرري - إعانة الأمة، ص ٢٧ - ٢٨.

(٥) المقرري : إعانة الأمة، ص ١٩ - ٢٠؛ أحمد الصلوي : مجاعات مصر، ص ١٥٤.

(٦) البخاري : الإفادة والاعتبار، ص ٤٤؛ المقرري : الخطط ج ١، ص ٥٩.

الكسب<sup>(١)</sup>، لذلك كان تفاطميون يولجهمون ذلك، إما بمحاولة إخفاء مصر  
التحصن عن طريق المصادرة بزيادته كما فعل المعمر لـدين الله، أو عن  
طريق التهديد بقلب من يقوم بتحزير الغلال كما فعل الحكيم بأمر الله  
، عسى أن غم من هذه الإجراءات فإن ذلك لم يحل دون قيام الناس بحرق  
الحبوب، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها وقت الحاجة<sup>(٢)</sup>.

وبين كانت هذه السياسة قد وضعت حداً - ولو مؤقتاً - لاحتكار  
التجار، فإن الدولة نفسها قد نجأت إلى تلك السياسة، على الرغم من أن  
الرسول (ﷺ) قد سبى عن ذلك حيث قال : " لا يحتكر إلا مخطي"<sup>(٣)</sup>، فقد  
كان الخلفاء يماضون بأموالهم في التجارة، ولا شك أن تلك التجارة كانت  
من أكثر الأشياء المربحة<sup>(٤)</sup> فقد قاموا بالتجار الذي أصبح منذ وزارة  
اليازوري، وحتى نهاية الدولة الفاطمية، وسيلة مباشرة من وسائل  
الاحتكار، هذا الأمر الذي أضرب ولا شك بأحوال الناس، وأثر على وجود  
السلع، وكذلك سعرها<sup>(٥)</sup>.

لم يقتصر الأمر على الخلفاء فحسب، بل وصل إلى الوزراء الذين  
سيطروا على مقاليد الأمور، وساروا على نهج الخلفاء، فملحوا التجار من  
الاحتكار، وقلموا هم به، فمع وزارة الأفضل بن بدر الجمالي ٤٩٨هـ -  
٥١٥هـ / ١٠٩٤ - ١١٢١م وجد في مغازنه بعد وفاته، وثبتت بعد  
عماله، والعبادة، وثمان اللولمي أصنافاً من الغلال، والحبوب<sup>(٦)</sup>، ويرجع  
أن يكون ذلك سبباً من أسباب المجاعة في مصر في ذلك الوقت، ولاسيما  
أن المقريري لم يذكر أن تلك المجاعة كانت بسبب قصور النيل<sup>(٧)</sup>.

(١) راشد البراوي : حلة مصر الاقتصادية، ص ٨١.

(٢) راشد البراوي : المرجع السابق، أحمد الصلوي : المرجع السابق، ص ١٥٥.

(٣) ابن تيمية : القصة وستونية الحكم، ص ٥٢.

(٤) تاريخ ابن عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٧٣.

(٥) المقريري : الخطط ج ١، ص ١٠٩، إغلة الأمة، ص ٢٠٠، تاملت القصد، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٦) ابن تيمية : أخبار مصر، ص ٨٢، تاريخ ابن عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٧) المقريري : الخطط ج ١، ص ١٠٩، تاملت الحقا، ج ٣، ص ٢٢٥.

وكذلك احتكر الصالح طلائع بن زريك إنشاء وزارته ٥٤٩ - ٥٥٦ هـ / ١١٥٤ - ١١٦١ م الغلال مما كان مبيّناً مباشراً في ارتفاع الأسعار في زمن الخليفة الفاتح ٥٤٩ - ٥٥٥ هـ / ١١٥٤ - ١١٦١ م، ومع قصور مبدئه القليل، أخرج هذا الوزير ما بالأمرء من غلال، وكنت لا تحصي مرقها على للطحنين. <sup>(١)</sup> وربما كانت تلك السياسة التي اتبعها طلائع بن زريك هي التي أدت إلى ارتفاع الأسعار في عام ٥٥٥ هـ / ١١٦١ م في خلافة المعتمد لدين الله آخر خلفاء الفاطميين إبان فترات الاحتكار، وقلة تداول المحصول. <sup>(٢)</sup>

كما طبعاً أن تتضح سياسة الدولة الاحتكارية في مجالات أخرى بشكل أوضح. فقد مارست الدولة الفاطمية سياسة احتكارية خالصة ببعض الصناعات، والسلع، والموارد التي تمثل أهمية اقتصادية، سواء للنبي تميزت بها مصر بإنتاجها، أو التي انتشرت إليها، وكانت عليها أحصر، فقد احتكرت بعض المواد مثل الثوب والنظرون <sup>(٣)</sup>، وبعض السلع مثل الخشب، والحديد، والرماس، وريت الزيتون، وغيرها، فضلاً عن الصناعات اليدوية المرتبطة بقوة الدولة، مثل صناعة السع، والسلاح، والعملية. <sup>(٤)</sup>

كذلك كان هناك بعض الصناعات التي مارمت عليها سياسة شبه احتكارية، وذلك لخدمة مصالحهم العامة، وتلبية متطلباتهم المتسمة باليدع، فاحتكروا صناعة النسيج، وكذلك تجارته، ربما كان ذلك من أجل الدعاية لدولتهم حيث حملت تلك المصنوعات عوشتهم الإسماعيلية، وكذلك كانت تلبى حاجة الذي اتسم بالمبالمة، والرفاهية. <sup>(٥)</sup> فكانت التونة تُحرّم على

(١) المغربي : إغلة الأمة، ص ٢٧ - ٢٨.

(٢) المغربي : المظاظ لفتا، ج ٢، ص ٢٤٤.

(٣) ابن المأمون : أخبار مصر، ص ٢٩؛ المغربي : الخطط : ج ١، ص ٩٧.

(٤) تاريخي عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٧٤؛ رائد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٤٩.

(٥) باصر خسرو : مرقته، ص ١٩٧؛ تاريخ عبد الكريم : مرجع السابق، ص ١٧٩.

الساحرين أن ينجوا شيئاً، لا يشراف الدولة. <sup>(١)</sup> عن طريق حتم من يمنحه بختم السلطان، والذي عرف بخاتم الشرب، والديني <sup>(٢)</sup> كذلك أشرفت الدولة على صناعة السكر، لئلا حاصيات السلطان القاطمي عن الأسطى المختلفة التي تستخدم فيها مقدار كبيرة من السكر، وكذلك الاحتفالات الجديدة التي ميرت البلاط القاطمي.

نمة نوع آخر من أنواع الاحتكار الذي فرصته الدولة القاطمية، ألا وهو احتكار الصفاغ الماهرة حيث كانت الدولة تجهز لعمل الصفاغ الماهرة على المعنى في مصانع الصمغ الحكومية خلال المسؤول عن الجب، بسفاه الحرفيين الماهرة، وكانوا بذلك لا يستطيعون الخروج مطلقاً من القاهرة لسنوات عديدة، إلا من خلال أمر يصدره الخليفة يؤمهم به، أو حلال التماس <sup>(٣)</sup> ويرفع العلاقة يؤكد هذه الحقيقة، وهي التمسار هؤلاء العمال للخدمة في المصانع الحكومية ضد رعايتهم، حتى إلى أحدهم كتب يشكو بمرارة أنه غير قادر على المشاركة في الحياة الاجتماعية، والدينية مع إخوته. <sup>(٤)</sup>

هكذا اتبعت الدولة سياسة التوسع، وهي سياسة مخالفة للفقهاء الشيعي للحد من شجع التجار وارتفاع الأسعار، غير أن تلك السياسة لم تكن لتؤتي ثمارها المرجوة في جميع الأحوال، فإن كانت تلك السياسة قد نجحت في عهد الحاكم بأمر الله لشدة، ورعب الناس منه، وسطوته. <sup>(٥)</sup> فإنها قد فشلت في عهد الظاهر لدين الله أثناء مجاعة ٤١٤ - ٤١٥ هـ / ١٠٢٣ - ١٠٢٤ م، بسبب التواضع بين رجال الدولة، والتجار، كذلك لم تنجح عام ٥٣٢ هـ / ١١٣٧ م بسبب سمي رهشون بر ولحنى في تأليب الرعية على الحاكم. <sup>(٦)</sup>

(١) المقامي : لمس التقسيم، ص ٢١٣.

(٢) المقرئ : الخطوط ج ١، ص ١٤٤؛ تاريخ عبد الكريم، المراجع السابق، ص ١٧٦.

(٣) بالمرحور . - مرقمة، ص ١٢٣؛ المقرئ : الخطوط، ج ١، ص ٣٨٨.

(٤) تاريخ عبد الكريم . مصر الإسلامية، ص ١٧٥.

(٥) ابن أبيس : بدائع الزهور، ج ١، ص ٥٥.

(٦) لحد الصاوي، مجامع مصر، ص ١٥٦.

كذلك حظيت الدولة الاحتكارية لما في ذلك من مخالفة لتعاليم الدين، وظلم للرعية، وضربت بيد من حديد على التجار والمحتكرين، إلا أن الدولة نفسها قد عاشرت تلك السياسة، كما فعل المستعصر بالله، والأصل بين بدر الجمالي، وطلّاح بن زريق، وغيرهم من الخلفاء، وكبار رجال الدولة. فلم تنفع تلك السياسة مع المحتكرين، ولا سيما في ظل اندراست، والثورات، ومظاهر الفساد، والتي اجتاحت الدول المظلمة، وكانت أي تقصي عليها بعد أن قضت على الكثير من شعبيها.

### [٢٩] انخفاض قيمة العملة

يبيّن التعلّم ليدرك أهمية العملة، وأصلاتها، وصلابتها؛ لأنّ ضعف القوة الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية لأي دولة من الدول، وقد كان لشكة أو ضرب النقود أهمية خاصة كوسيلة لإظهار نفوذ الحاكم، وبذلك عدت الشكة من أهم شارات الخلافة، والحكم في الدولة الإسلامية، فبدأت ضربت النقود في الأقاليم الإسلامية بنسب الحاكم المحلي كان اسمه يوضع مع اسم الخليفة؛ ليبين نفوذ ذلك الحاكم، وسيطرته مع بدء ولادة الخليفة وإذا ضرب أحد الحكام المسلمين نقوداً باسمه دون اسم الخليفة كان ذلك دلالة على استقلاله في الحكم وعدم اعترافه بسيادة الخليفة. (١)

استعمل المسلمون في عهد الرسول (ﷺ)، والخلفاء الراشدين، وأوائل العصر الأموي النقود البيزنطية والساسانية التي كانت سائدة قبل الإسلام، وهي الدينار البيزنطي، وهي عملة ذهبية (وكلمة دينار مشتقة من اللغة اليونانية)، والدرهم الساساني، وهو عملة فضية، وفي خلافة عبد الملك بن مروان عندما بدأ تعريب الدوليين بدأ كذلك تعريب العملة. وقد بدأ بضرب هذا النمط من الفئات ابتداءً من عام ٧٤هـ/٦٩٣م وبعد ذلك بسنوات ضربت النقود دون أن يظهر عليها صورة الخليفة، بل نقشت عليها عبارات مثل الشاهدين، وآية قرآنية. (٢)

(١) د. إبراهيم سليمان الكندي، د. عبد القادر عوف الدين : المعاصرة العربية الإسلامية، منشورات ذات المصالح، الكويت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م، ص ١٢٤

(٢) عيسى، ص ١٣١ - ١٣٢.

Stephen, F. Mason : A History of the Sciences, New York, 1973, p. 15 17

وفي العصر الفاطمي أوجد هارون ترشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) مصباً جديداً للإشراف على سك النقود، وهو ناظر السكة، وعندما ضعف نفوذ الفاطميين، وقضت عدة دويلات إسلامية في الأندلس، أقيمت مراكز جديدة لسك النقود، وزالت دور الضرب.<sup>(١)</sup>

وقد عرف المسلمون ثلاثة أنواع من العملة : العملة الذهبية، ووحدة الدينار، والعملة الفضية، وحدثها الدرهم، والعملة النحاسية وحدثها الفس، وكان يشكل الدينار الإسلامي، وجمعه لا يختلف كثيراً من فترة لأخرى في سائر أنحاء العالم الإسلامي سواء في دولة الفاطميين، أو في الأندلس أو في الدولة الفاطمية، وكان النقش عدة يحمل عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وآية قرآنية تتكون عادة من سورة "الإخلاص" ويحوي النقش مكان وتاريخ الضرب، ولعل الخليفة<sup>(٢)</sup>

وظلت السكة<sup>(٣)</sup> المستخدمة في مصر طوال عصر السيادة في نسبها المتداولة في أرجاء العالم الإسلامي<sup>(٤)</sup>، باستثناء الفترة القصيرة التي كانت فيها مصر ولاية شبه مستقلة في عهد الطولونيين والإخشيديين، حيث ظهرت دلالة تحمل اسم ولاتها، فظهر النصار الأحمدي نسبة إلى أحمد بن طولون، والذي عرف بالجوادة، والثناء.<sup>(٥)</sup>

(١) محمد المسدي صفي، تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة العالهي، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٥٤. Stephen: op cit., p 25

(٢) الدوميني : العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة . عبد الصميم النجار، ومحمد يوسف موسى، دار الترم. القاهرة، ١٩٦٢، ص ١١٤.

(٣) السكة : كلمة تدل على خاتم الحديد الذي تطبع فيه العملة، أو ضرب عليه بالمطرقة، وذلك كل يطلق عليها العملة المصرية، كذلك سمي المكان الذي تصنع فيه "دار السكة" أو دار الضرب، وكل مسطر عند العرب سكة، كان الذهب يملأ من الذهب، أما الدرهم فكان يملأ من الفضة، أما النحاس فقد أطلق عليه كلمة قوس.

راجع : المنوردي : الأحكام السلطانية، ص ١٤٩ هـ، هيكلي : فتوح المسلمين، ص ٥٢٥ : ابن خلدون : المقدمة، ج ٢، ص ٤٤ : المقريزي : (غنية الألب)، ص ٦٠، ٦١ : الخطيب، ج ١، ص ٤٠ : عبد المنعم مجيد : نظم الفاطميين ورموزهم، ج ١، ص ١٢٧.

(٤) مونة إسماعيل، كاشف . مصر في فجر الإسلام، ص ٤٤.

(٥) نصر حمرو : سفري، ص ٨٢ : المقريزي . الخطيب، ج ١، ص ٤٢ : فستات ماري الكرملي [الألب فستات ماري] . النقود العربية ونظم الفاطميين، -



وكان الذهب هو قاعدة النقد Etalon Monetaire في مصر، قبل الفتح العربي، وكثفت مصر تسيير على نظام التعمد الذي ردي Monometallisme<sup>(١)</sup>.

بعد ذكر المقريري أن نقد مصر كان دوماً للذهب<sup>(٢)</sup>، وكان تحول الفاطميين إلى مصر تأكيداً لمسيادة النقد الذهبي فيها.<sup>(٣)</sup>

فقد أخذ الفاطميون من سيطرتهم على طرق الذهب الأثني من بلاد السودان العربي، أثناء سيطرتهم على بلاد المغرب<sup>(٤)</sup>، كذلك سيطروا على كل الطرق التجارية المؤدية إلى غانا التي كانوا يجلبون منها للذهب، بعد قصفهم على إمارة تاهرت<sup>(٥)</sup>، واحتلالهم سلجوسنة.<sup>(٦)</sup> فحصلوا على رصيد ذهبي ضخم أعانهم على أعمال الدعوة في مصر، ثم غزوها.<sup>(٧)</sup>

وإن كان الفاطميون قد فقدوا هذا المصدر المهم للذهب بعد انتقالهم إلى مصر، فإنهم قد استعاضوا عنه بما كانوا يحصلون عليه من منجم

- المطبعة المصرية، القاهرة، ١٩٣٩م، ص: ٥١؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص: ١٢٥.

(١) أحمد الصولي : مجاعات مصر، ص: ١٨٢.

(٢) المقريري : إلفلة الأئمة، ص: ٦٤.

(٣) أحمد الصولي : المرجع السابق، ص: ١٨٧.

(٤) ناصر محمد، المصدر السابق، ص: ١٦٩؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص: ٢٤٨؛ أحمد الصولي : المرجع السابق، ص: ١٩٣.

(٥) تاهرت : فتح الياء وسكون الراء، وثاء فوقها نطنتان، اسم لمدينتين متجاورتين بالمغرب، يقال لأحدهما تاهرت القديمة، وللأخرى تاهرت المعدلة، وهي على بعد خمسة أميال من تاهرت القديمة وهي في الإقليم الرابع، عرسيد لاسي وثغثون درجة، وهي بين تلمسان وقلمة بني حنبل، وتعرف تاهرت القديمة بـ"تاهرت" عهد الخلفاء كما كانت تسمى عرق المغرب، لم تكن في طاعة صديقه إفريقية، ولا تخلت في منطقتي الأغلبي، وهي مدينة مضمرة لها أربعة أبواب (باب الصفا، وباب القناري، وباب الأكناس، وباب المطلس).

للمزيد راجع - يقول الصولي - معجم قبائل، ج ١، ص: ٣٩٧، القرويني لركزي، بن حمد بن حمود : آثار البلاد وأخبار العباد، طبعة مصر، ١٩٤٨م، ص: ٦٦ - ٦٧.

(٦) أيمن غزاله سيد : الدولة الفاطمية، ص: ٥٠٥.

(٧) أحمد الصولي : مجاعات مصر، ص: ١٨٧.

وادي الملحي في جنوب مصر<sup>(١)</sup>، وكذلك ما كانوا يستخرجونه من مقابر  
سراغة، حيث كان رجال الطينة يشرفون بأنفسهم على عملية استخراج  
الذهب من هناك. <sup>(٢)</sup> كذلك تمكنوا من مناجم اللؤلؤ بعد فتحهم لها، فضلاً  
عن التمكوس التي قاموا بتحصينها، والتي أثقلت كاهل الناس، سواء أهل  
الدلتا، أو من الثوقلين عليها في طريق الحج، وفتقره، إضافة إلى ما  
جمعه لفاطميون معهم من بلاد المغرب، فتزوي المصائر التي ترجية أن  
المعز بن الله إنما خرج من المغرب قاصداً مصر كان معه خمسة مائة  
جمل مملوء بالذهب، الذي جمعه لفاطميون طوال المسنين عاشت التي  
أمنوها هناك، فقد أمر المعز ببيعه على هيئة أرحية الطواحين<sup>(٣)</sup>، فسبك  
من الذهب ثمانمائة رجام، فكل ذلك قد وفر لهم حصيلة من الذهب ولقاعدة  
ثنية لا يستهان بها. <sup>(٤)</sup>

عندما دخل الفاطميون مصر وعثروا فيما وعدوا بتجديد المسكة،  
وصرفها على المعيار المعمور به في خلافتهم بالمغرب، ومنع الفشل  
فيها، هذا الأمر الذي يدل على سوء الأحوال الاقتصادية في مصر في  
نهاية العصر الإخشيدى<sup>(٥)</sup>، وكانت العملة السارية عند مجيئهم، هي الدينار  
الراصي نسبة إلى الخليفة الراضي العباسي، واستخدمه الرباعي<sup>(٦)</sup>،  
المضروب في عهد المأمون العباسي، وانديتار (الأبيض)، أي الثني الذي

(١) لإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إدريس الشريفي) رحلة المشاتي في

مشرق الأفلاق، ج ١، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ، ص ٣٧.

(٢) المقرئ في الخطوط، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) نفسه، ص ٤٣٧؛ أمين فؤاد عياد : المرجع السابق، ص ٥٠٥؛ أحمد الصاوي

المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٤) غارماني عبد الكريم : مصر الإسلامية، ص ١٦٢، راجد البرلوي : حقه مصر

الاقتصادية، ص ٣٧.

(٥) عطية مصطفى مشرفة : نظم الحكم، ص ٢٩٥، سيد إسماعيل كاشم : مصر

في عهد الإخشيديين، ص ٥٠، غارماني عبد الكريم : المرجع السابق، ص ١٦٢.

(٦) المعنسي : أصناف النقوش، ص ٢٤٠؛ المقرئ في : المعنسي الكبير، ج ٢،

ص ١٠٠.

سك في عهد الأمويين، وبقي حتى مجيء الفاطميين<sup>(١)</sup>، ولم يلجأ الفاطميون في أول الأمر إلى منع العملة السنية، حتى لا يحدثوا اضطراباً في التعامل أو خسائر فاحشة لمن يملكونها، ولكنهم منعوا العملة ذات الفئة الصغيرة مثل القنقال، والقطيع<sup>(٢)</sup>، التي لم تعد لها قيمة بسبب ارتفاع الأسعار<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت كل الأسباب والسبل متوفرة لدى الفاطميين لإجلاء الاقتصاد قوي، ولتعميم العملة المتداولة آنذاك، ولأسيما معدن الذهب كان قد عرف طريقه إلى الفواطم وسبل الحصول عليه كانت متاحة لديهم إن خرج مما سبق بأن الإصلاح النقدي كان على بُعد خطوة من الفواطم لو أحسوا استغلال ما لديهم، وابتعدوا عن مظاهر الفساد، ووهوا بمعبودهم التي قطعوها على أنفسهم عند مجيئهم إلى مصر.

ولما كان إصدار صلة جديدة يدل على سيادة الدولة، لم يلب الفاطميون عملوا على إصدار صلة خصة بهم، تحمل بالضرورة عقيدتهم الشيعية، وأسماء خلفائهم، ولقبهم<sup>(٤)</sup>، ولأرد جوهر أر بفتح هذا العهد أقدم بضرب الدينار المعري عام ٣٥٨هـ/٩٦٩م<sup>(٥)</sup>، كما عمل عدة أجزاء من شأنها محاربة العملة العباسية، فقام بتثبيت قيمة الدينار المعري إلى خمسة وعشرين درهماً، بينما ثبت قيمة الدينار الراضي عند خمسة عشر درهماً، والدينار الأبيض إلى ستة دراهم، كما رفع المعاملة بالدينار المثلية لثني ترجع إلى عصر المتقي العباسي<sup>(٦)</sup>، وهذا لتحديد للقيمة كل صلة بسبب في ضرر الصيرافة، لما كان لديهم من هذه التماثيل، فقاموا

(١) أنستاس ماري : فنود العربية، ص٤٢ - ٤٣.

(٢) المقدسي : أخص الفلاسيف، ص٢٠٠؛ عبد القاسم ملحد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج١، ص١٢٧.

(٣) عبد القاسم ملحد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٢٤٩؛ نظم الفاطميين ورسومهم، ج١، ص١٢٧.

(٤) عبد القاسم ملحد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٢٤٩.

(٥) المقريري : تحفظ الحدا، ج١، ص١١٥ - ١١٦.

(٦) أنستاس ماري : فنود العربية، ص٢٥٨؛ لفرمان عبد الكريم : المرجع السابق، ص١٦٢.

بثورة، إلا أن جوهره قد حدد بعلم مكانهم فخصصوا نالهم توقع<sup>(١)</sup>، وكره  
عليهم من اليهود.<sup>(٢)</sup>

ولما قدم المعز من بلاد المغرب ٣٦٧هـ عهد إلى ابن كلثوم،  
وعسلاج بن الحسن بالإشراف على الحراج، فامتنع الوريراء عن أحد  
الحراج إلا بالدينار المعزي، مما كان له أثر في انحطاط قيمة النسيب  
الرأسي بمقدار أربع<sup>(٣)</sup>، وإن كان الدينار الرأسي أكثر وزناً، وأشد  
دقاًوة<sup>(٤)</sup>، كذلك تشدد بيت المال في ضرورة التعامل، وبخس الضرائب  
بالتدبير المصري، فاتباع الناس للتدبير الرأسي بنقل من قيمته فربحت  
الحكومة، وملائت العملة الفاطمية<sup>(٥)</sup> في جميع أنحاء مصر،  
والإمبرطورية وكانت تشك في جميع دور المسكة على طول البلاد،  
وعرضها.<sup>(٦)</sup>

وكانت دار الضرب تنشر الإسكندرية يرد إليها الذهب الرومي مع  
اختلاف أصنافه من النائير، وغيرها، والسبائك، والنايير الطرابلسية،  
والرباعية، والمهدوية، والصقلية القديمة، والنايير المرابطية، والمكسرة،  
والمصدغ، فبعد عليها في الأتوز، وتصير ذهباً نقياً، أو فضة ماء واحد،  
وتسبك سبيكة واحدة، أو تقبض نصيباً، ويكون المعيار بالميزان، ثم تختتم  
بغتم المسكة.<sup>(٧)</sup>

(١) المغربي : تعاليف الحنفاء، ج ١، ص ١٣٧ حسن إبراهيم حسن : اللطائف إلى  
مصر، ص ١٨٦

(٢) تاريخ ابن عبد الكريم : محصلة غير المسلمين في الفتنة الإسلامية، الهيئة المصرية  
للعلم للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص ١٤٦ عبد القم مجد : نظم الفاطميين  
ورعومهم، ج ١، ص ١٣٠ حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق، ص ١٨٦

(٣) المغربي : الخطوط، ج ٢، ص ٦٠ فستل ماري : النقود العربية، ص ٨٠  
(٤) فستل ماري : المرجع السابق، ص ٨٥ راشد البرلوي : حكمة مصر  
الاقتصادية، ص ٣٠٢.

(٥) راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٣٠ عبد القم مجد : ظهور الخلافة  
الفاطمية، ص ٢٥٠

(٦) المحرومي : المنهاج في علم خراج مصر، ص ٣١ عبد القم مجد : المرجع  
السابق، ص ٢٥٠ أحمد الصلوي : مجامع مصر، ص ١٩٦، ١٩٧.

(٧) المحرومي : المصدر السابق، ص ٣٠ - ٣١.

كثرت كمية الذهب التي أتت بها الفاطميون من بلاد المغرب، بالإضافة إلى ما قد حصلوا عليه من مصاهرة في مصر كقبيلة دُل يعطى راحة قويا بأن التعامل النقدي في مصر سيظل يعتمد على قاعدة النقد الواحد، التي كان الذهب ركنها تركيز قبل التفتح كما تم ذكره، (إلا أن رياح الأحداث في مصر قد جاءت بما لا تشتهي النفس، إذ سرعان ما تحولت البلاد من قاعدة المعدن الواحد، وأصبح التعامل يتم على أساس معدني الذهب، والفضة معاً بنظام المعدنين *Bimetallic System*).

وأخذت الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ، وأخذ معدن الذهب في التراجع أمام معدن الفضة الذي أصبح مصرحاً به من قبل الدولة بالتعامل النقدي، ثم أصبحت ثراهم الفضية هي نقد مصر والقاهرة والإسكندرية، حتى إن أهلها كانوا لا يتعاملون إلا به<sup>(١)</sup>، وفي أواخر عهد الدولة الفاطمية انخفضت قيمة العملة، وكثرت جودتها، وظهرت عملة جديدة عرفت بالدرهم السود التي احتوت على قليل من الفضة ومعظمها من النحاس، وأصبحت تلك الدراهم هي السائدة في التعامل النقدي. أما الذهب فقد انتهى ذكره تقريباً مع انتهاء الدولة الفاطمية.<sup>(٢)</sup>

ولقد لجأ الحكام إلى تخفيض قيمة العملة، وقد فعل بعض الخلفاء الفاطميين ذلك أحياناً بإصدار عملة يقل وزن المعدن فيها عن العيار العادي<sup>(٣)</sup>، حيث كانت مقادير العملة يتم حسب رأي الإسماعيليين والمصريين بالضرورة على عيار الدينار، والدرهم الرسمي، وكانت العملة تزن ولا تعد، فكانت قيمة الدينار إلى درهم تتراوح بين ١ : ١٥.٥ و ١ : ٣٦، غير أن كثرة العملة في المعاملة، أو تآكلها، أو تدخل أغش بها، قد أحدث تنديداً في قيمتها؛ مما اضطر بالناس، ولاسيما في ظل صعوبة

(١) أحمد الصوري : المصدر السابق، ص ١٨٩، راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٣٠٤.

(٢) المقرئ - إغاة الأمة، ص ٦٥ - ١٦٦، راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٣٠٨.

(٣) استنيس ماري : الفنون العربية، ص ٥٦، راشد البرلوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٧.

(٤) راشد البرلوي : المرجع السابق، ص ٣٠.

التمييز - أحياناً - بين العملة الخالصة والعملة المغشوشة، وكانت الدولة تلجأ في بعض الأوقات إلى منع العملة الرديئة في المعاملة. (١)

وقد ظهرت الدراهم الفضية مع سلسلة المجاعات التي تطلعت عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، عندما اضطرت أمور الناس، وارتفعت أسعار السلع الغذائية، وانخفضت قيمة الدراقية للنقود، فلجأ التجار إلى احتراز كمية كبيرة من النقود الذهبية (الدنانير)؛ خوفاً من خسارته، وطعن في الاستفادة من ارتفاع قيمتها بعد انتهاء المجاعات، وكذلك ما قد جناه هؤلاء التجار من النقد الذهبي الذي كان أصحابه يضطرون للتخلي عنه من أجل شراء الطعام الذي احتكروه هؤلاء التجار. (٢)

لقد أدرك الحاكم بأمر الله ظاهرة اكتناز الذهب الذي قبل عليه التجار، وغيرهم من المحتكرين، فأمر بمك معدن جديد لمواجهة هذه الأزمة، فظهرت الدراهم الفضية بجانب الدنانير الذهبية (٣)، وبظهور العملة الفضية الجديدة، ظهرت أزمة نقدية كانت الأولى من نوعها في تاريخ مصر، حيث ارتفع سعر الدينار بالنسبة لسعر الدراهم الجديدة، فبلغ ستة وعشرين درهماً بدینار، هذا الأمر الذي أدى إلى تزايد الإقبال على الذهب، ومع امتداد المجاعة، وارتفاع الأسعار انخفضت قيمة تلك الدراهم حتى وصلت إلى أربعة وثلاثين درهماً بدینار، هذا الأمر الذي يؤكد وجود شيء قد حدث في تلك الدراهم سواء في الوزن أو العيار، فاضطربت أمور الناس، وزاد الأمر سوءاً. (٤)

(١) عبد السلام ماحد : نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٢٩ أحمد الصاوي : مجامع مصر، ص ١٨٣.

(٢) أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٨٤، ١٨٥ رائد البرلوي : فمراجع السابق، ص ٣٠٥.

(٣) رائد البرلوي : المرجع السابق، ص ٣٠٥.

(٤) الذهبي فكتلي [مصور] : كشف الأسرار القبطية بحدوث الضرب الممصرية، مخطوط محفوظ بدار المخطوطات، جامعة الملك سعود، تحت رقم ٣٣٢.٤، ١٩٦٠، ص ٢٥، ص ١٥، المقرئ : قتل الحنفية، ج ٢، ص ٥٨، السنان ماري : النقود العربية ص ١٥٩ أحمد الصاوي : مجامع مصر، ص ١٨٧ رائد البرلوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٥.

فاضطرت الحكومة للتدخل لحماية نقدها، ولإجتناب تلك الأزمة، وأدرك الحاكم بأمر الله ضرورة تصنيع وضع الدراهم الجديدة حتى لا تطرد الدراهم من التداول النهائي، فأمر بصحب الدراهم القديمة من التداول، وأُخرج عشرين صندوقاً من بيت المال تحتوي على دراهم جسد هورت على الصيارف. كما قرئ سجل يمنع التعامل بالدراهم الأولى، وترك من بيده شيء منها مهلة ثلاثة أيام ليورده إلى دار الصرب، فاضطر من في يده شيء إلى التخلص منها، وقد أدى هذا الإجراء إلى انخفاض سعر الدراهم القديمة بالنسبة للجديدة، فبلغت أربعة دراهم قديمة بدرهم جديد. كما قرر الحاكم بأمر الله أمر تلك الدراهم الجديدة ١٨ درهماً بدينار.<sup>(١)</sup>

لم يستمر الأمر طويلاً، ففي عهد الممتمصر بالله، وتحديدًا في عام ٤٤١هـ/١٠٤٦م، انخفضت قيمة تلك الدراهم جدًا، فتسببت في خسارة كبيرة للناس، فقد بلغ ٣٥ درهماً بدينار واحد ولم يفسر المؤرخون سبب الانخفاض المفاجئ في قيمة تلك الدراهم، وأغلب الظن أن سوء الأحوال السياسية وكثرة الحروب التي كانت في عهد الممتمصر قد أدت إلى ظهور دراهم مفسوثة - دُغت عبارتي - مما أدى إلى انخفاض قيمتها، وعلى الرغم من ذلك، فقد لاقت هذه الدراهم قبولاً في ظل استمرار المجاعة، وريادة نهم التجار في اكتناز الذهب، فارتفع سعر الدراهم الممتمصرية الضعيفة ليصل إلى ٦٦ درهماً بدينار.<sup>(٢)</sup>

أما في عصر الخليفة الأمر بالمكاف الله، فقد ضربت عملة جديدة عرفت بالفضة السوداء، المشهورة بالعملة الأمرية، وكانت تلك العملة ضعيفة القبار، حيث كان معظمها من قنص، ولا يحتوي إلا على النسر اليسير من الفضة، وقد ظلت هذه العملة هي العملة المتعامل بها حتى استولت دولة بني أيوب على مملكتي مصر، والشام.<sup>(٣)</sup>

(١) المنبري: شذور القود في ذكر القود، دراسة وتحقيق: محمد عبد الستار عثموي، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ٢٧ - ٢٨، راجد قيرلوي: المرجع السابق، ص ٣٠٥؛ أحمد الصاوي: المرجع السابق، ص ١٨٧.

(٢) قاضي فتاوى: كنز الأمراء العلمية بدار الضرب المصرية، ص ١٨٩، أحمد الصاوي: المرجع السابق، ص ١٨٩.

(٣) أحمد الصاوي: المرجع السابق، ص ١٩٠.

لم يكن إقبال التجز على الذهب، واكتتاره فقط هو الأمر الذي أدى إلى اختفاء الذهب وظهور معدن جديد أقل قيمة، ولكن هناك السيد من الأسباب السياسية والاجتماعية التي تبيعتها الدولة الفاطمية فدرس بها من الأكثر قلبي أدى إلى عجز الدولة على الحفاظ على الذهب بحسبة للتعامل النقدي الواحد، واختفاء معدن الذهب، وظهور المعدن الأحمر، التي سألها هي الأخرى المتكورة، والاكتفاء.

وقد أتت مظاهر الترف، والبهذخ التي كانت سمة من سمات المجتمع الفاطمي إلى إقبال الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم، على امتلاكه المني، وسائر المصنوعات الذهبية، كما يستخدم هذا المعدن النقيس في الأغراض المختلفة، فتدخل في صناعة النسيج،<sup>(١)</sup> حيث زاد إقبال إلفاق الدولة على الملابس، والكموات، وخرط الذهب التي كانت تعلق بها هذه المنسوجات، حتى وصلت إلى ٤٣ ألف دينار في خلافة الأمر بأحكام الله.<sup>(٢)</sup> كذلك ما انتعش للدولة على الأسلحة المدببة والمزجج، وغير ذلك الكثير.<sup>(٣)</sup>

كذلك كان ظهور الوزراء المعظم، والعسكريين كثرة حاكمه في البلاد، واتساع عددهم، وحواسبهم عند الخليفة، وآل بيته، واتجاه هؤلاء إلى زيادة ثرواتهم بطرق شتى، سعيًا وراء توطيد نفوذهم، أدى إلى قلة وجود الذهب، حيث كان هؤلاء الوزراء يقومون باكتنازه، هذا ما تكشف عن ثرواتهم وتركزت هؤلاء الوزراء، ولما كانهم من الذهب، والفضة بعد موتهم.<sup>(٤)</sup>

---

(١) ابن حنبل : أخبار مصر، ص ٣٨؛ راشد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٣٠٧.

(٢) عبد السلام مازد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٤٠.

(٣) راشد البروي : المرجع السابق، ص ٣٠٧.

(٤) أحمد الصلوي : مجاهدات مصر، ص ١٨٥.



لقد خلف الأفضل بن بدر الجمالي ستة ملايين دينار - ذهب - عينا، وخمسين ومائتين أربعمائة دراهم من نقد مصر، واستغرق نقل تركته أربعين يوماً، ووجد بها أيضاً ثلاثين راحة ذهباً ومائة مسمار ذهب، كل مسمار مائة مثقال، وثلاثين مذبحة، هذا فضلاً عما تركه من ألوان من الذهب، ولقصة التي كان من بينها سبعة طبق ما بين ذهب وقصعة، وسدوقان كبيران فيهما إبر ذهب يرسم النساء ونواة ذهب فيها جوهر باثني عشر ألف دينار.<sup>(١)</sup> كما وجد للمسلمون البطاحي وزير الأمر بأحكام الله عندما قبض عليه عام ٥١٩ هـ / سبعون مائة ذهب مرصع، كما وجد لأخيه المؤمن سرج مطلي بالذهب.<sup>(٢)</sup>

كذلك ما لبتدعته الدولة الفاطمية من سك نقود ذهبية ذات أحجام مختلفة يرسم بعض الأعيان، عرفت بالنقود التذكارية، فضلاً عما عرفت بالخرايب<sup>(٣)</sup>، فكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية في خميس العيس، ضرب خمسمائة دينار ذهباً وعشرة آلاف حروية. زينت في عهد المأمون البطاحي إلى ألف دينار ذهب و٢٠٠٠٠ حروية، وكانت هذه النقود تخرج من دائرة التعامل النقدي، لتضاف إلى ما قد تم اكتشافه من للذهب.<sup>(٤)</sup>

يذكر أن الأفضل بن بدر الجمالي كان يحمل من جملة ٥٠٠ دينار من تلك النقود إلى الخليفة ملثني دينار ويحتفظ هو بالباقي.<sup>(٥)</sup> كذلك ما عرف بنذير القرنة وهي نذير ذهبية مدور<sup>(٦)</sup>، كانت تضرب في القرنة الأخيرة من ذي الحجة، بتاريخ السنة التي ركب بها الخليفة، كان يذهب جزء منها للوزير، ولولاده، ولخونه، وكانت تلك

(١) نفسه.

(2) Stephen : op. cit., p. 25.

(٣) الخرايب . وهي دراهم خلفاء مدورة شلوي شمن الصلة العلوية. راجع : عبد السمح ملحد - نظم الفاطميين ورسومهم، ج ١، ص ١٢٨، ١٢٩.

(٤) أحمد الصاوي : مجامع مصر، ص ١٩٥.

(٥) المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٤٥٠، أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٩٥.

(٦) عبد السمح ملحد : المرجع السابق، ص ١٢٩.

الدنانير التي يتم الإحتكام بها تصل في أول العام إلى ثلاثة آلاف دينار<sup>(١)</sup>، كان الرورير يحصل من نفوذ الخزنة على ستين وثلاثمائة دينار وستين وثلاثمائة غير لاد وإلى أولاده وإخوته من كل نوع خمسين. وقد أدى سوء الأحوال الاقتصادية إلى تخلي الدولة عن ضرب تلك للتفكير في بداية حكم الحافظ لدين الله؛ حيث لم تضرب إلا سنة واحدة، ثم نسي ذكرها حتى نهاية الدولة.<sup>(٢)</sup>

وقد أدى ضعف الدولة في نهاية عهدها، وتصادع الروراء فيما بينهم، واستعانتهم بقوى خارجية، إلى ضعف مركز الدولة المالي، فد لجأ كل من المتصارعين إلى عرض أموال الدولة وذهبها على من يضمن له البقاء، فكان ما دفعه الرورير شؤر للملك صوري، ملك بيت المقدس مقابل مساعدته ضد نور الدين محمود، ساعد على إخراج بعض الذهب من البلاد.<sup>(٣)</sup>

وعندما بدأت الدولة في العجز عن حماية ممتلكاتها، التي أخذت في السقوط تباعاً، سواء في أيدي الصليبيين، أو السلاجقة، كانت تنفذ مع تلك لأجزاء، الكثير من ذهبها، المستول في تلك الممتلكات، سواء ما استولى عليه الأعداء، أو ما قام السكان بالاحتفاظ به.<sup>(٤)</sup>

وازداد الأمر سوءاً عندما بدأ للصليبيون الذين استولوا على المدن الشامية، بتقليد النفوذ الفاطمية، وذلك لتسهيل المعاملات التجارية بينهم وبين العرب، ولتنشيط أقدامهم في الأراضي المقدسة، وكذلك لدفع أدينة الأسمري، حيث كان الإقراج عن الأسمري للصليبيين، لا يتم إلا بدفع مبالغ ضخمة من تلك النفود الذهبية، فكانت هذه النفود هي أساس التعامل بين الصليبيين والعرب في مجالات الحياة اليومية.<sup>(٥)</sup>

(١) المقريري : القبط، ج١، ص٤٥.

(٢) أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص١١٥.

(٣) رائد البرلوي : مجلة مصر الاقتصادية، ص٣٠٨.

(٤) ابن المكارم : أخبار مصر، ص١٣٨ ابن ميسر : تاريخ مصر، ص١٩٢ المقريري : تعامل الحفاز، ج٢، ص٩٢؛ أحمد الصاوي : مجاعات مصر، ص١٩٩.

(٥) رائد محمد البرلوي : النفود الصليبية في مصر والقشاش، ط١، دار نهضة الشرق، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٢٥، ٢٦.

وقد عرفت هذه النقود المقلدة "بالدينار السوري" الذي بلغ وزنه حوالي ثلثي وزن الدينار الفاطمي الأصلي، وقد أدى ظهور هذه الدنانير إلى عدم ثقة الناس بالدينار المصرية<sup>(١)</sup> وظهور ظاهرة الاكتناز للجيد منها بشكل كبير مما كانت عليه.

هكذا كانت مظاهر الفساد المختلفة التي عصت للدولة الفاطمية، سبباً من أسباب عجز الدولة عن الاحتفاظ بالذهب كعملة نقد واحدة كما كانت من قبل، كما ساعدت على اختفائه تدريجياً، ولكن على الرغم من اختفاء الدنانير الذهبية فإنها أيضاً عجزت على البقاء على ثبات قيمتها فانحصت في القيمة، والعمار من حين إلى آخر، مما أفسح الطريق للدرهم الفضية التي لم تحافظ هي الأخرى على قيمتها، بظهور العملة السوداء التي امتوت على قليل من الفضة، وكثير من النحاس.

ويبين هذا خلال الجدول الآتي :

#### تخفيض العملة<sup>(٢)</sup>

الصفة النهرية	وزن الدينار بالجرام
٣٦٥ هـ	١.٠٠٠
٣٦٦ هـ	٣.٧٦٠
٣٨٣ هـ	٣.٦٥٠
٤٠٦ هـ	٣.٧٨٠
٤٢٧ هـ	٠.٩٠٠
٤٢٧ هـ	١.٠٠٠
٤٨٦ هـ	٢.٩٥٠
٥١٦ - ٥٣٠ هـ	يترشح الوزن بين ٣.٤٨٠ - ٣.٩٩٠

(١) نقضه ص ٢٥٥.

(٢) راشد قيرلوي : حالة مصر الاقتصادية ص ٣٠٦.

### تأثير الأمر بإحكام الله للقبطي<sup>(١)</sup>

تسمية للعبارة	مكان الضرب	التاريخ
٨١%٠	مصر	٥٠٨هـ
٨٠%٠	مصر	٥١٠هـ
٨٢%٠	مصر	٥١٠هـ
٥٠%٠	الإسكندرية	٥١٤هـ
٧٧%٠	القاهرة	٥١٨هـ

البيانات التي توثقت في الفصل الاقتصادي.

[١] غروب مدينة القسطنطينية وتدميرها.

ولقد بينت آراء وروايات بعض المؤرخين هذه الحقائق :

'إن خراب مصر في انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها'.<sup>(٢)</sup>  
 'وإهلاكها يأتي حرباً أو شرفاً وذلك عن طريق وفاء نيلها عن الحد  
 المطلوب للزراعة، أو هجره عن الوفاء بما يستوجب للزراعة، أو يأتي  
 هلاكها حرقاً'.<sup>(٣)</sup> وذلك عندما يطعن حكامها، ويمجزون عن تدبير  
 أمورها، فيتدخل الأمراء، والقادة في شؤونها، فينصارعون على الحكم  
 لها، ويكثر ظلمهم وضامهم، وتنتشر جيوشهم، ويختلفون فيما بينهم،  
 ويتهاونون في شؤون البلاد، ويؤدي تنازعهم إلى إرجاب العبادة ثم يكون  
 الحرق، والدمار عجلة للسوء'.<sup>(٤)</sup>

تعرضت مصر للعديد من الأزمات الاقتصادية التي كان النيل، أو  
 غيره سبباً فيها، وكان الخلفاء الفاطميون الأوائل وسيطرون على ذلك  
 باتخاذ العديد من الإجراءات التي تقلل من خطر تلك الأزمات، ومن

(١) أحمد الصاوي : مجامع مصر، ص ١٩١.

(٢) المقريري - القطط ج ٢، ص ٣٣٤.

(٣) المقريري : إغاة الأمة، ص ٧١ - ٧٣.

(٤) راشد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٩٣، أمين فؤاد سيد - الدولة  
 الفاطمية، ص ٥٠٥.

هؤلاء الحلفاء، الحاكم بأمر الله لقاطمي، الذي نزل إلى الشوارع بنفسه،  
وبانثر أسور الحسبة فيها<sup>(١)</sup>، وأجبر التجار والمحتكرين على إخراج ما  
لديهم من مخزون حتى يعبر بمصر من تلك الأزمة.<sup>(٢)</sup>

وعلى الرغم من نجاح الحاكم بأمر الله في ذلك الأمر وفي ثقلاته  
المستمرة، وأحكامه العسكرة المتناقضة، قد أرمقت الشعب المصري،  
فصاق بهاء وسخر منها، هذا الأمر الذي أثار حفيظة الحاكم بأمر الله،  
فقرر فجأة، ودون تفكير في شعبه المغلوب على أمره في معاقبة  
المصريين، ولكن عقابه كان شديداً أدى بمصر إلى الفساد، والخرب<sup>(٣)</sup>،  
حيث عمل الحاكم بأمر الله على إثارة الفتنة بين عناصر الجيش المختلفة  
- المغاربة، والأكراد - فصرّب كل منهم بالآخر حتى يتمنى له إهراق  
مدينة القسطنطين بما فيها من بشر، فكانت مصر أن تهلك كلها لولا نشاط  
الجيش مع الشعب.<sup>(٤)</sup>

وبذلك نخرج بنتيجة مهمة، وهي أن العاسدين يتبعون منهجية  
واحدة في التعامل مع الأمور ومنها سياسة تفرق تسد بجانب القهر،  
والإذلال، والإجبار، والعرق، والتكميد حتى يضمّنوا لأنفسهم السيطرة،  
والسيطرة؛ لكن سرعان ما ينقض الظلم، ويحل العدل، والأمان.

(١) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٥٠، ابن كثير : البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٩٠، ابن  
تفري بردي : التاج، ج ٤، ص ١١٨٤، البوطي : حسن المحاضر، ج ٢،  
ص ٢١٢، ابن فارس : معجم الزهور، ج ١، ص ٥٢ - ٥٢، سبأ مصطفى أبو  
زيد : الحسبة في مصر، ص ٥.

(٢) المقريري : إهانة الأمة، ص ٩٥ - ٩٧، أحمد الصولي : مجامع مصر،  
ص ٣٩.

(٣) ابن طاهر : المصنوع السابق، ص ٥١، التويري : نهضة الأرب، ص ٢٨،  
ص ١٩٢، المقريري : الخطبة، ج ٢، ص ١٠٢، ابن تفرج بردي : المصنوع  
السابق، ج ٤، ص ١٨١.

(٤) موليوس بن المقفع : حور البيعة المقتضية، ج ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧، ابن  
طاهر : أخبار الدول، ص ٥٤ - ٥٥، التويري : نهضة الأرب، ج ٢، ص ١٣٨،  
ص ١٩٢ - ١٩٤، ابن تفرج بردي : التاج، ج ٤، ص ١٨١.

فأتت قرارات الحكام بأمر الله بما لها من عتف، واضطراب، إلى معاناة الناس في مصر، فخرجوا عن صمتهم، وسخروا من تلك القرارات، فوضعوا في طريقه تمثالاً من ورق على هيئة امرأة، وألبسوها ملابس النساء، ونصّبوها في طريقه، وببدها رقعة كأنها شكوى، فتقدم الحكام بأمر الله فأتاه موكبه، وأخذ الرقعة من يدها، فلما لطلع عليه وجد بها شيئاً قبيحاً فأمر رجاله بالقبض عليها، فاكشفوا أنها تمثال من ورق، وعلم الحكام بأمر الله أن الناس قد سحروا منه. <sup>(١)</sup>

عاد الحكام بأمر الله مسرعاً إلى القاهرة، ونزل في قصره، واستدعى القواد، والعرفاء، وأمرهم بالمسير إلى مصر - القسطنطينية - مقر العامة، ونهبها، واغتصاب أهلها، وقتل من يحنونه لأسمهم، وأمرهم بترحالها، فتوجه إليها العبيد، والأتراك، والمغاربة، وعندما علم أهل مصر بذلك (الهجوم)، اجتمعوا، وقتلوا عن أنفسهم، ولوغموا النار في أطراف القسطنطينية وظلوا يقاتلون، ويدفعون النار عن مدینتهم ضد الفساد ثلاثة أيام متوالية. <sup>(٢)</sup> أما الحكام بأمر الله فكان يطلع إلى الجبل في كل يوم، ويشاهد النيران، ويسمع صياح العامة، ويسأل في براعة اللذاب من فعل ذلك؟ فيقولون له العبيد يهرقون مصر، ويهبطونها، فيظهر فتوجه، ويقول: لعنهم الله، من أمرهم بهذا! <sup>(٣)</sup>

وفي اليوم الرابع اجتمع الأشراف، والشيوخ إلى الجوامع، ورأوا المصدهف، وأجهشوا بالنكاه، وابتهلوا إلى الله بالدعاء. <sup>(٤)</sup> فرقت إليهم قلوب المغاربة، والأتراك، فالتحزوا إليهم، وخرجوا من صفوف الجيش،

(١) البويري: المصدر السابق، ص ١١٣، القرطبي: الشفا، ج ٢، ص ١١٠. ابن تقي بري: المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨١. عبد القادر مطلق: المجتمع المصري، ص ٨٢.

(٢) ماويرس بن المتق: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧. ابن تقي بري: المصدر السابق، ص ١٨١.

(٣) ابن ظفر: المصدر السابق، ص ١٥٦. ابن تقي بري: المصدر السابق، ص ١٨١.

(٤) ابن ظفر: المصدر السابق، ص ١٥٦. ابن تقي بري: المصدر السابق، ص ١٨١.

وحاربوا معهم ضد العبيد، فقد كان أكثرهم مخالطاً لهم، ومصافحاً لهم، واستسمحوا للحكم بأمر الله في الكف عن عمليات السلب، والتهريب، والحرق، لأن أموالهم، وأولادهم وعقاراتهم موجودة في القسطنطينية، وتظاهر للحكم بأمر الله بالقبول، والتعاطف، ولكنه أمر العبيد سرراً باستمرار حرق، وتخريب القسطنطينية.<sup>(١)</sup>

وأراد الحكم بأمر الله أن يشعل نيران الفتنة بين العبيد، وسائر طوائف القبيح، فعرض طرح بعضهم على بعض لينتقم من فريق بفريق، بالإضافة إلى النيران التي أشعلها بظلمه في أرجاء القسطنطينية، استمر هذا الحال من الفساد، والدمار، ولم ينته إلا بعد أن هدده الأتراك بأنفسهم القاهرة وإحراقها.<sup>(٢)</sup>

فأمر الحاكم بأمر الله جنوده العبيد بالتوقف عن أعمال الخراب، والفساد، وأخذ يعتزل للأشراف، وزعماء الأتراك، والمغاربة عما حدث، وأقسم كذباً ببراءته من تلك الفعلة، ثم أصدر أمراً لأهل مصر يرسمهم فيه على أنفسهم، ولكن هذا لم يحدث إلا بعد أن احترق من مصر نحو ثلثها ونهب نحو نصفها، وسبى حريمها، وفعلت بين الفحشاء، فساد شنيع مصر الممخوطة على أمره بالعار والفرى على ما قد حدث، وأخذوا يتبعون أوامره، وبناتهم، وأخواتهم، وابنائهم من العبيد بعد أن اضطروهم، وقد قتل بعضهم نفوسهم خوفاً من العار.<sup>(٣)</sup> فكانت مأساة، ودماراً، وخزياً لمصر كلها.

وفي خلافة المستنصر بالله القاطم (٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ / ١٠٣٦ - ١٠٩٤م) مرّت مصر بأزمة شديدة أدت إلى خرابها وسوت

(١) سويرس بن المتق: سير القيمة المقدسة، ج ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧ من الأثير: الكامل، ج ٢، ص ٣١٥ قويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ١١٣ - ١١٤ ابن كثير: يردى: التاج، ج ٤، ص ١٨١ - ١٨٢.

(٢) ابن طاهر: أخبار الدول، ص ١٥٦ ابن قويري: المستنصر السابق، ص ١٨٢.

(٣) السيريني: حسن المحاضرة، ج ٢، ص ١٥١ محمد باقر حلاقة: مجموعة الوثائق السياسية، ص ٣٨.

السواد الأعظم من أهلها، حيث اجتمعت عليها اثرات الاقتصاديات التي تضحمت إلى حد وصل بالشعب المصري إلى المجاعة، وتأسيم في ض حجر المستعصر بالله، ووزيره ثيودوري في التصدي لها، بل، ومشركتهم في تصحيمها<sup>(١)</sup>، مما أدى إلى إصابة البلاد بالوداء الشديد الذي أفسى ما يقرب من ثلثي أهل مصر<sup>(٢)</sup>، ولم يكن هذا الوباء الشديد راجعاً إلى معطيه إلى قصور ماء النيل، وإنما كان السبب الأساس هو اختلاف الكلمة، والاعتماد على الماء، والقشوب الثلاثة بين طوائف الشعب<sup>(٣)</sup>، فقد تصخم العباد إلى حد جعل لم المستعصر بالله تتدخل في شؤون الدولة، وتسيطر عليه، وتفسدت بتجربها ما يرى العبيد بني جنسها، والأثراك، حتى وقعت الفتنة التي قادت البلاد إلى الخراب، والتمار.<sup>(٤)</sup>

كان مبتدأ تلك الأزمة في عام ٤٤٤هـ/٥٢ - ٥٣م، حيث ارتفعت الأسعار، وفتت الذكوات، ولم يكن لقصور قليل سبب في ذلك؛ حيث كانت الزيادة في هذا العام، ١٧ نراغاً، و٤ اصابع.<sup>(٥)</sup> وعلى الرغم من ذلك فقد دغنت البلاد في مجاعة أدت بها إلى مسغبة كانت تقضي ضيها.<sup>(٦)</sup> ولاسيما في ظل فراغ المصارف السلطانية من العملات، والتي كانت تؤدي بدورها إلى إعادة مبرار الدولة، وتحفظ عن كاهل الشعب وقت الأزمات<sup>(٧)</sup> حيث طمع الوزير فيلوزوري في المزيد من الأموال،

(١) المقرري : الخطوط، ج ٢، ص ٢٢٥ رائد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٢٧٤ - ٢٧٥.

(٢) رائد البروي : المرجع السابق، ص ١٩٥ أحمد الصوي : مجامع مصر، ص ٢٨.

(٣) المقرري : إحقلة الأمة، ص ٢١ - ٢٢ رائد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص ٨٩.

(٤) المقرري : المصدر السابق، ص ٢٢، فنس تعري: مصري النجوم، ج ٥، ص ١٧ - ١٨.

(٥) ابن تعري: مصري : المصدر السابق، ص ٥٤ مقرري : الخطوط، ج ١، ص ٣٥٦.

(٦) المقرري : الخطوط، ج ٢، ص ١٢٤ الخطوط، ج ١، ص ٩٠.

(٧) المقرري : الخطوط، ج ٢، ص ١٢٤.



والأرباح، فأنشأ على المستنصر بالله القباطي بتحويلها من مخازن علاء إلى مخازن للخشب، والصلبون، والحديد، والقصاص، وما إلى ذلك من البصائع. <sup>(١)</sup> واستجاب له المستنصر بالله دون النظر إلى حاجة الشعب.

وفي عام ٤٦٦هـ / ١٠٥٤ - ١٠٥٥م، انخفض فيضان النيل فوصل إلى ١٥ ذراعاً و ١٤ إصبغاً. <sup>(٢)</sup> فازداد الأمر سوءاً، فارتفعت الأسعار، والعنتت الأقوات، ووقع بعض ولاء شديد كاد يقضي على أهلها. <sup>(٣)</sup> حاول المستنصر بالله حل تلك الأزمة بالاستعانة بالبراطور الدولة البيزنطية قسطنطين التاسع Constantine IX Nonamochos وقد أطلق قسطنطين لربصانة ألف أرنج من القمح، وعزم على حمله إلى مصر، غير أنه قد توفي قبل إرسال هذه الكمية. <sup>(٤)</sup>

وعندما خلفه ابنه الإمبراطورة تيودورا (Theodora)، اشترطت على المستنصر بالله لشترائه مصر معها في معاهدة على أن يمدد المستنصر بالله بجنود مصرية في حالة إذا ثار عليها أحد، غير أن المستنصر بالله قد رفض بإعاز من الباروري بحجة أن حاجة مصر للقمح مسألة مؤقتة ستزول بزوال هذا الأمر، مما أثار حفيظة المستنصر بالله للحصول على القمح، بعد رفض تيودورا إرساله. <sup>(٥)</sup>

هذا الأمر الذي أثار حفيظة المستنصر بالله، وشل تفكيره، رأسه، فقرر تأديب تيودورا على فعلتها دون النظر إلى حالة البلاد السبلية، وأرسل إليها جيشاً بقيادة مكيك الدولة الحسن بن علي بن ملهم الذي هزم،

(١) المقرري : القبط ص ١٠٩، إغلة الأمة، ص ١٧ - ١٩، تباط قبط، ج ٢، ص ٢٢٥.

(٢) المقرري : إغلة الأمة، ص ١٩. غير أن ابن قري بردي ينكر أن النيل وصل في هذا العام إلى ١٦ ذراعاً و ٢ إصبغ، راجع : ابن قري بردي : المستدر الصائق، ج ٥، ص ٩٧.

(٣) ابن مسر : أخبار مصر، ص ١٣ : القبط الحقاء، ج ٧، ص ١٢٢١ إغلة الأمة، ص ١٩ - ٢٠.

(٤) ابن مسر : القبط الصلوق، راشد البرلوي : حالة مصر الاقتصادية، ص ١٠١ أحمد الصلوي : مجاعات مصر، ص ٦٢.

(٥) ابن مسر : أخبار مصر، ص ١٣، أحمد الصلوي : مجاعات مصر، ص ٦٣.

وأكرهوه، وأصحابه، كما صدرت العلاقة ما بين السروم، والمصريين،  
وهذات مساعي المستنصر بالله في إصلاحها. (١)

ولمستمرت تلك الأزمة علمي ٤٤٧ هـ / ١٠٥٦ -  
١٠٥٧ م، واستمر الفساد السياسي الذي جعل المستنصر بالله عاجزاً عن  
تسيير أمور الدولة، والعبور بها من تلك الأزمة، بل تخطى ذلك بكثير  
عندما أبقى المستنصر بالله أموال القصر من أجل تجهيز حملة المزيد في  
الدين الذي أرسل لدعم ثورة الباسيري. الذي أقام الدعوة الفاطمية في  
بغداد، فكان الوزير البازوري يمدد بالأموال، والذخائر من القاهرة (٢)، كما  
وهذه بإرسال سنين ألف دينار سنوياً له، ولغواصه (٣) ولم يبق في بيروت  
الأموال بالدولة شيء. (٤)

أصبحت أحوال مصر تصوء يوماً بعد يوم، فإلى جانب فشل  
الفاطميين في تحقيق هدفهم، واستعادة الثقة بين الدولة الفيزنطية، تعرضت  
القاهرة المدينة الملكية حيث قصر الخليفة لصراعات دامية بين ضرائف  
الهند المختلفة، بخاصة الأكراد والسودان. (٥) الذي استكثرت منهم أم  
المستنصر، وجعلت من أبي سعد اتستري اليهودي - الذي باعها للظاهر  
بأمر الله - متولي ديوانها، فمال بدوره للمغاربة، وزاد في واجباتهم على  
حساب الأكراد، مما أدى إلى نشوب القتال بينهم. (٦) كذلك الحاز لليهود  
وفرهم منه، وعزلهم في وظائف الدولة، فوقعست الفتنة كذلك بين  
المسلمين، واليهود. (٧)

(١) المقريزي، الخطط، ج ١، ص ٣٣٥؛ أحمد الصوري المرجع السابق، ص ٦٥،  
٦٦.

(٢) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٦٧ - ٦٩؛ ابن ميسر : المصدر السابق،  
ص ١٤٤؛ المقريزي : نهاية الأرب، ج ٢٢، ص ٢٢٣ - ٢٢٦؛ أحمد قماري :  
المرجع السابق، ص ٦٤.

(٣) ابن مزاد سعد : الدولة الفاطمية في مصر، ص ١٩٥.

(٤) نفسه، ص ١٥.

(٥) نفسه، ص ١٩٦ - ١٩٧.

(٦) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٢٥؛ المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٣٣٥؛  
اتعاط الحنفاء، ج ٢، ص ١٩٥.

(٧) المقريزي : اتعاط الحنفاء، ج ٢، ص ١٩٥؛ ابن الأثير : الكامل، ج ١، ص ٨٧ -  
٨٨.

وفي عام ٤٥٤ هـ / ١٠٦٢ م، اشكت نيران الفتنة ووصلت إلى دورتها حتى أتت إلى دمار مصر، وخرابها، وذلك عندما خرج المستنصر بالله كعادته كل عام مع النساء، والحشم إلى قرص الحب خارج القاهرة للزينة، والترفيه، وشرب الخمر، فقام أحد الجنود الأتراك، وهو سكران، وقتل أحد الجنود السودانيين، فاجتمع عليه العبيد، وقتلوه، ووفعت مصر في فتنة عظيمة، تبرا فيها المستنصر بالله من المسؤولية، وسمعت أم المستنصر بالله علي إنكاثها لصالح العبيد.<sup>(١)</sup>

لما أتراك فقد تهرؤوا على المستنصر بالله هم، ووعيدهم بن حمدان، وزاد طمعهم فيه، وطلبوا منه الزيادة في واجباتهم، وخرابوا لأمومه، واستهانوا بقدرة، وأجبروه على بيع ذخائر القصر بعد أن فرغت خزائنه. ولم يبق له من الأمر شيء، بعد أن بهوا ما تبقى في القصر من كنوز، وكاتب، ووزعوا على أنفسهم بأحبس الأكرمان.<sup>(٢)</sup>

في الوقت نفسه خرج عرب البحيرة في بني قرد، والمطليحين عن طاعة الخليفة فاختلت أحوال مصر<sup>(٣)</sup>، كما كان العبيد في الصعيد يسعون لهدا لضيق حالهم، فأصبحت مصر من أكصاها إلى أكصاها في فتنة، وفساد<sup>(٤)</sup>، وكثر اطماع الطرق، وخاف الناس على أنفسهم فزعموا بيوثهم، وبارت الأراض، واشتد الأزمة.<sup>(٥)</sup> ولأسيما بعد أن وقع الفساد بين الأتراك أنفسهم، وفي حمدان زعيمهم، فهرب إلى البحيرة مع مجموعة من العربان الذي تزوج منهم فتوث شوكتة مرة أخرى.<sup>(٦)</sup>

(١) المقريزي : تعاط الحفا، ج٢، ص٢٦٢؛ الخطط، ج١، ص١٣٥؛ ابن شمسي بردي : النجوم، ج٥، ص١٧ - ١٨؛ راشد البروي : حالة مصر الاقتصادية، ص٨٩، ٩٠.

(٢) ابن بطا : أخبار الدول، ص١٧٥؛ المقريزي : تعاط الحفا، ج٢، ص٢٧٥ - ٢٧٦؛ المقريزي : الخطط، ج١، ص١٣٦؛ ابن شمسي بردي : المستشرق السابق، ص١٦ - ١٧؛ ملويز بن المقفع : مور شيمة المقدسة، ج٢، م٢، ص٣٠٣؛ أحمد الحلوي : مهاضات مصر، ص١٥٤؛ راشد البروي : المرجع السابق، ص٩١.

(٣) نصر خسرو : سرفلة، ص٩٤ - ٩٥.

(٤) ابن ميسر : أخبار مصر، ص١١٧؛ المقريزي : تعاط الحفا، ج٢، ص٢٧٣.

(٥) المقريزي : الخطط، ج١، ص٣٣٧؛ إغلة الأمة، ص١٢٤؛ تعاط الحفا، ج٢، ص٣٠٣.

(٦) ابن ميسر : المعاصر السابق، ص١٢٤؛ المقريزي : تعاط الحفا، ج٢،

واللائق للنظر أن معظم هذه الصراعات، والفتن، صاحبها  
 الحراب، والتمعير، والحريق لبعض المدن، والقرى التي شهدت مراحل  
 الصراع، والفتن، مما أثر بشكل كبير على الحالة الاقتصادية للبلاد  
 وفي عام ٤٦٢هـ - ١٠٧٠م، قام ابن حمدان بقرصن حصان  
 اقتصادي على القاهرة والاضطراب فاشد الجوع بالأسواق وضفت الأعمال  
 بكثرة السلب، والتهيب، وأُطلعت الطرقات، حتى أجل الناس الجوع،  
 والميتة، ووقف أرباب القصاد في الطرقات، وساروا يقتلون كل من همروا  
 به في أرفقة مصر، وكانت مصر أن تهلك، حتى اضطر الأكراد إلى  
 مصالحة ابن حمدان بشرط أن يبقى في مكان، وينوب عنه تاج الملوك  
 شاذي القائد التركي، ويرسل له الأموال، فسر ابن حمدان الفل  
 وانفجرت الأزمة بعض الشيء. (١)

ولم تقم مصر بهذا الاستقرار سوى شهر واحد ثمرك بعد ابن  
 حمدان إلى مصر، وحاصرها هو وجنده، وقام بإحراق الحديد من السور  
 على من بداخلها، ثم وقع الخلاف بينه وبين تاج الملوك شاذي، الذي  
 طمع في أموال الدولة، فجمع ابن حمدان الجند، وذهب للقاهرة ليلاً،  
 ولقبض على شاذي، وبعث بجنده إلى مصر فماتوا فيها فساداً، وأطلقوا  
 فيها النيران، فهلك من هلك من شعبها، وخربت ديارها، وسارت غاربه  
 على عروشها، واستبد بن حمدان بالحكم، وقطع الخطبة للمستعصر  
 الفاطمي، وأقامها للخليفة العباسي القائم بأمر الله. (٢)

---

ص ١٢٧٩ راشد البراوي : مرجع السابق، ص ١٩١ هشام عبد القادر عبده :  
 إقليم الحوف لغربي، ص ٢٥.

(١) ابن ميسر : أخبار مصر، ص ١٢٠ المقرري : الخطوط، ج ١، ص ١٣٣٧ ثماني  
 الكبير، ج ٢، ص ٥٠٢ : ابن تغري بردي : النجوم، ج ٥، ص ١٨٤ راشد  
 البراوي : حلة مصر الاقتصادية، ص ٩٥ - ٩٦.

(٢) سويرم بن القمع . سير قبيلة المقدسة، ج ٢، م ٢٠٤ : ابن ميسر  
 قصير سابق ، ص ٢١ - ١٢٢ المقرري : الخطوط ج ١، ص ١٣٣٧ ابن  
 تغري بردي : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١ - ٢٢.

لم تتفرج تلك الشدة إلا بقتل ابن حصدان في منازل العز بالمسطاط سنة ٤٦٥هـ / ١٠٧٣م<sup>(١)</sup> غير أن مصر ظلت في شمار، وحرب حتى تقوم بدر الجمالي أمير عكا سنة ٤٦٦هـ / ١٠٧٤م، فكانت كما ذكر المقريري، خاوية على عروشها خالية من سكانها ... فأباح للناس من العسكرية والمحلية والأرمن وكل من وصلت قدرته إلى عمارق أن يعمر ما شاء في القاهرة، مما خلا من دور القسطنطين بموت أهلها، فأخذ الناس في هدم المنازل، ويجوها بمصر، وعمر ما بها في القاهرة، وكسّن هذا لون وقت اختلط فيه الناس بالقاهرة، وبذلك فقدت القاهرة - مؤقتاً - قيمتها كمدينة خاصة.<sup>(٢)</sup>

كانت السنوات الأخيرة للخلافة الفاطمية في مصر سلسلة من الصراعات، والحروب بين ولاة الأقاليم المتنافسين على منصب الوزارة، والقوى الخارجية التي استعملوا بها لتثبيت مكانتهم.<sup>(٣)</sup> ففي خلافة العاصم لدين الله الفاطمي، حدث نزاع على منصب الوزارة بين كل من شاور بن مجبر السعدي<sup>(٤)</sup>، الذي تولى منصب الوزارة بالقوة، وثلقب بأُمير الجنود، ومسنولي على أموال بني رزيق وزراء مصر، وملوكها من قبله، وبين ضرغام بن عامر بن سوار المنذري مقدم الأمراء البرانية وصاحب القباب - وهي رتبة تلي الوزارة مباشرة - الذي حسده على ما قد وصل إليه من مكانة واستبداد، فجمع ضرغام جموعاً كثيرة، وغلب شاور على الوزارة، فهرب شاور إلى بلاد الشام.<sup>(٥)</sup>

نقري بردي : المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١ - ٢٢.

(١) ساريس بن المقفع : المصدر السابق، ص ٢٠٤.

(٢) ساريس بن المقفع : المصدر السابق، ص ٢٠٤. ابن خلدون : تاريخ ابن خلدون، ج ٤، ص ١٦١. ابن قنري بردي : المصدر السابق، ص ٢٢ - ٢٣. البراوي : المصدر السابق، ص ١٩٧. أحمد قسوي : مجلعات مصر، ص ٦٨.

(٣) المقريري : الخطوط، ج ١، ص ٣٣٧. أمين فؤاد سيد : نقول الفاطمية، ص ٢٠٧.

(٤) أمين فؤاد سيد : نقول الفاطمية، ص ٢٨٧.

(٥) ساريس بن المقفع : جز القيمة المتقدمة، ج ١، ص ٢٣، ص ١٥٠. أبو شامة :

وقد أدى سوء الأحوال السياسية، وصداها إلى مزيد من النتائج السلبية، حيث عمت القوضى والفن، وكثر السلب، والتهيب، واشترت الثورات، ونصارع الجميع لتحقيق أهدافه الخاصة، دون مراعاة الأهداف العامة للبلاد، وظهر الخارجون على الحكم، وضاعت الحقوق، وغابت العدالة الاجتماعية.

فلتهج صرغام مياصة فاسدة، وبينة حيث قتل أمراء الدولة، لصعف شلن مصر لذهاب رجالها، أما شاور فقد استنجد بنور الدين محمود صاحب الشام السني، مقبيل ثلث خراج مصر بعد إقطاعات الساكر، ويكون مع شاور أمراء من الشام يقيمون معه في مصر، على أن يتصرف هو بأوامر نور الدين محمود.<sup>(١)</sup> وبالفعل أرسل نور الدين محمود جيشاً بقيادة أسد الدين شيركوه لإعادة شاور إلى الوزارة في مصر، وقد تم ذلك بعد عدة معارك دارت بين جنود نور الدين محمود وجنود ضرغام الذي قتل في نهاية المعركة، كذلك تم إهراق الكثير من الدور بنفخت من باب سعادة إلى باب القسطة بالقاهرة، كما امتد الحريق إلى خارج القاهرة. كما قتل العديد من الناس في تلك المعركة.<sup>(٢)</sup>

لم تنته الحرب عند هذا الحد، ولم يكتف شاور بما حققه من دمار، وخراب لمصر، فمجرد قتل ضرغام، وعودة شاور للوزارة، أخل بما وعد به نور الدين محمود، وأمر شيركوه فأنه بالخروج من مصر دارت الحرب من جديد بين شيركوه وشاور، حتى احترق وجه الخليج خارج القاهرة بأمرها وكذلك جزء من حارة زويلة، واستولى شيركوه على بلبيس، وحكم البلاد لشرقية.<sup>(٣)</sup> لم يجد شاور حضانة في أن يستعين

الروصتين، ج ١، القسم ٢، ص ٤١٦؛ المقريزي : الخطط، ج ١، ص ١٣٣٨  
اتماظ الحظاء، ج ٢، ص ٦٦.

(١) ابن واصل : مخرج الكروب، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ١١٤ ابن واصل : المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٧ - ١٣٨؛ المقريزي : نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٣٢؛ ابن تقي يدي النجوم، ج ٥، ص ٢٣٨، ٣٣٩؛ المقريزي : الخطط، ج ١، ص ٢٢٨.

(٣) أبو شامة : الروصتين، ج ١، ص ٣٣٢ - ٣٣٣؛ ابن واصل : مخرج الكروب، ص ١٣٩؛ ابن خلكان : وفات الأعيان، ج ٧، ص ٤٤٧؛ المقريزي : الخطط،

بالصليبيين أعداء الدولة الإسلامية، الذين استولوا من قبل على السواحل الشمالية حتى صار ما بين ملطية إلى بلبيس تحت يدهم إلا مدينة دمشق<sup>(١)</sup>، ذلك فقد أدت خيطة شاور إلى ترحيب للصليبيين الذين طمعوا في مصر، وهبوا لنصرة شاور - ظاهرياً - مقابل ألف دينار يومًا.<sup>(٢)</sup> بنفعها شاور لهم بطير مساعدتهم له، هذا الأمر الذي أدى إلى رحيل شيركوه إلى الشام.<sup>(٣)</sup> بعد عقد صلح بينهم.<sup>(٤)</sup>

وفي عام ٥٦٢هـ جهز نور الدين محمود جيشاً كبيراً اتجه إلى مصر، فعاد شاور، واستعان بصوري Amoury I ملك بيت المقدس، والتقى الجيوش، وبعد حصار شديد عانى منه أهل مصر، انتهى الأمر على عقد صلح بين الطرفين، ورحل شيركوه على إثره إلى الشام<sup>(٥)</sup>، أما الصليبيون فقد طمعوا في مصر وتركوا بها حامية لهم، ارتكبت تلك الحامية أعمال القتل في أهل مصر، وحكموا حكماً جائراً وألحقوا الأذى بالمسلمين<sup>(٦)</sup>، وعظم الأمر، واكتشفت عوزات مصر أمام الصليبيين فطمعوا فيها، ولاسيما أمام ضعف العاضد، الذي أرسل إلى نور الدين محمود يستنثيث به لإنقاذ مسلمي مصر من الغزو الصليبي.<sup>(٧)</sup>

قرر الصليبيون غزو مصر قبل أن تصل إليها جيوش نور الدين محمود، فصارَت قواتهم في ٥٦٤هـ / ١١٦٨م، ووصلوا إلى بلبيس،

(١) أبو شامة : المصدر السابق، ص ١٣٥ ابن واصل : المصدر السابق، ص ٣٢٨ المقريزي : المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٢) المقريزي : المصدر السابق، ص ٣٣٥.

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج ١١، ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٤) ابن واصل : المصدر السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠ المقريزي : المصدر السابق، ص ٣٣٧ - ٣٣٨.

(٥) المقريزي : المصدر السابق، ص ٣٣٨، أبو صلاح الأرمني : كتابي وأنبيرة مصر، ص ٣٣، ٣٥.

Stanly lone - Poole : Saladin, p. 92.

(٦) أبو صلاح الأرمني : المصدر السابق، ص ٣٥.

(٧) أبو شامة : المصدر السابق، ص ٢٩١ - ٢٩٢ ابن واصل : المصدر السابق، ج ١، ص ٥٧٧ المقريزي : المصدر السابق، ص ٣٣٩، انظر الحق . ج ٢، ص ٢٩٨.

محمود، فسارت قواتهم في ١٦٦٨ هـ / ١٦٦٨ م، ووصلوا إلى بلبيس،  
ونكبوا من حصارها، وقلموا بأعمال المقلب، ولذهب فيها كم سبوا  
أهلها، وبعد أن قلموا بها خمسة عشر يوماً اتجهوا إلى القاهرة، وأقاموا  
حصاراً عليها، فخلف أهل القاهرة أن يفتوا بهم متمسكوا بأهل  
بلبيس،<sup>(١)</sup> في الوقت نفسه أمر شاور الناس بترك القسطنطينية، كم أمر  
جنوده بنهبها، فخرج الناس للقاهرة خوفاً وقلقاً، ونزلوا بالحمامات،  
والأزقة، والمساجد بعد أن تركوا أموالهم، وأتباعهم، وتجهوا بأنفسهم،  
وأبنائهم.<sup>(٢)</sup>

عزم شاور على خراب القسطنطينية، وكميرها، فبعث إليها ألف  
نارورة نفض، وعشرة آلاف مشعل نار، وقام بإشعال النيران فيها فارتفع  
نهب النار ونفاس الحريق إلى السماء، فارتعد الناس خوفاً ولاسيما أن هذا  
الحريق قد استمر أربعة وخمسين يوماً دون توقف<sup>(٣)</sup>، وعندما وجد  
صوري هذا الحريق الهائل، اتجه للقاهرة وهاجم أهلها، وكاد يأخذها  
عنوة، لولا أن طلب شاور الصلح مقابل ألف ألف دينار يعمل له منه  
ألفاً، فأجابته صوري شريطة أن يكون العاضد شاهداً على ذلك، ووافق  
عليه، لأن نقتلهم بشاور قد انعدمت، في الوقت نفسه كان الصليبيون قد  
سمعوا بنوم جيش نور الدين محمود، فلقروا الصلح.<sup>(٤)</sup>

ورحل صوري عن مصر مصطحباً معه اثني عشر ألف أسير  
مصري، ما بين رجل وامرأة.<sup>(٥)</sup> ودخل شريكوه مصر مصطحباً معه ابن  
ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي، وفي هذه المرة قتل شاور، وأصبح  
شريكوه وزيراً للعاضد - على الرغم من كونه منى المذهب - وعمل

(١) ابن خلدون : القسطنطينية، ص ٢٩٦.

(٢) ابن خلدون : القسطنطينية، ج ٥، ص ١٣٥٠. المقريزي : القسطنطينية، ج ١، ص ٣٢٨.

(٣) ابن خلدون : القسطنطينية، ص ١١٦. أبو شامة : القسطنطينية، ج ١، ص ١٣٩١. المقريزي : القسطنطينية، ص ٣٢٨.

(٤) أبو شامة : القسطنطينية، ج ١، ص ١٣٩١. ابن خلدون : القسطنطينية، ج ١، ص ١٣٩١. المقريزي : القسطنطينية، ج ١، ص ٣٢٨.

(٥) المقريزي : القسطنطينية، ج ١، ص ٣٢٩.



على إصلاح ما قد فسد، فأمر الناس بالعودة من القاهرة إلى مصر  
وتعميرها، غير أن هذا لم يكن بالأمر اليسير ولا سيما أنها أصبحت بعد  
الحريق مئينة خاوية خربة، ومن ثم فقدت أهميتها كعاصمة شمال  
والتجارة، والصناعة، ولم يبق منها سوى مسجد عمرو بن العاص، الذي  
أنقذ من الحريق بأعجوبة<sup>(١)</sup>، فأصبحت كما وصفها المقريري «كيس»<sup>(٢)</sup>  
وقد ظلت مصر في أمان من أي تخريب إلى أن خرب في حكم  
الملك العادل بن أيوب بفعل الوباء والقلاء سنتي وخمس مئة، ومات  
ومئة سنة (٦٠٥، ٦٠٦ هـ)<sup>(٣)</sup>، ثم في سلطنة الملك العادل كتب سنة  
٦٩٦ هـ، ثم سنة ٧٤٩ هـ بفعل الوباء أيضاً، كذلك سنة ٧٧٦ هـ،  
٧٩٠ هـ فغرم الخراب، وشرع الناس في هدم دور مصر، وبيع  
أثاثها.<sup>(٤)</sup>

[٢] ضياع ممتلكات الدولة الفاطمية وأثر ذلك على الاقتصاد :

أ- نقص النفوذ الفاطمي في المشرق الإسلامي .

تأثرت الولايات التابعة للفاطمين في المشرق الإسلامي، بمظاهر  
الفساد المختلفة التي أدت إلى ضعفها، مثلما تأثرت الولايات المغربية،  
فأخذت أملاكها في التقلص كما أخذ نفوذها بثلاثي شتاء غشياً، وب كانت  
الدولة الفاطمية قد استطاعت ترك بلاد المغرب بما فيه من صراعات،  
تؤثر من حين لآخر على سلطتها في القاهرة، فلها قد عجزت عن ذلك  
الأمر في الولايات التابعة لها في المشرق الإسلامي، فني استطاعت أن  
تقضي على القاهرة، وتقضي على أملاكها، وسلطتها ودعوتها، حيث  
وهنت الدولة وعجزت عن حماية نفسها، بعد أن دب الفساد في أعماقها.

(١) ساويرس بن المتقط : سير قبيلة الحكمة، ج ٢، م ٣، ص ١٦٢، أبو شامة :

لمصر السابق، ص ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٢) المقريري : الخطط، ج ١، ص ٣٣٩.

(٣) كتب (خمس وست وخمسة) (٥٠٥، ٥٠٦) خطأ في المقريري، والأصح

(خمس وست ومئة) (٦٠٥، ٦٠٦)، لأن فترة حكم الملك العادل كتب من

٥٩٦ - ٦١٥ هـ / ١١٩٩ - ١٢١٨ م. راجع : أحمد مختار العبدى، التاريخ

الأيوبي والمملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ٧٦.

(٤) المقريري : الخطط، ج ١، ص ٣٣٩..

في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، وأثناء النزاع الذي دار بين  
برجوان الوصي عليه، وفي عام مقيم المعززة<sup>(١)</sup> إلى لصطراب  
الأحوال في بلاد المشرق الإسلامي التابعة للدولة الفاطمية منما حدث في  
بلاد المغرب، في عام ٣٨٨هـ / ٩٩٨م، اشتعلت الثورة قسي "صور"  
بوعنه بحار معابر يدعى "العلاقة" لستل فساد العلاقة بين الحاكم بأمر  
الله ولأصيانته، وكذلك تصراع المستمر بين هؤلاء ثوسطاء، وتيسر على  
رمام الأمور في مدينة "صور" وضرب السمكة باسمه، ونقش عليها عبارة  
"عز" بعد وفاة للأمير العلاقة، وقد استعان العلاقة بالإمبراطور البيروني  
باسيل اللذي<sup>(٢)</sup>، ووعده بتسليم صور، غير أن تلك الثورة لم تكتمل ولخص  
على العلاقة، وأعدم صلياً.

ولقد تزامن مع ثورة العلاقة ثورة أخرى قام بها رعيم الدولة  
"المفرج بن دغل بن الجراح"<sup>(٣)</sup>، الذي طلب الأمان من الدولة الفاطمية

(١) باسيل الثاني : هو الإمبراطور البيروني الذي حكم بيزنطة في الفترة ٩٧٦هـ -  
١٠٢٥م، عمل جاهداً على الحفاظ على مجد أجداده وبقاء الأسرة الحاكمة،  
بأمرهم من الطامعين في السلطة والثروات والمكس التي واجهته في بدايته هذه،  
سلطاع أن يحكم منفرداً مع وجود أخيه قسطنطين الثامن الذي اختلف عنه تماماً  
حيث توجه قسطنطين للثور والدعة، وتجه باسيل إلى العرب، وكان هذه سلسلة  
من الحروب الخارجية في أوروبا وأسيا، أدت إلى اتساع رقعة دولته، اتمم  
بالقبوة والدعة حتى نعت أثناء حربه مع البيلار بـ"سماح البيلار" أو دابيح  
البيلار، كما دخل في صدامات مع العلاقة الفاطمية وأملكها في الشام، والتي  
انتهت بعد بةنة سنة ١٠٠١ لشررت حشر سولت.

المريد راجع : جوريه نسيم، تاريخ الدولة البيزنطية ٢٨٤ - ١٤٥٢، دار  
المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م، ١٧٦ - ١٨٣ محمد مرسي الشيبخ :  
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ٢، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ٢٦٩ - ٢٨٧.

(٢) ابن الأثير : الكامل، ٩، ص ١٤١، في ختفون : تاريخ بن خلدون، ج ٤،  
ص ١٥٧، محمد عبد الله عزان : الحاكم بأمر الله، ص ١٧٧.

(٣) المفرج بن دغل : هو مفرج بن دغل بن الجراح، يعود بأصوله إلى بني صيه  
بفلسطين وقد حاول يوطيه في أولخر قرن لربيع الهجري تكون ثورة بهم  
والاستقلال عن العلاقة الفاطمية فثاروا بالرحطة عام ٣٨٨هـ تصت زسة مفرج  
بن دغل. لمريد من التفصيل راجع : د. محمد جمال الدين سرور النفوذ  
الفاطمي، ص ٤٤ - ٤٦.

عندما هاجمته جيوشها، وعندما وصل إلى القاهرة لمسير<sup>٢</sup>، أطلق سراحه. <sup>(١)</sup> على الرغم من أن ابن كلث نصبح يقتله<sup>(٣)</sup>، وقد هدأت الأمور بعض الشيء في البلاد الشامية، حتى ضعفت الخلافة الفاطمية، معاد العرب إلى الثورة مرة أخرى، ففي عام ٤٠٠ هـ / ١٠٠٩ م سار حصن بن مخرج بن دغفل بن الجراح إلى الرملة، واستولى عليها وقتل واليهي، وعاث فيها هلاكاً. <sup>(٤)</sup>

ففي عام ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م، قام عرب الشام بثورة منبت عامين، ونصب، ٤٠٢ هـ / ١٠١١ م إلى ٤٠٤ هـ / ١٠١٣ م<sup>(٥)</sup>، احتلوا فيها معظم جنوب الشام، وهاجموا حصون السلجوق الخاصة بالدولة الفاطمية، وفي هذه المرة عجز الخليفة الحاكم بأمر الله عن إرسال جيش لقمع تلك الثورة، وذلك لكثرة نزاعات الجند، وانشغالهم عن الدفاع عن ممتلكات الدولة. <sup>(٦)</sup> بالإضافة إلى المجاعات التي ألحقت قوى الدولة، والشعب. <sup>(٧)</sup> وقد أعرض هذا الوضع السيئ للدولة رعباء تلك الثورة من بني الجراح، إلى إقامة الدعوة لخليفة آخر هو أبو الفتح الحسن بن جعفر والي مكة. <sup>(٨)</sup>

(١) ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ٤٩، المقريزي : الخطط، ج ٢، ص ٦٨؛  
عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١٤٢؛ محمد جمال الدين سرور :  
سياسة الفاطميين، ص ١٢٩؛ أحمد الصاوي : مجاعات مصر، ص ١٠٨.

(٢) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ١٢٧.

(٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ١٣٩؛ عبد المنعم ماجد :  
المرجع السابق، ص ١٢٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ٤٩؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية،  
ص ١٢٨؛ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٠٨. ويذكر محمد جمال الدين  
سرور أنه في ٤٠١ هـ وفي ٤٠٢ هـ، محمد جمال الدين سرور سياسة  
الفاطميين، ص ١٢٩.

(٥) ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ٤٩؛ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية،  
ص ١٢٨؛ محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين، ص ١٢٩؛ أحمد  
الصاوي : مجاعات مصر، ص ١٠٨.

(٦) أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٧) بن حنون : تاريخ بن حنون، ج ٤، ص ١٥٧؛ المقريزي : الخطط، ج ٢،  
ص ١٥٧؛ الذهبي : إمام الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان -

لقد لاقى هذا الأمر قبولا لدى أبي الفتح، فأعطى نصه خليفة باسم الراشد بالله، وأقيمت له الخطبة في بلاد الشام، كما نقشت السكة باسمه، كما قام ببيع ما كان بالكعبة من ذهب، ونصته، لم يجد الخليفة الحاكم من صلاح أمامه سوى استرضاء بني الجراح بالأموال، فاتحازوا إليه، ونحوا عن أبي الفتح الحسن بن جعفر، الذي فضل العودة إلى مكة، وإعادة الخطبة، والسكة للحاكم بأمر الله منذ ٤٠٣هـ/١٠١٢م.<sup>(١)</sup>

وإن كانت هذه الثورة قد أختمت فليها لمفوت عن شيء محتجب، وهو أن عرب الشام في تلك الأوقات لم يتجاوزوا والي الدولة العباسية، ولم يتهموا الدعوة باسمهم، فكانت الدعوة لخليفة جديد غير الخليفة العباسي وكذلك الفاطمي.

لم تستمر تلك الهدنة كثيرا، فقد استغل حسن بن مفرج بن دغل بن الجراح، سوء الأحوال، وانسطارها في مصر في عهد الظاهر لدين الله، فاسترلى على البلاد الشامية، وصار يستخرج خراجها لنفسه<sup>(٢)</sup>، وأعاد سيطرته مرة أخرى على الرملة، وقد عجز الخليفة الظاهر ندين الله

= قايماز: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط ٣، دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، ص ١٢١ - ١٢٢هـ. المنعم ملج: المرجع السابق، ص ١٨٦؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٣٩ - ١٤٠.

(١) ابن خلدون: المصدر السابق، ص ٥٧ - ٥٨؛ المقرئ: المصدر السابق، ص ١٥٧؛ الذهبي: المصدر السابق، ص ١٢٢؛ عبد المنعم ملج: المرجع السابق، ص ١٨٦؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٠٠.

(٢) المقرئ: المصدر السابق، ص ٢٢٨؛ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ١، ص ٤٣٠ - ٤٣١؛ محمد جمال الدين سرور: المرجع السابق، ص ١٤٠؛ عبد المنعم ملج: ظهور الخلافة، ص ١٨٦.

(٣) ابن تيمري بري: المجموع، ج ٤، ص ٣٥٢، ٣٥٣؛ المقرئ: قسطنطين، ج ٢، ص ١١٦٥؛ عثمان علي محمد عطا: الأزمات الاقتصادية، ص ٢٨؛ أحمد النصوي: مجاهد مصر، ص ١٠٨.

عن التصدي له، فاستعان بالقائد التركي أوشوكين الرزيري للتصدي به، غير أن حسان قد هزمه، واستولى على الرملة، وقام بنهب طبرية (١) وقد أدى هذا الانتصار الذي لحزه حسان بن مروح على الدولة الفاطمية، وفائده، إلى تمرد بقية عرب الشام الذين توجهوا إليه للتحالف معه ضد العاطميين وانقسام أملاكهم في بلاد الشام. (٢)

فتحالف معه كل من منان بن عيسى البنا، وصالح بن مرسس، هذا الأمر الذي أدى إلى استجد القائد أوشوكين الرزيري بالخليفة الفهر لدين الله لإرسال جنود من قبله لتجدة الشام، غير أن حالة الفوضى التي تعرضت لها مصر منعت الظاهر لدين الله من إنقاذ أملاكه بالشام، حتى أنه حجز عن تجريد السكك للشام. (٣) لذلك، دخل حسان الرملة وقام بإهرائها، واستولى صالح بن مراد على حلب سنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م، وبعثه، وقام بحصار دمشق، وجلس هؤلاء لتقسيم الدولة الفاطمية فيما بينهم. فصار لحسان الرملة إلى باب مصر، ولأخيه محمود طبرية، وما يتصل بها من السهل، ولمنان دمشق، وأسوارها، ولصالح ما بقي من بلاد الشام. (٤)

لم يكن أمام الظاهر لدين الله إلا بفرار هذا الوضع في الاعتراف بشرعية حسان على الرملة، بل، وأعطى له إقطاع نابلس (٥) بناء على

(١) ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ٤١٢٨ المقريزي : المصدر السابق، ص ١٥١ -

١١٥٢ محمد جمال الدين مرور : سياسة الفاطميين، ص ٤٢.

(٢) المقريزي : المصدر السابق، ص ١٥٢؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٢،

ص ١٨٠ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٠٨.

(٣) الشبلي : أخبار مصر، ج ٤٠، ص ١٨٦ المقريزي : المصدر السابق، ص ١٥٢.

(٤) الأتطاكي : تاريخ الأتطاكي، ص ٢٨٩ المقريزي : المصدر السابق، ص ١٥٧

ابن الصوري : الإشارات، ص ٧٠ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص ١٠٩

محمد جمال الدين مرور : المرجع السابق، ص ١٤١.

(٥) نابلس : وهي مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبالين، مستطيلة لا عرس لها

وبها اجتماع السمرق، وهم طائفة من اليهود، يوجد بظاهر المدينة مسجد يربون

ل أن لهم عليه السلام مسجد أريه هناك، وبها جبل يقول اليهود أن الغيب -

طلبه. <sup>(١)</sup> وكان ما فعله الظاهر لدين الله الفاطمي مع حسان بن مفرح هو إقرار رسمي بمدى عجز الدولة عن دفع متمرنيها، ورعاية أملاكها. هذا الأمر الذي أغرى حسان بن مفرح إلى التطلع إلى مصر نفسها ولتملاكها، فأرسل سرية من ألف فارس إلى القراما، ففر أهلها إلى تكيس ثم إلى القاهرة هرباً منها. <sup>(٢)</sup>

ثم يتروى حسان بن مفرح في الاستعانة بأعداء الدولة الفاطمية في البحيرة، وكذلك في برقة، من أجل الوصول للقاهرة، فأرسل إلى بني قره بالبحيرة يدعوهم لنصرته، ومؤازرته، ويعتزم ويحجزهم، فقبلوا كتابه، وأرسلوا له بالموقف، للأسباب نفسها التي جعلتهم يؤازرون أبا ركة من قبل. ونرى رسول حسان قد قبض عليهم، وأخذت منه الكتب قبل أن يصل إلى حسان، وتم حبسه في خزنة البندود بالقاهرة حتى ٤١٦هـ / ١٠٢٥م. <sup>(٣)</sup> وظل بنو قره يقومون بأعمال المقلب، والتهب ضد الدولة الفاطمية. <sup>(٤)</sup>

أما بنو قره ببرقة فقد استعانوا بالخلافة الفاطمية إلى أقصى حد، فألأموا إنساناً دعوه بأمر المؤمنين وحملوا رأسه على المظلة. <sup>(٥)</sup> إشارة إلى خلافته، وهو ما يسعى إليه عرب الشام الذين أرادوا الاستيلاء على

-عليه السلام أمر ببيع ولده عليه، لأن في اعتقادهم أن التبرع كان يسبق عليه السلام، وبها عين تحت كهف تطلعه السلف وبها بيت عبادة للسيرة يسمى كزيرم. المزيد راجع: القروي، آثار قبلا وكهبار قبلا، ص ١١٠.

(١) المقرري: المصدر السابق، ص ١٥٧؛ أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٢) المقرري: اتحاذ السلف، ج ٢، ص ١٦٢؛ أحمد الصلوي: مجامع مصر، ص ١٠٩.

(٣) المسيحي: أخبار مصر، ج ٤٠، ص ١٨٨؛ ابن قري بدي: التاج، ج ٤، ص ٢٦٢؛ المقرري: المصدر السابق، ص ١٦٢؛ أحمد الصلوي: المرجع السابق، ص ١٠٩.

(٤) قسيحي: المصدر السابق، ص ٦-٢، ٧-١٧؛ المقرري: المصدر السابق، ص ١٦٩؛ هشام عبد القادر: إقام الحول القوي، ص ٦٨.

(٥) البوري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٢٠٥؛ المقرري: المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٧.

مصر، وخرجها، وإفلقه على رجالهم، مع الاحتفاظ بالسيطرة الاسمية للخطبة الفاطمية، وحقوقه في الخطبة، والسكة<sup>(١)</sup>، وظلت الأمور تسير من حين إلى آخر في بلاد الشام حتى قتل صليح بن مراد، وهزم حسان بن معروف.

كذلك كان الأمر في الحجاز التي عجزت الدولة عن الوفاء بما عليها من التزامات تجاهها، فهدد أهلها بنقل الدعوة للعباسيين، وخاصة بعد أن قدم وفد منهم للقاهرة يطلب العمرة المنعقدة، ولم يجد مسؤولاً يجيبه عن طلبه<sup>(٢)</sup>، وتحولت نحو الدولة العباسية.

لقد تعاطف لساد الدولة الفاطمية، وتعاطف عجزها عن حماية ممتلكاتها، ففي ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م، في خلافة المستنصر بالله الفاطمي انطلقت الخطبة للفاطميين بمكة، والمنيفة، وخطب للخطبة العباسي<sup>(٣)</sup>، وفي سنة ٤٦٢هـ / ١٠٧١م تقدم الأتراك السلاجقة في بلاد الشام، واستولوا على حلب، وبيت المقدس، والرملة، ثم دمشق في عام ٤٦٨هـ / ١٠٧٥م<sup>(٤)</sup>، كما استقل قاضي صور بمدينة، واستقل قاضي طرابلس الحسن بن عمار بإمارته، وتتابع ضياع المدن، والبلاد من أيدي الفاطميين، وأقام السلاجقة الخطبة للخليفة العباسي، وقطعت للخطبة الفاطمية.

(١) الشاذلي : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٠.

(٢) الشاذلي : المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٢ - ١٦٤ ليس تغري بردي .  
قنبر، ج ٥، ص ١٢٨ - ١٢٠ عبد المنعم ملحد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١٨٤ أحمد الصولي : المرجع السابق، ص ١١٠.

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٩٧، ٩٨ الشاذلي : نهاية الأرب، ج ٢٦، ص ٢٠ ابن مؤمر : أخبار مصر، ص ٤٢، ٤٣ في تغري بردي : شجوم، ج ٥، ص ٨٤.

(٤) المؤري : المصدر السابق، ج ٢٨، ص ٢٤٧، ٢٧٣.

(٥) ابن خلكل : وفيات الأعيان، ج ١، ص ١١١ الشاذلي : تعاضد الحنف ج ٢، ص ٣١ أحمد الصولي : مجاعات مصر، ص ١١٢ محمد مرسي شفيخ تاريخ مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى نهاية عهد الدولة الفاطمية دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص ١٩٩٣.

أدى هناد الدولة الفاطمية إلى إهمال الجيش، والأسطول، مما سهل مهمة الصليبيين في الاستيلاء على بعض مدن الشام فيما عرف بالحملة الصليبية الأولى. (١) ٤٩٦ هـ / ١٠٩٩ م، الذي استولى فيها الصليبيون على أغلب المدن السلطانية في بلاد الشام، كما استولوا على بيت المقدس. (٢) ولم يخطر ببال الأفضل بن بدر الجمالي وزير مصر في ذلك الوقت الأخطار المحتملة بمصر، والعالم الإسلامي، لدرجة أنه فكر في التحالف مع البيزنطيين ضد الملاحقة المسلمين. (٣)

وكذلك أدت هذه الهزائم المتوالية للدولة الفاطمية، وتقلص أملكها شرقاً، وغرباً، إلى ضغط قانس في مصر، ولاسيما بعد أن ساءت العلاقة التجارية بين مصر، والشام، ومصر، وأوروبا، (٤) فازدادت الاضطرابات الداخلية، ودخل الصليبيون مصر، أثناء النزاع بين كل من شاور، وشيرغام. وقد تراجعوا عندما علموا بأن جنود نور الدين ستهاجم معسكراتهم في الشام، فعادوا خائبين فحق عليهم القتل : ذهب النعمان يطلب قرنين فعاثت بلا أفنين. لولا تدخل جهوش نور الدين محبوب التي حسنت الأمر، وأكثرت سلاح الدين الأيوبي وزيراً للدولة الفاطمية، وقد استطاع صلاح الدين القضاء على الدولة الفاطمية، ومذهبها، فعاد المذهب السني، وعانت الفطنة للعلميين. (٥)

(١) المازري : المصدر السابق، ص ١٣١٠ محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص ١٧٣.

(٢) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ٦٥ : ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ١٤٤، ١٤٥ محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص ١٧٣، ١٧٤ محمد جمال الدين سرور : فتوح الفاطمية، ص ١٢٩ - ١٣٦.

(٣) ابن ميسر : المصدر السابق، ص ١٢٩ : السوري : المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٧، ٢٧٣ : المغيرة : الخطيب ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧ : ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص ١٥٢، ابن حنكلن : المصدر السابق، ص ١٧٩ محمد مرسي الشيخ : المرجع السابق، ص ١٦٩ : محمود سعيد عمر : تاريخ الحروب الصليبية (١٠٩٥ - ١٢٩١ م)، دار المعرفة للدراسات، الإسكندرية، ٢٠٠١، ص ٢٩ - ٤٠.

(٤) راشد البرلوي : حقبة مصر الاقتصادية، ص ٢٤١.

(٥) أبو شامة : الروصتين، ج ١، قسم ٢، ص ٤٥٧، ٤٩٢ : ابن واصل : -



وقد تم هذا الأمر في هدوء تام فلم تتطرح فيه عجزان<sup>(١)</sup>، واستقبل المصريون هذا التحول بنفس السلبية، وللامبالاة التي استقبلوا بها السحب الإسماعيلي من قبل.

أدت مظاهر الفصل المختلفة لدخل الدولة الفاطمية، وضعف السلطة المركزية، وزيادة سطوة الوسطاء، وقوزراء، وكثرة التنازع بين منات الجند المختلفة، إلى انتشار الفوضى، واضطراب الأمن، وعيب الأمن، والامتنعار<sup>(٢)</sup>، هذا الأمر الذي أدى بدوره إلى إهمال شؤون البلاد، وعدم رعاية الأرض على الرغم من ارتفاع مسوب النيل، فدخلت مصر في العديد من المجاعات التي أودت بالكثير من أهلها، بعد انهيار اقتصادها.<sup>(٣)</sup>

وقد أدى هذا الوضع من الانهيار، والضعف إلى ظهور العديد من حالات التمرد، فكثر الثورات التي أرادت الاستقلال عن الدولة الفاطمية، وإسقاط دعوتها. سواء كان ذلك في المناطق التابعة للدولة الفاطمية في برقة، وطرابلس، وكربقية، وفشام.<sup>(٤)</sup> لوفي مصر مقرر الخلافة الفاطمية نفسها، هذا الأمر الذي أدى إلى تزلزل أركان الدولة، وهز عرشها، فأخذت الدولة تنكف بسحاء للقضاء على تلك الثورات فسي وقت كانت فيه في أمن الحاجة إلى تلك الأموال، فرغت خزائنها، وانهار اقتصادها.<sup>(٥)</sup>

= مرجع لكروب، ج ١، ص ١٠٢، ليس حكمن : وفيات الأعيان، ج ١، ص ١٥٧ الفوري : نهاية الأرب، ج ٢١، ص ٣٠٢، ٣٤٤، ٣٦٤ المقريري : أعيان القضاة، ج ٢، ص ٣٦٥، ٣٦٦، ابن قنري بردي : الفجوم، ج ٥، ص ٣٥٥ - ١٣٦٣ قسيوطي : تاريخ الخلفاء، ص ٤٤٥ - ٤٤٧ : محمد مرسي الشبلي : تاريخ مصر، ص ١٧٤ : محمد جمال الدين سرور : سياسة قضاة مصر، ص ٣٤٨

(١) أبو شامة : المصدر السابق، ج ١، ص ٤٩٣ ليس الأكثر : الكامل، ج ١١، ص ١٦٩.

(٢) الفوري : المصدر السابق، ج ٢٨، ص ٢٣٤ مقريري : إغارة الأمة، ص ٢١ - ٢٣ : أعيان القضاة، ج ٢، ص ٢٦٢ - ٢٦٤.

(٣) أحمد الصولي : مجاعات مصر، ص ١٠٧.

(٤) محمد عبد الله علق : الحكم بأمر الله، ص ١٧٥، عبد المنعم منجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١٣٣ - ١٤٠.

(٥) شعبة الشوريحي : رؤية لرحالة، ص ٥١٥.

استطاعت الدولة الفاطمية أن تنصدي، ولو مؤقتاً تلك الحركات  
لاستقلالية، إلا أنها عجزت عن الاستمرار في حماية ممتلكاتها، وكذلك  
دعوتها الشيعية، وسيطرتها الروحية على بعض الأماكن مثل صقلية،  
والبحرين، واليمن. <sup>(١)</sup> مما أدى إلى صعودها ووقتها، فأصبحت كاتر جن  
المرحوم الذي وافته المنية، ولم يصبح له أثر، بعد أن قلمت الدولة  
لأيوكة دعوتها الشيعية، فتمت على الدولة الفاطمية، ودعوتها الشيعية  
نهائياً في مصر، والقاهرة، وبلاد المغرب، وبلاد الشام.

#### بعد ضياع ممتلكات الخلافة الفاطمية في المغرب الإسلامي

أدى صغر سن الحاكم بأمر الله إلى طمع الطامعين في الحكم،  
وكان على رأسهم أبو صياد، وطوائف جيشه؛ حيث نطقت طائفة من  
التي أصابها الضعف في عهد العزيز بالله بسبب الاستمالة بطوائف  
المشاركة، إلى توطيد نفوذها، وقد ساعدها على ذلك تولي رعيهم ابن  
عمار الذي كان مقدماً للمغاربة <sup>(٢)</sup>، تولي الوصاية في عام ٣٨٦هـ /  
٩٩٦م، مما أثار غضب المشاركة، ورعيهم برجوان. <sup>(٣)</sup> فشببت الحرب  
المسلحة بينهم سنة ٣٨٧هـ / ٩٩٦م، والذي انتهت بحزل ابن عمار.  
الفرض برجوان زعيم المشاركة سيطرته على الحاكم بأمر الله كما أخذ  
المشاركة في سيطرتهم، وسادهم مستغلين اضطراب الأمن في البلاد،  
وصعب حالتها الاقتصادية التي تأثرت سلباً بكثرة المجاعات المتصلة التي  
استمرت معظم خلافة الحاكم بأمر الله. <sup>(٤)</sup>

(١) محمد عبد الله حنان . الحاكم بأمر الله ١١٧٥ هـ : عبد السلام مازد : ظهور  
الخلافة الفاطمية، ص ١١٤.

(٢) ابن الفلكاني : نيل تاريخ دمشق، ص ٤٤، ٤٥ : المغربي : الخطيب، ج ٢،  
ص ٥٧، ٥٨ : أحمد الصولي : مجاهد مصر، ص ٧٨.

(٣) شمريري : المصدر السابق، ص ٥٠، ابن الأثير : الكامل، ج ٧، ص ١١٧٧  
عبد السلام مازد : الحاكم بأمر الله، ص ٣٠، ٣١ : أحمد الصولي : المرجع  
السابق، ص ٧٨.

(٤) ابن الصوري : الإشارة، ص ٦٦ - ١٢٧ : عبد السلام مازد : المرجع السابق،  
ص ٣٥ : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٣٠٩.

(٥) ابن الفلكاني : المصدر السابق، ص ٥٥ : ابن خلكان : وفيت الأعيان، ج ١، ص -

ولعل هذه الأسباب هي التي أدت إلى اتجاه الحكام بأمر الله إلى اتباع سياسة المنكح، والقتل التي عمت الجميع من فئات الدولة من استئذ، وشغلت القزعاء، والكتائب، والقضاة، والشعراء، والمعلمين، والخدم، كما أنها لم تفرق بين اليهودي، والناصراني، والمسلم. (١) مما أدى إلى سحق الخاصة، والعامة عليه، وفي تلك الظروف المضطربة، ظهرت أولى الحركات الانفصالية التي استغلت ضعف الدولة، واشغال جيشها، وكثرة الفساد بها، وتبعث أول خطر حقيقي من أركان الخلافة العباسية في مصر، وجاء هذا الخطر من بلاد المغرب، الذي قامت الخلافة الفاطمية على أكتاف رجاله، وقد تمثل هذا الخطر في الثورة التي قام بها أبو ركة في برقة بالمغرب.

استطاع أبو ركة أن يجمع حوله العديد من العناصر الفاضية على سياسة الفاطميين ودعوتهم، فاجتمع حوله قبيلة لواته (٢) وجموعها من

= ٢٤٤ - ٢٤٥، عبد المنعم ماهد : المرجع السابق، ص ١٣٥ ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٠٩.

- (١) ابن سعيد : انجوم الزاهرة في حلى مصر، القسم الخامس القاهرة، ص ٥٨.
- (٢) قبيلة لواته : وهي قبائل بربرية الأصل، على القرب، أي أنها من البربر البتر، كانت تقطن ليبيا خلال الفتح الإسلامي، في سنة ٦٤٤ هـ / ٦٤٣ م، وذلك لول بأن اسم ليبيا ولبنه الكبرى يرجع إلى تسمية هذه القبيلة، كانت تقيم في برقة ومصر والمغرب طرابلس، وهي أول قبيلة أسلمت، ثم أصبحت من أكثر المنصرين للإسلام إيجابية، فكانوا يملك الأرض (قوجة قبضري) وأصبحوا يزرعون كما يربون بلا خراج، وفردوا بالزراعة واستقروا على بيع الفلات، وأصبحوا يسيرون فلال للدولة الفاطمية وقد ساعدتهم على ذلك كثرة الصراعات والاضطرابات فيها، فكانوا يسيرون في زينة حدة الأرضات والجماعات.
- للمزيد راجع : سلاويين بن المقفع : سير قبيلة المقدسة، ج ٢، ص ٢٨٠، ١٨٢، الأنطلي : تاريخ الأنطلي، ص ٢٥٧، السيد عبد العزيز سقم : تاريخ المسلمين وأثرهم في الأندلس من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة، و. النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١ م، ص ٢٠.

البربر السلبية، وكذلك قبائل زناتة من الليبر<sup>(١)</sup>، وعدداً من القبائل لغربية  
المقبة ببرقة، مثل قبيلة بنو قرة<sup>(٢)</sup>، وبني سليم<sup>(٣)</sup>، وكتبوا جميعها على  
عداء مع الدولة الفاطمية القيسية<sup>(٤)</sup>، وعلى الرغم مما كان بين هذه القبائل  
من حروب ونماء، ففيهم قد وصعوا، وابعوا أبا ركة للقضاء على  
الدولة الفاطمية<sup>(٥)</sup>.

(١) الليبر : هم قسم من أقسام البربر، سكنوا البادية، انضموا إلى فريج قبائل وهم :  
صريسة، ونوسة، ولأسة، وبنو لواء أو لواء، وتنقسم صريسة إلى مكسبة  
ورباته، ويعتبر بنو خلون أن قبيلة ركة فرخا من فروع البربر فلبت بدائه،  
ومن زمتة جرمه ومغراه، وبوقرن، وبنو زيل، وبنو مري، ولكل قبيلة بطون  
والأهال لا يمكن حصرها. لمزيد من التفاصيل راجع : السجدة عبد الحميد سالم :  
المرجع السابق، ص ٢٠، أحمد إسماعيل الجمال : في تاريخ المغرب و لأندلس،  
جامعة بنهوز، ص ٦٥٥.

(٢) بنو قرة : وهم من القبائل المغربية التي انتشرت بمنطقة البحيرة منذ الفتح العربي،  
دخلوا في خلاف مع الدولة الفاطمية، وقد استعصم هذا الخلف من الحاكم بأمر  
الله، حيث إن زعيمهم مختار بن القاسم، قد سار ومن معه مع يحيى بن علي بن  
حمون الذي أرسله الحاكم بأمر الله ليجرح قنول بن سعيد من طرابلس، وعندما  
جرت عليهم الهزيمة انسحبوا إلى برقة فتكرهم الحاكم بأمر الله فماتوا عنده،  
فبعث لهم بالأندلس، وعندما قدم ولدهم إلى الإنكسرية فتكلم الحاكم بأمر الله،  
رحلوا من مصر إلى برقة ٣٩٦ هـ / ١٠٠٦ م ماغلط على الحكومة الأندلسية،  
وكانوا يملكون مصدراً للملح والزعاج للخلافة الفاطمية، ذلك عندما  
دعاهم أبو ركة استجابوا له. راجع : القنصلي : ص ١٠٠، ص ١٠١،  
ص ١٠٢، ابن خلون : تاريخ بن خلون، ج ٤، ص ٦١، القنصلي : انماط  
العلماء، ج ٧، ص ٩٠، ٩٨، جد المنعم حامد : ظهور الخلافة الفاطمية،  
ص ٢١١، محمد عبد الله علي : قتلهم بأمر الله ص ١٨٧، أمينة الشورجي :  
رواية الرحالة، ص ٥١٧.

(٣) بر سليم : من القبائل التي قتت مصر مع القرامطة، وكانت كثيرة قتلهم  
أدى إلى أن الخليفة العزيز بالله قتلهم إلى المسجد فمكثوا هناك، وأصبحت لهم  
قوة تعاضها الدولة الفاطمية، حيث كونوا جبهة معارضة لها راجع : أمينة  
الشورجي : رواية الرحالة، ص ٥١٧، ابن خلون : المصدر السابق، ج ٦،  
ص ١٣.

(٤) ابن طاهر : أخبار الدول، ص ٤٤، أمينة الشورجي : رواية الرحالة، ص ١٦  
(٥) ابن خلون : تاريخ بن خلون، ج ٤، ص ٦٢، محمد جلال الدين سرور : سياسة  
الدولة الفاطمية، ص ٢٢٣

استغل أبو ركوته المداينة الدليلية التي كان يتبعها بعض الخلفاء  
الفاطميين في التصديق للمذهب الشيعي وسب ولعن الصحابة، في إيراد  
الصرح المذهبي في نفوس هؤلاء البربر، الذين كانوا يعتقدون أن مذهب  
أئمة من مذاهب المسلمين، فأظهر لهم أنه ليس راجعاً في حيلة ملك  
نفسه، وأن غرضه هو تصورة دين الإسلام، والامتثال من أئمة  
والنعم لأصحاب صاحب الشريعة وأزواجه، حيث إنهم الأئمة وعماد  
الدين. <sup>(١)</sup> فحاجب بهم خطبة بليغة من فيها للحكم بأمر الله وأمره،  
وذكر مساوئهم. <sup>(٢)</sup> ويذكر جمال الدين أنه قد دعا إلى عمه هشام المرزبي  
الحليفة الأموي. <sup>(٣)</sup>

كذلك استغل سوء الأحوال الاقتصادية في البلاد وعجز الدولة عن  
الوفاء بما عليها من التزامات نحو شعبيها، فجمع حوله العديد من الفئاضل  
التي تعيش تحت خط الفقر بسبب المجاعات، والقمط، والأمراض،  
والعدم الكوفا، والتي وجدت في مصر فرصة للحصول على العيش  
الذي وعدهم بها أبو ركوته، حيث اعتبر أن مصر دار حرب سكار  
وأعطى جيشه حق سلب ودهب، كل ما يقابله، كما وعد تلك القبائل، والتي  
منها بنو قرة، وزينة بأن يكون لها ثلثا الغنائم، ويكون لها الثلث <sup>(٤)</sup>، وقد  
أقر لهم مصره، ومكة لمصر. <sup>(٥)</sup> فوجد العرب في هذه الحركة فرصة  
مواتية للقضاء على أعدائهم الفاطميين، والحصول على ما يصبون من  
ممتلكاتهم في حالة إتصال أبي ركوته، وتقسيمه مصر بينهم <sup>(٦)</sup>، ولا سيما

(١) الأنطكي : تاريخ الأنطكي، ج ١، ص ٣٥٩، أمينة قشورجي : المرجع السابق،  
ص ٥١٦.

(٢) ابن ظافر : المصدر السابق، ص ٤٥، ابن عمري بردي : النجوم، ج ٤،  
ص ١٦١٥ عبد المنعم ملج : ظهور الخلافة، ص ٢٠٩، هشام عبد القادر،  
أعلام العرب، ص ٥٨.

(٣) محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٢٣.

(٤) ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٤٢، ابن ظافر : أخبار الدول، ص ٤٠٥، ابن  
خلدون : المصدر السابق، ص ١٦٢، أمينة قشورجي : المرجع السابق،  
ص ٥١٧.

(٥) ابن ظافر : المصدر السابق، ص ٤٥، الأنطكي : المرجع السابق، ص ١٣٥٩  
أمينة قشورجي : المرجع السابق، ص ٥١٧.

(٦) ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٤٢، ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٤،  
ص ١٦١، المقرئ : تلمذ الحنفية، ج ٢، ص ٦٠، محمد جمال الدين سرور :  
مجاهدة الفاطميين، ص ١٢٢.

بعد ما تعرضوا له من ضلّة، وتجهير، وقتل أرعائهم زمن الحاكم بأمر الله.<sup>(١)</sup>

في عام ٣٩٥هـ/١٠٠٤م، تحرك أبو ركوّة فقتل من العرب؛ حيث بدأ حركته من بركة، واستطاع أن يستولي على مدن كثيرة بعد قتال عفيف مع أهل تلك المدن، فقتل أعداداً كبيرة من أهل المناطق، مما أزعج الحبيبة الحاكم بأمر الله، ودفعه إلى تجهيز جيش من المشرقة، والمصرية بقيادة بيل الطويل لمحاربة القواد الترك<sup>(٢)</sup>، لقتال أبي ركوّة، غير أن هذا الجيش قد هزم، وأسر بيل، وقطع إريّا إريّا. حيث أخطأ الحاكم بأمر الله في اعتبار هذا القائد التركي الذي كان جاهلاً بطبيعة البلاد، كما أنه كان من الأتراك الذين كسروهم المغاربة - أغلب جيشه - حيث قام بقتل العديد من زعمائهم فكرهه جيش المغاربة<sup>(٣)</sup>، كذلك كره المغاربة ظروف أمام بني جنسهم فأصابهم الفتور في القتال، فالتصّر أبو ركوّة انتصاراً عظيماً، واستولى على بركة، وأعلن المذهب السني بعد أن قضى على المذهب الشيعي، ونقب بأمر المؤمنين الناصر لدين الله، وسكت العملة باسمه.<sup>(٤)</sup>

أعد الحاكم بأمر الله حملة ثانية اعتمد فيها على المشرقة فقط حتى يتقوى ما حدث في الحملة الأولى<sup>(٥)</sup>، التي قادها الأمير فائق الذي اشتبك مع أبي ركوّة في منطقة الحمام - من أقاليم الإسكندرية. هزم فيها

---

(١) أحمد الصاوي : مجاهدات مصر، ص١٠٧ عبد المنعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٢١٠، الأتطلي : تاريخ الأتطلي، ص٣٦٢.

(٢) ابن تقي بري : التجوم، ج٤، ص٢١٩ عبد المنعم ماجد : الحاكم بأمر الله، ص٣١ ظهور الخلافة الفاطمية، ص٩١٠ أحمد الصاوي : المرجع السابق، ص١٠٢ أمينة الشورجي : رؤية قرطبة، ص٥٦.

(٣) ابن تقي بري : المصدر السابق، ص٢١٦ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص٢١.

(٤) الأتطلي . تاريخ الأتطلي، ج١، ص٢١٧ ابن الأثير : المصدر السابق، ج١١ ص٣٥٥ ابن الجوزي : المنتظم، ج١٥، ص٥٤ ابن تقي بري : المصدر السابق، ص٢١٦ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص٢١٠ أمينة الشورجي : المرجع السابق، ص٥٦.

(٥) المقرري : قسطنطين، ج٤، ص١٦٩ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص٢١٠.

فانك وقتل هو وكثير من أصحابه<sup>(١)</sup>، ساعد هذا النصر الذي أحرره أبو ركة على جيش الحاكم بأمر الله على التوغل داخل مصر وكان ذلك في سنة ٣٩٦هـ / ١١٠٥م، مما أفلق الحاكم بأمر الله ولاسيما في ظل فرجة أهل مصر بذلك. فإظهار الحاكم قلقه، ولدعه كما اعتذر عما فعله من سب، وليس الصحابة<sup>(٢)</sup> حتى إن بعض المؤرخين يذكرون أن أهل مصر قد كاتبوا أبا ركة يستدعونه، ومنهم الحسن بن يوه<sup>(٣)</sup>، ويذكر البعض الآخر أن ذلك كان بتكبير الحاكم نفسه لكي يسترجعه<sup>(٤)</sup>.

جهر الحاكم بأمر الله جيشاً عظيماً أتفق عليه أموال الدولة التي بلغت ألف ألف دينار ذهباً من البربر، والأكراد، والديلم، والسوادان، وانضم إليهم بعض المصريين الذين ذهبوا ليدافعوا عن بلادهم وذلك بعد أن أخذ أتباع أبي ركة يتهبون خيرات البلاد، ويغربون في طريقهم كل ما يملكون عليه، فأكثروا الفساد في قرى مصر، وانتكسوا حرماتهم<sup>(٥)</sup>، فخربت البلاد وقرضت خزائن الدولة، وحل البلاء، وقطعت بعد أن تولت الحية في قرى مصر وصعيداها<sup>(٦)</sup> إلى أن هزم أبو ركة في اليوم بمنطقة 'رأس البركة' وقتل كثير من جنده، قتلوا ثلاثين ألفاً<sup>(٧)</sup>، أبى أبو

(١) الأنطكي : المصدر السابق، ص ٢٦٤، عبد المنعم مaged : المرجع السابق، ص ٢١٠، ٢١١.

(٢) ابن الأثير : الكامل، ج ٨، ص ٤٤٣، ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٤، ص ١٦٢، يذكر الدكتور / مaged أن تلك عام ٣٩٦هـ. وهذا على سبيل الخسأ لمطبعي. عبد المنعم مaged : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ١٢١١، محمد جمال الدين سرور : سيرة الفاطميين، ص ٢٢٢.

(٣) ابن حبان : أخبار بني هيد، ص ٩٧، المقرئ : القطط، ج ٢، ص ٢٨٦.

(٤) ابن الأثير : المصدر السابق، ص ٤٤٣، ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٦٠.

(٥) المقرئ : الحفاظ، ج ٢، ص ٤٦٢، عبد المنعم مaged : المرجع السابق، ص ٢١٠.

(٦) الأنطكي، تاريخ الأنطكي، ص ٢٦٤، لجنة قشورجي - روية قرحة، ص ٥١٨.

(٧) الأنطكي : المصدر السابق، ص ٢٦٦، ابن قفري بردي : النجوم، ج ٤، ص ١٢٦، عبد المنعم مaged : المرجع السابق، ص ٢١١.

ركوة فقد ذهب الحاكم بأمر الله مكرماً. <sup>(١)</sup> فلم التحكم أن يشهر به على جمل. ، ألبسه طرطوراً طويلاً، وخطفه قرده، ويده درة بصرية به. كذلك ربيب الدهرة لهذا الحدث العظيم <sup>(٢)</sup>، أما أبو ركوة فلم ييأس، وأرسل لتحكم بأمر الله بمحضظة العفو عنه في قصيدة نذكر منها :

يا مولانا : للذنوب عظيمة، وأعظم منها عفوك، وللماء حرام ما لم يحلها سخطك، وقد أحسنت وأسأت، وما ظلمت إلا نفسي، وموء عملي أدبلي، وأقول :

فررت لم يغن الفرار ومن يكن	مع الله لم يعجزه في الأرض هارب
والله ما كان الفرار لعلجة	سوى فرج الموت الذي لنا شارب
ولقد فادني جرمي إليك برمتي	كما خر ميت في رجا الموت سارب
وأجمع كل انفس أنك قتلتني	فيا رب ظن ربه فيك كاذب
وما هو إلا الانكسار وينتهي	وأخذك منه ولجأ لك واجب <sup>(٣)</sup>

لم يحن الحاكم بأمر الله لكلمات أبي ركوة، وأمر بقتله في سنة ٣٩٧هـ / ١٠٠٦، ١٠٠٧، إلا أنه مات على جملة، وفي رواية أخرى ضرب عنقه ثم أمر الحاكم بأمر الله بصلب جسده ليكون عبرة لمن يخرج على الدولة. <sup>(٤)</sup>

على الرغم من مقتل أبي ركوة فإن القبائل العربية في صعيد مصر، والبربرية المعادية للدولة الفاطمية ظلت تشارك في كل معارضة ضد الدولة سواء كان ذلك بمساعدة أهل الشام، أو بالثورات التي تحدث في مصر بين وزرائها، وجنودها، أو بالثورات التي كانت تحدث في بلاد

(١) يذكر ابن تغري بردي أن قائد المعركة الفضل بن صالح أراد أن يصل به للحاكم بأمر الله حياً، فبالغ في إكرامه حتى لا يقل نفسه، التاج، ج١، ص٢١٦

(٢) ابن تغري بردي : المصدر السابق، ص٢١٦ - ٢١٧؛ عبد السلام ماجد المرجع السابق، ص٢١٢؛ أمينة الشوريجي : المرجع السابق، ص٥١٨

(٣) ابن الأثير : الكامل، ج٩، ص٢٠٧.

(٤) ابن تغري بردي : التاج، ج٤، ص ٢١٧؛ عبد السلام ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص٢١٢؛ أمينة الشوريجي : رؤية الرحلة، ص٥١٨.



للمغرب، وظلت شوكة في ظهر الدولة الفاطمية تحكم لمسي اقتصادها، واستقرارها حتى تقلصت أملاكها وتلاشت معالمها للأبد.

عندما ذهب المعز لدين الله الفاطمي إلى مصر، فضل ترك بلاد المغرب في يد أحد أبنائه من العلوية على أن يكون تبعاً له في مصر، وقد قصد المعز لدين الله ذلك حتى يستقيم له الأمر في بلاد المغرب، ولا سيما في ظل الحياء المستمر بين قبائله المختلفة، وكذلك لرد الجمين للمغاربة الذين ساندوه في إقامة دولته في المغرب وكذلك في مصر. لذلك ترك حكم المغرب لقبيلة صنهاجة<sup>(١)</sup>، بينما كانت قبيلة كتامة، وهي فرع من فروع صنهاجة مع في مصر، وكانت صنهاجة معظمها من المعز، أو ما يعرف باسم "البرانس"، الذين كانوا على عداوة مستمرة مع "البتر" - البدو - من قبيلة زناتة فصار الأمويين بالأندلس، وأعداء الفاطميين.<sup>(٢)</sup>

وقع اختيار المعز لدين الله على يوسف بن زيري بر من بلاد الصنهاجي الذي اشتهر باسم بلكين، أو بلعن، ووضع له شروطاً تكفل بقاءه، وخلقه من بعده خاضعين للخلافة الفاطمية، فجعل القضاء والحراج تابعين للخلافة الفاطمية في القاهرة، فكانت سجلات القضاء في مصر

---

(١) قبيلة صنهاجة : تعتبر أكبر قبائل البربر البرانس حتى أنهم رعبوا عنها: بلندر للقت منهم، استقرت قبائل صنهاجة في بدلياتها في شمالي الصحراء الكبرى. وبعد وصول الإسلام أصبحوا منتشرون أيضاً في بلاد السودان (أي على ضفاف نهري النيل والنيجر). بذلت قبائل صنهاجة تضرعاً تلقائياً في الأطلن المتوسط منذ القرن التاسع للميلاد، كما في جبل تريف وعلى الساحل الأطلسي للمغرب جزء من الصنهاجيين استقروا في شرق الجزائر (كتامة)، ونهبوا دوراً هناك في وصول الفاطميين للسلطة، ملالات صنهاجية مثل الزيرويين والصنهاجيين حكموا في إفريقيا حتى القرن الثاني عشر، وكان منهم أبو زيري بن زيري بن سلا لمصاحب أفريقيا وكذلك المقفرون (المرايطون). تلمود راجع : ابن الأثير : الكامل، ج ٧، ص ١٧٦ - ١٧٤ ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٦، ص ١٣٠ السيد عبد العزيز مسلم : تاريخ المسلمين وقضاؤهم في الأندلس، ص ٢٠٠ : لحد إسماعيل الجلي : في تاريخ المغرب والأندلس، ص ٢٠٠

(٢) ابن خلدون : المصدر السابق، ص ١٥٢ - ١٥٣ عت الطعم ماجد : ظهور الخلافة الفاطمية، ص ٢٠٧، ٢٠٤ : محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين، ص ٢٢٥.

شمل بلاد المغرب. (١) وغير ذلك من الأمور التي تكفل تبعية بلاد المغرب لحلافة القاهرة، وقد عهد للمعز لدين الله أن يشرح ولاية 'طرابلس'، ويُرَقِّع عن نفوذ الزيريين، فعين عليهما وثيقاً من قبله. (٢) وقد سكنها قبائل بربرية معظمها من السنة مثل قبيلة مزنة، ورانة، ولواتة. (٣)

استمر النفوذ الفاطمي سائداً في إفريقية حتى ولى إسماعيل بن يزي أبو مناد باديس الصنهاجي الذي طمع في ولاية 'طرابلس'، دعمه إلى محاربة واليها من قبل الحاكم بأمر الله الفاطمي، هذا الأمر الذي أدى إلى استئمان الحاكم بأمر الله بالبر من زناتة - أعداء صنهاجة - فداربو، باديس، وهزموه، صعد باديس جاهداً في الانتقام من الدولة الفاطمية؛ لذلك فقد عمل على تشجيع ثورة أبي ركوكة التي قامت في 'برقة' ضد الحلافة الفاطمية، ومن ثم لم يتحرك الزيريين لنصرة الحلافة، بل عملوا على هلاكها. (٤)

لم يستسلم باديس الصنهاجي حتى استطاع الاستيلاء على 'طرابلس' عام ٤١٠ هـ / ١٠١٩ م مستغلاً التصراعات التي انشبت بين زناتة بعد وفاة رعيهم، وكذلك انشغال الحاكم بأمر الله بصاد الأحوال في مصر والشام (٥)، ولذلك لم يجد الحاكم بأمر الله أمامه سوى اتباع المهادنة، واللين مع باديس، لذلك فقد طلب وده من قبله أسلافه من قبل مع الزيريين، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ضم إليه ولاية 'برقة'، وأعمالها أبعد ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م، حتى تستقر الأمور، ويأمن جانبها. (٦)

(١) عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ٢٠٥.

(٢) نفسه، ص ٢٠٧.

(٣) نفسه، ص ٢٠٨.

(٤) ابن خلدون : القبائل بالمغرب، ج ١، ص ٣٥٦؛ ابن خلدون : المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٨؛ عبد المنعم ماجد : الحكم بأمر الله ص ١٥٦؛ ظهور الحلافة الفاطمية، ص ٢٠٩، ٢٠٨.

(٥) ابن الأثير : الكامل، ج ٧، ص ٣٧٧؛ عبد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ٢١٤؛ محمد جمال الدين مورو : المرجع السابق، ص ٢٢٦.

(٦) ابن خلدون : القبائل بالمغرب، ج ١، ص ٤٧٣ - ٤٧٥؛ السجدة عبد العزيز سالم : تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ص ٢٠.

أراد المستنصر بالله أن يتبع نفس سياسة جده فحاكم بأمر الله في صرب القبائل بعضهم، فاستجاب لأمر الوزير اليازوري الذي أراد الانتقام من المغربي بانيمن الذي أساء معاملته ومخاطبته في إرسال قبائل بني هلال الذين استقروا في صعيد مصر، وتسيبوا كثيراً في المصائد لنخالة في القاهرة، وقد أراد اليازوري ضرب عصفورين بحجر واحد، فمن فرم بقو بني هلال فقد تخلصت الخلافة منهم، وإن نجحوا فقد تخلص من الزيريين.<sup>(١)</sup> وبالفعل كان النصر لبني هلال الذين عاشوا في بلادهم المغرب قبائلهم وساروا وراء المعز الذي تركه لتصانفه، ففر إلى القدران ومنها إلى المهدية<sup>(٢)</sup> وقد تتبع قيم بن المعز نفس سياسة والده في الخروج على الدولة الفاطمية، فقطع الخطة لهم، وخصص للمرابطين<sup>(٣)</sup> الذين ظهرت دولتهم في جنوب بلاد المغرب.<sup>(٤)</sup>

٢٠ بدون تاريخ، ص ٥٦٨، ٥٦٩: عهد المنعم ماجد . ظهور الخلافة العنصرية،

ص ٢١٤، محمد جمال الدين سرور : سياسة الفاطميين، ص ٢٢٧.

(١) ابن خلدون : تاريخ بن خلدون، ج ٦، ص ١٢ - ١٤: ابن خلدون . أخبار الدول،

ص ١٦٨، ابن سعد : التاريخ، الجزء الأخير بالقاهرة، ص ٤٢٣، محمد جمال

الدين سرور : المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٢) ابن الأثير : الكامل، ج ٩، ص ١٩٦ - ١٩٧، ابن خلدون : المصدر السابق،

ص ١٠٤، محمد جمال الدين سرور . المرجع السابق، ص ٢٢٩، السيد عبد

العزيز سالم : تاريخ المغرب، ص ٥٧٤، عهد المنعم ماجد : المرجع السابق،

ص ٢٢٥.

(٣) دولة المرابطين . المرابطين : هي قبيلة بالغة جلالاً على العرب المسلمين

لمهمتها والدفاع عنها، ومن هنا أطلق عليهم اسم المرابطين، وتأسست المرابطين

إلى قبيلة جدالة بموريتانيا، وأصلهم يعود إلى صنهاجة.

وكانت أوضاع جدالة في منتهى الفاقة والإكراه، فترك قائدهم يحيى بن زهرهم،

من بعض أئمة صنهاجة أمراء قبيلته ؟ فاستدعى رجلاً يدعى عبد الله بن بدير بكى

بخط هؤلاء الناس، وتأسست دولة المرابطين من هذه الدعوة، وبعد وفاة عبد الله بن

بانيمن في سنة ٤٥١ هـ / ١٠٥٩ م، يقوى أبو بكر بن حمير الفاتح في رحالة

المرابطين بعد أن كان قد انضم هو وقبيلته إلى المرابطين، ويزداد أعداد

المرابطين في عهده وتتوسع الدولة.

لمزيد من التفصيل راجع : ابن خلدون : المصدر السابق، ص ٢٢٧، السيد عبد

العزيز سالم : المرجع السابق، ص ٦٠٤ - ٦٠٥.

(٤) عهد المنعم ماجد : المرجع السابق، ص ٢٢٤ - ٢٢٥: أحمد الصلوي مجاهد

مصر، ص ١١٧، محمد جمال الدين سرور، المرجع السابق، ص ٢١٤.

زاد ضعف الدولة الفاطمية، وازدادت ضدها ولاسيما في ظل سحل  
 أم المستنصر في أمور الدولة، وصراع الجند، وكذلك تريد الأحبار التي  
 وجهت الدولة من الشرق الإسلامي، فحجرت عن حماية نفسها، وحماية  
 ممتلكاتها، فترك المغرب، وشأنه، حتى خرج من حوزتها ولاسيما على  
 ظل المصالحات العتيقة التي حدثت بين العرب، فأخذت كل قبيلة تعمل  
 بحسبها، وتتقاتل مع غيرها ليقاها. <sup>(١)</sup> ولعل النزاع بين قبيلة بني هلال  
 العربية، ورياسة فبريرية، التي أخرجت لنا القصة المشهورة التي وصفت  
 لك البطل أبا ريد الهلالي، وعنوانه خليفة التوتى - التي مرجت بالحيث -  
 من أشهر تلك المصالحات في بلاد المغرب. <sup>(٢)</sup>

وبمثل بعض المؤرخين هذا إلى مبالغة الفاضلين في الاستعفاف  
 بالدين، وبسب الصعوبة، وادعاء الأئمة، ودعوة الناس لعبادة بعضهم،  
 وكثرة الصراعات التي عمت دولتهم، مما أدى إلى خروج المغرب من  
 حورتهم، ومن ثم فقد حذى أهل برقة، وطرابلس نحو ملوك المغرب،  
 وتخلصوا من حكم الفاطميين لهم، ودعوا للعلماء العباسيين. <sup>(٣)</sup>

#### [٤] لانهاض الاقتصاد، التام ونوال الدولة الفاطمية :

لا شك أن كثرة الحروب، والصراعات الداخلية، وضباب ممتلكات  
 الدولة الفاطمية في الشرق والمغرب جعل خرافة الدولة خالوية على  
 عروشها، واقتصادها قد انهار تماما، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل  
 صارت الخلافة الفاطمية الشعبية تحت حماية قوة كبرى تكذب بالمذهب  
 السني، وتتبع العلاقة العنصرية، وهي قوة نور الدين محمود ممثلة في  
 صلاح الدين الأيوبي الفاطن حتى رمل الأمور في مصر آنذاك. <sup>(٤)</sup>

(١) ابن خلدون : البيان المغرب، ج ١، ص ٤٢٠، عبد الممنع ماجد : ظهور الخلافة  
 الفاطمية، ص ٢٢٨.

(٢) السيد عبد العزيز سلق : تاريخ المغرب، ص ٥٨٥ - ٥٨٧ عبد الممنع ماجد  
 المرجع السابق، ص ٢٢٨.

(٣) ابن خلدون - المحرر السابق، ص ٤١٦ السيد عبد العزيز سلق : المرجع  
 السابق، ص ٥٧٩.

(٤) ابن واصل : مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٠٠.

ويعد إلحاح من نور الدين محمود لإسقاط الخلافة الفاطمية بتحدد صلاح الدين الأيوبي الخطوة الأخيرة، والخطيرة فتم الادعاء في أول جمعة من عام ٥٦٧هـ / ١١٧١م، وهذا يدل على أن الفساد قد نهبك قوى الفاطميين، ولم يعد لديهم قدرة على المقاومة. وبعد ذلك اتخذ صلاح الدين عدة إجراءات حاسمة للقضاء على آثار الخلافة الفاطمية في مصر، وبزع المبادئ العنصرية التي كانت يمارسها جوامع القاهرة، والتي كانت تعمل أسماء الخلفاء، والفاطميين. (١)

ولا ريب أن سقوط الخلافة الفاطمية لم يكن مجرد انقلاب عادي، وإلا كان حدثاً خطيراً في تاريخ العالم الإسلامي بوجه عام، وفي تاريخ مصر بوجه خاص. إنها هي دولة الفاطميين تتهاوى مع قرنين من الزمان تقريباً لتعود للعالم الإسلامي وحنقه المذهبية (٢)

والحقيقة التاريخية المؤكدة أن الفساد مهما طال أمده واستوحش في الأرض، وتقوى لابد أن يكون مصيره الحتمي إلى الزوال فقد أدى فساد الدولة الفاطمية في عديد من النواحي إلى انفراط عقدها، وصراع ممتلكاتها، ونهاية بنودها.

وكيفما كان الأمر، فاللدولة تقوى بقوة اقتصادها، وكضبطها، وتلها بالهياره فقد أدى عدم الاهتمام بالاقتصاد، وعمليات الخرابه، والتدمير، وضيق الممتلكات إلى تحميل خزنة الدولة أكثر مما تطيق وصار المال المنعوق كثير جداً والوارد إلى الخزنة ضئيلاً جداً بل لنعدم في عشرات الضعف، والوهر فضاعت الدولة بضاياع الاقتصاد، وفساد القائمين عليه.

(١) المغربي : السلوك، ج ١، ص ٢٣ - ٤٥.

(٢) المغربي : السلوك، ج ١، ص ٤٦.

ومن الواضح أن غياب الرؤية، والتخلف وعدم وجود خطة ثابتة للتنمية في شتى المجالات بجانب إكفال الأمر لغير أهله وتعليق المصلحة الشخصية على المصلحة العامة كل هذه الأساليب مجتمعة كالتدريج انتشار مظاهر الفساد في مصر أثناء الحكم الفاطمي، ونتج عنها ساد سياسي، وإداري، واجتماعي، واقتصادي انتهى بزوال الدولة الفاطمية



## الخاتمة





## الختام

بعد أن استعرضنا في الفصول السابقة كل ما يتصل بمصادر الفساد في مصر في العصر العظمي، نشير إلى أهم النتائج التي تم التوصل إليها خلال هذا البحث، فقد خلص الباحث إلى عدة نتائج من أبرزها :

- ظاهرة الفساد من التظاهر القديمة التي شغرت مد يد الكور واستغلال البشر في الأرض، وقعت أول جريمة قتل على سطح الأرض، عندما قُتل الأخ وحُقد على أخيه، واستمر قبول قربانه من الله عز وجل، فقام الأخ القاتل وهو قليل وقتل أخاه هابيل
- توجد ملامح ثابتة للفساد في كل زمن، ومكان، وفي شتى بقاع العالم، ولكن توجد بعض الإشكاليات لهذا الفساد ومظاهره مختلف عليها إلى حد ما، حيث إن ما يمكن وصفه ساءاً في دولة ما، أو عصر سابق أو لاحق لا يعد شيئاً عند دولة أخرى، وذلك متوقف على الثقافة والهيبة والعصارة والتعاليم الدينية والسلوكيات التي تمر مجتمعاً عن آخر، كما تتفاوت درجات هذا الفساد من مجتمع لآخر حسب ثقافات هذا المجتمع وكذلك مراحل قوة الدولة أو ضعفها، ومدى تمسكها بمقومات الصلاح والإصلاح.
- يبدأ الفساد دائماً صغيراً، ككفارة المحي، ثم يتدرج في النمو، حتى يستغل أمره ويسري في جسد الأمة، حتى تسقط وتتهاوى ويتلاشى أمرها، وتترك المجال لغيرها للقيام على أنفاسها، ويظهر هذا جلياً خلال الدراسات السابقة على مر العصور، ففي مصر الإسلامية - على سبيل المثال - جاءت الدولة الفاطمية على إثر ضعف الدولة الأموية، وجاءت الدولة الإخشيدية بعد استحلال الفساد في الدولة الطولونية وقامت الخلافة الفاطمية لاستحلال الفساد في دولة الإخشيدية، وكذلك قامت الأيوبي والملوكية والعثمانية، فيكون الفساد دائماً بداية النهاية لأي دولة

أورد ابن خلدون : أن مظاهر فساد الدولة تبدأ كمرحلة ثانية، حيث تقوم الدولة في بدايتها على السيطر وتشغل بالبحث عن العصبية، ثم تشغل بما وصلت إليه من قوة ولزدهار، فتتعمس في البذخ والترف، فتبدأ مظاهر الفساد في الظهور، بعد أن يشع الحكام عن شؤون دولتهم وتضع القوى المحيطة في الوصول إلى السلطة، ويختل ميزان الدولة، ويتصرف عن معارها لتطبيع، ونكثر الصراعات والفتن حتى ينتهي أمر الدولة بدولة أخرى تبـ من جديد

- تبين خلال الدراسة والبحث أن الدولة الفاطمية في مصر قد خالفت تلك القاعدة؛ حيث إنها لم تشهد الفترة الأولى من حياتها البسيطة في عصر نوب المزور بالمراحل البدائية التي تمر بها باقي الدول، حيث إن الدولة الفاطمية قد مرت بهذه المرحلة في بلاد المغرب، فكانت في حالة من التفتت والرهق والبحث عن العصبية، لذلك فقد جاءت مصر قوية عية مزدهرة، فاستقلت من ازدهد والتفتت إلى الرئاسية والترف والبذخ لمبالغ فيه أي أنها انتقلت بشكل مفاجئ من شعش إلى انقيض، فالتعمست في براث الفساد، حيث ثبت عظمًا أن الانفقال السريع من الشيء إلى لقيصه يؤدي إلى الفساد الحتمي.

- أثبتت الدراسة أن تلاعب الفاطميين بمقيدتهم لتحقيق أغراضهم وأهدافهم أدى إلى تفسك الديني فقد غير الفاطميون في قواعد الميراث الشرعي ليعمل الميراث للأبث يكامل حل عدم وجود ذكور عند موت الأب؛ وذلك ليثبتوا أحقية السيدة فاطمة - رضوان الله عليها - في ميراث الرسول - ﷺ -، وبالتالي هم ورثة السيدة فاطمة وكذلك الأحق بميراث الخلافة والحكم بالعالم الإسلامي.

- كانت الدولة الفاطمية دولة دينية تعتمد على الحكم الديني للوراثي غير أنها قد أقرزت الحيد من المذاهب الدينية السليسية والتي منها تدوير الحككم وعصمة الإمام من الخطأ وإعطائه الحق

المعقود في التآويل وخطط الذين بالمياسة وعدم الخروج على الحاكم مهما عظم فسادهم وتكثرت بعض المجتمعات ذلك لحكم الذكائوري ببعض هذه المذاهب تقمع شعوبهم وإصفاء صفة دنية على أنفسهم لئلا يملأ عدم الخروج عليهم.

- تحدثت وثباتت قصواف عسكرية لدخل الدولة الفاطمية، فيه بين السود والأترك والمغاربة والأرمن الذين تمادعوا فيما بينهم منذ أول وجودهم في مصر، وظهر فسادهم على أهل البلاد الذين عانوا من فسادهم وظلمهم وتجربتهم على أملاكهم وأعراضهم، هذا الأمر الذي ازداد في العصر الفاطمي الثاني، حيث عاث الجند صاكا في البلاد، وتجربوا على الخليفة نفسه كما تحكوا في توليه الخليفة أو عزله.

- لعبت الدبلوماسية دورا كبيرا في الدولة الفاطمية فقد بلغت الدولة أقصى اتساع لها بفضل الدعاة الذين حملوا الدعوة الشعبية الفاطمية وانتشروا بها في شتى البقاع حتى أن الجيش الفاطمي لم يخض أية معارك توسعية إلا فيما ندر ولم يدخل في اعتبار حربي حقيقي، وحتى في المراحل الأخيرة للدولة عندما تقلصت مستكاتها في الشرق والغرب، لم يستطع الجيش تقديم الحماية المطلوبة حتى سقطت الدولة؛ لأنه فُتصرف منذ البداية عن عمله المطلوب به.

- اتضح لنا بحث أن قوة الدولة مرهونة بقوة حكمائها وثبات أنظمتها وحسن هيكلتها الإدارية وتعدد الاختصاصات بها، ولكن عندما تغيب هذه المعايير ويلعب الوزير دور الحاكم ويدخل الجيش في أمور الحكم ويخمس في المذاكر ويمد عن ميادين الحرب والقتال وتحتفي هوية الدولة، كل هذه الأمور مجتمعة تؤدي إلى فساد الدولة وزوالها وهذا ما حدث بدليل للدولة الفاطمية بمصر.

- مرت الدولة الفاطمية في مصر بفترتين متميزتين، بدأت الأولى منها بوصول جوهر الصقلي إلى مصر (٣٥٨هـ/٩٦٩م) وانتهت بانديلاع الحرب الأهلية التي اجتاحت مصر زمن المستنصر بالله

الفاطمي، والفترة الثانية هي فترة الحكم المطلق للوزراء العسكريين التي تبدأ بوزارة أمير الجيوش بدر الجعالي وتنتهي بوصول صلاح الدين بن أيوب إلى قمة السلطة في مصر سنة (٥٦٤هـ / ١١٦٨م) ومقوط الخلافة (٥٦٧هـ / ١١٧١م).

وفي حلات هذه الفترة الأولى التي قضتها الفاطميون في مصر، لم يحاولوا اتخاذ إجراءات جادة لتحقيق ضمهم في حكم العالم الإسلامي وتكوين إمبراطوريتهم التي حلموا بها، بل لجهم تشغلوا بمشاكل عائلية ومملوحت شخصية وبخاصة في عهد الحاكم بأمر الله، وعلى الرغم من الازدهار الواضح للدولة في بداية حكم المستنصر بالله، ووصول الدولة إلى أقصى اتساع لها، فإن مظاهر الفساد المختلفة التي عمت مصر، ونفشي الحروب الأهلية وتدخل أم المستنصر في أمور الدولة، ولحسد الهيكل الإداري فيها، بالإضافة إلى الجماعات التي حلت بمصر، كل ذلك أدى إلى انهيار الدولة وقيل الخليفة في انصدي لهذا الفساد، فاستعان بالقائد العسكري بدر الجعالي.

- أقام بدر في مصر حكماً عسكرياً مطلقاً، استمر أولاً في أسرته حيث نقل سلطته إلى ابنه الأفضل شامشاه (٤٦٦ - ٥١٥هـ / ١٠٧٢ - ١١٢١م) ثم إلى حفيده علي بن الأفضل كُتَيْبَات، الذي تولى أثناء الاضطراب الذي عقب وفاة الخليفة الأمر بأحكام الله سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، وتعد فترة الحكم المطلق لأمره بدر الجعالي هي نقطة التحول مع السياسة الفاطمية بتمسك العسكرية، حيث وصل عند كبير من الوزراء إلى الحكم بعد ذلك بنفس الوزارة الفرق العسكرية لهم، وإن كان هذا سبباً في خلق العديد من المواجهات العسكرية التي تشتتت في العصر الفاطمي الثاني. وفي ظل هذا النظام أصبح الأئمة الفاطميون رموزاً لمسلطة متتابعة من الطغاة العسكريين.

- كانت الوزارة تؤخذ بعد السيف لمن يقدر عليها، لذا كل مذهبه، فقد وصل الوزارة للعديد من الوزراء الذين تاحضوا العدا

بلمذهب الإسماعيلي، من أمثال علي بن الأخضر بن بدر الجمالي، وكذلك الوزير ابن مصلح، وابن السلار، وصلاح الدين بن يوسف، كذلك وصل إليها بهرام الأرمي المصنحي الذي ورر دولة بيبة وشيعة، واستند بأمر الدولة وأساء السيرة في أهل مصر.

- دهم الفاطميون طيلة وجودهم في مصر بنسب نفوسهم وسيطرتهم على الأراضي المقدسة في مكة والمنيرة، رغبة منها في إثبات شرعيتهم وكذلك بسط سيادتها على كل الأراضي الإسلامية، وعلى الرغم من ذلك لم يوجد أحد من الفاطميين قد أدى فريضة الحج على الرغم من حرصهم لتثبيد على إقامة الدعوة لهم على منابر مكة والمنيرة، اللهم إلا المعز لدين الله الفاطمي الذي عزم على ذلك؛ ولكنه لم يتم به، ووجه الفاطميين كل اهتمامهم إلى إحياء بعض المظاهر الإسلامية بقفامة وبذخ داخل حاضرة مثلهم.

- لم يستطع الفاطميون الحفاظ على عقيدتهم طيلة الوقت، بل أدى فساد الأمور في الدولة إلى انقسام الدعوة، ولأسبابها بعد أن أبعد الوزير بدر الجمالي الذين الأكبر للحليفة المستنصر بالله 'نزار' عن الخلافة، فالتفصم 'إسماعيليون' إلى قسمين 'نزارية' بإيدون 'نزار' انتشروا في بلاد فارس، و'عسقية' أتباع الإمام الجديد، وانتشروا في مصر والشام واليمن، وبعد موت الحليفة الأمر بن الحليفة المستعلي سنة ٥٢٤هـ / ١١٣٠م، تولى وريث وإعلان ابن عمه عبد المجيد نفسه خليفة باسم الحافظ لدين الله سنة (٥٢٦هـ / ١١٣٢م) ظهر انشقاق جديد بين الفرق المسمعية، التي انقسمت إلى 'عسقية' استمرت في مصر، و'طوية' استروا في اليمن والهند.

- وعلى الجانب الاجتماعي أوضحت الدراسة أن الطبقة الوسطى احتلت لفترات طويلة إبان الدولة الفاطمية لمصر حيث تحرك المجتمع إلى طبقة قوية مهيمنة سيطرة غنية ذات ثراء كبير

وفتحتر أحياناً وأخرى فقيرة معدمة تعيش بالكاد وهذا بدوره أدى إلى ختل في البناء الاجتماعي للدولة.

كان العلماء يمثلون أغلبية السكان في المجتمع المصري وبعدهم العصر المنتج بين طبقاته الذين بهم كان قولم العيش، إلا أنهم كانوا في أغلب الأحيان مغلوبين على أمرهم خاصعين لسمة مهيمنة تملك بيدها كل أمور الحياة والاقتصاد، وتتحكم فيه وفق مصالحها الخاصة، وكانت الفسطاط مقر السيد من العامة، وفي الوقت الذي كانت تكتع فيه القاهرة بالقصور الفخمة والعمالي للصيغة والمرافق الصحية، وارتفاع المنسوب الاقتصادي، كانت الفسطاط تحتفظ بسكانها، تنقي بأمرائها، وتنتظر غوت يومها، كما كانت الإسكندرية بمثابة المستنق الذي يثور فيه السليون من جراء ظلم الفاطميين تشبعة حتى عرفها المورخون بأنها (مركز المقاومة السنية).

- عانى الشعب المصري أشد وطأت العذاب خلال تسلط أهل السنة على أمور الدولة، وإساءتهم للمسلمين، كذلك القرارات التي اتخذت لإجبار السنة على اعتناق المذهب الإسماعيلي ومحولة الفاطميين إداة مشاعر المسلمين السنة عن طريق سب الصحابة ولعنهم على المنابر أثناء الصلاة بالإضافة إلى الأحكام الجائرة التي اتخذها الحكم بأمر الله وقتي شملت المسلمين، وأهل السنة، وكذلك النساء اللاتي ورد بشأنهن أول قانون يقضي على حرياتهن داخل المجتمع.

- عاش الفاطميون ما يقرب من قرنين في مصر، لم يتحدث المصالح عن زواج أحد الخلفاء الفاطميين من مصرية، بل كان أغلب زيجاتهم من السيدات النصراني، فجاء العديد منهم من أب مسلم وأم نصرانية، مثل الحاكم بأمر الله والمستعلي، والأمير بأحكام الله. ولعل هذا كان سبباً في عدم بقائهم في مصر، وربما كان الأمر قد تخور كلية إذا كان هناك خليفة فاطمي من أم مصرية.

- وعلى الجانب الاقتصادي كان ثيل ولا يزال هبة مصر للمصريين وقد تأثر كثيرًا بصناد الحكام والوزراء والعسكر، فقد رفع الثقل إلى قمة الازدهار في فترات القوة والعدالة والعسرة والشقاء الثلاث للنظر أنه جف وقل قيصانه في فترات الفساد كما لو أنه يشعر ويعيش كأحد أفراد المجتمع المصري فشعبه مراحل القوة اهتمامًا بالتفصيل ومقاييسه أعقبتها إهمال شديد في مراحل الضعف وتضائل قدرة فضاء الثقل مما انعكس على الدولة الفاطمية وأدى إلى انهيارها.

- عاشت مصر في كثف الدولة الفاطمية أروع أيامها، وكذلك أشقائها، فقد حظيت الدولة بمجموعة من الإزمات الاقتصادية صدمتها العديد من المجاعات التي أدت إلى موت وهلاك الكثير من أهل مصر ولاسيما العامة، فعلى الرغم من أن مصر عانت قبل الفاطميين من ويلات المجاعات، فإن العصر الفاطمي قد نال الحظ الأكبر منها، ولم تكن تلك المجاعات بفعل نقص مياه النيل أو زبده، بل إلى ضعف الخفاء وانشغالهم عن أمور الدولة، والصراعات التي عصت عصري مصر الفاطمية، جعلت أرض مصر مسرحًا للحروب والبرايات والفتن فاندفع الأمن، ومعت الناس من الزراعة على الرغم من وجود المنسوب اللازم للزراعة، كما جعلت اقتجار يتلاعبون بالأسعار ويمنسون الاحتكار، هذا الأمر الذي أدى إلى اندفاع الكوت. وهلاك العديد من الناس.

- لم تكن المجاعات من الأمور التي تؤثر على الخفاء بكثرة أموالهم وتمكنهم في أمور الدولة، بل كان الشعب هو دائما من يدفع الثمن، ففي الوقت الذي ينغمس فيه الحكام في مظاهر الترف والبدخ والاحتفال، كان الشعب يتكلى القنط والكلاب من القنار، كذلك يتكلى العتي، حتى بلغ به الأمر إلى أن أكل الناس بعضهم بعضًا، ومات منهم الكثير.



لم تبقَ الدولة الفاطمية بمعونة الشعب أو حتى تقديسه، بل كان بعض الحلفاء وكذلك الوزراء في غياب المجاعات يقومون بالدور بسبه، حيث أمر الحاكم بأمر الله بإحراق القسطنطينيين فيها من أناس، فهلك نحو ثلثيها ودمرت ديارها، وقيل لقتل أهلها كذلك فعل شاور ثور وعي أو تكثير في صراعه مع ضرغام من أجل الوصول للورقة، وعلى الرغم من ذلك فقد وجدت الدولة الفاطمية في تلك المصائب التي حلت بالشعب المصري ثروة عظيمة أسبق عليها المؤرخون إيجابيات الأزمة.

- كانت نتيجة تلك الغزوية العظمى من الشعب زيادة للملكيات الخاصة التي لم يوجد لها وارث شرعي، بالإضافة إلى سطر كبار رجال الدولة والمؤمنين ممن اعتكفوا على الثراء لدخل الدولة إلى الاعتداء على الناس، واعتصاب أملاكهم، وقد أثرت الدولة ذلك، ففي وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، وعلى الرغم من ثروت الاعتداء فإن الأفضل قد أقر الوضع القائم مع إلزام المغنصيين بإداء الفراج من هذه الأراضي.

- أثناء الثورة المصيرية، زاد عدد الإقطاعيات في البلاد، وذلك نتيجة لتسلط العناصر العسكرية ابتداء من ٤٦٧هـ / ١٠٧٤م، والتي أجهزت الدولة على إقطاعها تلك الأراضي نظير حميتها، وكذلك بدلاً من مرتباتها التي عجزت الدولة عن سدادها.

- شهدت الدولة الفاطمية بمصر القسك بأنواعه الذي تعددت أشكاله، وأنماطه فقد قام المعز لدين الله الفاطمي بالقس والتعذيب والسلب من خلفه، أو اعترض عليه فقد أهدر أدمية البشر، وكذلك سكن القصور الفخمة وأفق الذهب والحرير سدخ، وبعض شبيه جائع، وكثرت الوساطة والمصوبية والقتل والبرطلة على عهد التعزير بالله ومير أهل لثمة عن سواهم، وقام الحاكم بأمر الله بعدد من التناقصات والجرائم غير الأدمية وأشد مدينة القسطنطين، وبعض معظم الحلفاء لفاطميين في البدخ، والترف، والتهوى، والتعبد، فأهملوا شئون الدولة.

أدى قسوت الدولة الفاطمية إلى ضياع ممتلكاتها في بركة وطراسس وأفريقية وكذلك ضياع ممتلكاتها في المغرب الإسلامي والمستوى السلاجقة على بعض أجزائها واستولى الصليبيون على البعض الآخر. وذلك السواد الأعظم من المصريين أثناء تلك الأحداث، بالإضافة لهلاكه أثناء المجاعات والأوبئة التي كثرت في العصر الفاطمي بجانب غياب العدالة الاجتماعية والمعاونة وزيادة الفقر أثناء فترة تحكم الوزراء في مقاليد الأمور ككل هذه الأسباب مجتمعة قصدت الحياة السياسية والإدارية والاجتماعية والاقتصادية، والنتيجة حيث أصبحت مصر مسرحاً لهذه الصراعات، كما أصبح أهل مصر وقوداً لها

- على الرغم من فشل الفاطميين في تحويل أهل مصر إلى المذهب الشيعي، وعلى الرغم من سقوط الدولة الفاطمية ورواها، فإن تأثيرها مازال مستمراً حتى الآن سواء في مصر أو غيرها، حيث استمرت الدعوة المستنصرية - الطيبة في الهند، وكذلك الدعوة الدرزية التي أمتنق عليها الأوروبيون لفظ Assassins "الحشاشين" الموجود أقباعها في سوريا، إيران، وباكستان.

- أما المصريون في مصر فقد عاشوا على المذهب السني، غير أن التأثير الشيعي قد طبع على احتفالاتهم وأعيادهم، الذي تفاعل معها المصريين، فعاش المصريون على المذهب السني ولكن بتأثير شيعي، ويظهر هذا في احتفالات الفاطميين التي تفاعل معها المصريون وأحبوها لما كانت تمتلئ لهم من أهمية معنوية وثقافية، بالإضافة إلى أهميتها الاقتصادية، حيث كانت توزع فيها العطايا من أموال وكسوة وطعام، وقد بقي من هذه الاحتفالات الكثير، ومنازل المصريون يحتفلون بها وتذكر منها المولد النبوي الذي بدأ بشيخ الفاطميين مصر ومع الخطبة المعز، فافترضوا في صنع الحلوى بأشكالها المختلفة كالحبيب والفطط والحيول والعرائس (عروسة المولد) التي توجد حتى الآن.

- كذلك بقي الاحتفال بليلة النصف من شعبان وأول رمضان ورأس السنة الهجرية وعيد النطر وعيد الأضحى، وكذلك عاشوراء، غير أن المصريين قد غيروا الاحتفال به من الحزن الذي يعم الفاطميين إلى السرور والفرحة.

- كذلك طُنت هوائيس رمضان، ودلو القنطرة، موئد الرحمر، والتبرك بآل البيت، الحصن والصين، والميدة زيب، والسيدة م عاشم، والسيدة نفيسة - رضوان الله عليهم -، وغير ذلك للكثير من التأثيرات الفاطمية الباقية على الرغم من زوال الدولة

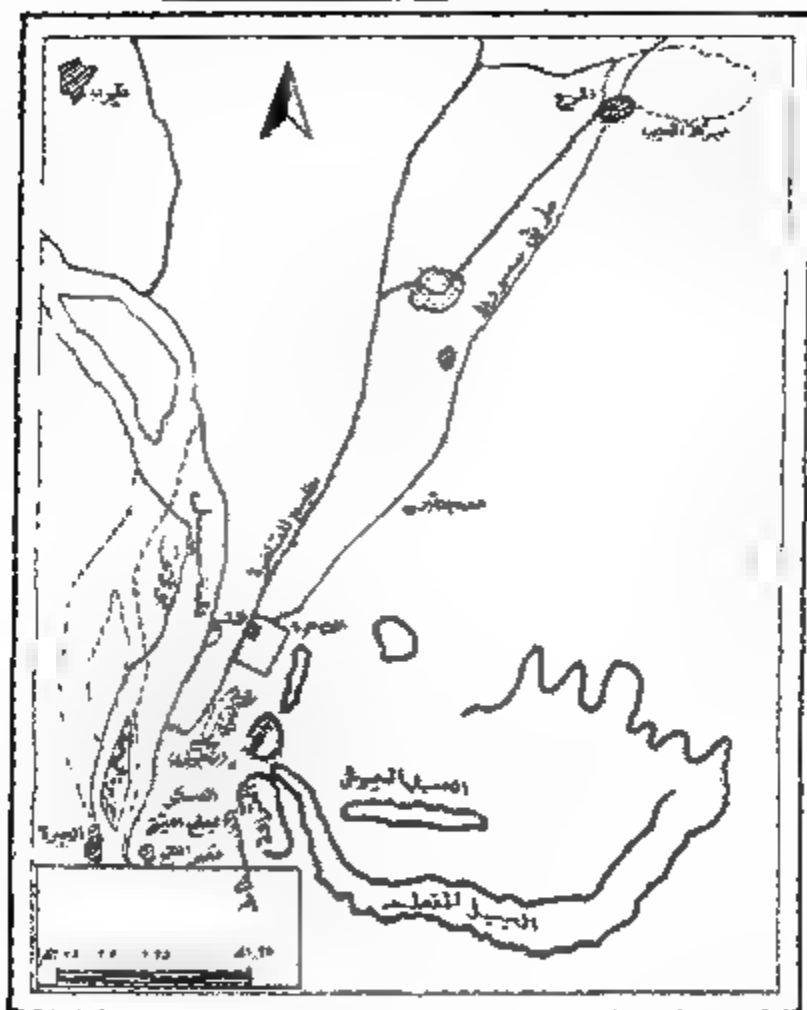
- كانت للدولة الفاطمية أول دولة شيعية وكذلك آخر دولة شيعية حكمت مصر حتى الوقت الحاضر، فجاءت الدولة الفاطمية ودخلت مصر دون مقاومة، ثم خرجت ليصا دون مقاومة، استمرت ونمت وتزدهرت، ووصلت إلى أقصى اتساع لها ثم ما لبثت أن سقطت وتهاوت بفعل فسادها، وفساد أهلها، هذا الأمر الذي مهد لها الطريق من قبل. وأتاح لها دخول مصر، وذلك عندما استغل الفساد في الدولة الإحيوية سابقتها في مصر.

- على الرغم من تعدد مظاهر الفساد في الدولة الفاطمية والتي أمثلت صفحات البحث بها، فإن الدولة الفاطمية كانت تتمتع بالعديد من المزايا التي ميزتها عن غيرها في ذلك الوقت والتي حافظت على كيانها مدة القرنين التي قصتها في مصر، فكان به من التقدم والازدهار ما شهد به الجميع، غير أن موضوع البحث قد ركز بشكل مباشر على سببها هذه الدولة، التي أودت بها إلى السقوط والانحيار.

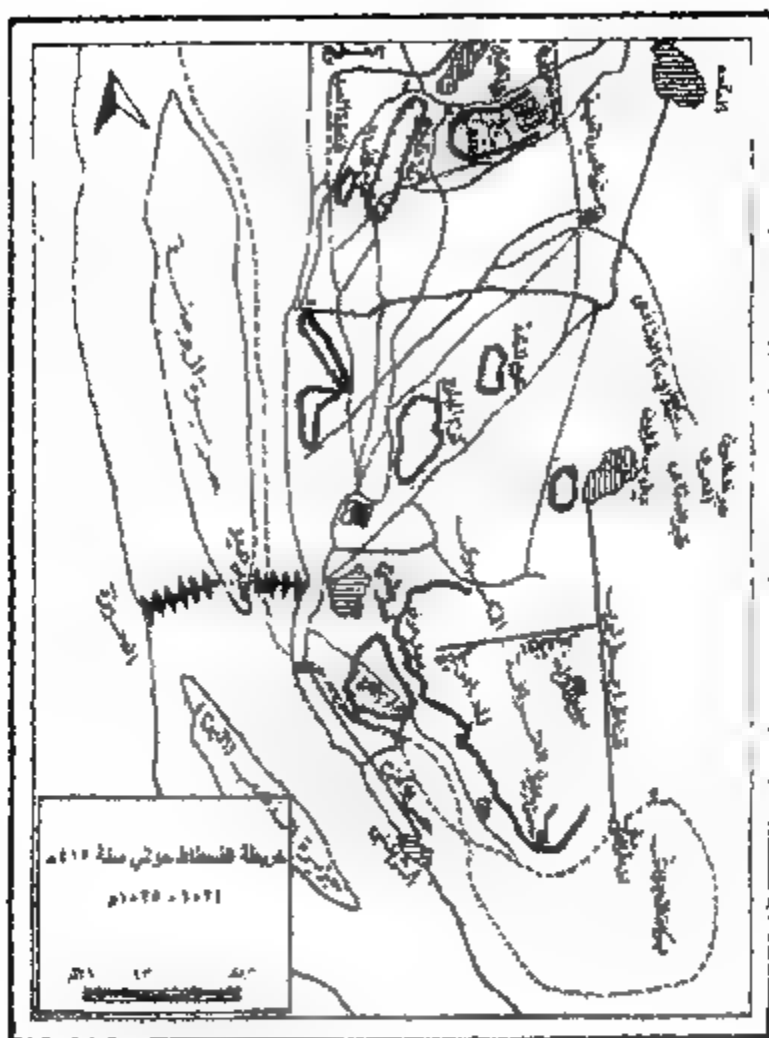


المصدر : حسين مؤنس : أطلس التاريخ الإسلامي.

خريطة تخليطاً بميل القاهرة - مصر  
في نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر



المصدر : قمعبي : أخبار مصر في سنتين (١١٤ - ١١٥ هـ) نقلًا عن كتاب كرويل  
رائد.



المصدر : الترسيم . أخبار مصر في سنتين (١٩١٥ - ١٩١٥ هـ).



## قائمة المصادر والمراجع





## قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم.

ثانياً : الوثائق والمخطوطات :

١. دار الوثائق القومية : وثيقة رقم (١) من مجموع حجج الأمراء والسلاطين.

٢. المجلات المستنصرية : مجلات وتوقيعات وكتب لمولانا الإمام المستنصر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه إلى دعاة الخير وغيرهم قدس الله أرواح جميع المؤمنين، تحقيق: عبد المنعم ماجد، دار الفكر العربي، القاهرة، بدون تاريخ.

٣. مجموعة الوثائق الفاطمية : وثائق الخلافة وولاية العهد والوزارة، تعليق : د/ جمال الدين الشاذلي، م ١، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥.

٤. قانون العقوبات المصرية لسنة ١٩٣٧م، الوقائع المصرية، المجلد (٧١)، الصادر في ١٩٧٣/٨/٥م.

٥. الذهبي الكافلي (منصور) ت (١١٣٦هـ - / ١٧٢٣م) : كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية، مخطوط، محفوظ بدار المخطوطات، جامعة الملك سعود، تحت رقم (٢١٥٨)، ٣٣٢/٤، ٢: ٢٥ - ٢٥، السعودية، ١١٣٥هـ.

ثالثاً : المصادر العربية المخطوطة :

٦. ابن الأثير [عز الدين أبو الحسن علي بن محمد]، ت (٦٣٠هـ / ١٢٣٣م) : الكامل في التاريخ، ١ - ١٣، دار صادر، بيروت، ١٩٦٥م - ١٩٦٧م.

٧. ابن الأختوة [محمد بن أحمد بن أحمد القرطبي]، ت (٧٢٩هـ / ٣٢٩م) : معالم القرية في أحكام الحسبة، تحقيق : محمد محمود شعبان، صديق أحمد عيسى المطيعي. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م.

٨. الإبراهيمي [أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم  
لخسرقا] ت (٥٦٠هـ / ١١٦٥م) : نزهة المشتاق في

لخسرقا الإخلاق، ج ١، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ  
٩. أسامة بن منقذ [مؤيد الدولة للمظفر أسامة بن مرشد  
الششيري] ت (٥٨٤هـ / ١١٨٨م) : "الاعتبار"، تحقيق  
طيب حتى، مطبعة جامع بوغستون، الولايات المتحدة،  
١٩٣٠م.

١٠. الاصطخرى [أبو إسحاق بن إبراهيم بن محمد الفارسي] ت  
(٣٤٥هـ / ٩٥٢م) : ممالك شمالك، تحقيق : محمد جابر  
عبد المال، مراجعة : شفيق عربات، وزارة الثقافة، الجمهورية  
العربية المتحدة، ١٩٦١م، طبعة لندن، مطبعة بريس،  
١٩٣٧م.

١١. الأقطامي [أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي]  
ت ٣٥٦هـ : الأغاني، المجلد السادس عشر، ط ١، شرحه  
وكتب هوامشه : عبد أ. علي مهنا، دار الكتب العلمية،  
بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

١٢. الأقطامي [يعني بن سعيد بن يحيى الأقطامي]، ت (٤٥٨هـ  
/ ١٠٦٧م) : تاريخ الأقطامي : المعروف بحلة تاريخ  
أوتيجا، تحقيق : عمر عبد السلام ترمزي، جروس برس،  
طرابلس، لبنان، ١٩٩٠م.

١٣. ابن إلياس [أبو البركات محمد بن أحمد بن إلياس الحنفي]، ت  
(٩٣٠هـ / ١٥٢٣م) : بدائع الزهور في وقائع الدهور،  
ج ١، القسم الأول، تحقيق : محمد مصطفى، القاهرة،  
١٩٧٥م.

١٤. بدر الدين الحنفي : سيف المهند في سيرة الملك العزيز  
الشيخ المصمودي، ترجمة : فهد محمد شلتوت، مراجعة  
محمد مصطفى زيانق، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر،  
القاهرة، ١٩٦٧م.

١٥. البغدادي [عبد القادر بن طاهر بن محمد البغدادي]، ت (١٤٢٩هـ / ١٩٣٧م) : الفرق بين الفرق، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة المصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
١٦. البغدادي : [عبد اللطيف موفق الدين عبد اللطيف] : (ت ٦٢٩هـ / ١٢٣١م) : الإفادة والاعتبار في الأسرار المشاهدة والحوادث المعجزة بأسرر مصر وأرجاسها عبد اللطيف البغدادي، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨م.
١٧. البكري [أبو عبد الله بن عبد العزيز]، ت (٤٨٧هـ / ١٠٩٤م) : جغرافية مصر في كتاب المسالك والممالك، تحقيق : عبد الله يوسف الخنيم، الكويت، ١٩٨٠م.
١٨. البلاذري [أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري]، ت (٢٧٩هـ / ٨٩٢م) : فتوح البلدان، مراجعة وتحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
١٩. البلوي [أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمرو بن مطوف] (تعديني)، من علماء القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي : سيرة أحمد بن طولون، تحقيق : محمد كرد علي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.
٢٠. ابن قفري بردي [جمال الدين أبو المعلى يوسف]، ت (٨٧٤هـ / ١٤٧٠م) : لنجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر القاهرة، ١ - ١٦، نسخة مصورة من مطبعة دار الكتب مع استرلاكت وفهارس جامعة القاهرة، بشون تاريخ.
٢١. تميم بن المعز لدين الله الفاطمي : ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، دار الكتب المصرية، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ / ١٩٥٧م.

٢٢. ابن تيمية [تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم]، ت (٧٢٨هـ / ١٣٢٧م) : السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، مراجعة وتحقيق محمد عبد الله السمان، الرياض، السعودية، ١٩٥١م.
٢٣. ابن جبير [أبو الحسين محمد بن أحمد الكتاني الأندلسي لبلنسية]، ت (٦١٤هـ / ١٢١٧م) : رحلة ابن جبير، الممسة بذكر الأخبار من اتفاقات الأسفار، تحقيق : حسين نصار، دار صادر، بيروت، ١٩٦٤م.
٢٤. ابن الجوزي [أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد القرشي البغدادي]، ت (٥٩٧هـ / ١٢٠١م) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ٥ - ١٠، دائرة المعارف العثمانية، الهند، ١٣٥٧هـ - ١٣٥٩هـ.
٢٥. الجيهشوارى [أبو عبد الله محمد بن عبدوس] : فوزرء والكتاب، ١، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون، ٢، م، القاهرة.
٢٦. الجوزي [أبو علي منصور الغزي] ت (بعد سنة ٣٨٦هـ / ٩٩٦م) : سيرة الأستاذ جوزرء، بعد توقيعات الأئمة القاطمين، تحقيق وتقديم : محمد كامل حسين، ومحمد عبدقادي شعير، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٤م.
٢٧. حاجي خليفة [مصطفى بن عبد الله المسمى بكتاب شهاب]، ت (١٠٦٧هـ / ١٦٥٧م) : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، م ١، دار الفكر للطباعة والنشر، بدون تاريخ.
٢٨. ابن حجر العسقلاني [شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي]، ت (٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) : رفع الإصر عن قصبة مصر، جزءان، تحقيق : حامد عبد المجيد وآخرون، قسم نشر التراث القديم، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٦م.

- ٢٩ الحسن بن موسى : فرق الشيعة، تحقيق : عبد السلام الحفني، دار الرساء، القاهرة، ١٩٩٢م.
- ٣٠ ابن حماد [أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى] ت (٦٢٦هـ / ١٢٣٠م) : أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق ودراسة : لتهامي نفرة، عبد الحليم عويس، دار المسوعة، القاهرة، بدون تاريخ.
- ٣١ ابن خلدون أولي الدين أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي [الكشيري]، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٦م) : العبر وديوان العرب وأخبار بني تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصروهم من نوي السلاطين الأكبر، ١ - (٧) بولاق، ١٢٨٤هـ. "المقدمة" ١-٣، تحقيق علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩م.
- ٣٢ ابن خلكان [شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد]، ت (٦٨١هـ / ١٢٨٢م) : وفيت الأعيان وأنباء الزمان، الأجزاء ١ - ٨، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٩هـ - ١٩٧٢م.
- ٣٣ ابن دقماق [إبراهيم بن محمد بن أيمن الحلبي] : الانتصار بواسطة عقد الأمصار (في تاريخ مصر وجغرافيتها)، القسم الأول، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، بدون تاريخ.
- ٣٤ الذؤاداري [أبو بكر عبد الله بن أبيك] ت (٧٣٦هـ / ١٣٣٥م) : النزه المحيثة في أخبار الدولة الفاطمية، ج ١، من كتاب كنز الثرر وجامع الفرر، تحقيق : صلاح الدين المسجد، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ١٢٨٠هـ - ١٩٦١م.
- ٣٥ الذهبي [شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماق]، ت (٧٤٨هـ / ١٣٤٧م) : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق : عمر عبد السلام

تكمزي: الطبعة الثالثة، دار الكتاب العربي، ١٤١٨هـ — /  
١٩٩٨م.

٣٦. \_\_\_\_\_ : العبر في خير من غير،

ج٣، تحقيق : أبو هاجر السعيد بن يسوي، ط١، دار الكتب  
العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٣٧. \_\_\_\_\_ : سير أعلام النبلاء، ج١٦،

تحقيق : شبيب الأرناؤوطي، ط١١، مؤسسة الرسالة، بيروت،  
١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

٣٨. الرزازي [محمد بن أبي بكر عبد القادر] : مختار الصنّاح،

ترتيب : محمود خاطر، دار الكتب المصرية، القاهرة، بدون  
تاريخ.

٣٩. ابن زولاق [أبو الحسن حمد بن زولاق المصري] ت

(٣٨٧هـ / ٩٩٧م) : فضائل مصر وأخبارها وخواصها،  
تحقيق علي محمد عمر، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
القاهرة، ١٩٩٩م.

٤٠. ساويرس بن المفلح أسقف الاسمونين [توفي أولفخر القرن

الرابع الهجري / العاشر الميلادي] : تاريخ بطارقة الكنيسة  
المصرية، المعروف باسم "سير البيعة المنسية"، م١، ج١،  
طبعة باريس، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، باسم  
القصص والوثائق، بدون تاريخ، م٢، ج٢، نشر :  
عيسى عبد المسيح وآخرون، القاهرة، ١٩٥٩م، م٣، ج١،  
م٢، ج٢، نشر أنطوني خاطر وآخرون. القاهرة، ١٩٦٨،  
١٩٧٢م.

٤١. سبط بن الجوزي [شمس الدين أبو المفضل يوسف بن

فراوخلي]، ت (٦٥٤هـ / ١٢٥٦م) : مائة لقمان في تاريخ  
الأعيان، م٨، حيدر آباد للركن، الهند، ١٣٣٧ - ١٣٣٩هـ.

٤٧. المسخوي [شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد]، ت (٩٠٢هـ / ١٤٩٧م) : الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ١٢١، مكتبة القسي، القاهرة، ١٣٥٣-١٣٥٥.
٤٢. ابن سعد [محمد بن سعد بن منيع الزهري]، ت (٢٢٠هـ / ٨٤١م) : الطبقات الكبرى، تحقيق : إسماعيل عيسى، ج ٢، بيروت، بدون تاريخ.
٤٤. ابن سعد [علي بن سعيد المغربي]، ت (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م) : المغرب في حلى المغرب، القسم الخامس بالسطح، تحقيق : دكي محمد حسن، مطبعة إسماعيل كاشف، شوقي ضيف، جامعة فؤاد، القاهرة، ١٩٥٣م.
٤٥. \_\_\_\_\_ : النجوم الزاهرة في حلى حصرة القاهرة، الجزء الخاص بالقاهرة من كتب المغرب في حلى المغرب، تحقيق : حسين نصار، مركز تحقيق التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.
٤٦. السيويني [جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد]، ت (٩١١هـ / ١٥٠٥م) : حصر المحاصرة في تاريخ مصر والقاهرة، جزءان، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.
٤٧. أبو شامة [شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي]، ت (٦٦٥هـ / ١٢٦٧م) : قروصتين في أخبار الدونكين النورية والصلحية، ج ١، من قسمين، تحقيق : محمد حلمي محمد أحمد، مراجعة : مصطفى ريلق، وزارة الثقافة لإرشاد القومي، المؤسسة المصرية لعلمية، القاهرة، ١٩٥٦ - ١٩٦٢م.
٤٨. أبو صالح الأرمني [المؤتمن أبو الحكام سعد الله بن جرجس بن مسعود] (ت ٦٠٥هـ / ١٢٠٩م) : تاريخ الشيخ أبو صالح الأرمني، تذكر فيه أخبار من نواحي مصر وأقطاعاتها،



- تحقيق : زوق الله متقريوس الصدقي، المطبعة المنترسية،  
لكسغورد، ١٨٩٣م.
- ٤٩ \_\_\_\_\_ : تاريخ أبو المكارم، المصروف  
بكتائم ولابر، مصر، طبعة لكسغورد، ١٨٩٥م.
٥٠. الصفدي [صلاح الدين خليل بن أليك]، ت (٨٧٥هـ /  
١٢٦٣م) : السوافي بتلوهييت، ١-١٨، ٢٢، تحقيق :  
مجموعة من العلماء (النشرات الإسلامية ٦)، استامبول،  
بيروت، ١٩٤٩ - ١٩٨٨م.
٥١. ابن الصوري [إناج الرئاسة أمين الدين أبو القاسم علي بن  
ملجب بن سنيان الكاظمي]، ت (٥٤٢هـ / ١١٤٧م) :  
الإشارة إلى من نال الوزارة، تحقيق : أيمن فؤاد سسيب، هذا،  
الدار المصرية اللبنانية، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
٥٢. ابن طهالبا [محمد بن علي] : فقهي في الآداب السلطانية  
والدول الإسلامية، تحقيق : عبد القادر مايو، دار النظم العربي،  
١٩٩٧م.
٥٣. الطبري [أحمد بن جرير بن يزيد بن كثير من غلب الأملي]،  
ت (٣١٠هـ / ٩٢٣م) : جامع البيان في تفسير القرآن،  
الأجزاء ٢٤، تحقيق أحمد محمد شنكر، مؤسسة الرسالة،  
الملكة السعودية، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
٥٤. \_\_\_\_\_ : تاريخ الطبري أو تاريخ الأمم  
والممالك، عشر أجزاء، مؤسسة الأعلى للمطبوعات، بيروت،  
لبنان، بدون تاريخ.
٥٥. \_\_\_\_\_ : تاريخ الرسل والملوك، ج ٨،  
تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.
٥٦. ابن الطوير [أبو محمد المرتضى عبد السلام بن الحسن  
الفهري القيسري]، ت (٦١٧هـ / ١٢٢٠م) : ترجمة

- المعتنئين في أخبار الدولتين، نكتيم : أئمن فولاد سيدة النشر ت الإسلامية، ٣٩، شتوتجرت، ١٩٩٢م.
- ٥٧ ابن ظافر [جمال الدين أبو الحسن علي بن أبي منصور ظافر الأزدى] ت (٦١٢هـ / ١٢١٥م) : أخير الدول المنقطعة، دراسة تحليلية للتقسيم الحاص بألفاطميين، مع مقمة ونعقب إندرية فريه، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٢م.
- ٥٨ ابن ظهيرة [محمد بن محمد]، ت (٨٨٨هـ / ١٤٨٣م) : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٦٩م.
- ٥٩ ابن عذاري [أبو عبد الله محمد بن محمد المرناكشي]، ت (٦٩٥هـ / ١٢٩٥م) : البيان للمغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج ١، تحقيق : جاس كولا، وليفي بروفسال، لندن، ١٩٤٨م.
- ٦٠ القاضي النعمان [ابن محمد بن حيون]، ت (٣٦٣هـ / ٩٧٣م) : دعائم الإسلام في ذكر الحلال والحرام ولقصاها والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه وعليهم أفضل السلام، ١ - ٢، تحقيق : ألف بن علي بن أسفر فريسي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٥م.
- ٦١ قنقشندي [شهاب الدين أبو القاسم أحمد بن علي بن عبد الله بن جمال]، ت (٨٢١هـ / ١٤١٨م) : منبج الأعشى في صناعة الإنشاء، ١ - ١٤، طبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٣٨ - ١٩١٢م.
- ٦٢ المكزومي [القاضي السعيد ثقة القلب نو فرياسيون] أو الحسن علي بن أبي عمرو عثمان بن يوسف]، ت (٥٨٥هـ) : المنهاج في علم خراج مصر، المعهد العلمي الفرنسي للآثار، القاهرة، ١٩٨٦م.

٦٣. \_\_\_\_\_ : قحاط لحفنا بأخبار الأمة  
للإسلامية للحقا ١ ٣، الأول، تحقيق : جمال الدين الشبال،  
الثاني والثالث، تحقيق : محمد طمي محمد أحمد، المجلس  
الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٧ - ١٩٧٣م.
٦٤. \_\_\_\_\_ : إشاعة الأمة يكشف الغمة، تحقيق  
: محمد مصطفى ريادة، وجمال الدين الشبال، القاهرة،  
١٩٥٧م.
٦٥. \_\_\_\_\_ : السلوك لمعرفة دول الملوك،  
ج١، دار الكتب، القاهرة، ١٩٩٦م.
٦٦. \_\_\_\_\_ : المعنى الكبير، ١ - ٨، تحقيق :  
محمد البعلوي، دار العرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩١م.
٦٧. \_\_\_\_\_ : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط  
والاكتار، ١ - ٢، بولاق، ١٢٧٠هـ.
٦٨. \_\_\_\_\_ : شذوذ العقود في ذكر النقود،  
دراسة وتحقيق : محمد عبد الستار عثمانوي، القاهرة،  
١٩٩٠م.
٦٩. ابن مكي [أبو المكارم أحمد بن مهذب الحظير أبو سعيد  
بن مينا] ت (٦٠٦هـ / ١٢٠٩م) : قوانين الدوليين، تحقيق  
: عزيز سوريال عطية، القاهرة، الجمعية الملكية للتراث،  
١٩٤٣م.
٧٠. ابن منظور [جمال الدين محمد بن مكرم] : لسان العرب،  
ط١، م٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دار صادر،  
بيروت، ١٩٩٠.
٧١. \_\_\_\_\_ : لسان العرب، تحقيق : عبد  
الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، بدون  
تاريخ.

٧٢. ابن موسى إتيان الدين محمد بن علي بن يوسف بن حطب  
راغب: ت (٦٧٧هـ / ١٢٧٨م): "أحبار مصر - تيسقي  
من"، حققه وكتب مقدمته وحواشيه: أحمد مؤلف سيد، المعهد  
العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة: ١٩٨١م.
٧٣. المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الششوزي: ت  
(٤٧٠هـ / ١٠٧٧م): "سيرة المؤيد في الدين وأبي السقاء،  
ترجمة حياته بقلمه، تكميم وتحقيق: محمد كامل حسن، دار  
الكتاب المصري، القاهرة: ١٩٤٩م.
٧٤. ناصر خسرو [أبو معين الدين ناصر خسرو غلوي]: ت  
(٤٨١هـ / ١٠٨٨م): "سفرنامه، ترجمة: يحيى الحنابل،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.
٧٥. القرطبي [أبي بكر محمد بن جعفر]: ت (٢٨٦ - ٣٤٨هـ  
/ ٨٩٩ - ٩٥٩م): "تاريخ بخاري، ٣، ترجمة: د. أمين  
عبد المجيد بردي، نصر الله مبشر العراقي، دار المعارف،  
القاهرة، ١٩٩٣م.
٧٦. القويري [شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب]: ت (٧٣٣هـ  
/ ١٣٣٣م): "نهاية الإرب في فنون الأدب، ج ٢٨، تحقيق:  
محمد محمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،  
١٩٩٢م.
٧٧. ابن القيم [محمد بن إسماعيل]: ت (٤١٢هـ / ١٠٢١م):  
"المهرست، نشره: رعد تجند، طهران، ١٩٧١م.
٧٨. ابن هشام: السيرة النبوية، ٤ أجزاء، ط ١، تحقيق: محمد  
كامل عويضة، دار المعارف، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٧٩. ابن واصل [جمال الدين محمد بن مسلم الحموي]: ت  
(٦٩٧هـ / ١٢١٧م): "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،  
١ - ٣، تحقيق: جمال الدين الشوبل، مطبعة جامعة مؤد

الأول، القاهرة، ١٩٥٣ - ١٩٦٠م، ٤ - ٥، تحقيق : حسين  
محمد ربيع، القاهرة، ١٩٧٢م - ١٩٧٧م.

٨٠. ياقوت الحموي [شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الرومي  
الشهتادي]، ت (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) : معجم البلدان، خمسة  
أجزاء، تحقيق : فريد عبد الحريز الجفدي، دار الكتب العلمية،  
بيروت، بدون تاريخ.

#### رابعاً : المراجع :

٨١. إبراهيم النعوي (مكتور) : تاريخ العالم الإسلامي، مطبعة  
جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٨٦م.

٨٢. إبراهيم كنيس وآخرون : المعجم الوسيط، ج ٢، ط ٢، بدون  
تاريخ.

٨٣. إبراهيم بن أبي الله أيوب (مكتور) : التاريخ الناطمي  
الاجتماعي، ط ١، المكتبة العلمية للكتاب، لبنان، بدون تاريخ.

٨٤. إبراهيم عثمان القردي، وعبد التواب شرف الدين :  
العصر العربي الإسلامية، منشورات ذات السلاسل،  
الكويت، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٨٥. إبراهيم عبد الله رفيدة وآخرون : معاني القرآن الكريم،  
تفسير لغوي موجز، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ط ١،  
طرابلس، ليبيا، بدون تاريخ.

٨٦. إبراهيم محمد علي مرجونة (مكتور) : تاريخ الأكراد (دراسة  
تاريخية حضارية في ظل الخلافة العباسية)، تقديم : مسر  
السيد عبد الحريز سالم، مؤسسة شباب جامعة الإسكندرية،  
٢٠٠٩م.

٨٧. أحمد السيد الصاوي (مكتور) : مجايعت مصر العاطمية  
(السياح وسائح)، ط ١، دار التضامن للطباعة والنشر  
والتوزيع، بيروت، ١٩٨٨م.

٨٨. أحمد عبد قزاق : النيل واليربنة ومن سلاطين المماليك،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٩م.
٨٩. أحمد مختار العبادي (دكتور) : في التاريخ العباسي  
والفاطمي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت،  
١٩٧١م.
٩٠. \_\_\_\_\_ : صور من حياة العرب  
والجهاد في الأندلس، منشأة دار المعارف، الإسكندرية،  
٢٠٠٠م.
٩١. \_\_\_\_\_ : في التاريخ الأيوبي  
والملوكي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، بدون تاريخ.
٩٢. \_\_\_\_\_ : في تاريخ المغرب والأندلس،  
دار النهضة العربية، بيروت، بدون تاريخ.
٩٣. أحمد محمد إسماعيل الجمال (دكتور) : في تاريخ المغرب  
والأندلس، جسة الإسكندرية، فرع منهور، ٢٠٠٣م.
٩٤. أمينة الشورجي (دكتور) : رؤية الرحالة المسلمين لأحوال  
المالية والاقتصادية لمصر في العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ  
المصريين، عدد (٧٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب،  
القاهرة، ١٩٩٤م.
٩٥. إرمين حبيب المصري : قصة الكنيسة القبطية، الكتاب الرابع،  
مكتبة كنيسة مارجرس، أسبورتج، الإسكندرية.
٩٦. أيمن فؤاد سيد (دكتور) : الدولة الفاطمية في مصر تفسير  
جديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٩٧. جرجي زيدان (دكتور) : تاريخ تمدن الإسلام، ٥ أجزاء،  
ج ٤، مراجعة وتعليق : حسين مؤنس، القاهرة، ١٩٧٢م.
٩٨. جمال الدين الشبال (دكتور) : تاريخ الدولة العباسية، دار  
الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٣م.

٩٩. \_\_\_\_\_ : تاريخ مدينة الإسكندرية في  
العصر الإسلامي مدار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.
١٠٠. جوزيف تميم يوسف (مكتور) : تاريخ الدولة الفاطمية، دار  
للمعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٨م.
١٠١. حسن إبراهيم حسن (مكتور) : الفاطميون في مصر وأعمالهم  
السياسية والتدبيرية، الطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٣٢م
١٠٢. \_\_\_\_\_ : عبد الله المهدي إمام الشيعة  
الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب، مكتبة  
النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.
١٠٣. \_\_\_\_\_ : تاريخ الدولة الفاطمية في  
المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة  
المصرية، ١٩٥٨م.
١٠٤. \_\_\_\_\_ : تاريخ الإسلام السياسي  
والدولي والاجتماعي، ج٣، العصر العباسي في الشرق  
ومصر والمغرب والأندلس، (٢٣٢ - ٤٤٧هـ / ٨٤٧ -  
١٠٥٥م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤١٦هـ /  
١٩٩٦م.
١٠٥. \_\_\_\_\_ : تاريخ الدولة الفاطمية في  
المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب، ط٢، مكتبة النهضة  
المصرية، ١٩٥٨م.
١٠٦. حسن الهاشمي وآخرون : القاهرة (تاريخها، صورها، أثارها)،  
مؤسسة الأهرام، القاهرة، ١٩٧٠م.
١٠٧. حسن حبشي (مكتور) : تاريخ العالم الإسلامي، ج١، سلسلة  
تاريخ المصريين، العدد (٢٢٨)، الهيئة المصرية العامة  
للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢م.

١٠٨. \_\_\_\_\_ : ج ٢، سلسلة تاريخ المصريين  
الحد (٢٥٩)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة  
٢٠٠٦م.
١٠٩. حسن عبد الوهاب (مكتور) : تاريخ المساجد الأثرية، ١ - ٢  
القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٤٩م.
١١٠. \_\_\_\_\_ : تاريخ المساجد الأثرية، ٣  
الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٤م.
١١١. حسين مؤنس (مكتور) : معالم تاريخ العرب والأندلس،  
مكتبة الأسرة، القاهرة، ٢٠٠٤م.
١١٢. حمدي المنوي (مكتور) : الوزارة والوزراء في العصر  
القاسمي، مكتبة الدراسات التاريخية، مطبعة دار المصارف،  
القاهرة، ١٩٧٠م.
١١٣. حمدي عبد المتعم حسن (مكتور) : محاضرات في تاريخ  
مصر الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،  
١٩٩٩م.
١١٤. راشد البراوي (مكتور) : حالة مصر الاقتصادية في عهد  
الفاطميين، ط ١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٦٨هـ  
/ ١٩٤٨م.
١١٥. رافت محمد البراوي (مكتور) : النفوذ الصليبي في مصر  
والشام، ط ١، دار النهضة الشرق، القاهرة، ١٩٩٦م.
١١٦. رمسيس بهنام (مكتور) : "لقون" الجريمة والمجرم في  
الواقع القوي، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
١١٧. سامي أحمد عبد الحليم إسم (مكتور) : المنوجات الأثرية  
القبلي والإسلامية (المحفوظة في متحف جابر أندرسون  
بالقاهرة)، مؤسسة شبيب الجامعة، الإسكندرية.



١١٨. سعد ماهر محمد (مكتورة): الفسح الإسلامى، الجهز  
المركزى للكتب الجامعى والمدرسى والموائى لتطبعة،  
لقاهرة، ١٩٧٧م.
١١٩. سعى عىء لققاح عاشور وآخرون : دراساء فى تاريخ  
لقصارة الإسلامىة، دار المعرفة الجامعىة، الإسكندرىة،  
١٩٩٩م.
١٢٠. سلام شافعى (مكتور) : أهل النمة فى مصر فى العصر  
لفاطمى الأول، الهىة المصرىة العامة للكتاب، سلسة تاريخ  
المصريين، عىء [٧٥]، ١٩٩٥م.
١٢١. \_\_\_\_\_ : أهل النمة فى مصر فى العصر  
لفاطمى الثانى والأوىى، دار المعارف، لقاهرة، ١٩٨٢م.
١٢٢. سليمان عىء المنعم سلمان (مكتور) : أصول علم الإجرام  
القانونى فى إشكالات تأصىل علم الإجرام، القنل الوصى  
لقاهرة الجرىة، القنل النصىرى لقاهرة 'الإجرام، دار  
الجامعة الجىءة، الإسكندرىة، ٢٠٠١م.
١٢٣. سهام مصطفى أبو زىء (مكتور) : لخصىة فى مصر  
الإسلامىة من الفتح العربى إلى نهائة العصر المملوكى، الهىة  
المصرىة العامة للكتاب، ١٩٨٦م.
١٢٤. لسوء عىء العزىء سلام (مكتور) : قنلخ والمؤرخون  
العرب، دار الكتاب العربى لطباعة والقشر، الإسكندرىة،  
١٩٦٧م.
١٢٥. \_\_\_\_\_ : قنلخ المسلمين وآثارهم فى  
الأندلس (من الفتح العربى حنى سقوط الخلافة بقرطبة، مكتبة  
الأبحاث قنلخىة والأثرىة، دار النعضة العربىة، بىروت،  
١٩٨١م.
١٢٦. \_\_\_\_\_ : قنلخ المغرب فى العصر  
الإسلامى، مؤسسة شىلب للجامعة، الإسكندرىة، بىوت قنلخ.

١٢٧. \_\_\_\_\_ : تاريخ الدولة العربية، مؤسسه شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
١٢٨. \_\_\_\_\_ : دراسات في تاريخ العرب (العصر العباسي الأول)، ج٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
١٢٩. \_\_\_\_\_ : دراسات في تاريخ العرب (تاريخ الدولة العربية)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
١٣٠. السيد عوض (دكتور): "قانون" الجريمة في مجتمع متغير، المكتبة المصرية، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
١٣١. سيد إسماعيل كاشف (دكتور) : مصر الإسلامية وأهل الذمة، سلسلة تاريخ المصريين، عدد (٥٧)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد (٨٢)، ١٩٩٣م.
١٣٢. \_\_\_\_\_ : أحمد بن طولون، المؤسسة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.
١٣٣. \_\_\_\_\_ : مصر في عهد الإخشيديين، مطبعة جامعة فؤاد، القاهرة، ١٩٥٠م.
١٣٤. \_\_\_\_\_ : مصر في فجر الإسلام من الفتح العربي إلى قيام الدولة الطولونية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين، العدد (٨٢)، القاهرة، ١٩٩٤م.
١٣٥. شوقي ضيف (دكتور) : في الشعر والفكاهة في مصر، دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ.
١٣٦. صلاح أحمد هريدي (دكتور) : دراسات في تاريخ مصر الحديث والمعاصر، ط١، ج٢، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

١٣٧. ضيف الله محمد يحيى الزهراني (نكتور) : زيف النقود الإسلامية من صدر الإسلام حتى نهاية العصر المملوكي، ط١، مكتبة مكة المكرمة، ١٩٩٣م.
١٣٨. عبد الرحمن يدوي (نكتور) : اندروز، ملحق بكتاب مذهب الإسلاميين، ج٢، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.
١٣٩. عبد العزيز الدودي (نكتور) : تاريخ العراق الاقتصادي لقرن الرابع الهجري، دار المشرق، بيروت، ١٩٧٤م.
١٤٠. عبد القادر خريصات (نكتور) : للمرأة والمشاركة السياسية في ظل الدولة السياسية، (دراسة تطبيقية منذ العصر النجاشي حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد)، ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، ط١، الأردن، ١٩٩٨م.
١٤١. عبد المتعال محمد الجبوري : أصالة الدواوين والنقود العربية، ط١، مكتبة ودية، القاهرة، ١٩٨٩م.
١٤٢. عبد المنعم سلطان (نكتور) : المجتمع المصري في العصر الفاطمي (دراسة تاريخية وثائقية)، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
١٤٣. عبد المتعمم ماجد (نكتور) : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج١، ج٢، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٨م.
١٤٤. \_\_\_\_\_ : نظم الفاطميين ورسومهم في مصر، ج١، ج٢، ط٢، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٥م.
١٤٥. \_\_\_\_\_ : الملوك بأمر الله الخليفة المعنوي عليه، القاهرة، ١٩٥٩م.
١٤٦. \_\_\_\_\_ : ظهور الخلافة وسقوطها في مصر (التاريخ السياسي)، ط٢، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١٤٧. عبود سراج (دكتور) : قانون العفريات، القسم العام، جامعة دمشق، بدون تاريخ.
١٤٨. عثمان علي محمد عطا (دكتور) : الأزمات الاقتصادية في مصر في العصر المملوكي وأثرها السياسي والاقتصادي (١٤٨ - ٩٢٣ هـ / ١٧٥٠ - ١٥١٧ م)، سلسلة تاريخ المصريين، عدد (٢١٢)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
١٤٩. عطية مصطفى مشرفة (دكتور) : نظم الحكم بمصر في عهد الفاطميين، ط١، دار الفكر العربي، ١٣٦٧ هـ / ١٩٤٨ م.
١٥٠. علي إبراهيم حسن (دكتور) : مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧ م.
١٥١. \_\_\_\_\_ : تاريخ جواهر الصقلي، قائد المعر لنين لله الفاطمي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ٢٠٠٠ م.
١٥٢. علي باشا مبارك : الخطط التوفيقية الجديدة، ١ - ٨، دار الكتب المصرية، ١٩٦٩ - ١٩٩٠ م.
١٥٣. علي حسني الخربوطلي (دكتور) : مصر العربية الإسلامية (القبيلة والحصار في مصر في العصر العربي الإسلامي منذ الفتح العربي إلى الفتح العثماني، مكتبة الأجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٣ م.
١٥٤. \_\_\_\_\_ : أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، ١٩٧٢ م.
١٥٥. علي عبد القادر القهوجي وآخرون : علم الأجسام وعلم العظام، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩ م.
١٥٦. فاطمة أحمد عمر (دكتور) : تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية (من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي)، ١ -

٢. سلسلة تاريخ المصريين، للحدادين (١٧٢)، (١٧٣)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠م.
١٥١. فحمة عبد الفتاح النبرلوي (مكتور) : تاريخ النظم والحصنة الإسلامية، ط٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩١م
١٥٨. فوزي عطوي (مكتور) : في الاقتصاد القيسي والنقود والنظم النقدية، ط١، دار الفكر العربي، بيروت، ١٩٧٩م
١٥٩. فاسم عبد فاسم (مكتور) : أهل النمة في مصر في العصور الوسطى (دراسة وثائقية)، ط٢، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
١٦٠. \_\_\_\_\_ : اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٦١. محمد الأمين البشري (لواء) : الفساد والجريمة المنظمة، جامعة باف للعلوم الأمنية، لرياضن، ٢٠٠٢م.
١٦٢. محمد الصادق عفيفي (مكتور) : تطور الفكر العلمي عند المسلمين، مكتبة الفاسمي، القاهرة، ١٩٧٧م.
١٦٣. محمد جمال الدين سرور (مكتور) : النولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.
١٦٤. \_\_\_\_\_ : النود الفاطمي في بلاد الشام والعراق في القرنين الرابع والخامس بعد الهجرة، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م.
١٦٥. \_\_\_\_\_ : سياسة الفاطميين الخارجية، ط٤، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
١٦٦. محمد خلف (مكتور) : مبادئ علم الأجرام، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع، الجماهيرية العربية الليبية، ١٩٩٦م.

١٦٦. محمد عطف عيث (دكتور) : 'لقون' : المشكل الاجتماعي والسلوك الانحرافي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٢م.
١٦٨. محمد عبد الله عثمان : الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، ط٣، مكتبة الخالجي، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٦٩. \_\_\_\_\_ : تراجم إسلامية دار المعارف مصر، ١٩٤٧.
١٧٠. محمد ماهر حمادة (دكتور) : الوثائق السياسية والإدارية العائدة للمصور العينية المنتحلة (٢٤٧-٦٥٦هـ - ٨٦٦-١٢٥٨م)، دراسة ونصوص، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م.
١٧١. محمد مرسي الشيخ (دكتور) : تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، ط٢، الإسكندرية، ١٩٩٧م.
١٧٢. محمود سعيد عمران (دكتور) : تاريخ العرب الصليبية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠١م.
١٧٣. مصطفى عبد المجيد كارة (دكتور) : مقدمة في الانحراف الاجتماعي، معهد الإنماء العربي، بيروت، تاريخ.
١٧٤. نزيهان عبد الكريم أحمد (دكتورة) : المرأة في مصر في العصر الفاطمي، سلسلة تاريخ لمصريين، عدد (٢٦٦)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٢م.
١٧٥. \_\_\_\_\_ : معاملة غير المسلمين في الدولة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٦م.
١٧٦. \_\_\_\_\_ : دولت في تاريخ مصر الإسلامية، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.
١٧٧. نعمت إسماعيل علام : فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية، ط٣، دار المعارف، القاهرة.

١٧٨. هويدا عبد العظيم (مكتوب) : المجتمع في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى العصر الفاطمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

#### خاميساً : الكتب الأجنبية المترجمة :

١٧٩. آدم مئز : الحضرة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، أو عصر النهضة في الإسلام، نقله إلى العربية : محمد عبد الهادي أبو ريده، ١ - ٢، تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٦م.

١٨٠. ألفريد ج. بئر : فتح العرب لمصر، تعريب . محم هريد أبو حديد بك، مكتبة مديولي، القاهرة، ١٩٩٠م.

١٨١. بول فيكرويف : قصة المكروب، ترجمة : أحمد نكي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٩م.

١٨٢. جاك تاجر : ألبط ومسلمون منذ الفتح العربي إلى عام ١٩٢٢م، تقديم : سمير مرقس ومحمد عفيفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠١٠م.

١٨٣. الدوميني : فلم ضد العرب وأثره في تطور العلم العالمي، ترجمة : عبد الحليم النجار، ومحمد يوسف موسى، دار الفلم، القاهرة، ١٩٦٢م.

١٨٤. زامبور : معجم الأنساب والأمراء لحاكمية في التاريخ الإسلامي، ط١، القاهرة، ١٩٥١م.

١٨٥. فرانسيس هيدسون : المرأة والجريمة، ترجمة ريهام حسين إبراهيم، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩١م.

١٨٦. ف. ويستفيلد : جدول السنين الهجرية ببلقيها وشهورها، بما يوافقها من السنين الميلادية ببلقيها وشهورها، تحقيق : عبد المصم ماجد، عبد المصن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون تاريخ.

١٨٧. لاكوم : اقتصاد ترجمة : موزان خليل، ط١، عين للدراسات والبحوث الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠٣م.

#### سائبا : الثوريات :

١٨٨. زياد محمد الجبالي : لسكن للنتزه ومظاهر الله وقتشية في العصر الفاطمي خلال شعر شعراوم، المجلد الطمى لكالبة الأدب بسودج، دورية لكالومية علمية محكمة، ج١، العدد (٢٦)، ٢٠٠٣م.

١٨٩. سحر السيد عبد العزيز السيد : لثالثات وأثرها في المجتمع والذونة في مصر منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية عصر الدولة الفاطمية (٢١ - ٥٦٧ هـ / ٦٤١ - ١١٧١ م)، بحث منشور في ندوة الدكتور / سعد زغول عبد الحميد، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ٢٠٠٦م.

١٩٠. سعد زغول عبد الحميد : الإسلام والترك في عصر الإسلامي والوسيط، بحث منشور في عالم الفكر (١)، دراسة إسلامية تصدر من مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م.

١٩١. سهر لطفى : ندوة تجرائم الاقتصادية المستندة من ٢٠ - ٢١ أبريل، ١٩٩٣م، ج١، القاهرة، ١٩٩٤م.

١٩٢. صبر صابر عبد الجليل : مخطوط يوحنا شيفوس تاريخ العالم، وثيقة شاهد عيان على الفتح الإسلامي لمصر من كتاب أثر الإسلام في مصر وأثر مصر في الحضارة العربية الإسلامية، دراسات لجنة من الأساتذة، إشراف قاسم عبد قاسم، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣م.

#### سايق : الرسائل العلمية :

١٩٣. حسين إبراهيم زويل : الفساد الإداري وعلاقته بالتغير الاجتماعي، دراسة سوسولوجية في المجتمع المصري، فترة ما بعد ١٩٧٠م، رسالة دكتوراه غير منشورة، ٢٠٠٦م.



١٩٤. دعام محمد أبو نور : التحولات "اجتماعية وظاهرة العصور  
في المجتمع المصري (دراسة اجتماعية على أبعاد الظاهرة  
وتأولها الإعلامي)، رسالة دكتوراه، طنطا، ٢٠٠٣م.

١٩٥. عصام أبو جمعة : الأثر الاجتماعي لجريمة البغاء ودور  
الرعاية اللاحقة في موجهتها من منظور الممارسة العامة  
للخدمة الاجتماعية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة  
حلوان، ٢٠٠٥م.

١٩٦. هشام عبد القادر : إقليم الحوف الغربي "البحيرة حاليًا" في  
العصر الفاطمي، دراسة سياسية وحضارية من الفترة (٣٥٨  
٥٦٧هـ / ٩٦٩ - ١١٧١م)، رسالة ماجستير، جامعة  
الإسكندرية، فرع دمهور، ٢٠٠٨م.

#### ثامناً : الأطلال :

١٩٧. أطلال تاريخ الإسلام : حسين مؤنس، ط١، الزهراء للإعلام  
العربي، القاهرة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٩٨. زكي محمد حسن (دكتور) : أطلال القصور الزهرانية  
والنصاوير الإسلامية، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٩٩. محمد رمزي : القاموس الجغرافي في البلاد الحالية، بدون  
تاريخ.

#### تاسعاً : للمراجع الأجنبية :

200. Stanley Lane-Pool. A: History of Egypt in the Middle Ages.
201. ----- : Saladin and the Fall of the Kingdom of Jerusalem.
202. O'Leary : A Short History of the Fatimid Khalifate, London.
203. Mann (J) : The Jews in Egypt and Palestine Under the Fatimid Chaliphs, Oxford.

- 204 Margoliouth, P.D, s : Cairo, Jerusalem and Damascus U.S.A.
- 205 Mah'e, Jean Pierre : Les Armenians et L'Egypte, Le Monde Copt, No. 9, 1980, Paris
- 206 Armenians in Egypt, Contribution of Armenians to Medieval and Modern Egypt
207. Merriam Webster Dictionary- Definition Corruption.

٢٠٨. ذكي ونندي طوغان : عمومی تورك تاريخه كيرشي،  
شمسئلى ائى التاريخ التركى العام، ج ١، مطبعة امسون،  
استانبول، ١٩٤٩م.
٢٠٩. كوپولى زاده فؤاد : توركيا تاريخي، استانبول، ١٩٢٢م.

٢٠١٢/٢٢-٨٩ :	رقم الإيداع
I.S.B.N :	التقييم الدولي
978-977-212-238-7	





# المساء في الدولة الناطقة

محمدا نوري الجمل

## المساء في الدولة الناطقة

محمدا نوري الجمل



المساء في الدولة الناطقة  
محمدا نوري الجمل



المساء في الدولة الناطقة  
محمدا نوري الجمل



مؤسسة شباب الجامعة  
65 شارع / أغسطس - مصر  
تليفون: 60190000 - 60190001  
البريد الإلكتروني: info@shabab.com

ISBN 978-977-242-228-5



9 781097 242228